# الجَمهُوريّة الجَزائريّة الدّيمقرَاطيّة الشّعبيّة

## وزارة التّعليم العالي والبحث العلـــــمي

## جامـــعة أبي بكر بلقايد ـ تلمســـان ـ

### كُليّة العُلوم الإنسَانيّة والعُلوم الاجتمَاعيّة



### قسم التّـــــــاريخ

رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه ل م د في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر

الموسومة بِ




# ( 1246 - 1330 هـ / 1830 - 1912 م )


**إعدَاد الطّالب الباحث:**

*** عزالدّين بن سيفي**

**إشراف الأستاذ الدكتور:**

*** بودواية مبخوت**


**لجنة المناقشة:**

| أ.د/ مصطفى أوعامري | أستاذ التعليم العالي | جامعة تلمسان | رئيساً |
|---|---|---|---|
| أ.د/ بودواية مبخوت | أستاذ التعليم العالي | المركز الجامعي النعامة | مشرفاً ومقرراً |
| د.ة / حياة ثابتي | أستاذة محاضرة (أ) | جامعة تلمسان | عضواً مناقشاً |
| أ.د/ محمد مجاود | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | عضواً مناقشاً |
| أ.د / كريم ولد النبية | أستاذ التعليم العالي | جامعة سيدي بلعباس | عضواً مناقشاً |
| د/ محمد مكيوي | أستاذ محاضر (أ) | جامعة تلمسان | عضواً مناقشاً |

**السنة الجامعية :2017 م / 2018 م**

بسم الله الرحمن الرحيم




صدق الله العظيم




بعد شكر **الله** سبحانه وتعالى الذي وفقني لإتمام هذا العمل.

أتقدم بوافر الشكر إلى الأستاذ الدكتور **بودواية مبخوت** المشرف على هذا الموضوع، والذي كان لي نعم الناصح والمرشد في طريقي لإنجاز هذا البحث.

والشكر موصول إلى كل من ساعدني في انجازه ،وأخص بالذكر لا الحصر الأستاذ محمد بوغرارة، والأستاذ عبد العزيز الحامدي .




إلى روح جدتي الغالية، أُمي الثانية وأم الشهداء

المجاهدة المرحومة **صيفي خيرة بنت عبد الله .**

إلى والداي متعهما الله بالصحة والعافية وأطال في عمرهما.

إلى زوجتي التي تحملت معي عناء ومشقة هذا البحث.

إلى قرة عيني ولداي **حسام ولقمان** حفظهما الله.

إلى كل أفراد عائلتي.

محمد، سميرة، جلول، خيرة، عبد الله، نور الدين، حياة

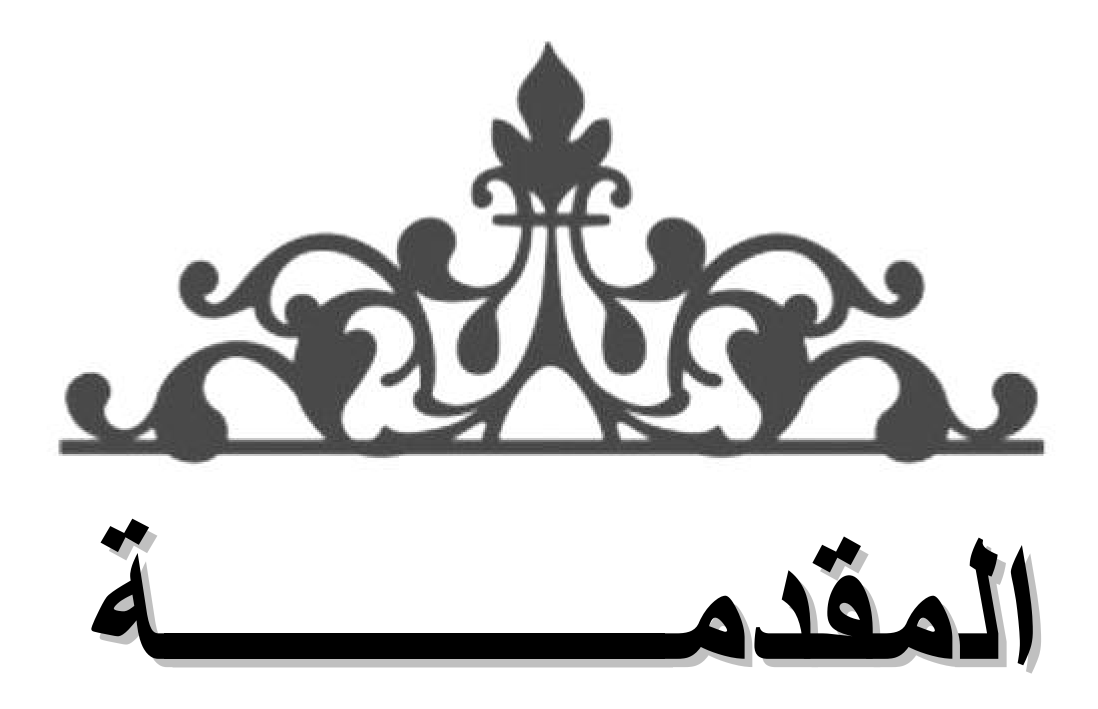
إلى كل أفراد عائلة صهري بلقاسمي

يوسف السبايس، محمد، عبد القادر، خديجة.

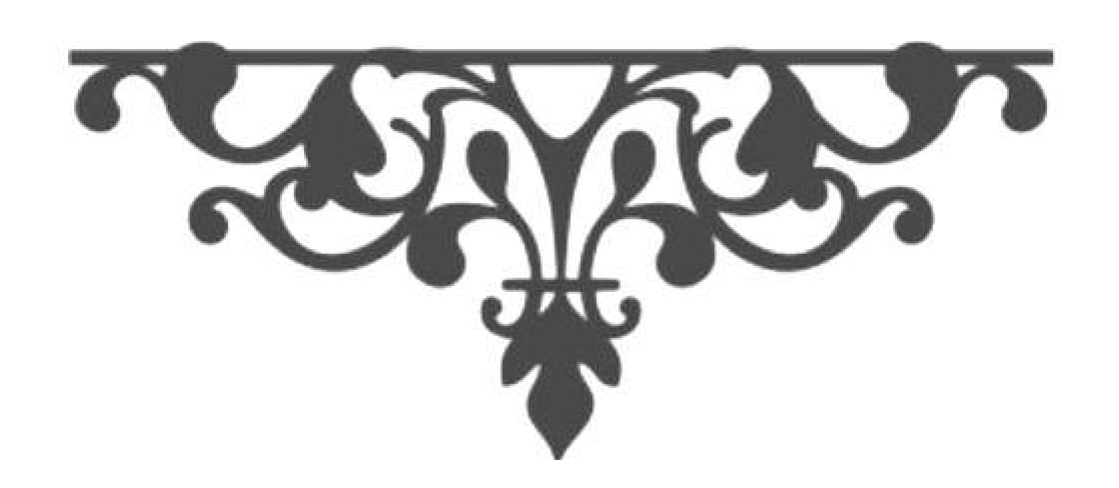
إلى كل من له الفضل في نجاحي أساتذتي الكرام.

إلى كل الأصدقاء والأقارب.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل.



# المقدمــــــــة



إنّ المتأمِل في تاريخ العلاقات السياسيِّة المغاربيِّة المعاصِرة، لَيَقِفْ عند حقيقة واضحة وهي ما تتميز به هذه العلاقات من خصّوصية، فالتجاذبُ والتنافرُ هو عنوان يختزل ملامح المد والجزر في واقع تتبادل فيه القوى المحليّة التُّهَمْ، أمام محاولات مُمنهجة ومتواصلة من القوى الخارجيِّة المتربصة، زادت الجراح عفناً وألماً، هدفها خدمة الاستعمار الرامي إلى تجزئة المنطقة المغاربية.

فتاريخ المنطقة المغاربيِّة يزخر بتجارب وحدويَّة كثيرة، كما تجرعت جغرافيتها أيضاً تجارب أخرى من التفرقة والتشرذم، عبرت فيها وحداتُها المتجاورة عن تنافرها السيّاسي رغم تجانسها وتآنسها الاجتماعي والحضاري، فَلِزَمن طويل ظلت هذه الوحدة آمالاً تتجاذبها الاعتبارات السياسية بين أطرافه الفاعلة وأطيافه المؤثرة، رغم ما بذلته الشعوب المغاربيّة التي تتقاسم أواصر وعرى الأخوة، والدين، واللغة، والتاريخ، من جُهودٍ في رأْبِ الصدُوع وجبرِ الكسور، ولعل أوضح مثال في تلخيص هذه الرواية عن مأساة العلاقات المغاربِيّة، يستقر في فصله المتعلق بالعلاقات الجزائريّة المغربيّة المعاصِرة.

وفي هذا الإطار يندرج موضوع رسالتنا الموسومة ب **:" العلاقات الجزائرية المغربية 1830- 1912م"**

## ❖ أهمِّية الموضوع:

إذا كانت قيمة وأهمِّية أيِّ دراسة تاريخيَّة هي ما يقف عليه الباحث من توضيح قضية، أو قضايا تاريخيَّة جديدة، فإنَّ الموضوع الذي اخترناه للبحث هو تقصٍّ عميق للعلاقات الجزائريَّة المغربيَّة، في فترة عصيبة ومعقَّدة، تحكَّمت فيها الكثير من المعطيات، ولما كان فهم طبيعة العلاقات الجزائرية المغربية الآنية، مرهوناً بالعودة إلى جذورها التَّاريخيَّة، فقد رجونا أن يكون هذا البحثُ خُطوةً مهمَّةً لاستجلاء حقيقة هذه العلاقات، وخاصَّة أنّ الموضوع لم يحظ بدراسة كافية-على الأقل-في الفترة(1812-1850)م.

## ❖ دوافع اختيار الموضوع:

لم يكن اختياري للموضوع اعتباطياً، ولا محلَّ صدفة، بل حرصت على البحث في الموضوع لأسباب ودوافع موضوعيَّة، وأخرى ذاتيَّة يمكن إيجازها في ما يلي:

**أولاً/** إنّ البحث في موضوع العلاقات السياسيَّة الدَّوليَّة، لطالما جَلَبَ اهتِمام السَّاسة والمفكِّرين، واستهوته قرائحُ المؤرِّخين، وبما أنَّني أجمع بين السِّياسة والتَّاريخ في تكويني الأكاديمي الجامعي، نظراً لتخصُّصي في حقل العلوم السِّياسية والعلاقات الدَّوليَّة، وكذلكَ في حقل التَّاريخ المغاربي الحديث والمعاصر، فقد كنت أكثر نزوعاً إلى الموضوع الذي ألْفَيتُه فرصةً لصقل السياسة بالتاريخ.

**ثانياً/** يُعدّ موضوع العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة من الموضوعات التي استبدَّت بنَظَر العديد من المؤلِّفين غير المتخصِّصين، الذين تعرَّضوا للموضوع بارتجالٍ وتسرُّع، وقد حَبَّروا فيه كتباً ومقالات استَعجَمَت فيها عليهم مذاهبُ البحث، واستغلقَت مسالكُه، تحت أسماع الباحثين والمختصين وأنظارهم، وقد عزفوا عن الموضوع لحساسيَّته، فاسحين المجال لبعض الحاقدين المتطاولين على رموز الأمّة المغاربيَّة، وعليه جاءت هذه الدراسة التي تحرَّينا فيها الأمانة والموضوعية ما استطعنا، علَّها تسدُّ هذا الثَّلم، وتقصُّ أجنحة هذا التطاول.

**ثالثاً/** رغم أنّ الموضوع عالجه بعض الباحثين سواء الجزائريون أو غيرهم، إلا أنّ اهتمامهم انصب على الفترة الزمانية (1830-1847)م، وهي فترة مقاومة الأمير عبد القادر، وفي المقابل لم تنل الفترة (1850م إلى 1912)م، نفس الاهتمام، ومن هنا كانت رغبتنا في استكمال دراسة مسار العلاقات الجزائرية المغربيَّة إلى 1912م، تاريخ توقيع الحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية على المغرب.

**رابعاً/** رغبتنا في معرفة هذا ماضي من العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة الذي يشوبه الكثير من الغموض، ودراستُه بما يستحقُّ من التَّأنِّي والتَّروِّي قَصد الوقوف على حقائقها التَّاريخيَّة الصَّحيحة.

### ❖ إشكالية البحث:

تتمحور إشكاليَّة البحث حول سؤال جوهريٍّ هو:

ما أهمُّ التَّطوُّرات التي عرفتها العلاقات الجزائريَّة المغربيَّةُ من الاحتلال الفرنسيِّ للجزائر إلى توقيع الحماية المزدوجة الإسبانيَّة الفرنسية على المغرب؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى أسئلة جزئية وجب علينا الإجابة عنها:

- كيف سقطت الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي وما موقف المغرب شعباً وحكومةً من الاحتلال؟
- لماذا استنجد سكَّان الغرب الجزائري بالسُّلطة المغربيَّة؟ وما موقف السلطان من ذلك؟
- ما طبيعة التَّدخُّل المغربيِّ في تلمسان؟ أكان توسُّعاً أم نجدة مُغِيثْ؟
- كيف كان موقف السُّلطان والمغاربة من ظهور الأمير عبد القادر على مسرح الأحداث في الجزائر ؟ وما هي طبيعة العلاقات التي ربطت رمز المقاومة في الجزائر مع السُّلطات المغربية وما مدى مَتانةِ التَّقارب بينهما؟
- هل كان لفرنسا دور في توجيه هذه العلاقات؟
- إلى أيّ مدى نجحت فرنسا في توجيه العلاقات الجزائرية المغربية ؟ وما الوسائل التي اعتمدتها في زعزعة العلاقات بين الجزائريِّين والمغاربة؟
- كيف أصبحت العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة بعد استسلام الأمير، وما أهمُّ التَّطوُّرات التي شهدتها منطقة الحدود الجزائرية المغربية في منتصف القرن التَّاسع عشر؟
- ما موقف السلطات المغربية من رسم الحدود بين الجزائر والمغرب؟
- ما أهمُّ التَّطوُّرات السِّياسيَّة التي شهدتها منطقة الجنوب الغربيِّ بداية من سنة 1864م؟ وما موقف السُّلطات المغربيَّة منها؟
- كيف كان موقف السُّلطات المغربيَّة من ظهور الشَّيخ بوعمامة على مسرح الأحداث وقبل نهاية القرن التَّاسع عشر وبعده؟

- ما أهمُّ التَّطورات التي شهدتها منطقة الحدود الجنوبيَّة بعد اندلاع ثورة أولاد سيدي الشّيخ الثّانية بقيادة الشّيخ بوعمامة ؟ وما موقف السّلطات المغربيّة من هذه المقاومة ؟
- كيف سقط المغرب في شَرَك الحماية؟ وما موقف الجزائريّين من ذلك؟

### ❖ مناهج البحث:

من أجل تقصِّي الحقائق التَّاريخيَّة ووصف المعطيات، وتحليل الوقائع، ومناقشتها، لاسيَّما مع ما تحمله المصادر والمراجع من تناقضات، وتضارب في المعلومات، فقد اعتمدنا المنهج التاريخي، وذلك لتركيب الأحداث وسرد الحقائق، وترتيبها مع احترام مبدأ التَّسلسل الكرونولوجي، دون إهمال انسجام الموضوع. كما استعنّا بتقنيات وعلوم مساعدة؛ كالمقارنة، والتحليل، وذلك للمقاربة بين المصادر التَّاريخية، من خلال تطابقها واختلافها في عرض المعطيات التّاريخية، وتحليل الحوادث، وتنقيح الوقائع، وذلك لاستخلاص واستنتاج الأحكام.

### ❖ عرض فصول البحث:

للإجابة على هذه التّساؤلات، تمّ وضع خطّة بحث تحوي مقدّمة، وفصلاً تمهيديّاً، وأربعة فصول، وخاتمة، وملاحق تتّصل بالموضوع اتّصالاً وثيقاً.

خصّصنا الفصل التّمهيدي لإعطاء صورة موجزة عن الجذور التّاريخية للعلاقات الجزائريّة المغربيّة، من سقوط دولة الموحّدين إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر، حيث استعرضنا فيه التَّطوُّر التّاريخي للعلاقات بين البلدين متطرِّقين إلى تجربة الموحِّدين، ثم تتبّعنا وقائع العلاقات الزِّيانيَّة المرينيَّة، بعد تفكُّك الدَّولة الأمِّ، ثمَّ وقفنا على ملامح العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة على عهد الأتراك العثمانيِّين في الجزائر، وبني وطاس، ثمّ الأشراف السَّعديِّين في المغرب، مبرزين التَّأثير الأيبيري في رسم هذه العلاقة، وصولاً في ختام الفصل التمهيدي، إلى انفراد الدَّولة العَلَويَّة بالحكم في المغرب، وعلاقتها بأتراك الجزائر العثمانيِّين.

عرض الفصل الأوّل إلى موقف المغرب من الاحتلال الفرنسيّ للجزائر، وذلك بِبَسط الحديث في أحداث الغزو الفرنسي للجزائر، ثم تعرضنا إلى موقف ودور القوى الإسلامية المجاورة ( الدولة العثمانية وتونس وليبيا ومصر) فيما آلت إليه الجزائر.ثم تطرقنا في المبحث الثاني إلى أوضاع المغرب عشيَّة الاحتلال الفرنسيّ للجزائر، متقصّين أوضاعه السِّياسيَّة والاقتصاديَّة والاجتماعيَّة. كما سَبَرنا في المبحث الثَّالث غَوْرَ موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر، وفيه تناولنا بالدِّراسة الموقف الرَّسميّ، ثم الشَّعبيّ من مسألة دخول الغزاة إلى أرض إسلامٍ مجاورة. أمّا المبحث الرّابع والذي عنونّاه باستنجاد الجزائريِّين بسلطان المغرب، فقد شرحنا فيه الأوضاع والظُّروف التي دفعت بسكّان الغرب الجزائري إلى الاستنجاد بالسُّلطان المغربي عبد الرَّحمن بن هشام، وبيَّنّا كذلك ردَّ السُّلطات المغربيَّة على طلب دخول أهل تلمسان في بيعة السُّلطان المغربي، وخبر تولِّي المولاي علي بن سليمان خليفة للسُّلطان عبد الرَّحمن في تلمسان، كما أشرنا في ختام هذا الفصل إلى الأوضاع التي شهدها الإقليم الوهرانيّ بعد انسحاب الحامية المغربيَّة من تلمسان.

أمّا الفصل الثَّاني والذي عنونَّاه بالعلاقات الجزائريَّة على عهد الأمير عبد القادر الجزائريّ في المرحلة الممتدَّة من (1832 إلى 1847)م، فقد استَهلَلناه بالبحث في ظهور الأمير عبد القادر وتأسيس الدَّولة الجزائريّة الحديثة، وذلك في المبحث الأوَّل، حيث شرحنا فيه كيف تولّى الأمير قيادة البلاد وبناء الدّولة، ثم تعرّضنا في المبحث الثاني والذي عنونّاه بعلاقة الأمير بالسّلطان عبد الرّحمن قبل معركة إيسلي، حيث تتبّعنا فيه تطور أحداث المقاومة الجزائريّة تحت لواء الأمير عبد القادر، وموقف السلطان المغربيّ منها، كما تناولنا فيه أيضا، موقف السلطان عبد الرّحمن من البيعة وفتح تلمسان الأوّل، وكذا موقفه من معاهدَتَيْ دي ميشال 26 فيفري 1834م، وتافنة 30 ماي 1837م، كما تقصَّينا موقف السُّلطات المغربيَّة من حرب الأمير على التجانية، والدّور الذي لعبه السُّلطان في قضيَّة الخلاف الذي وقع بين الأمير وابن إسماعيل، وتقفَّينا أيضاً دور المغاربة في مقاومة الأمير، ثم أفضيْنا في المبحث الثّالث إلى ذِكرِ الضُّغوطات الفرنسيَّة والبريطانيَّة على المغرب، والطّريق نحو التّصادم المغربيّ الفرنسيّ، ثم أَفَضْنا الحديثَ في معركة إيسلي وانعكاساتها على العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة، واستعرضنا أيضاً اتِّفاقيَّة طنجة 10 سبتمبر 1844م، واتِّفاقيَّة لالَّة مغنيَّة 18 مارس 1845م بين فرنسا

والمغرب، وخصَّصنا المبحث الرابع والأخير في هذا الفصل لمعالجة توتُّر العلاقات بين الأمير عبد القادر والسُّلطان عبد الرحمن، وحرب السُّلطان على الأمير.

وعالجنا في الفصل الثَّالث العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة من منتصف القرن التَّاسع عشر إلى فرض الحماية على المغرب فَشَرَعنا باستعراض أوضاع الحدود الجزائريَّة المغربيَّة مطلعَ النِّصف الثَّاني من القرن التَّاسع عشر، ثمَّ عَمَدنا إلى أحداث قبائل بني سناسن وأنجاد فأسَهَبنا فيها المِقال، وكذلك الشَّأن بخصوص وضعيَّة الحدود الجزائريّة من 1845م إلى 1906م، ثُمَّ تَرامى بنا البَحثُ إلى المبحث الثاني الخاصِّ بالعلاقات الجزائرية المغربية على عهد رموز المقاومة في الجنوب الغربيّ الجزائريّ، إذ بحثْنا فيه أسباب ومراحل ثورة أولاد سيدي الشِّيخ الأولى والثَّانية، ثم تقصّينا موقف سلاطين المغرب من هذه الثَّورة، ثُمَّ قفَّينا ذلكَ كُلَّهُ بالمبحث الثالث والذي عنونّاه بالحماية الفرنسيّة الإسبانية على المغرب وموقف الجزائريّين، فعالجنا مسألة إقرار الحماية على المغرب موضِّحين المناهج والتِّقنيات التي اعتمدتها فرنسا في احتلال المغرب، ثم تطرقنا إلى مظاهر التَّضامن الجزائريّ، وثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب.

وَتضمَّنَ الفصل الرَّابع دراسة العلاقات الاجتماعيّة والاقتصاديّة بين البلدين في المرحلة المدروسة، وتفرَّع الفصل إلى مَبحثَين، خصَّصنا الأوّل منهما لدراسة العلاقات الاجتماعيّة، فبَسَطنا فيه الحديث حَول العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعيَّة بين البلدين، ثم عرَّجنا على أسباب ودوافع هجرة الجزائريين إلى المغرب، وأتْبَعنا ذلك بالكلام على مناطق استقرار المهاجرين الجزائريّين، وفي ختام هذا المبحث تقصّينا موقف المغاربة من هجرة الجزائريّين إلى بلدهم، والتَّأثيرات الحضاريَّة والاقتصاديَّة للمهاجرين الجزائريِّين على المغرب. واستعرضنا في المبحث الثاني العلاقات الاقتصاديّة، فَأَلْمَحْنا إلى أهمّ طرق المواصلات بين البلدين، ثم ركّزنا على مشاكل وصعاب الطرق، مبرزين تأثير ظاهرة اللُّصُوصِيّة، وندرة الماء على المبادلات التِّجاريَّة بين البلدين، وانتهى بنا البحثُ أخيراً إلى الكلام عن أهمِّ السِّلع والبضائع المتبادلة، وظاهرة التَّهريب التي تعاظَمَ أَمرُها بعد ترسيم الحدود.

وفي الخاتمة استعرضنا أهمَّ نتائج البحث المتوصَّل إليها بعد دراستنا لمسار تطوُّر العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة من 1830م إلى 1912 م.

## ❖ مصادر البحث ومراجعه:

إذا ضاعت الأصول ضاع التّاريخ معها، هذه قاعدة عامَّة لا موضع للجدل فيها، وبناءً عليها فقد كنّا ملزَمين لمعالجة هذا الموضوع المتعلِّق بالعلاقات الجزائريَّة المغربيَّة باعتماد مجموعة متنوِّعة من المصادر والمراجع، التي لها صلة بالبحث، وفي مقدِّمتها الوثائق الأرشيفيَّة والمخطوطات، إضافة إلى المذكِّرات الشَّخصيَّة، وكتب التَّراجم والرَّحَّالة، كما استندنا إلى بعض الدِّراسات، والمراجع التي تناولت جوانب الموضوع.

### 1- المصادر:

#### أ/الوثائق الأرشيفيّة:

اعتمدنا في هذا البحث مجموعة من الوثائق الأرشيفيّة المتاحة في دور الأرشيف الجزائريّة والمغربيّة ومنها:

#### ❖ وثائق الخزانة الحسنيّة:

تقع هذه الخزانة داخل القصر الملكيِّ بالرِّباط، وتعتبر هذه الخزانة من أغنى المكتبات في ما تعلَّق بالوثائق التي لها علاقة مباشرة بموضوعنا، حيث تحتوي مادة أرشيفيّة ضخمة تتطلَّب من الباحث وقتاً طويلاً للاطِّلاعِ عليها، ومع ذلك جمعنا منها بعض الوثائق، واطَّلعنا على بعض المخطوطات، حيث كانت أغلبُ الوثائق التي حصلنا عليها عبارة عن مراسلات السَّلاطين، ولا سيَّما السُّلطان عبد الرَّحمن ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

- .الوثيقة 34/ الملفّ الأوَّل المجموعة IV: رسالة السُّلطان عبد الرَّحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش في شأن وصول خبر نزول الفرنسيين بالجزائر.
- .الوثيقة 35/ الملفّ الأوَّل المجموعة IV: رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله السابق الذكر وتتضمن تعليمات وتوجيهات بحسن استقبال الوافدين الجزائريين إلى مدينة تيطوان.

- .الوثيقة 37/ الملفّ الأوَّل المجموعة IV: رسالة من السُّلطان عبد الرَّحمن إلى عامله السابق الذِّكر في شأن أصحاب الحِرف من الجزائريِّين، وإمكانيَّة الاستفادة من خبرتهم.

❖ **أرشيف المكتبة الوطنيَّة:**

مقارنة بالوثائق التي تتوفَّر عليها الخزانة الحسنيَّة - على الأقلِّ في موضوعنا المدروس- فالمكتبة الوطنية بالعاصمة فقيرة من حيث الوثائق المرتبطة بالفترة المدروسة، إلاّ أنَّنا استفدنا من بعض الوثائق الخاصَّة بملفّ الأمير عبد القادر.

**ب/المخطوطات:**

رغم أنّ بعضها تمّ تحقيقه، بَيدَ أنَّنا لم نعثر عليها في المكتبات، وهذا ما دفعنا إلى الاستعانة بالأصل المخطوط، ومن بينها:

- الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام، والمعروف أيضاً باسم ديوان العبر في أخبار القرن الثّالث عشر لصاحبه أبي العلاء إدريس، يحتوي هذا المخطوط على 280 صفحة وتتضمن كلُّ صفحة 21 سطراً، كُتِبت بخطٍّ مغربيٍّ، واعتنى صاحبه بتاريخ المغرب خلال حكم السُّلطانَيْن سليمان بن محمد، وعبد الرحمن بن هشام، وأفادنا هذا المخطوط في فصله المتعلِّق بذكر أحداث غزو الفرنسيِّين للجزائر، وموقف السُّلطان عبد الرَّحمن منه.
- أجوبة التّاسولي على مسائل عبد القادر الجزائريّ: المخطوط عبارة عن فتوى أجاب بها العالم الفقيه علي بن عبد السّلام بن علي أبو الحسن التّاسولي (ت:1258هـ-1842م) عن سؤالٍ ورده من الأمير عبد القادر، والمخطوط الذي اطّلعنا على نسخته الرقمية بالخزانة الحسنيّة تحت رقم 1106/5486، عبارة عن كرّاسة بها 39 صفحة، جاء في الصفحة الأولى منه «..فكان قبل هذه الأيام ورد من ناحية أعمال الجزائر أعادها الله دار إسلام كتابٌ من خليفتها المجاهد في ربّ العالمين سي الحاج عبد القادر...»، ويحتوي المخطوط على سبعة فصول، وقد مكّننا هذا المخطوط من استنتاج وتقصّي بعض الحقائق والوقائع، ولا سيَّما وأنَّ أجوبة التَّاسولي وليدة التَّطوُّرات السِّياسيَّة، والأحداث التي جدّت في ذلك الوقت، وأعطانا المخطوط لمحة عن الواقع الاجتماعي والسياسي في دولة الأمير، والصِّعاب التي واجهته في بناء الدولة.

**ج/الوثائق المنشورة (المطبوعة):**

رغم قلّتِها إلاّ أننا استفدنا منها، وقد اعتمدت في هذا المجال على:

- كتاب وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنيّة والخزانة الحسنيَّة) لمؤلِّفه خليفة إبراهيم حماش، والذي جمع فيه عدداً لا بأس به من الوثائق -278 وثيقة – أغلبُها يتعلَّق بالعلاقات الجزائريَّة المغربيَّة، وقد استفدنا من هذا الكتاب، الذي وفَّر علينا الجهد، والوقت للوصول إلى الوثائق.
- كتاب بحوث ووثائق في التَّاريخ المغاربي للمؤلِّف عبد الجليل التَّميمي، أخذنا منه رسالة الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد المأخوذة من أرشيف رئاسة الوزراء إستانبول الإدارة الخارجية رقم 820.
- كتاب الوثائق مديريَّة الوثائق الملكية، المطبعة الملكية 1976.

**د/المصادر المعاصرة المطبوعة:**

**المذكرات الشخصية:**

تعتبر المذكِّرات الشَّخصيَّة أُصولاً يعتمد عليها الباحث في الكتابات التَّاريخيَّة، فهي واحدة من المصادر التي عوَّلنا عليها في إنجاز هذا العمل المتواضع ومنها:

- مذكِّرات الكولونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841م، والتي تعتبر من النَّفائس التاريخيَّة المتعلِّقة بتاريخ الجزائر والمغرب، في الفترة المدروسة، حيث ساعدنا هذا المصدر في معرفة بعض الحقائق التاريخيَّة المتعلِّقة بالواقع الاجتماعيِّ والاقتصادي في المغرب الأقصى، لأنَّ المؤلِّف طاف بَين المدن المغربيَّة، ورسم لنا أيضاً بعض ملامح التَّضامن المغربيِّ مع مقاومة الأمير.
- سيرة الأمير عبد القادر وجهاده: من تأليف الحاج مصطفى بن التهامي الذي كلَّفه الأمير بكتابة هذه المذكرة في سجن أمبواز بفرنسا، وتمَّ تحقيق هذا المخطوط من قِبَل الدُّكتور يحي بوعزيز، وباعتبار الأمير إحدى الشَّخصيَّات المهمّة في موضوع البحث، فقد استعنت بهذه

المذكِّرة التي استقَيت منها الوقائع، وخاصة في ما تعلق بالفصل الأوَّل والثَّاني، الذي تناولتُ فيه علاقة الأمير بالسُّلطان عبد الرحمن، وعلى الرُّغم من أهمِّية المذكِّرات الشَّخصيَّة كمصادر في تدوين التَّاريخ، إلاّ أننا لم نغفل استقراء مادَّتها، ومقاربتها بمصادر أخرى.

**هـ/ الكتب المعاصرة:**

اعتمدنا في إنجاز هذا الأطروحة على مجموعة قيِّمة من المصادر والتي لها صلات وثيقة بأطراف الموضوع ونذكر منها:

- كتاب الحُلَل البهيّة في ملوك الدَّولة العَلويَّة وعدّ بعض مفاخرها غير المتناهية، لصاحبه محمد بن محمد مصطفى المشرفي الجزائريِّ الأصل المتوفَّى سنة (1334هـ-1916م)، والذي حقَّقه الأستاذ إدريس بوهليلة، ويقع الكتاب في جزأين، الجزء الأول ويُعَدُّ أصلَ الكتاب خصَّصه المؤلِّف لعدّ ملوك وسلاطين الدَّولة العَلويَّة مِن نشأتها إلى عهد السُّلطان إسماعيل، أمَّا الجزء الثَّاني فقد خصَّصه المشرفيُّ لترجمة ما بقي من ملوك الدولة العَلَويَّة، كما خصّ السلطانَيْن الحسن الأوَّل وعبد العزيز بقِسمٍ هامٍّ من هذا الجزء، ويُعدُّ هذا المصدر من المصادر الأساسيَّة التي عوَّلنا عليها في إنجاز هذا العمل، خاصَّة في ما تعلَّق بموقف سلاطين المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر.
- كتاب الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى لصاحبه المؤرِّخ المغربي أبي العبَّاس أحمد بن خالد المشهور بالناصري وأحيانا بالسَّلَّاوي المتوفَّى سنة (1314هـ-1897م)، ويعتبر كتاب الاستقصا عملاً قائماً بذاته، فهو موسوعة في تاريخ المغرب الأقصى، حيث جاء هذا الكتاب في خمسة أجزاء حسب أوّل طبعة صدرت بالقاهرة سنة 1894م، ثمّ صدرت الطبعة الثَّانية منه سنة 1954م من مطبعة دار الكتاب في تسعة أجزاء، ثم صدرت طبعة ثالثة منه سنة 1997م عن نفس دار النشر في ثلاثة أجزاء، استعملنا منها الجزء الثَّالث من طبعة 1997م، والجزء الرّابع والخامس طبعة 1954م، والكتاب ذو قيمة وأهمِّية بالغة في مثل هذه الموضوعات، من خلاله تمكنّا من إنارة بعض الزوايا المظلمة من هذا البحث وبالخصوص في مسألة استنجاد أهل الوطن الجزائر بالمغرب وما انجرَّ عنه من أحداث، وعلى الرغم من أهمِّيةِ هذا المصدر في تسجيل الوقائع التَّاريخيَّة، إلا أنّ النَّاصريَّ وباعتباره مؤرِّخ بلاط قلَّما تخلو

كتاباته من التحيُّز والذَّاتية، وخاصَّة في ما تعلَّق بشخص الأمير عبد القادر الذي نعته بأقبح الصِّفاتِ والنعوت، وعليه فإنَّنا لم نغفل عن ذلك، وأخضعنا مادَّته للمقارنة والتَّحليل.

- طلوع سعد السُّعود في أخبار وهران والجزائر وإسبانيا وفرنسا إلى أواخر القرن التاسع عشر، لصاحبه الآغا بن عودة المزاري (ت1890م)، حقَّقه الدُّكتور يحي بوعزيز، حيث يعتبر المصدر موسوعة تاريخيَّة وثقافيَّة وجغرافيَّة لعدد من دول الحوض الغربي للمتوسِّط، وخصَّص المزاري جزءًا كبيراً من كتابه، للتَّعريف بالدَّولة العثمانية وذِكر محاسنها، كما تحدَّث مُطوَّلاً عن نظام الحُكم العثماني في الجزائر، وتطرَّق كذلك إلى أهمِّ الثَّورات التي اندلعت ضِدَّ الحُكم التُّركي العثماني في الجزائر، كثورة درقاوة، والتجانية، ورغم ضعف أسلوب المزاري اللُّغوي، إلا أنَّنا استفدنا كثيراً من هذا المصدر.
- المرآة: للمؤلِّف حمدان بن عثمان خوجة، المتوفَّى سنة 1840م، صدر الكتاب في شهر أكتوبر 1833 بفرنسا بعنوانه الفرنسي (*Aperçu Historique Sur La Régence D'alger*) وترجمه إلى اللغة العربية صديقه حسونة الدغسي الليبي، وقام بتحقيقه الدكتور محمد العربي الزبيري. المصدر يتناول جوانب مهمّة من التَّاريخ الاجتماعي للجزائر، كما يتحدَّث فيه المؤلِّف عن التَّقسيمات الإداريَّة للجزائر وذِكر أهمِّ المدن، كما خصَّص المؤلِّفُ جزءاً من كتابه لسردِ وقائع الغزو الفرنسيِّ وما ترتب عنه من أحداث، وتكمن أهمِّية المصدر في غَزارة مادَّته التَّاريخيَّةِ، التي مكَّنَتنا من بناء تصوُّر واضح وعميق لبعض الوقائع السُّوسيو تاريخيَّة، للجزائر عشيَّة الغزو الفرنسيِّ.
- Oudjdaet L'amalat للمؤلّف النَّقيب L.Voinot: يتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة وجدة والمناطق المجاورة لها، حيث قسَّمه المؤلِّف إلى ثلاثة أبواب، تحدَّثَ في الأوّل عن مونوغرافية المدينة، أمَّا الباب الثَّاني فخصَّصه لقبائل عمالة وجدة، وفي الباب الثَّالث والأخير تطرَّق فقط إلى أهمِّ الأحداث التَّاريخيَّة التي عاشتها المنطقة، ويُعتبر هذا المصدر من أضخم الأعمال التي أرَّخت للمنطقة الشَّرقية من المغرب، بحيث وفَّر لنا مادَّة تاريخيَّة هامّة وخاصَّة في ما يتَّصِلُ بالعلاقات الفرنسية المغربيَّة، ومسألة الأمير في المغرب، والأحداث التي ترتَّبت عن الصِّدام الفرنسيِّ المغربيِّ في إيسلي، وقضايا الحدود، وغيرها من الأحداث، إلاّ أنّ هذا المصدر كغيره

من المؤلَّفات الفرنسيَّة ذات التَّوجُّه الاستعماري الإيديولوجي في كتابة التاريخ، لم يشذَّ عن المنهج الكولونيالي في كتابة تاريخ المستعمرات.

- Histoire Générale De L'Algerie للمؤلف Henri Garrot : يتناول هذا الكتاب الذي صدر سنة 1910م، تاريخ الجزائر العامّ، والكتاب من أكبر المؤلَّفات الفرنسيَّة التي كتبت في تاريخ الجزائر، حيث يبلغ عددُ صفحاته 1200 صفحة، قسَّمه المؤلِّف إلى مجموعة من الأقسام، وكلَّ قسم إلى مجموعة من الأبواب، وكلَّ باب إلى مجموعة من الفصول، ونظراً لكثرة أقسامه، فقد تعذَّر علينا ذكرها كلَّها في هذا الوصف النَّقدي للكتاب، وفي اعتقادي أنَّه من المصادر المهمَّة في كتابة التَّاريخ المغاربيِّ، وقد أفادنا هذا المصدر رغم التَّحيُّز الذي يقع فيه المؤرِّخون الفرنسيُّون كما سبق ذكره.

## 2- المراجع:

### أ/العربية:

استندنا لإنجاز هذا العمل على مجموعة كبيرة من المراجع التي تضاهي قيمتها العلمية قيمة المصادر، ونذكر منها، كتاب الحركة الوطنيَّة لصاحبه العلَّامة المؤرِّخ الدُّكتور أبي القاسم سعد الله، وخاصة الجزء الأول منه، وكتاب ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين للمؤرِّخ يحي بوعزيز، وكتاب المغرب عبر التَّاريخ للمؤرِّخ المِغربيِّ إبراهيم حركات، وكتاب ثورة بوعمامة للمؤرِّخ عبد الحميد زوزو ، وكتاب جزائريون في تيطوان للمؤرِّخ إدريس بوهليلة، وكتاب وجدة وأنجاد للمؤرِّخ إسماعيل العَلَويّ ، كما اعتمدنا على بعض الدِّراسات المتخصِّصة، ونذكر منها على الخصوص: أطروحة العلاقات بين الجزائر والمغرب (1517-1659)م لعمَّار بن خروف، وأطروحة الاحتلال الفرنسيّ للجزائر مقاومة الأمير عبد القادر (1830-1847)م لمحمد بن جبور، وأطروحة علاقات الجزائريِّين بالمغرب الأقصى وتونس (1848-1930)م، للباحث فارس العيد .

### ب/الفرنسيَّة:

اعتمدنا في إنجاز هذا البحث على عدد معتبر من المراجع الفرنسيَّة نذكر منها:

كتاب (*Histoire De L'Algérie Contemporaine*) للمؤرّخ شارل أندري جوليان، وكتاب (*Insurrection Du Bouamama 1881*)، للمؤرّخ صاري الجيلالي، وكتاب( *Européens Indigénes Et Juifs En Algérie (1830-1962)*) للمؤرّخ كمال كاتب، كما اعتمدنا على بعض الدَّوريَّات الأجنبية كالمجلَّة الإفريقيَّة.

## ❖ صعوبات البحث:

لا شكّ أنّ الباحث في موضوع العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة في الفترة المعاصرة تواجهه صعوبات جمَّة، والتي رأيت أن أحصرها في مجالين:

في ما تعلق بالموضوع: لقد شكّل الفضاء التَّاريخيُّ للموضوع علاوة على إطاره الجغرافي أمراً غاية في التَّعقيد، أضِف إلى ذلك حساسيَّة الموضوع، وتعدُّدَ حقوله وتشعُّب مجالاته.

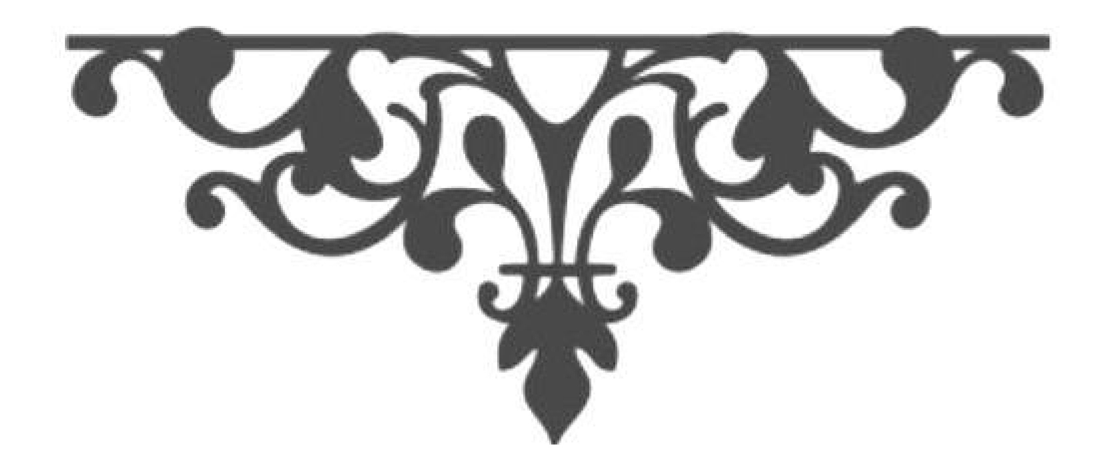
في ما تعلَّق بالمادَّة: البحث الذي تناولناه بالدِّراسة لا يعاني من نقص في المادَّة العلميَّة، وخاصَّةً في المرحلة الأولى التي تلت استيلاء الفرنسيِّين على العاصمة، ومقاومة الأمير عبد القادر، ولكن ما يثير الدَّهشة أنَّه أَمام هذه الوفرة هناك نقص فادح في المادَّة التي تتناول المرحلة الثانية والتي نعني بها ما بعد الأمير ، ولسنا مبالغين إن قلنا أنَّ الدِّراسات التي اعتنت بتاريخ الجنوب الغربيّ في القرن التَّاسع عشر، نادرةٌ وقليلةٌ، وكنت هنا ربما محظوظاً باختيار المؤطِّر الدكتور مبخوت بودواية الذي يعتبر من المؤرخين القلائل، الذين كتبوا في تاريخ الجنوب الغربي في القرن التّاسع عشر.

وفي الختام لا يفوتُني أن أَقضِيَ حقَّ شُكرِ اللَّه على إنعامه، وجميل إحسانه وتوفيقه في إنجاز هذا العَمل،كما أبذُل شكري وافراً لِكُلِّ مَن له عليَّ في هذا البحث يَدٌ مِن قريبٍ أو بعيد.



# المدخل

**جذور العلاقات الجزائرية المغربية من سقوط الدولة الموحدية إلى الاحتلال الفرنسي للجزائر**



## المدخل:
## جُذور العُلاقات الجزائريَّة المغربيَّة مِن سُقوط الدَّولة الموحِّديَّة
## إلى الاحتلال الفرنسيِّ للجَزائر

عاشت شعوب المغرب العربي تجارب وَحدويَّة كثيرة على مَرِّ التَّاريخ، فما زالت المصادر والمراجع التَّاريخيَّة تَتغنَّى ببعض هذه التَّجارب ولعلَّ في تجربة الموحِّدين [1] بعد المرابطين خيرَ مِثال، فليس من المبالغة في شيء قولُنا إنَّ الدَّولة الموحِّديَّة تعتبر من أعظم الدُّول في تاريخ المغرب الإسلامي، حيث عرفت البلاد المغاربيَّة أَوْج مجدها الحضاريِّ والعسكريِّ، فبرَزت أسماء كثيرة كان لها الدَّور الفَعَّال في مجد هذه الدَّولة التي ارتبطت بأوَّل داعيةٍ لها وهو المهدي بن تومرت [2] ، الذي استطاع أن يقيم دولة قويَّة بالمغرب الإسلاميِّ، في الوقت الذي دبّ الضَّعف في الخلافة العبَّاسيَّة في المشرق الإسلامي [3]، ثُمَّ نَهَضَ بعده عبد المؤمن بن علي [4] بأركان الدولة وقوَّى دعائمها ، واستطاع أن يَمدَّ حدود الدَّولة إلى مشارف النِّيل شرقاً وبلاد الأندلس غرباً.

إلَّا أنَّ نُفوذ هذه الدَّولة بدأ يتقلَّص حتَّى انحَسَر إلى حدود الأقسام الثلاثة للمغرب الأدنى والأوسط والأقصى،ولم يَكَد يُجاوِزُها، ثم دبَّ الضعف فيها بعد أن تداول على حُكمها سلاطين

---

[1]-الدولة الموحدية (1129-1269)م : كيان سياسي قام بالمغرب الإسلامي على يد المهدي بن تومرت في شكل دعوة دينية .للمزيد حول الموضوع : البيدق ، أخبار المهدي بن تومرت ، تحق وتعليق عبد الحميد حاجيات الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1974 .

[2]- المهدي بن تومرت : ولد سنة 485هـ -1092م في منطقة سوس .اختلف المؤرخون في نسبه إلا أن الراجح انه من قبيلة هرغت من بطون المصامدة ، تلقى تعليمه بالمغرب في قرطبة ثم الإسكندرية ثم بغداد ، فتعلم أصول الفقه ثم قصد بلاد الشام ومنها رجع إلى بلاد المغرب ليؤسس دولة الموحدين – ينظر يحيى بوعزيز ، الموجز في تاريخ الجزائر ،ج1، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، ط1، 1965 ، ص 23 .

[3]- محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط الدولة المدنية والاقتصاد ، منشورات كلية الآداب ،الرباط، ط1 ،1999 ،ص 142.

[4]- ولد عبد المؤمن بن علي التاجري الكومي بتاجرة بنواحي مدينة ندرومة على نحو 30ميل من تلمسان وذلك سنة 1096 م ،نشأ وتعلم بمدينة ندرومة وأراد الاستزادة من العلم ،فنزح إلى بجاية وهناك اجتمع بابن تومرت وحين رجوعه من المشرق ،اقترح عليه ابن تومرت أن يصحبه لإقامة دولة الموحدين ولما توفي ابن تومرت بويع عبد المؤمن بالخلافة سنة 1130م ينظر:محمد الطمار ، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 2006م ، ص 153 .

ضِعاف من أبناء المنصور أبي عبد الله المعروف بالعادل، ولاسِيَّما أبو العلاء إدريس المأمون الذي كان من الضَّعف بمَكان، إذ سمح لوُلَّاته باقتسام دولته أمام ناظِرَيْه، وشَجَّع ضعفُ الموحِّدين بني حفص للاستقلال عن الدَّولة ابتداءً من عام 1226م [1]، ثُمَّ حذى بنو عبد الواد حذوهم واستقلُّوا بالمغرب الأَوسَط في تلمسان عام 1235م، وسار على نهجهم في المغرب الأقصى بنو مرين واتَّخذوا مِن فاس مركزاً للحُكم عام 1269م[2].

وكانت كلُّ دولة من هذه الدُّوَل التي ورثت عرش الموحِّدين تحاول أن تبسط نفوذها على كامل المغرب العرَبي [3]، فحاولت الدَّولة المرينيَّة التي كانت ترى نفسها أحقَّ بخلافة الموحِّدين أن تفرض سيطرتها، وتجمع تركة الموحِّدين بالقضاء على الدَّولتَين الحَفصيَّة والزِّيانيَّة.

ولعل تموقع بني عبد الواد وسطاً [4] جعلها محصورة بين شقي رحى لذلك توالت عليها الحروب من كل الجهات [5]، فكانت حدودها بين مد وجزر حتى آخر أيامها[6].

ولما كانت الجزائر (المغرب الأوسط) والمغرب الأقصى، موضوعُ الدراسة، قُطرَيْن مُتَجاوِرَين بعد استقلالهما عن الدَّولة الأُمِّ -الموحِّديَّة-، فإنَّ علاقتَهما في هذه الفترة (1236-1554)م طغى عليها الصِّراعُ السِّياسيُّ والعسكريّ ، الذي غذَّته تلك الضَّغائن والرَّغبة اللَّامُتناهية في تحقيق الرِّيادة، خاصَّةً بعد أن استقلَّ كلٌّ مِنهما بِكَيان سياسيٍّ خاصّ [7]، مُعتبراً نفسه الوريثَ الشَّرعي لدولة الموحِّدين[8].

---

[1]- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، تحق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس،(د.ط)، (د.ت)، ص 132.

[2]- عبد الفتاح النعيمي، موسوعة تاريخ المغرب العربي ، مج3 ،ج 4و5، مكتبة مدبولي ،القاهرة، ط1،1994 ، ص 14.

[3]- عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية و لغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1،1997، ص 49.

[4]- نصر الدين بن داود ، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن (7هـ-10هـ إلى 10 -16 م) ، أطروحة دكتوراه ، جامعة تلمسان 2010، ص 32.

[5] - M .M .LEYNADIER ET CLAUSEL , HISTOIRE de L'Algérie Française , T3, imp de henry , paris ,1848, pp 358 359 .

[6]- هوارية بكاي، العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنين السابع والعاشر الهجريين، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2014، ص 451.

[7]- نفس المرجع، ص 451.

[8]-pour plus de détails voir : MATALLAH Dhina : Le Royaume Abdelouadide a l'époque D'abouhammou moussa 1er et d' Aboutachfin 1er ,OPU –Alger, 1985, pp 22 80

قضت الدَّولة الزِّيانيَّةُ دهراً طويلاً في مُقاومة الضَّربات الحَفصيَّة والمرينيَّة ،ولَعلَّ في موقعها وسطاً -كما سبق ذكره - ما يَكفينا لِتبرير هذا التَّكالب ،وخاصَّة من المرينيِّين، وما الحملات العسكريَّة المتَتَاليَة إلَّا دليل واضحٌ على تصميم بَني مَرين على الاستيلاء عليها[1].

فَتَوالت الحملات بدءًا مِن حملة يوسف بن يعقوب المريني (1286-1306)م الذي باءت كلُّ مُحاولاته في اقتحام أسوار قلعة المشور بالفشل ،ولَعلَّ أَخطَر محاولة كانت الأخيرةَ سنة 1299م والتي حاصر فيها مدينةَ تلمسان ما يقرب من ثماني سنوات ،كانت آثارها شديدةً حتَّى قال عبد الرحمن بن خلدون أنَّ سكَّان تلمسان اضطرُّوا إلى أكل الجِيَف[2].

ومازالت آثارُ قلعة المنصورة الواقعة أقصى غَرب المدينة شاهدةً على ذلك العصر ،ثم تكرَّرت الحملات ،وتعاقبت البَعثَات العسكريَّة الغازيَة على تلمسان طيلة القرن الرّابع عَشر الميلاديّ، حتى عُدَّ هذا الأخيرُ قرنَ حروبٍ بين الدَّولتَين[3].

ومِن أَكبَر الحَمَلات التي شنَّها المغاربَة على تلمسان ،حملةُ أبي الحسن المرينيّ بدايةً مِن سنة 1335م ،الذي تمكَّن مِن طَرد الزِّيانيِّين وضَمِّ دَولتهم إلى دولته ؛حيث خضع المغرب الأوسط لسلطتهم ،ثُمَّ كانت محاولةٌ أخرى سنة 1352م قادها أبو عنان المرينيّ ، ثُمَّ حَملة أبي فارس عبد العزيز 1360م. وأمام هذا الإعصار المرينيِّ بَذَل سلاطين بَني زِيَّان ما في وُسعِهم لإنقاذ عَرشهم والمحافظة على دولتهم[4].

1- مريم سكاكو، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس مابين القرنيين السابع والتاسع الهجريين، رسالة ماجستير، جامعة تلمسان،2012 ، ص 08.- عبد العزيز فيلالي، تلمسان في العهد الزياني،ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر، 2002، ص ص 64 65.

2- عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ بن خلدون ديوان المبتدأ والخبر، ج7 ، دار الفكر، بيروت، 2000، ص 128.

3- مريم سكاكو، مرجع سابق ، ص 09 .

4- بودواية مبخوت، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه، جامعة تلمسان، 2006، ص ص21 33؛ عبد الحميد حاجيات، أبو حمو موسى الزياني حياته وآثاره، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1974، ص 21؛ يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد، ص 210 237 .

وابتداءً من القرن الخامس عشر عَصَفت ريح التَّغيير بعرش المرينيِّين، إذْ داخَل الضَّعفُ دَولَتَهم، فتَولَّى أمرَ المغرب الأقصى بنو وطاس[1](1470-1550)م، لكن سرعان ما استبدَّ السَّعديُّون بالمغرب الأقصى ،كما ظهر الأتراك على مسرح الأحداث في المغرب الأوسط.

تَميَّز القرن السَّادس عشر بتَسارعُ الأحداث وتَشابك في العلاقات ،فليس من السَّهل بمكان دراسةُ هذه الفترة خاصَّة إذا تعلَّق الأمر بعلاقات هذه الكيانات السَّابقة الذِّكر، ولَعلَّ ذلك يرجع إلى تَعدُّد القِوى السِّياسيَّة في القُطرَين موضوعِ الدِّراسة [2].

لقد كان المغربُ الأقصى يخضع لسيطرة أربعِ قِوى سياسيَّة: الوطاسيُّون، السَّعديُّون، الإسبان ،والبرتغاليُّون ،إضافة إلى العديد من الإمارات المستقلَّة كإمارة دبدو بالشَّرق ، وإمارة بادس وشفشاون وتطوان في الشَّمال .وقد كان الوضع السِّياسيُّ في المغرب الأوسط لا يختلف عنه في المغرب الأقصى ،فقد خضع الأوَّلُ إلى سيطرة أربعِ قِوى سياسيَّةٍ هي: الزِّيانيُّون، الأتراك العُثمانيُّون، الحَفصيُّون والإسبان ،بالإضافة إلى إمارات مستقلَّةٍ (إمارة كركوك، بني عبَّاس، تنس بالشَّمال ،وإمارتي بني جلاب وأولاد علاهم بالجنوب) [3].

وأمام هذه البِنية المعَقَّدة من الكيانات السِّياسيَّة ،يُصبح البحث في موضوع العلاقات السِّياسيَّة بين القُطرَين خلال القرن السَّادس عشر غايةً في التَّعقيد، وللوقوف بوضوح على طبيعتها لابدَّ من دارسة علاقات هذه القوى مع ما يقابلها في القُطب الآخر:

[1] - الوطاسيون هم فرع صغير من بني مرين والذين ينتمون إلى قبيلة زناتة البربرية ، ولما دخل بنومرين المغرب واقتسموا أعماله كان لبني وطاس بلاد الريف ،وذكر بعض المؤرخين أنهم - أي بني وطاس-ينسبون أنفسهم إلى يوسف بن تاشفين اللمتوني ومع مطلع القرن الخامس عشر و بعد ضعف المرينيين أقاموا دولتهم في مراكش _ ينظر أبو العباس أحمد خالد الناصري ، الاستقصاء لأخبار دول المغرب الأقصى ،ج4،دار الكتاب ،الدار البيضاء ،1955م ، ص118.

[2] -هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص ص 489 490.

[3] - عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب( 1517-1659 )م، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق، 1983، ص 127.

### ❖العلاقات الزّيانيَّة الوطاسيَّة:

تَطلَّعَ بَنو وطاس بعد إطاحتهم بدولة بني مرين إلى إنشاء دولة قويَّةٍ ،لكنَّهم واجهوا ظُروفاً حالت دون ذلك ،فالضَّرَبات الإيبريَّة في الشَّمال، والسَّعديَّة في الجنوب، أجهضت آمالهم، أمَّا الزِّيانيُّون فَبدأ نجمُ حَضارتهم يَأفلُ بعد النُّزول الإسبانيِّ في سواحل دولتهم، ثُمَّ المجيء التركيُّ العثمانيُّ في مطلع القرن السَّادس عشر.

ورغم ضعفهم سار الوطاسيُّون على نهج أسلافهم بني مرين[1]، فقد رغبوا في ضَمِّ تلمسان لاستعادة ما كان لهم عليها مِن نُفوذٍ قبل قرن ونَيِّف ،إلَّا أنَّهم لم يَكونوا بالقُوَّة التي تَسمح لهم بغَزوِها[2]، حيث كان المغربُ يَعيش فترةً من الاضطرابات والانقسامات، إضافة إلى التَّحرُّشات البُرتغاليَّة والإسبانيَّة على سواحل وثُغور المغرب[3]، فاشتغل بنو وطاس بمحاربة البرتغاليِّين والإسبان الذين احتلُّوا العديدَ من المدن السَّاحليَّة في المغرب ،فَضلاً على ذلك المدِّ السَّعديِّ المتَصاعد مِن الجنوب[4]. وفي ظِلِّ هذه الظُّروف صَرَفَ الوطاسيُّون نظرهم عن مملكة تلمسان ،واكتفوا بإيواء الأمراء الزِّيّانيِّين الفارِّين إليهم خوفاً من بطش الأسرة الحاكمة[5]،لذلك يمكن القول إنَّ العلاقات بين الطَّرفين -الزِّيّاني والوطَّاسي- تميَّزت بحسن الجوار، وانعدام التَّعاون والتَّنسيق بينهما ،رغم أنَّهما أحوج لبعضهما في هذه الفترة ،وقد كان لذلك آثار ونتائج سلبيَّةٌ على الطَّرفَين حيث فقد كلٌّ منهما على حد سواء مُلكَهُ، فتلمسان أصبحت تحت حكم العثمانيّين الأتراك، وحلَّ الأشراف السعديون محلَّ الوطاسِيِّين في حكم المغرب سنة1550م.

---

1- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 491.

2- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 128.

3- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 492.

4- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 128.

5- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 492.

### ❖العلاقات بين الزّيانيّين والسّعديّين:

منذ منتصف القرن السّادس عشر، كان المولى محمد الشّيخ السّعدي، قد أتمَّ السَّيطرة على معظم بلاد المغرب[1]، فيما كانت مملكة تلمسان تعيش آخر أيّامها، ما يجعل الحديث عن العلاقات بين السَّعديِّين والزّيانيِّين غيرَ مُجدٍ، حيث يَضَحُ لنا أنَّ ظُروف البلدين لا تسمح بوجود علاقات قويَّة وفعَّالة، فالزّيّانيُّون لم يَتَقرَّبوا من السَّعديِّين أوَّلَ ظُهورهم، وذلك حتَّى لا يُغضبوا جيرانَهم الوطاسيّين من جهة، ولانشغال السَّعديِّين في بداية أمرهم بتَحرير سواحل المغرب المحتلَّة[2]، ولا شكَّ أيضاً أنَّ الزّيانيّين أدركوا أوَّل الأمر أنَّ قُوَّة السَّعديِّين الفَتِيَّة التي قَضت على الوطاسيِّين قد تُهدِّد وُجودهم، ثُمَّ إنَّ الزّيانيّين ورغم حاجتهم الكبيرة إلى الدَّعم والسَّند مَن السَّعديِّين -ذلك الدَّعمُ الذي لم يجدوه عند الوطاسيين ضد الإسبان أو ضد العثمانيين الأتراك - إلّا أنَّهم لم يلجؤوا إلى طلب ذلك من السَّعديين رغم قوَّتهم[3]، خَوفاً مِن طمَعهم بمملكتهم مِثلَما كان الأمر مع أسلافهم المرينيِّين، إذ ورغم أنَّ السَّعديِّين اجتمعت فيهم خصال تجعلهم مقبولين في تلمسان أكثر من العثمانيين الأتراك والإسبان، فهم أوَّلًا من الأشراف ،وثانياً مِن المجاهدين، وفوق هذا كلِّه كانوا يتبعون الطَّريقَة الشَّاذليَّة[4]التي لها أتباع ومُريدون كثيرون في تلمسان[5]، فإنَّ الزّيانيِّين لم يعقدوا أيَّ تَحالف معهم، ولكنَّنا لا نُغفِلُ الاتِّصالات التي أجراها أحمد الأعرج السَّعدي -الذي خلعه أخوه محمد الشّيخ سنة 1549م - بالسُّلطان أحمد الزّياني الذي خلعه حسن بن خير الدين ،سعياً منهما للحصول على الدَّعم مِن الإسبان، ما يُمكِّن كُلاًّ منهما من استعادة ملكه[6].

---

1- عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية، منشورات جمعية المؤرخين المغاربة، الرباط، ط 3، 2006، ص 75.

2- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 497.

3- نفس المرجع، نفس الصفحة .

4- الطريقة الشاذلية : تنسب إلى أبي الحسن الشاذلي المغربي ، المتوفي سنة 606 هـ ،1210 م ،ويعتبر سيدي بومدين شعيب الأندلسي المولد التلمساني أحد مشايخ هذه الطريقة التي كان لها نفوذ واسع في الغرب الجزائري ، و تشمل على الخصوص مدينة تلمسان و ضواحيها ، ،و هي منتشرة في بلاد المغرب العربي ، و في أنحاء أخرى من العالم ، و قد تشعب منها طرق كثيرة منها : الوفائية ، الزروقية ، البكرية ، الجزولية .وللإطلاع أكثر ينظر : Louis Marie Rnn « Marobouts et khouan Etude sur l'islam en Algérie » , Ed Adolphe Jordan libraire ,Alger , 1884 ,pp 211 222.

5- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 131.

6- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 499.

ويَذكر هايدو حسب وثيقة معاصرة بتاريخ 17 جويلية1540م أنّ أحمد الأعرج طلب من السلطان أحمد الزّياني، التّوسُّط له عند الإسبان لمساعدته ضدَّ أخيه محمد الشيخ مقابل التّنازل لهم عن مدينة فاس[1].

وفي الوقت نفسه كان السُّلطان محمد الشِّيخ السَّعدي على عِلْم بما يجري حَوله ، فقد عمل على استمالة السُّلطان أحمد الزّياني ووزيره ابن أبي غانم لإفشال أي تحالف أو تآمر عليه بين أخيه والإسبان، مقابل مساعدة الشيخ السَّعدي محمد الزّياني على استرجاع عرشه من السُّلطان الحسن بن أبي عبد الله الموالي للعثمانيّين، حيث وجَّه السَّعديّون حملة سنة 1550م، وتمكَّنوا مِن القضاء على حُكْم الحسن بن أبي عبد الله ،إلّا أنَّ الأتراك العثمانيّين تمكّنوا مِن استرجاع تلمسان[2]وهذا ما سوف نتطرَّق له لاحقا بشيء من التّدقيق.

وجملة القول إذًا في شأن ما تقدَّم أنَّ العلاقات السِّياسيَّة بين الزّيانيّين والسَّعديّين ، لم تعرف أيَّ تَطوُّر ومَرَدُّ ذلك إلى انشغال السَّعديّين في بداية أمرهم بِتحرير المدن المحتلَّة، وإبعاد الوطاسيِّين عن الحُكم، لذلك لم يتعاونوا مع الزّيانيّين، بل تحوَّلوا إلى طامِعين في تَوسيع نُفوذهم على حساب جيرانهم الزّيانيّين، لكنَّهم اصطدموا بَقُوَّة الأتراك في الجزائر.

### ❖ *العلاقات بين الأتراك العثمانيين في الجزائر والوطاسيين في المغرب:*

بِتَشجيع من سُكَّان مدينة الجزائر دخل الأتراك العثمانيُّون إلى شمال المنطقة المغاربيَّة قصد مُجابهة الزّحف الإيبيري ،الذي طال المنطقةَ عَقِب سُقوط غرناطة سنة 1492 م، حيث استصرخ أهل الجزائر السلطانَ سليم الأوّل[3].

ولما ظَهر الإخوةُ أبناء يعقوب (بربروس) [4]في الحوض الغربيِّ للبحر الأبيض المتوسِّط، وخاصَّة وخاصَّة بعدما أظهروا مِن ضروب الشَّجاعة والبأس في هذه الفترة، أَوْكَل لهم السُّلطان العُثمانيّ أمرَ

---

1- هوارية بكاي،مرجع سابق، 499 .

2- عمار بن خروف، مرجع سابق ، ص 132.

3- A .TEMIMI : « Lettre de la population algéroise au sultan selim 1er en 1519 », in RHM, N ° 5 ,année 1976,p 95 .

4- بعد أن تمكن السلطان محمد الفاتح من فتح جزيرة مديلي سنة 1457م أمر بإبقاء حامية عسكرية فيها وكلفها بالمحافظة على على القلعة ، كان يعقوب أحد جنود الحامية الذين سمح لهم السلطان بإستيطان الجزيرة ، فتزوج أحدى بنات أهالي الجزيرة

ولاية الجزائر بَدءًا من سنة 1518م ، أين تمكَّن عَرُّوج مِن عَزل السُّلطان أبي حمّو الثَّالث الزّيّاني عن عرش تلمسان وضَّمَّ المدينة .

أمَّا فيما يخصُّ بوادر العلاقات بين البلدين في هذه الحقبة، فإنَّ عرّوج بادر بإرسال رسالة إلى السُّلطان الوطّاسي محمد البرتغالي[1]، عارضاً عليه التَّحالفَ وإقامة علاقة أساسُها التَّعاون ضدَّ أَعدائِهما الإسبان والبرتغاليّين النَّصارى[2]،كما أبدى عرُّوج للسُّلطان الوطاسي عزمَه على تقديم كلِّ الدَّعم والمساندة ضِدَّ أعدائه السَّعديِّين في مراكش وضدَّ كلِّ المناوِئين له بالمغرب.

ويظهر مِن هذا أنَّ عَرّوج كان يهدف مِن خلال هذا الإجراء إلى تأمين ظهره، أيْ الحدود الغربيَّة لتلمسان من جهة، وحتّى يَقِف في وجه أيِّ تَحالف مُحتَمَل بين السُّلطان الوطَّاسي والسُّلطان الزّياني المعزول أبي حمو موسى الثّالث، من جهة أخرى[3].

كما استحسن السُّلطان محمد البرتغالي الوطّاسي هذا العرض، الذي كان يرى فيه فرصة للتَّحالف مع الأتراك العثمانيّين في الجزائر، لِطرد الإسبان والبرتغاليّين من السَّواحل، ووَضْعِ حَدٍّ للنُّفوذ السَّعديّ في الجنوب[4].

ويبدو أيضاً أنَّ عرّوج كان يتطلَّع إلى إقامة علاقات حسنة مع سلطان فاس، ومُساعدته إذا تعرَّض لحملة إسبانيَّة أو برتغاليَّة، لأنَّ الإسبان الموجودين في وهران لم يرغبوا في وجود بابا عرّوج في تلمسان التي أعلنت لهم الولاء، وأَبْدى حُكَّامُها النِّيَّة في التَّعاون مع الإسبان للوقوف في وجه طموحات بابا عرّوج في إقامة دولة قويَّة في المغرب الأوسط، تكون قادرة على إحباط المشروع الإسبانيّ في المنطقة[5].

---

فانجبت له أربعة إخوة هم : إسحاق ، عروج ، وخير الدين وخضر . ينظر:خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، ط 1، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ص21.

[1]- هو أبو عبد الله محمد بن محمد الشيخ المولود عام 1465م لقب بالبرتغالي لأنه كان قد أقام رهينة لدى البرتغال في صباه إثر هدنة عقدها معهم والده،تولى الحكم سنة 1505 م وتوفي سنة 1524. ينظر :إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، مج2، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1، 1978م ، ص199.

[2]-Haédo . Fray.Diego : «  histoire des rois d'Alger»,traduit et annotée par Grammont (H .D .De ), Alger,1881, P 30

[3]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص ص 136 138.

[4]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 30.

[5] - عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية ، تر :محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت، ط1، 1989م،ص62.

وبما أنَّ الوطَّاسيَّين في حاجة ماسَّة إلى مثل هذا التَّحالف، فقد رحَّبوا ترحيباً شَديداً بعرض بابا عرّوج، هذا الأخير الذي طلب مساعدة محمد البرتغالي الوطّاسي، ولكن لم يصل من قِبَلِه شيءٌ، ويجب أن نذكر بأنَّ الحصار الذي ضربه الإسبان على مدينة تلمسان دام قرابة ستَّة أشهر، وهي مُدَّة كافية لوصول المدَد من الوطّاسيِّين، ويبدو أنَّ الجانب المغربيِّ لم يكن جادًّا في ربط علاقات وطيدة إلى حَدِّ التَّحالف بينه وبين دولة الجزائر بقيادة العثمانيّين ، وقد كان بإمكان عرّوج يَنسحب من تلمسان دون أيّةِ أضرار، بَيْد أنَّ وَعْد السُّلطان الوطَّاسي أخَّرهُ عن الانسحاب[1]، ونتيجةً لذلك قرَّر عرّوج فكَّ الحصار والخروجَ من تلمسان مع قوّاته، لكن أدركه الإسبانُ وحلفاؤهم مِن الزِّيانيّين، حيث دارت معركةٌ في الوادي المالح شمال شرق مدينة تلمسان بقيادة ألفرد غراسيا تنيؤو" **ALFERES GARCIA DE TIENO**" حيث استطاع هذا القائد الإسبانيّ الانتصارَ على عرّوج الذي استشهِد في ميدان المعركة سنة1518م[2].

ويبدو أنَّ عدم تقديم محمد البرتغالي الوطّاسي الدَّعم المرجوَّ لعرّوج ،لم يكن نقضاً لاتِّفاق بقدر ما كان تَجنُّباً للتَّورُّط في حربٍ خارج حُدود مَملكته، خاصَّةً وأنَّه كان يخشى المدَّ السَّعديّ مِن ورائه[3].

ولَعلَّ من أسباب امتناع السُّلطان الوطّاسي مِن تقديم الدَّعم لعرّوج أيضاً، حَسَبَ ما ذَهبت إليه الرِّوايات العثمانية؛ أنّ البرتغاليَّ قد يكون لديه اتِّفاق سِرِّي مع الإسبان والزِّيانيِّين، خاصَّةً وأن عرّوج قد أصبح يمثِّلُ قُوَّةً تهدِّد الجَميع (الزّيّانيّين، الإسبان، البرتغاليّين، الوطّاسيّين)،كما يرى هايدو أنَّ التَّحرُّك الأخير للسُّلطان الوطّاسي بالجيش إلى الحدود، قد لا يكون الهدف منه تقديم الدَّعم لعرُّوج ، وإنَّما يمكن أن يكون موقفاً احتياطيًّا لصَدِّ خَطَر عرّوج على المغرب، فهو في حال انتصاره

[1]- بالنظر إلى كتابات المؤلفين الإسبان حول اتفاق عروج مع الفاسيين نلاحظ أنهم يشككون بوجود أي اتفاق بين عروج وحاكم فاس لأن الجيش الفاسي وصل إلى مليلية عندما استشهد عروج ، فهذا الأخير عندما كان محاصرا في تلمسان كان الفاسيون يبعدون عنه مسافة عدة أيام ، وعلى هذا كله فلو أن الفاسيين أرادوا تقديم المساعدة لعروج لما استطاعوا .ينظر:عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص63.

[2]- بسام العسلي، خير الدين بربروس وجهاده في البحر (1470م-1547م) ، دار النفائس، بيروت، ط1، 1980م ، ص102.

[3]- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 509.

ضدَّ الإسبان سَيُفكِّر في التَّوسُّع غَربًا نحو مملكة الوطَّاسيِّين، لاسيَّما وأنَّ أخبار السُّفن العثمانيَّة التي تجوب سواحل مليلية قد بلغت مسامع محمد البرتغالي[1].

ونتيجةً لهذه التَّطوُّرات شهدت العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة بعد وفاة عرّوج حالةً من الفتور وصلت إلى حد القطيعة بين الطَّرفَين، لكنَّها لم تَدُم طويلاً، حيث شهدت هذه العلاقة تحسُّنًا بعد اعتلاء أبي العبَّاس أحمد بن محمد البرتغالي الحكم في عرش بني وطاس[2]، حيث استمرّت العلاقة بين الطَّرفَين على نفس الحال بعد تولِّي حسن بن خير الدِّين شُؤون الجزائر (1544-1551) [3]، حيث بلغ التَّعاون ذروته في مجال الجهاد البَحريّ، إضافةً إلى انتقال عدد كبير من الأتراك العثمانيِّين إلى العمل في البلاط الوطّاسي، وحتّى الجيش، فقد ذكر طوريس أنَّ عدداً لا بأس به من العثمانيِّين كانوا في الجيش الوطّاسي[4]، وإزاءَ هذا الوضع استمرَّت العلاقات الحسنة إلى غاية 1549م، تاريخ نهاية حكم الوطَّاسيِّين وظهور السَّعديِّين[5]على مسرح الأحداث.

---

[1]- عمار بن خروف، مرجع سابق ، ص 136. ؛ أنظر أيضا RICARD .R : Le Commerce Genois auMaroc (1415-1550) , in annales de IEO,T3 , paris , 1937 ,p 62

[2]- هوارية بكاي، مرجع سابق، ص ص 510 511.

[3]- بعد وصول خير الدين إلى القيادة في مدينة الجزائر ، عرفت العلاقات الجزائرية المغربية انقطاعا إلى غاية 1531م و ذلك بعد أن غير محمد البرتغالي الوطاسي سياسته وانتهج سياسة جديدة مع الجزائريين ، وهي التقرب من الدولة الجزائرية ،وذلك بالاعتراف بالسلطة الروحية للسلطان العثماني ، وللتعبير عن حسن نيته تجاه الجزائريين سمح للسفن الجزائرية بقيادة خير الدين بالرُسو بتيطوان و العرائش للتزود منها بالحبوب والمؤن . ينظر : حبيب وداعة الحسناوي : **"الصراع التركي السعدي 1549م-1557م "**، أعمال ندوة التواصل الثقافي بين أقطار المغرب العربي، أيام 20- 23 ديسمبر 1995م، كلية الدعوة الإسلامية، ليبيا، ط1، 1995 م، ص184.

[4] - هوارية بكاي، مرجع سابق، ص 511.

[5]-هم من الأشراف الذين حطوا بذرعة وسجلماسة، حيث كان مقدمهم من الينبوع في شبه الجزيرة العربية عام 630هـ في أيام يعقوب المنصور المريني للمزيد في موضوع نسب السعديين ينظر : أبو القاسم الزياني ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب ، تح رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، 2008، ص 73 .

### ❖علاقات الأتراك العثمانيين في الجزائر والسّعديين في المغرب الأقصى:

منذ أن تَربَّع السَّعديُّون على عرش الحكم في المغرب، وجدوا أنَّهم أحقُّ بخلافة[1]المسلمين، وكان هذا استناداً إلى نَسَبِهم الشَّريف الذي يجعل منهم أحقَّ بالخلافة من التُّرك العجم، ولذلك لم يعترفوا بالخلافة العثمانيَّة، وعلى النَّقيض مِن ذلك كان العثمانيُّون يرون أنَّهم أَوْلى وأحقُّ بالخلافة، فقد اعترف بهم شَريف مكَّة نفسُه، و أعطاهم مفاتيح الكعبة، وتلقَّب السُّلطان العثمانيُّ بِخادِم الحرمَين الشَّريفَين، إلى جانب أنَّ الدَّولة العثمانيَّة كانت أَكبر قُوَّة إسلاميّة آنذاك[2]، وانطلاقاً من هذا التَّناقض شبَّ بين الطَّرفين صراع كان في بعض الأحيان صراعا عسكرياً مباشراً، وأحياناً أخرى صراعاً خَفياً تحت قناع المهادنة[3]، وهذا لا ينفي وجود علاقة تعاون بين الطَّرفَين في فترات أخرى.

إنَّنا لا نملك من المصادر التي تُشير إلى صلات أو علاقات مباشرة بين الأتراك العثمانيّين في الجزائر على عهد المؤسِّس الأوّل عرّوج، وبَين الشَّريف محمد القائم بأمر الله مؤسِّس الدَّولة السَّعديَّة في المغرب[4]، وهذا ما يُؤَكّد لنا أنَّ العلاقات بينهما كانت سطحيَّةً لمْ تَرْقَ إلى الشَّكل الذي تَذكُره المصادر التَّاريخيَّة، ولَعلَّ الإشارات الأُولى لاتِّصال أتراك الجزائر، بالمغرب عموماً، تبرز بشكل مُثير ضِمنَ الجَيش الوطّاسيّ، والجَيش السَّعديّ كجُنود في صُفوفِهما، حيث تُشير وثيقةٌ بُرتغاليَّةٌ إلى وجود أتراك عثمانيِّين في صفوف السَّعديِّين منذ سنة 1529م[5]، إذْ كان للأتراك دورٌ كبير في تقديم الخِبرَة الخِبرَة للجُنود المغاربة خاصة في ما تعلَّق بسلاح المِدفَعيَّة والأسلحة النَّاريَّة[6]، أمَّا في ما تعلَّق بالعلاقات الرَّسمية، فتشير إحدى الوثائق البرتغاليَّة إلى وجود اتِّصالات بين أحمد الأعرج والأتراك العثمانيِّين ،الأمر الذي أقلق الإسبانيِّين والبرتغاليِّين، حيث يُظهر التَّقرير الذي بعثَه الكُونْت الدويت

---

[1]- للمزيد حول موضوع خلافة بني عثمان ينظر المقال : حسام سبع محي الدين : **جدلية خلافة بني عثمان قراءة تاريخية** ، مجلة كان، العدد 24 ، السنة السادسة ، 2013، ص ص 10 20.

[2]- أحمد سالم علي : **العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر** ، مجلة كان ، العدد 13 ، السنة الرابعة ، 2011، ص49.

[3]- أحمد سالم علي، مرجع سابق، ص 49 .

[4]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 143.

[5]-SIHM, (Port), T1 ,p 391.

[6]-هوارية بكاي، مرجع سابق ، ص 518.

Pedro de los Rios تفاصيل الاتّفاق بَينه وبَين الأمير عبد الله بن محمد الشّيخ من أَجل طَرد الأتراك مِن كلِّ بِلاد البربر، كما يَتضمَّن تفاصيلاً حَول نيَّة الأتراك في الجزائر عَقْدَ اتِّفاقٍ مع الشَّريف السَّعدي[1]، ويبدو ممَّا سبق أنَّ البرتغاليِّين والإسبان كان في نِيَّتِهم العمل على إفشال كلِّ مُحاولِة مِن شَأنها أن تُوَحِّد العثمانيِّين والسَّعديِّين، كما تَكشِف لنا عن ذلك التَّقاريرُ التي بعثها حاكم وهران الإسباني إلى مدريد[2] conte d'alcaudete.

وقَد سَعى أيضاً مُحمَّد الشِّيخ السَّعدي إلى التَّقرُّب من الإسبان، و أرسل حاكمُ وهران السَّابق الذِّكر إلى فاس وفداً للاتّفاق مع محمَّد الشَّيخ حَوْل تحضير حملة مُشترَكة إسبانيَّة مغربيَّة ضِدَّ الأَتراك[3].

كَما بادر البرتغاليُّون إلى عَقد مُعاهدة السَّلام بينهم وبَين السَّعديِّين ،وهذا من أَجْل منع الأتراك العثمانيِّين مِن الوُصول إلى المغرب، ولَم يَتأخَّر السَّعديُّون في إبرام هذه المعاهدة[4]، فَتوتَّرَت العلاقات المغربيَّة العثمانيَّة في هذه الفترة، خاصَّةً بَعد إقدام محمَّد الشِّيخ سنة 1550م على غَزْو تلمسان، حيث وجد السُّلطان السَّعديّ في طلَب أَهالي تلمسان والجالية المورِسكيَّة فُرصةً لتَحقِيق طُموحه بِضمِّ تلمسان، فَحَسَب الوثائق المعاصِرة فإنَّ محمَّد الشِّيخ استقبل خمسة عشَر وجيهاً من أعيان مديونة، ووَفْداً من أعيان تلمسان وجماعة من الموريسكيِّين، وطلبوا منهم ضَمَّ تلمسان كُرهاً منهم للأتراك[5]، فاستجاب لِدعوتهم، خاصَّةً وأنَّ نِيَّته كانت ضَمَّ تلمسان إلى ولايته كما ذكرنا، حيث كلَّف اِبنه محمَّد الحران بمهمَّة انتزاعها من الأتراك في جيش قِوامُه ستَّة آلاف مقاتل .

وفي حُدود سنة 1549م زحَفَ على إقليم وجدة، وبني يزناسن، ثم جرسيف، فَندرومة، إلى تلمسان[6]، وفي المقابل فَرَّت الحامية العسكريَّة التُّركيَّة مِن المنطقة[7]. كان رَدُّ الأتراك قَويًّا، فقد بعث

[1] - مجموعة من المؤلفين، العثمانيون في المغارب، منشورات كلية الآداب العلوم الانسانية، الرباط، ط 1 ، 2005 ، ص 18.
[2] - عبد الكريم كريم، مرجع سابق ، ص 76.
[3] - أحمد سالم علي، مرجع سابق ، ص 52.
[4] - غيلاني السبتي، مرجع سابق ، ص 4.
[5] -عبد الكريم كريم، مرجع سابق ، ص 76.
[6] - هوارية بكاي، مرجع سابق ، ص 525.
[7] - عبد الكريم كريم، مرجع سابق ، ص 77.

بعث والي الجزائر حسن باشا جيشا كبيرا إلى تلمسان بقيادة[1]حسن قورصو[2]لِطَرد السَّعديِّين مِن تلمسان، حَيث جاء في رسالة مِن حاكم وهران الإسباني إلى مدريد الدون مارتين Don Martin تفاصيلُ المعارك القَويَّة التي حدَثَت بين الفريقين، وفيها أنَّ الأتراك هَزمُوا قُوَّات الشَّريف السَّعدي، وقُتِل أحد أبناء محمد الشيخ بينما أُسِر آخر[3].

لَقَد فَتَح التَّدخُّل السَّعديّ في تلمسان باب الصِّراع بينهم وبين حُكَّام الجزائر مِن الأتراك العثمانيّين[4]، ومِمَّا زاد الأَمرَ تَعقيداً بين البَلدَين حملةُ محمَّد الشِّيخ الثَّانية على دبدو حيث عزل مولاي مولاي عمر الذي عيَّنَه صفا بك بعد استرجاع الأتراك لتلمسان.

وفي سنة 1552م خَلف صالح رايس ، حسن بن خير الدين كحاكم على الجزائر، بعد عَزْل هذا الأَخير مِن قِبَل السُّلطان سُليمان القانوني، وقد بَذل البيلرباي الجَديد كلَّ مجهوداته على الصَّعيدَين الدَّاخلي والخارجي، حَيث قَضى على الثَّوَرَات المحليَّة[5]، وأَخضعَها لِسُلطة العثمانيين[6]، العثمانيين[6]، أمَّا على الصَّعيد الخارجي فقد عمل على تحسين العلاقات مع السَّعديّين في البِداية، فأرسَل سِفارَةً بأمرٍ مِن السُّلطان العثماني بقيادة أبي عبد الله الخروبي الذي حمل رسالتَين إلى الشَّريف السَّعدي[7]، وتَذْكر المصادر أن السَّفير الجزائري جاء ليَقتَرح على الشَّريف المغربي عَقْدَ سلامٍ بين

---

[1]- يذكر هايدو أن القائد كان صفابك الذي كان من أصل تركي من منطقة الأنضول، حيث عين من طرف حسن باشا بن خير الدين كسفير عند محمد الشيخ السعدي سنة1546م : .Haédo ,op .cit , pp 83 84.

[2]- عزيز سامح التر، مرجع سابق، ص 180.

[3]-عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 77.

[4]- هوارية بكاي، مرجع سابق ، ص 534.

[5]- شهدت بداية ولاية صالح رايس اندلاع العديد من الثورات في الجنوب من بينها ثورة بني جلاب بتوقرت و ثورة ورغلة التي قامت بسبب كثرة الضرائب المجحفة التي فرضت عليهم من الأتراك العثمانيين ، و التي رفضوا دفعها ، حيث لا يستبعد ان يكون للشريف السعدي محمد الشيخ يد في هذه الثورات : ينظر هورية بكاي ، مرجع سابق ، ص 536.

[6]- عبد العزيز سامح التر، مرجع سابق ، ص 185.

[7]- هورية بكاي، مرجع سابق ، ص 539.

البَلدَين، والاعتراف بالسُّلطان خَليفةً للمسلمين[1]، وتَرْوي بعضُ المصادر المغربيَّة أنَّ الشَّريف السَّعدي غَضِب ورَدَّ على الخروبي بِنَقيض المطلوب[2].

أثار رَدُّ محمَّد الشِّيخ السَّعدي حَفيظَة الوالي صالح رايس حاكم الجزائر، الذي بدأ يَتَحَيَّن الفُرصة للقضاء على السَّعديِّين، فاستغَلَّ طلب أبي حَسّون الوطاسي الذي كانت تربطه علاقاتٌ طَيِّبة مع الأتراك في الجزائر، لمساعدته على استِرداد مُلكِ الوطّاسيّين من السَّعديّين، مُقابل اعتراف الوطَّاسيّين بالسُّلطان العثماني والتَّنازل له عن بعض الموانئ المغربيَّة[3].

وفي سنة 1553م قاد صالح رايس حملةً عسكريَّةً كبيرةً ضد السَّعديين، مُتحَجِّجاً بدخول عدد من المغاربة التُّرابَ الجزائريَّ وإغارتهم على مدينة تلمسان[4]، حيث تَقدَّم صالح رايس بقُوّاتِه نحو الحُدود وأقام مُعسكَره قُربَ وادي ملويَّة، أمَّا الشَّريف السَّعدي فقد خرج هو الآخر على رأس جيشٍ كَبير وتحصَّن بمدينة تازة[5]، فاندَلعت مَعاركُ طاحِنةٌ بَين الطَّرفَين[6]، هُزِم إِثْرها محمّد الشّيخ الذي تَقهقَر إلى مرّاكش، فاسحاً المجال أمام صالح رايس حاكم الجزائر الذي دخل فاس في 04 يناير 1554م[7]، ونَصَّب أبا حسّون الوطّاسي سلطاناً عليها[8].

والجَديرُ بالذِّكر أنَّ صالح رايس حاول بسط سَيطَرتِه على كامل المغرب، واللَّحاق بمحمَّد الشِّيخ إلى مرّاكش، حيث طلب المِدَد والمساعدة العسكريَّة مِن السُّلطان العثمانيّ لِيتمَكَّن مِن ذلك، لكنَّ هذا الأخيرَ لَم يَستَجِب لِطلَب صالح رايس الذي اكتفى بهذا الانتصار، ونَصَّب أبا حسون سلطاناً على فاس كما تقدَّم ذكره، ولكنْ بَعد خروج الأتراك من فاس استطاع محمَّد الشِّيخ السَّعدي أن

---

1- أحمد سالم علي، مقال سابق ، ص 52.

2- عبد الهادي التازي، الوسيط في التاريخ الدولي للمغرب ،ج3 ،دار نشر المعرفة ، الرباط، ط1، 2001، ص ص15 16 .

3- غيلاني السبتي، مرجع سابق ، ص 4.

4-De torres( H), histoire du Maroc, T2 .paris,1950 ,p178.

5- هوارية بكاي، مرجع سابق ، ص 540؛ عبد الكريم كريم ، مرجع سابق، ص82.

6- عبد العزيز سامح التر، مرجع سابق ، ص 190.

7-هوارية بكاي ، مرجع سابق ، ص 540.

8- ابراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء، ط1،1978 ، ص 341.

يَسترجِع فاس من الوطاسيِّين لِلمرَّة الثَّانية في 23 سبتمبر 1554م، إلّا أنَّه بَقِي يُساوِره الخوفُ مِن الجزائريّين الذين احتلُّوا مدينة باديس[1].

و أَمَام هذا الوضع سَعى محمَّد الشّيخ إلى التَّقرُّب مِن الإسبان والبرتغاليّين الذين كانوا يَنتظرون هذه الفرصة للتَّحالف ضِدَّ الجزائريِّين، حَيث طلَب محمَّد الشّيخ الدَّعمَ العسكريَّ اللّازم لِيثْأر لهزيمته مقابل شروط[2]، وهذا ما تُشير له إحدى الرَّسائل التي وجَّهَها جان الثَّالث إلى الضَّابط البرتغالي ألفالو كرفالو Alvaro de Carvalho في شهر جويلية 1554 م، جواباً على طَلَبٍ تَقدَّمَ به الشَّريف السَّعدي إلى مدريد و برشلونة[3]، وفي سنة 1557م زَحَف السُّلطان السَّعدي إلى تلمسان، مُستغِلاًّ في ذلك الأَزْمَة التي تَمُرُّ بها الجزائر[4] بعد وفاة الوالي صالح رايس حَيثُ خَلَفَه حَسن بن خير الدين الذي عُيِّنَ لِلمرَّة الثَّانية حاكماً على الجزائر، التي وصَلَها في أكتوبر عام 1557م، وأَوَّلُ ما قام به بعد تعيينه تشكيلُ قُوَّةٍ زَحف بها إلى تلمسان تحت قيادته الشَّخصية[5]، وبَعد أَن أَخْضَع تلمسان لحُكمه شَكَّل فَريقاً من اثنَي عشر عَسْكريّاً مِن أحسن المقاتِلين الانكشاريّين، وأَوْكَل لهم مَهمَّة اغتيال السُّلطان محمَّد الشّيخ السّعدي ،حيث دخل هذا الفريق إلى المغرب الأقصى بِحُجَّة أنَّهم هارِبين من الجيش العثماني[6]، مُتظاهِرين بالطَّاعةِ والوَلاء والإخلاص للسُّلطان السّعدي، فَوظَّف عَدَداً مِنهُم ضِمنَ حَرَسِه الخاصّ، ولما واتَتْهُم الفُرصَة خِلَال إحدى الجَوَلات التَّفقُّديَّة التي قام بها محمَّد الشِّيخ لإقليم تارودانت، قام الانكشاريُّون باغتيَاله في يوم 23أكتوبر من سنة 1557 م[7].

لقد كان اغْتيَال السُّلطان السَّعدي مِن قِبَل حرَسِه الخاصِّ التُّركي بداية تطوُّرات هامَّة للأحداث الجارية بالمغرب، حيث لم يَعُد هناك مجالٌ للشَّك في نِيَّة العثمانيّين إلحاق المغرب بالخِلافَة

[1] - غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 5.

[2] - من الشروط التي اتفق عليها الطرفان أن يتحمل الطرف المغربي جميع المصاريف المتعلقة بالجنود الإسبان من يوم نزولهم في وهران وهران إلى يوم عودتهم وتسليم بعض المراكز المغربية كالعرائش و بادس : ينظر عبد الكريم كريم ، مرجع سابق ، ص 83.

[3] -عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 83.

[4] -عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 184.

[5] - غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 6.

[6] - أحمد سالم علي، مقال سابق، ص 52.

[7] - غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص6.

العثمانيّة[1]،كما مَثّلت هذه الأحداثُ نهاية مرحلة وبداية مرحلة جديدة في تاريخ العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة، فبعد محمَّد الشّيخ السَّعدي تَولَّى ابنُه عبد الله الغالب حكم المغرب، فاتَّبع سِياسة والده بمهادَنة البرتغاليِّين والتَّقرُّب من الإسبان[2]، وهذا لمنع أيِّ إلحاقٍ عثمانيٍّ للمغرب الأقصى مُستقبَلاً، حَيث جَنَح للسِّلم ومهادنة القُوَّة المسيحيَّة في المنطقة، فقد كان يريد الحفاظَ على كَيان مستقلٍّ للمَغرب بأقلِّ قَدر ممكنٍ من الخسارة[3]، وبهذا تخلَّى عن الجِهاد الذي كان شِعار السَّعديّين ،هذه السِّياسة زادت من المعارضين لحُكمه[4]، ولقد قامت عدَّة ثَورات في المغرب مُناهضة لحكم عبد الله الغالب، ولكنَّه استطاع القَضاءَ عليها تماماً، حتى أنَّه قَتَل ثلاثةً مِن إخوته لرَفضِهم البَيعة، مما دفع بِعبد الملك وأحمد المنصور وأمِّهما سحابة، إلى مُغادَرة سجلماسة إلى تلمسان ومنها إلى الجزائر خوفاً من القتل[5].

ثُمَّ زَحَف عبدُ الله الغالب السَّعدي على تلمسان سنة 1560م مُستغِلاًّ انشغال حسان بن خير الدين بقمع ثورة بني عبّاس في الجنوب، والإسبانيِّين في الشَّمال[6]، ولكنَّ السَّعدي لَم يَبق طويلاً بالمدينة، وانسحب منها فَوْرَ سماعه نَبأ خُروج الجيش التُّركيّ إليه[7]، ويظهر من ذلك أنَّ مُناورَة السَّعدي عبد الله الغالب، كانت فقط مِن أجل تخفيف الحِصار الذي ضربه حسن بن خير الدِّين على بني عبّاس حلفاءِ الأشراف السَّعديّين[8]، كما عمل عبد الله الغالب في هذه الفترة على التَّقرُّب

---

1- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص 86.

2-عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص 303.

3-أحمد سالم علي، مقال سابق، ص 52.

4- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 6.

5- عبد المجيد قدوري، المغرب وأوروبا مابين القرنيين الخامس عشر والثامن عشر، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 2000، ص 71.

6- تذكر المصادر أن حسن بن خير الدين خاض أكبر معركة برية مع الإسبان في منطقة مزغران بمستغانم وتمكن من إحراز انتصار انتصار كبير على القوات الإسبانية وأثناء انشغاله استغل الشريف السعدي عبد الله الغالب الظروف واستولى على تلمسان : ينظر عبد العزيز سامح التر ، مرجع سابق ، ص 207.

7- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 7 .

8- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 189 190.

مِن الدُّول الأوروبيَّة، حَيث أَمْضى الكثير من الاتِّفاقيَّات والمعاهدات مع بريطانيا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال[1]، وهذا مِن أجل كَسْب أَحْلاف يَتَقوَّى بهم على الأتراك العثمانيّون .

و على إثر ذلك قرَّر حسن بن خير الدّين التَّخلُّص مِن عبد الله الغالب، فقد تجاوزت خِيانتُه في نظره الحَدَّ الذي لا يمكن السُّكوت عليه، فجهَّز له جيشاً كبيراً، إلّا أنَّ حسن بن خير الدِّين تَفاجأ بأمر السُّلطان العثماني بِوقْف الزَّحف على المغرب، لأنَّ الأَخير تَوصَّل إلى اتِّفاق مع سلطان فاس السَّعدي[2]، فالسُّلطان العثمانيّ الذي كان قد استقبل عبدَ الملك المتحمِّس لانتزاع الملْك مِن أخيه عبد الله، رأى أن يُطبِّق الأسلوب الدِّبلوماسيَّ الهادئ في وَقْف النِّزاع القائم بينه وبين إيالة الجزائر، وبين إخوته الذين لجؤوا إلى الجزائر، فَأرسل السُّلطان العثمانيُّ إلى عبد الله الغالب رسولاً استقبله هذا الأخير بكثيرٍ من الحفاوة، حيث توصَّل الطرفان إلى اتِّفاقٍ مبدئيٍّ، التَزَم فيه الطَّرفُ المغربيُّ بإرسال هديَّة سَنَويَّةٍ إلى الباب العالي، ومِنحةٍ فصليَّة لإخوته في الجزائر، وإثر هذا الاتِّفاق أَرسل عبد الله الغالب كاتبَه أبا محمَّد السّرغيني في سِفارة إلى السُّلطان العثماني مُحمَّلاً بالهدايا[3]، طالِباً مِنه وَقْفَ زَحف القوات الجزائرية على المغرب مقابل تعهده بعدم التدخل في تلمسان وأن يكف الجزائريون عن دخولهم إلى المغرب[4].

ويظهر مما سَبَق أنّ السِّفارات التي بعثها السُّلطان العثماني قد نجحت في إحلال السَّلام بين الطَّرفين وحَقْن دِماءِ المسلمين، حيث كان الأَوْلى أَن يتعاون الطَّرفان على صَدِّ الهَجَمات التي يَقوم بها الإسبان والبرتغاليُّون على السَّواحل المغاربيَّة[5]، غَير أنَّ المخاوف ظَلَّت تُراوِد السُّلطان السَّعدي مِن حين إلى آخر لِعدم ثقته بالجزائريِّين، وخَوفه كذلك على مُلكه، والسَّبب في ذلك أنَّ إخوته كانوا لاجئين بالجزائر، مِمَّا شكَّل بالنِّسبة إليه هَاجساً كبيرا يُؤرِّقه باستمرار.

---

[1]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص ص 90 92 .

[2]- أشارت وثيقة إنجليزية مؤرخة في 30 جوان 1565 م إلى هذا الاتفاق والتحالف بين العثمانيين والسعديين جاء فيها " .. لقد انتهى إلى مسامع الملك فيليب الثاني أن ملك الجزائر حسن بن خير الدين و الشريف عبد الله بن محمد الشيخ قد عقد بينهما اتفاق و حلفا عظيما .." : عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 194.

[3]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 191.

[4]- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 7.

[5]- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 7.

لجأ عبدُ الله الغالب السَّعدي إلى حلفائه الإسبان طَلَباً للمساعدة في تحرير باديس، فاستجابوا لطلبه، وقاموا بحَملة عسكريَّة سنة 1563م، لكنَّهم لَم يُفلِحوا في ذلك لأنَّ الجزائريِّين كانوا لهم بالمرصاد، إلا أنَّ الإسبان عاوَدوا الكَرَّة مَرَّة ثانية، لكن بقُوَّة عسكريَّة كبيرة تمكَّنوا بها مِن انتزاع الميناء مِن الأتراك الجزائريّين الذين سَيطروا عليه لفترة طويلة[1].

اِطمأنَّ السُّلطان السَّعديّ بعد أن طَرَد الأتراكَ من حجر باديس، مِمَّا أَدَّى إلى انكماش الوجود الجزائري في شمال المغرب، فَكانت النَّتيجَة أنْ أصبحت العلاقاتُ الجزائريَّة يَشُوبها الحَذَر والتَّرقُّب والاستنفار من حين لِآخر، حتَّى وفاة الشَّريف عبد الله الغالب سنة 1574م، إذ اعتلى ابنُه محمَّد بن عبد الله الملَقَّب بِالمتوكِّل عرشَ المملَكة السَّعديَّة[2]، لكن لَم تَدُم مُدَّة حُكمه طويلاً، فقد نَجَح عمُّه أَبو مروان عبد الملك بمساعدة السلطان العثماني في أن ينتزع منه الحكمَ[3]، أمَّا عن الظُّروف التي انتقل فيها الحكمُ مِن المتوكِّل إلى عمِّه عبد الملك الذي كان قد لجأ إلى بلاط الأتراك العثمانيِّين في الجزائر منذ وفاة والده[4]، حيث قَصد عبدُ الملك وأخوه أحمد الجزائرَ، ومنها إلى القسطنطينية للاستنجاد بالسُّلطان العثماني ليُعِينَهما على استرجاع الملك بالمغرب، ولَم تَكن هذه أُولى علاقات عبد الملك مع العثمانيِّين، فقد كان له معهم علاقات خاصَّة مُنذُ لجُوئه وأُمِّه وإخوتِه إليهم، هرباً من طُغيان عَبد الله الغالب، وانخراطه بين صفوف المحاربين العثمانيّين[5]، وقد حاول المتوكِّل تَحسين علاقَاته مع السُّلطان العثماني بعد علمه بخطة عَمِّه اللَّاجئ بالجزائر، فأَرسَل سفيره إلى السُّلطان العثماني، يَطلب مِنه التَّدخُّل لَدى الجزائريِّين لِتَحسين العلاقات مع المغرب، مُقابل الاعتراف بالسِّيادة الرُّوحية للسُّلطان

---

[1]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 193.

[2]- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 8.

[3]- أحمد سالم علي، مقال سابق، ص 52.

[4]- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج2، مرجع سابق، 342.

[5]- تشير بعض المصادر إلى مشاركة عبد الملك السعدي في معركة ليبانت و حلق الوادي 1571 التي أسر فيها و أطلق سراحه وهذا ما جاء في الرسالة التي بعثها أندريا كاسبرو كورسو إلى فيليب الثاني ، بحيث أظهر من خلال هذه المشاركة نيته الصادقة للسلطان العثماني و أتراك الجزائر ليكسبهم في قضيته . ينظر : (SIHM) ,E sp ,T2 , PP 128 129

العثماني على المغرب[1]. ولَعلَّ أَهمَّ مَكسَب حَقَّقَه المِلك السَّعدي من هذه العلاقات هو الوقُوف في وجه عمِّه لِصَدِّ أَطمَاعه في الاستيلاء على المُلْك.

وأَمَّا فيما يَخُصُّ عَمَّ المتوكِّل عبد الملك، فقد تَوجَّه إلى اسطنبول لِيَطلب من السُّلطان العثمانيِّ أَن يُساعدَه في تَولِّي الحُكم في فاس، خَاصَّةً بَعد أَن أَثْبَت حُسْنَ صَداقته له، وذلك مِن خِلال مُشاركَته في معارك الدَّولة العُثمانيَّة ضِدَّ أَعدائها[2]؛ وبِما أنَّ السُّلطان الجديدَ مُراد كان ناقماً على المتوكِّل السَّعدي الذي وطَّد علاقاته مع الإسبان والبرتغاليِّين[3]والإنجليز[4]، فقد استَجاب لِطَلَب عبد الملك، وأصْدر فرماناً يَطلُب فيه مِن حاكم الجزائر رَمضان باشا أنْ يساعد عبدَ الملك في أخذ الحُكْم في فاس .

وامتثالاً لِأوامِر السُّلطان، خرج رمضان باشا مُعزَّزاً بِجيش مُؤَلَّف من سَبعة آلاف جُنديٍّ وأَلفِ فارس إنكشاريٍّ[5]، ووَصَلت الحَملَة العَسكريَّة مَشارفَ فاس دون أيِّ مُقاومَةٍ مِن طَرَف جَيش المتوكِّل المتوكِّل الذي فَرَّ إلى مرّاكش، ورَحَّب أهلُ فاس بِعودة عبد الملك، وبايعوه حاكماً عليهم.

أَثار التَّدخُّل الجزائريُّ في المغرب وتَعيين عبد الملك الموالي للعثمانيِّين قَلَق الإسبان والبرتغاليِّين، أمَّا حَاكم فاس الجديد عبدُ الملك بن محمد الشِّيخ السَّعدي، فقد ظلّ حريصاً على أن تكون علاقاته مع الجزائريِّين ومع السُّلطان العثماني حسنةً، يَسودُها التَّآخي وحُسن الجوار[6]، فَأَغْدَق فَأَغْدَق عليهم أَموالاً كَثيرةً مُكَافأَةً لهم، وكان يُلقي الخُطبةَ باسم السُّلطان العثماني كما ضَرَب اسمَه على النُّقود، وقَد ظَلَّ في المقابل الباب العَالي مُسانِداً للسَّعدي عبد الملك، وهو ما يَتجَلّى في مَشاركة الجيش العثماني في معركة وادي المخازن[7]، وبَعْد تَوْطِيد رَكَائِز مُلكِه في فَاس عَمل على انتزاع مرَّاكش

---

[1]- عمار بن خروف، المرجع السابق ، ص193.

[2]- عزيز سامح التر، مرجع سابق ، ص 249.

[3]-عمار بن خروف، مرجع سابق ، ص 203.

[4]- عبد الكريم كريم، مرجع سابق ، ص 97.

[5]- عزيز سامح التر، مرجع سابق ، ص249.

[6]- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 8.

[7]- خاليد فؤاد طحطح : **"العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر"** ،مجلة كان، العدد 14، السنة الرابعة ، 2011 ، ص 107.

مرّاكش مِن ابن أَخِيه المتوكّل سنة 1576م، وبَعدَ عَديد المِعارِك التي تَرَجَّحَت فِيها كفَّة عَبد المِلك أَمَام قُوَّات المتوكِّل الذي لاذ بالفِرار إلى شمال المغرب، يَبحَثُ عَن اتِّفاقٍ بَينَه وبَين مَلِك البُرتغال سيبستيان، الذي رأَى في مُساعَدة المتوكِّل فُرصةً لإعادة نُفوذِه على السَّواحل المغربيَّة، واستكمال مَشروعه التَّوسُّعي في المنطقة، فَقَبِل سبستيان عَرضَ المتوكِّل أين دخل البرتغاليُّون، وحُلفاؤُهم الإسبان، وجيش المتوكل، في معركة طاحنةٍ مع قُوّات عَبد الملك، مُنِيَ فيها المتوكِّل وحُلفاؤه بهزيمة كبيرة، قُتِلَ إثرها مَلك البرتغال، والمتوكِّل والسُّلطان عبد الملك في 04 أوت 1578م[1]، حيث تُعرف هذه المعركة بمعركة الملوك الثَّلاثة[2].

جَلس المولاي أبو العباس أحمد المنصور[3]على عرش المغرب، والذي دشَّن علاقاته مع البلاط العثماني كمَلِك ونَسي فَضل العثمانيّين، حيث كتب يُبشِّره بهزيمة المسيحيِّين في مَعركة واد المخازن، وحينئذٍ ردَّ عليه السُّلطان مراد مهنئاً، حيث أرسل إليه وفداً خاصّاً مع هدايا، ولما كانت الوُفود الأخرى قد قَدِمت بهدايا أعظم، فإنَّ المنصور لم يراعِ مقام الوفد العثماني، وقد أغضب هذا الموقفُ الخليفة العثماني، خصوصاً وقد أوعز إليه الوالي العثماني في الجزائر رمضان باشا أن يَأذَن له بمحاربته ،إلّا أنَّ المنصور بادَر بالاعتذار على لسان كاتبه أحمد بن يحي الهزالي، الذي حمل إلى الخليفة العثماني هديَّة المنصور[4].

ثُمَّ تتابعَت الوُفود بعد ذلك بين الدَّولتين[5]، وبقيت العلاقات بينهما حسنة إلى وفاة المنصور[6]، فمِن خلال الرَّسائل التي بعثها هذا الأخيرُ إلى باشوات الجزائر نستنتج أنَّ العلاقات كانت

---

1-عبد الكريم كريم، مرجع سابق، ص ص 104 105 .

2- للإطلاع أكثر حول هذه المعركة ينظر :شوقي أبو خليل، وادي المخازن معركة الملوك الثلاث، دار الفكر المعاصر، بيروت، ط1 ،1988 م .

3- هو أبو العباس أحمد المنصور بالله الملقب بالذهبي، ولد بفاس سنة 1519م درس في أكثر من مركز علمي ولاسيما بتارودانت ومراكش وفاس، وكان من الحزم والورع مشهورا بحزمه وتتبعه لأخبار رعيته وقد أسس مجلساً سماه الديوان يجتمع كل يوم أربعاء وهو أول من استعمل المنصورية في لباسه وقد اتخذ الاحتفال بعيد المولد عيداً رسمياً في المغرب ،ينظر : الناصري، مصدر سابق، ج5، ص ص 89 99 .

4- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ ،ج2، مرجع سابق، ص 342.

5- عبد الفتاح مقلد الغنيمي، مرجع سابق، ص ص 309 312.

6- إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ، ج2 ، مرجع سابق، ص 342.

كانت جيِّدةً بين القُطرين[1]، ومَا زاد متانة العلاقة زواجُ حسن باشا حاكم الجزائر مِن أرملة أخي أحمد المنصور، إلّا أنَّ أحمد المنصور لَم يَكن مُطمئِناً لهذه المصاهرة التي كان يَشمُّ فيها رائحة طمع والي الجزائر في العرش السَّعدي، خاصَّة وأنَّ باشا الجزائر كان يَحتضِن ابن عبد الملك إسماعيل[2].

خَلفَ المنصورَ السَّعدي بعد وفاته ثلاثةُ أولاد، هم :عبد الله الشيخ الذي كان في السِّجن، وزيدان الذي كان والياً على فاس، وأبو فارس الذي كان والياً على مرّاكش، مما أَدَّى إلى انقسام المغرب في تلك الفترة إلى دُويْلات متناحرة[3]، وقد اشْتدَّ الصِّراع بين أبناء المنصور على السُّلطة، حيث لجأ زيدان إلى الجزائر يَلتمس مِن حُكومَتِها حمايتَه وإنصافَه، وقد أبدى استعداده لإبرام مُعاهدة صَداقَة مَع الأتراك العثمانيِّين في الجزائر، إذ كَان مِن نصيبه حكم المغرب[4]، ولكنَّ انشغال الجزائرِيِّين بظروفهم الدَّاخلية حال دون تقديمهم الدَّعم لزيدان.

وفي سنة 1638م انتهى حكم السَّعديِّين لِينْتقل الحُكم إلى مُرابِطي الدِّلائيَّة في حاضِرة فاس، والذين تمكَّنوا مِن دُخول مَدينة وجدة[5]قرب تلمسان، والتي كانت خاضعة للسُّلطة الجزائريَّة، فتَدخَّلت القُوَّات الجزائريَّة لاسترجاعها، فجَنَحُوا إلى التَّفاهم، حيث التزم المغاربةُ بِأَن لا يَتجاوَزوا حُدودَ دَولتِهم، ثُمَّ اشتدّ الصِّراع على السُّلطة بَين المرابطين والأشراف الحسينيِّين والمرّاكشيِّين والفاسيِّين حتى سنة 1672م[6].

---

[1]- للمزيد في موضوع رسائل أحمد المنصور الذهبي إلى حكام الجزائر الأتراك العثمانيين في الجزائر ينظر : عبد الله قنون ، رسائل سعدية ، دار الطباعة المغربية ، تيطوان ، 1954 ، ص ص 96. 142 . 183 . 254.

[2]- غيلاني السبتي ، مرجع سابق ، ص 11.

[3]- أحمد سالم علي ، مقال سابق ، ص 54.

[4]- غيلاني السبتي ، مرجع سابق ، ص 11.

[5]- مدينة قديمة بنيت في سهل فسيح على بعد نحو 40 ميلا جنوب البحر المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان أسسها زيري بن عطية المغراوي سنة 994 م، ولموقعها كانت عرضةً للدمار أثناء الحروب المتكررة بين الزيانين والمرينيين حيث خربها السلطان المريني يعقوب المنصور سنة 1272م ثم عمرها السلطان يوسف بن يعقوب سنة 1297م ، ينظر :الحسن بن محمد الوزان ، وصف افريقيا ، تر : محمد حاجي ، محمد الأخضر، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2، 1983 م، ص12.

[6]- غيلاني السبتي، مرجع سابق ، ص 12.

## ❖ العلاقات على عهد العَلوِيِّين حتى 1830م

بعد أنّ استقرَّ أمرُ المغرب على يَد شُرَفاء تافيلالت، تَولَّى المولى مُحمَّد العَلَوي الحكمَ في فاس، حَيث دشَّن العَلَويُّون علاقاتهم مع جِيرانهم الجزائريِّين بالتَّعدِّي على الحُدود والإغارة على أقاليم التُّرك في الجزائر، خاصَّةً بَعد بَيعَة المولى مُحمَّد في تافيلالت، الذي رأى أَن يتوسَّع شَرْقاً بَعد أن أَخضَع له الدلائيِّين في فاس، والسملاليِّين في الجنوب، فَتوغَّل وأَخضع قبائل دحيس، وذوي منيع، وآل صباح، والمعاضيد، وأولاد غنيم وحميان، ثُمَّ قَبائل سهل وجدة، ودَفع بأنصاره إلى حدود واحات الأغواط، فانزعج لذلك باي الجزائر وبَعَث للمَولى مُحمَّد بِرسالة يَطلب مِنه أن يَرجع عن أمره، وبِذلك كان الصُّلحُ بَين الطَّرفَين، وكانت أَوَّل مُعاهدة للشُّرفاء العَلويِّين مع الأتراك العثمانيِّين في الجزائر[1]، وبعد المولى محمَّد تَولَّى المولى إسماعيل الحكمَ في المغرب، هذا الأخير الذي دشَّن علاقاته مع الأتراك العثمانيِّين بمحاولة ضَمِّ تلمسان[2]، وهو ما أَقلَق الدَّاي شَعبان حاكم الجزائر العثماني، فجهَّز عشرة آلاف من الجنود المشاة، وثَلاثَة آلافٍ مِن الفُرسان، ثُمَّ زَحَف بهم صَوبَ الحدود، فَوجَد جُيوش السُّلطان العَلَوي في انتظاره، فَدارَت بَينهم معاركُ كثيرة ووقائِع عظيمة، وكان النَّصر حليفَ الجزائريِّين رغم قِلَّتهم، حيث قَتَلُوا خمسةَ آلاف من جنود المغاربة[3]، ثُمَّ فَكَّر السُّلطان مَولى إسماعيل في إضعاف

---

1- لحسن تاوشيخت : **الحركة العلمية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية (ق18- ق 19)** ، أعمال الندوة "الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية "، 9-10 -11 ديسمبر 1993، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، جامعة وجدة ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ،ص ص 20 21.

2- يحي جلال ، المغرب الكبير العصور الحديثة وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981، ص 70.

3- محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقد وتحق: محمد بن عبد الكريم، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر، ص23 .

شَوكة الجَزائريّين بالتَّحالف مع المراديّين[1]في تونس[2]، والذين كانوا في عَدَاءٍ مع الجزائريّين في هذه الفترة[3].

و يَبدو أنَّ المولى إسماعيل كان يهدف مِن وَراءِ إبرام هذه الاتّفاقيَّة مَع المرادِيّين إلى إلهاء الدِّفاع الجزائريّ، خاصَّةً وأنَّه كان يَعرف جَيِّداً أنَّ المرادِيّين كانوا نَاقِمين على حُكَّام الجزائر، وعندما عَلِمَ الدَّاي شَعبان باتِّفاق المولى إسماعيل والمرادِيّين لِضَرب الجزائر، قرَّر مُهاجمة التُّونُسيِّين في عُقْر دارهم قَبْل أن يستعدُّوا لمهاجمته[4]، ثُمَّ اتَّجه الدَّاي شَعبان غرباً، فتَحرَّك المولى إسماعيل مُعتقِدًا أنَّ قُوَّاتِه باستطاعتها تَحقِيق النَّصر، وعِندما وَصله خَبر جيش الدّاي شعبان وقُوّاته تراجع المولى إسماعيل، فلاحقَه الجيش الجزائريّ، وكَبَّدَه خَسائر كبيرةً، وإثر هذا بَعثَ المولى إسماعيل سِفارةً إلى الجزائر يَقُودُها مُحمَّد الطَّيِّب الشُّرفي، لتَوقِيع هُدنَةٍ بين البَلَدَين، وقد شارك تِلكَ البِعثة المولى عبد الملك بن المولى إسماعيل، والكاتب الوزير محمَّد الغَسَّاني، وجماعة مِن أكابر مُوظَّفي البِلاط المكناسي[5]، فرحَّب الجزائريُّون بذلك وعقَدوا صُلحاً مَع المغاربة[6].

وبعد وفاة السُّلطان المولى إسماعيل دَخل المغربُ مرحلةً مِن الحروب الدَّاخليَّة على السُّلطة، امتَدَّت مِن سنة 1727م حتَّى سنة 1757م ، واشتَملَت على حُكم سِتَّة سلاطين[7]، وفي هذه

---

[1]- المراديون هم أسرة حكمت تونس من 1640م إلى 1702م أما مؤسس الدولة المرادية فهو مراد كورسو وهو مملوك من أصل كورسيكي أُسِرَ صغيرا وأوتي به إلى تونس فتبناه رمضان باي ودربه على قيادة المحلة. وبعد وفاة سيده سنة 1613م وجد نفسه متقلدا لوظيفة باي ومن بعده ورثه ابنه حمودة باشا الذي أرسى دعائم الحكم في الأسرة المرادية. ينظر:محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ماقبل التاريخ الى الاستقلال،تر : محمد الشاوش ، دار سارس للنشر،تونس، ط1993،2م، ص79.

[2]- يحي جلال ،مرجع سابق ، ص 70.

[3]- A. Masmoudi - M.Smida , Tunis au XVIème s de la chute des Hafsides à l'installation des Turcs , std , Tunis , 1983 , pp 22 40.

[4]- غيلاني السبتي، مرجع سابق، ص 12.

[5]- أحمد حدادي، **تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية**، أعمال الندوة "الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية "،أيام 9- 10 -11 ديسمبر 1993 م، منشورات كلية الأدب والعلوم الإنسانية، جامعة وجدة، مطبعة النجاح الدار البيضاء، ص 338.

[6]- يحي جلال، مرجع سابق ، ص 70.

[7]- نفس المرجع، ص 72.

الفترة ازدادَ نُفوذُ مرابطي الزَّاوية الدّلائية الموالين للحُكم العُثماني في الجزائر، حيث أَقَاموا بَينَهم وبَين الجزائريِّين علاقاتٍ تجاريَّةً وخاصَّةً ما تعلَّق بِبَيع البارود والسِّلاح[1].

وبِوُصُول المولى محمَّد بن عبد الله إلى الحكم في سنة 1757م، رَجَع الاستقرارُ إلى البِلاط العَلَوي، واستَعاد المغربَ قُوَّتَه على يَد هذا السُّلطان الجديد، الذي عرَفت فترةُ حُكمِه استقراراً في علاقاته الخارجيَّة، فَقد عَمل على مُهادَنة القِوى المجاورة، وعلى رأسهم الأتراكُ العثمانيُّون في الجزائر[2]، وبِوَفاة المولى محمد ظَهر الضُّعف في الدَّولة العَلَويَّة، حيث استقرَّ الحُكمُ للمولى سُليمان سنة 1794م، حَيث تميَّزَت العلاقاتُ الجزائريَّةُ المغربيَّة على عَهده بالتَّفاهم والمهادَنةِ تارةً، والتَّوتُّرِ تارةً أخرى.

وخُلاصَةُ القَول فِيما تَقَدَّمَ إذاً، أنَّ العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة في الفترة الحديثة تميَّزت بالصِّراع والتَّنافس في غالب الأحيان، فَلا شَكَّ أنَّ الصِّراع بَينهما كان صراعاً قائماً على مشاكل الحُدود ومناطق النُّفوذ، كما لَعِبت الأَطرافُ المجاوِرَة (الإسبان والبرتغاليّون والفرنسيُّون) دوراً هاماً في توجيه هذه العلاقة - على الأقل - نحوَ التأزُّم والتَّعقيد، عَلاوةً عَلى الصِّراع الذي كانَ قائماً بين العثمانيِّين والأشرافِ السَّعديِّين، ثُمَّ العَلَويِّين بَعدهم حول مسألة الخلافة.

- **العلاقات الثَّقافيَّة :**

إذا كانت قضيَّة الحدود والأهداف الاقتصاديَّة والاستراتيجيَّة تُمثِّل عقبات وهواجس لِلحُكَّام[3]، فإنَّ هذه الدَّوافعَ والمراميَ، لم تَخطُر في بال شعوبهم، ولاسيَّما العُلماءُ الذين لم يتقيَّدوا بالحدود، ومِن بَين العلماء الجزائريِّين الذين انتقلُوا إلى المغرب الأقصى في العهد العثماني، أبو الحسن المطغري، وأحمد الونشريسي، وعلي بن موسى بن هارون، ومحمد بن محمد التلمساني، ومحمد شقرون،

---

1- علي خلاصي:" **صناعة المدافع في الجزائر** "، مجلة التراث، عدد 10، جمعية التاريخ والتراث الأثري لمنطقة الأوراس، الجزائر، 1999م، ص65-68.

2- يحي جلال، مرجع سابق، ص 74- إبراهيم حركات، مرجع سابق، ج 3، ص ص 108 109 .

3- أحمد مالكي، الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، مركز الدراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1،1993م، ص81.

وعبد الواحد الونشريسي، والعبادي[1]؛ ومهما كانت دوافع الهِجرة فإنَّ العلماء الجزائريِّين قد تَقَلَّدوا عِدَّة مَناصب في جامع القَرَويِّين بفاس، ومختلفِ الحواضر المغربيَّة، ومِنهم مَن نال مَكانَةً مُمَيَّزة عِند سلاطين المغرب أَمثال محمد بن عبد الرَّحمن بن جلال التِّلمساني (1502م-1573م) [2]، مُفتي تلمسان وفاس، فقد تَولَّى في عهد السُّلطان عبد الله الغالب السَّعدي الإمامةَ، و الخِطابة، والتَّدريس بجامع القَرَويِّين[3].

كما تَناول ابن حمادوش في رحلته " لسان المقال في البناء عن الحسب و النَّسب و الآل " التي كَتَبها سنة 1745م، اتِّصالاته بعلماء فاس دارساً و مُستجيزاً، ومِنهم محمد بن عبد السّلام بناني، وأحمد الورزازي، والشَّيْخَين عبد السَّلام القباب، وعبد القادر الفاسي[4].

رغم عدم توَفُّر الظُّروف المشَجِّعة لاستقرار العُلَماء المغارِبَة في الجزائر، فإِنَّ جَذوة الثَّقافة بَقِيَت مُوقَدَةً بِفَضل بَعض العُلَماء الذين فَضَّلوا المكوثَ في الجَزائر لمواصَلَة نَشاطِهم العِلمي، ومِنهم ابن زاكورة الفاسي(1663م-1708م) الذي حلَّ بالجزائر في عام 1683م، وقد أَشاد بِعلماء الجزائر في رِحلتِه المشهُورة [5]، ومِن أَشهر العُلماء المغاربة الذين زاروا الجزائرَ أيضاً في العهد العثماني، نَذكُر أبا قاسم بن أحمد بن علي الزياني (1743م-1833م) [6]، وأباَ سليم عبد الله بن أبي بكر العياشي

---

1- عاش بعض العلماء حياة متقلبة نتيجة تقلب ظروف العصر فبعد استيلاء العثمانيين على تلمسان والاضطرابات التي شهدتها الجزائر، هاجر إلى المغرب عدد من العلماء فأقاموا في فاس ومراكش، وكان العبادي نموذجاً من الجزائريين الذين هاجروا إلى المغرب، وما لبث أن عاد إلى الجزائر،. ينظر: أبو القاسم سعد الله ،تاريخ الجزائر الثقافي من القرن 16،20م ،ج 2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ، 1981م ، ص47.

2-محمد حاجي ، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعدي، ج2 ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،ص 357.

3 - ارزقي شيويتام:**" العلاقات الجزائرية المغاربية خلال الفترة العثمانية "** ، مجلة الدراسات التاريخية ، عدد13،كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية ،جامعة الجزائر، 2006 ، ص85- 86 .

4- إبراهيم حركات ، التيارات السياسية والفكرية بالمغرب خلال قرنيين و نصف قبل الحماية ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط2 ، 1994، ص 23.

5- للمزيد حول الرحلة . ينظر:رحلة ابن زاكورة الفاسي، نشر أزهر البستان فيمن أجازني بالجزائر وتيطوان، المعرفة الدولية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط1 ،2011

6- للمزيد حول رحلة الزياني ، ينظر :أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً و بحراً ،تحق عبد الكريم فيلالي ،دار المعرفة للنشر ، 1999.

(1628م-1679م)، وأباَ الحسن علي بن محمد التمقروتي (1594-1595)م[1]، وأبا حامد العربي المشرفي الذي زار تمكدشت، وله رحلة سُمِّيت الرِّحلة العَريضة في أداء الفريضة[2].

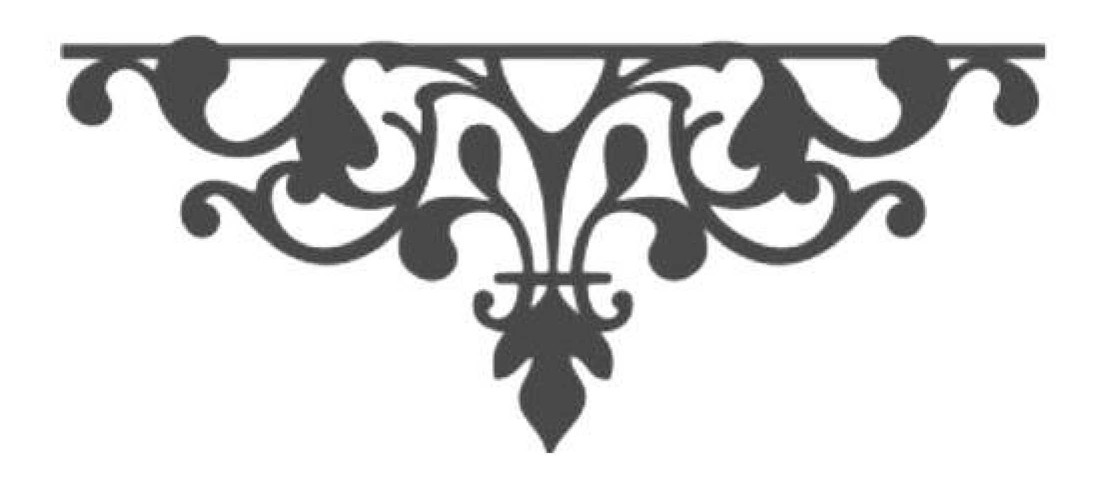
[1]- مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر، ط2،1981، ص ص16-20.

[2]- محمد حاجي، مرجع سابق، ص 347.



# الفصل الأَول

**موقف المغرب من الاحتلال الفرنسى للجزائر**



# الفصل الأوَّل :

## موقف المغرب من الاحتلال الفرنسيِّ للجَزائر:

### المبحث الأوَّل :الاحتلال الفِرنسيُّ للجزائر :

خِلال أَكثر مِن ثلاثة قُرون ظَلَّت الجزائر قُوَّة بَحريَّة دون مُنازعٍ في الحَوض الغربيِّ للمُتَوسِّط[1]، ولا يَخفى على أَحَد أنَّ أُسطولها الحَربيَّ شَكَّل رأسَ حِربَة لِسلاح البحريَّة العثمانِيَّة آنذاك، ولما كانت الجزائر تَقَع في أقصى هذه الدَّولَة – أي العثمانيَّة – في الطَّرَف الغربيِّ للعالَم الإسلامِيِّ، والمواجِهة للعالَم الأُوروبيِّ المسيحيِّ، فقد تحمَّلت وحدَها مسؤوليَّة كبيرةً في الدِّفَاع عن المسلمين في هذه الجِهة، واكتَسبت الجزائرُ سُمعةً دوليَّةً كبيرةً، ما لبِثَت أَن أصبحت مرهوبة الجانبِ تَتَمتَّعُ باحترام الجميع، كَما تَحَكَّم الجَزائريُّون في حَرَكة المِلاحَة الدَّوليَّة في البَحر الأَبيَض المتوسِّط، هَذا ما دَفَع بِالدُّوَل المجاوِرة إلى إقامَة علاقاتٍ دبلوماسيَّةٍ معها[2].

وفي الطَّرَفِ الآخَر مِن البَحر كانت إمبراطوريَّة فِرنسا قَد ارتبطت بعلاقات ودِّيَّة مع العثمانيِّين، الأمر الذي أَهَّلَها أن تتمتَّع بامتيازات وعلاقات حسنة مع الجزائريِّين، تُوِّجَت بِأُولى اتِّفاقيَّات بَيْن الجزائر وفِرنسا في مَطلع القَرن السَّادس عشر، حَيث تميَّزَت العلاقاتُ بَينهُما أَوَّلَ الأَمر بالصَّداقَةِ والتَّعاوُن، ثُمَّ تَدعَّمت أَثناء الثَّورَة الفرنسيَّة التي اندَلعت سنة 1789م[3]، لكن نَظراً لالتِزاماتِها أَمام العالم الإسلاميِّ، فَقد وقفت الجزائر مَوقفًا مُعادِياً للفِرنسيِّين بِسبب حَملتِهم عَلى مِصر[4]، ثُمَّ مَا لَبِثَت أن تَحسَّنَت العلاقةُ بَينهُما في الوَقتِ الذي كَانت فيه فرنسا أَحوَجَ مَا تكون لِحَليف قَويٍّ وَقَريبٍ كالجزائر، فَنتيجَةً لِسياسة نابليون التَّوسُّعيَّة، وتَبَنِّي فرنسا مَبادئَ الثَّورة المعادية للمَلَكيَّة الرَّجعيَّة، فُرِض

---

1- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر ،ج1 ،الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ،ط2 ، 1981،ص 243.

2- نفس المرجع ، ص ص 248 258،

3- إبراهيم مياسي ،من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ،2007 ،ص 15.

4- أبو القاسم سعد الله ، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، ج 1، ص 254.

عَليها حِصارٌ مِن قِبَلِ الدُّوَل الأوروبيَّة، وفي تِلكَ الأَثناء قَامَت الجزائرُ عن طريق التَّاجِرَيْن بكري[1]وبوشناق[2]، بِتَأمِين الغِذاء الضَّروريِّ مِنَ القَمح، زِيادَةً عَلى القُروض التي مُنِحت لِفرنسا بدون فَوائد، كَما أُذِنَ لها بأن تَستعمل الموانئ الجزائريَّة لِفَكِّ الحِصار الاقتصاديِّ المضروب عليها، وهنا ظَهَرت أَزمةُ الدُّيون الفِرنسيَّة.

إنَّ قَضيَّة الدُّيون[3]خَلقت أَزْمة بَين الدَّولَتَيْن، عُرِفَت في كُتُب التَّاريخ بِحادِثة المروحة [4]، ففي سنة 1824م كَانَ الدّاي حُسين[5]حَاكِم الجزائر آنذاك، قَد رَاسل الحُكُومَة الفِرنسيَّةَ في شَأن تِلك الدُّيون، لكنَّ الحُكومة الفرنسيَّة لم تُقَدِّم أيَّ جواب، وفي نفس الوقت عَلِم الدَّاي أنَّ فِرنسا قامت بِتَسليح مَرَكَز القالة، وذلك رَغْمَ الوُعُود التي قَدَّمها قُنصُلُها في الجزائر بِعَدَم تَحصين المراكِز التِّجاريَّة الفرنسيَّة،

1- ميشيل كوهين بكرى المعروف باسمه المستعرب ابن زاهوت ،يهودي من جنسية إيطالية مقيم بالجزائر ، كان صاحب تجارة كبيرة في أوروبا ، استفاد من امتيازات مع الأتراك بالجزائر أين أسس مركزاً تجارياً في مدينة الجزائر : ينظر – أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث " بداية الاحتلال " ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ،ط1، 1981 ، ص 14.

2- هو نفتالي بوشناق يعرف أيضا باسم بوجناح يهودي من جنسية إيطالية مقيم بالجزائر و هو صهر بكرى و شريكه في المركز التجاري : ينظر – علي محمد محمد الصلابي ، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي ، دار المعرفة ، بيروت ، (دت) ، ص 263.

3- للمزيد حول موضوع أزمة الديون بين الجزائر و فرنسا ينظر : كمال بن صحراوي ، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات ، مذكرة ماجستير ، قسم التاريخ ، جامعة معسكر ، 2008 ، ص ص 114 122.

4 - CHARLES André julien:" histoire de l" Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1830-1871" éd casbah, Alger, 2005 , pp 25 35.

5- ولد حسن باشا في أزمير سنة 1763م ونشأ في إسطنبول وكان في بدايته جنديا في المدفعية حيث ترقى فيها بسرعة وعندما تعرض لعقوبة فر إلى الجزائر وانضم إلى أوجا قها وتولى فيها عدة وظائف قبل أن يصبح وزيرا وصديقا للباشا علي وهو الذي أوصى بخلافته سنة1818 وبعد أن بقي في الحكم إثنى عشر سنة ، ولما وقعت الجزائر في يد الفرنسيين وقع على معاهدة استسلام ،حيث أمنه دي بومون على حياته وحياة أسرته ، فنقل يوم العاشر جويلية من سنة1830م على متن الباخرة الفرنسية باسم جان دارك إلى مدينة نابولي الايطالية ، وتذكر المصادر الفرنسية أن السكان قابلوه ببرودة ، وأن أحدا لم يأت لوداعه يوم رحيله وأن عينيه فاضت بالدموع عند المغادرة ، وبعد أن أقام الباشا فترة قصيرة في نابولي ليفورنيا للإقامة بأهله في منزل تملكه عائلة بكري و بوشناق اليهودية .ينظر: أبو القاسم سعد الله ،أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1 ، 1996، ص196.

فَزاد هذا الخَبَر غَضَب الدّاي، الذي انْتَهَز فَرصة قدوم القُنصل الفرنسيِّ دوفال[1] لِتَهنِئته بمناسبة عيد الفِطر[2]، لِيَطْلُب مِنه تَفسير تَماطُل فِرنسا في دفع دُيُونِها للجزائر، وتَبرير إقدامها عَلى تَحصين الباستيون، لكنَّ جَواب القُنصُل كان غَير مُهذَّب[3]، فَاغتاظَ الدَّاي لِذلك ولَم يَتَمالَك نَفسه، فَأَشار بِمروحة كانت في يَدِه عَلى وَجه القُنصُل، ثُمَّ أَمَرَه بالانصِراف مِن بِلاطِه [4].

اِعتَبرت الحُكومَة الفِرنسيَّة هذا التَّصرُّف مِن الدَّاي إهانَةً للقُنصُل ولِشَرَف فِرنسا[5]، فَطالَبَت الدَّاي بأن يُبرِّر تَصرُّفَه مَع القُنصُل، ويُقدِّم اعتذاراً رَسمِيّاً لِفرنسا مع تعويضات مادِّيَّة، الأَمرُ الذي رَفضَه الدّاي رَفضاً مُطلقاً، فآلت العلاقات بين البلَدين إلى طريقٍ مسدود .

إنَّ هذا الأمر يَدعونا إلى الاعتِقاد بأنَّ سَبَب تَوتُّر العلاقات بين فرنسا والجزائر، ثُمَّ الحَملة التَّأديبيَّة عَلى الجزائر كما يُسمِّيها البعض، هو حادثَةُ المروحة التي أتقن القُنُصل دوفال لعِبَ أَدوارها، لكنَّ الأسباب الحقيقيَّة غيرُ ذلك.

فَفِي الحَقيقة إنَّ قَضيَّة الدّيون (حادثة المروحة) مُجرَّد مُبرِّرات[6] تَذرَّعت بها فِرنسا لِتَنفِيذ مَشروعِها الاستِعماريِّ القَدِيم، حيث كانت فرنسا تَتَسابق مع الدُّوَل الأُوروبِّيَّة الاستعماريَّة سِرّاً وَجَهاراً لِضَمِّ مُمتَلَكات الرَّجُل المريض[7]، فَعَقَدت الدول الأوروبية مجموعةً مِن المؤتَمَرات، بحجة متابعة مسألة

---

[1] - هو بيير دوفال آخر قنصل فرنسي بالجزائر عين من طرف الملك الفرنسي لويس الثامن عشر سنة 1815 م، ارتبط اسمه بحادثة المروحة كان في نفس الوقت تاجراً تورط في الكثير من القضايا مع بكرى و بوشناق : ينظر – حمدان بن عثمان خوجة ، المرآة ، تق وتح محمد العربي زبيري، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر ، 2006، ص 147.

[2] - علي محمد الصلاب، مرجع سابق ، ص 263.

[3] - حمدان عثمان خوجة، مصدر سابق ، ص 142.

[4] - عمار عمورة ، مرجع سابق ، ص 112.

[5] - CHARLES André julien ,op : cit , p 30.

[6] - للمزيد في موضوع مبررات فرنسا لاحتلال الجزائر ينظر : عزالدين بن سيفي ، من أقبح تبريرات فرنسا لاحتلال شعب ، أعمال الملتقى الدولي ، جرائم الاحتلال الفرنسي في الجزائر ، أيام 07،08 ماي 2015 ، قسم العلوم السياسية ، جامعة خميس مليانة .

[7] - الرجل المريض هو لقب أطلقه الأوروبيين على الدولة العثمانية بعد ضعفها .

القرصنة في البحر الأبيض المتوسط، كمؤتمر إكس لاشابيل 1818م، الذي اتُّهِمت فيه البحريّة العثمانية في الجزائر بأعمال القرصنة، أضف إلى هذا، التَّقاريرَ التي تُؤَكِّدُ نَوايا فرنسا وأَطماعَها في الجَزائر مُنذُ حَملة شارل الخامس الإسباني سنة 1541م[1]، ثُمَّ حَملة لويس الرّابع عشر التي تَحطَّم أُسطُولُها في البَحر بِسَبب العاصفة وهي تُحاصِر العاصمةَ الجزائريَّة [2]، ثُمَّ نَوايا نابليون قُنصُلاً ثُمَّ إمبراطوراً[3]، وهو الذي كان يَحلُم بِجَعل البَحر الأَبيَض بُحَيْرَة فرنسيَّةً، حَيث خَطَّط لِحَملة كَبيرةٍ على الجزائر بَدأت بإرسال الجَاسوس بوتان[4]، ولكنَّ انشغال نابليون بِحُروبِه مع الإسبان حَالَ بينه وبينَ هذه الحَملة[5].

جملة القول في ما تقدم إذاً، أنَّ فِرنسا كان لها أسبابٌ أخرى، وإنَّما جعلت مِن قِصَّة المِروَحَة ذَريعةً لِغَزو الجزائر، وقد حاول الكثِيرُ مِن المؤَرِّخين خَاصَّةً مِنهم الأُوروبيِّين أنْ يُبَرِّروا الوُجودَ الفِرنسيَّ في الجَزَائر بهذه الطُّرفة، حَيث لم يكن ثَمَّةَ ما يُبرِّر هذه الحملة التَّأديبيَّة التي شَنَّها الفرنسيُّون على الجزائر أرضاً وشعباً [6].

كان الاعتقاد السّائِدُ عند الأوروبِّيِّين أنَّ مدينة الجزائر قلعةٌ مَنيعةٌ لا يمكن احتلالُها مِن جِهةِ البَحر، خاصَّةً وأنَّها تَمتَلك أُسطولاً ضَخْماً عُرِف بِقُوته الحربيَّة، عَلاوةً على حُصون المدينة التي تَحْوي أقوى المدافع آنذاك، لكنَّ الأُسطولَ الجزائريَّ الذي شَارك في مَعارك الدَّولة العُثمانِيَّة في نافَرين

---

[1] - إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق ، ص 16.

[2] - أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ، ج1، مرجع سابق ، ص 28

[3] - جمال قنان،قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،(د.ت)،(د،ط)، 1994،ص 93.

[4] - ضابط عسكري من سلاح الهندسة ، نزل إلى الجزائر بأمر من نابليون سنة 1808 م حيث كُلف بإعداد تقرير يتعلق بحصون وأبراج الناحية الغربية لمدينة الجزائر ، وقد تضمن تقريره معلومات مفصلة ودقيقة عن تحصينات الجزائر وطبيعة أرضها ، وعدد قواتها وزمن الحملة المقترحة والمدة التي تستغرقها وعدد الجيش الضروري ، كما أظهر الأخطار التي تتعرض لها الحملة من البحر ونصح أن تكون الحملة برية واقترح أيضاً أن يكون مكان نزول الحملة هو سيدي فرج . ينظر : أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، مرجع سابق ، ص 21.

[5] - أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، مرجع سابق ، ص ص 20 21 .

[6] - أحمد رمزى ، مرجع سابق ، ص 105.

سنة 1827 م ضِدَّ الحَمَلات الأُوروبِّية الرُّوسية، فَقَدَ الكثير من قِطعه، الأمر الذي أفرحَ الفرنسيِّين الذين كانُوا قَد أَتَمُّوا كَلَّ الاستعدادات لِفَرضِ حِصارٍ بَحرِيٍّ على العاصمة الجزائريَّة .

وفي يوم 16 جوان 1827م، بَدَأ الحصار البحريُّ على مَدينة الجَزائر، وهو يَندَرِج في الحقيقة ضِمْن مشروعِ فرنسا الرَّامي إلى إضعاف الجزائر ثُمَّ غَزوِها .

بَعد زُهاء عامَين ونِصف مِن الحِصار البَحريِّ عَلى الجزائر، أَعلَن مجلس وزراء فرنسا تحت إشراف رَئيس الوُزراء بولنياك في يوم 11ماي 1830م، اِنطلاق الحَملةِ مِن ميناء طولون[1]، حيث أَبْحَرَت الحَملَة الفِرنسيَّة وَسَط حُضورٍ كَبيرٍ لِسُكَّان الُمدن الُمجاوِرَة[2]يوم 25ماي من نَفس السَّنة[3]، وضَمَّت هذه الحَملةُ جَيشاً ضَخماً قِوامُهُ 64000 جُنديٍّ، وأُسطولٌ جرَّارٌ يَتكوَّنُ مِن 675 سفينةً[4]، سفينةً[4]، وقَلَّد الملِك الجِنرال "دي بورمون" قيادة الجيش، وقيادة البحرية للأميرال "دو بريه"، كما استَنفَرَتْ الحملةُ الكثيرَ مِن الضُّبَّاطِ والجُنود ذَوي الخِبرَة العسكريَّة التي اكتَسَبوها في الحروب النَّابليونيَّة[5]، وبالموازاة مع ذلكَ هَيَّأت فرنسا الرَّأي العام الأُوروبِّي لِتَقَبُّل أَسباب الحَمْلة لِكَونِها انتقاماً لِشَرَف فرنسا[6]وأوروبا المسيحيَّة وأَيَّدتْها مُعظَم الدُّوَل الأُوربيَّة، عَدا انجلترا التي مَنحَتها ضَمانات بأنَّ الحَملَة محدودةُ الزَّمن، وأنَّ الفِرنسيِّين لَيسَ في نِيَّتهم البقاءُ في الجزائر أَكثَر مِن شَهر أو شَهرَين[7].

أَضف إلى

1- محمد العربي الزبيري :"**المقاومة في الجزائر 1830م-1848م**"، مجلة الأصالة ، السنة الرابعة ، مطبعة البعث، قسنطينة ،ع22 ، سنة 1975 ، ص 2.

2- CHARLES André julien ,op : cit , p 51.

3- محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود ، موفم للنشر، الجزائر، ( د ط) ،2009، ص 52.

4- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية1830-1900،ج1، دار الغرب الإسلامي،بيروت ،ط1، 1992،ص16.

5 - CHARLES André julien ,op : cit , p 49.

6-عمار عمورة ، مرجع سابق ، ص 114.

7- المرجع السابق، ص 114.

ذلك، تَهيئَة الملك شارل العاشر[1] الرَّأي العامَّ الفرنسيَّ للحَملة، وحتى يُثِير في الجَيش الفرنسيِّ الرُّوح الدِّينيَّة، أَعلَنَ في خِطابِ العَرْش المِلَكيِّ بتاريخ 2مارس 1830م، أَيْ قَبْلَ شَهرَيْن ونِصف تَقريباً من انطلاق الحملة مِن ميناء طولون، أنَّ الهَدَف الذي كانَ يَرمِي إلى تَحقيقِه مِن الحَملَةِ الفِرنسيَّة يَجِب أَن يُرضي شَرَف فرنسا، ويَرجِع بفضل العناية الإلهيَّة بالفائَدة على المسيحيَّة[2].

تَقدَّمت الحَملة نَحو شِبه الجَزيرة الواقِعة غَربَ مَدينة الجزائر، وبَعد أَنْ أَكَّدَت دِراساتُهم وخَرائِطُ جَواسيسِهم أَنَّ تِلك المنطقَةَ هِي النُّقطة الأَضعفُ في الدِّفاع الجزائريِّ[3]، ورَغْم عِلْمِ الدَّاي بِالحَملة الفِرنسيَّة سَابقًا، واستِعدادات جُيوش فِرنسا لِغَزوِ الجَزائِر حَسبما أَكَّدَته عُيونُه في فرنسا ، إلّا أنَّ الدّاي لم يَستَعِدَّ جِدِّيّاً للتَّصدِّي لِعَمَليةِ الغزو هذه، بَل إِنَّهُ حَسب ما تَذْكُر المصادر اِكتفى بِإخطَار باي قَسنطينة وباي وهران بالحملةِ، وطَلَبَ مِنْهُما أَن يَكُونا على استعداد[4].

وفي يوم 10 جوان 1830م، نَزَل الجيشُ الفِرنسيُّ في ميناء سيدي فرج، كما كان مُخطَّطاً له، وَفَوْرَ نُزُولِه قَام الجنرال دي بورمون بِتَحصين المكان، واتَّخَذ مِن شِبْه جَزيرة سيدي فرج قاعدةً خَلفيَّةً لِلهُجوم والتَّوغُّل نَحو العاصمة، ورَغْم أنَّه واجَه مُقاومة عنيفةً مِن قِبَل الجيش الجزائريِّ الذي يَقُودُه صِهر الدّاي الآغا إبراهيم صاحب الخِبْرَة المتَواضِعة[5]، إلَّا أنَّ دي بورمون استطاع أنْ يَتقَدَّم

---

[1]-ولد بمدينة فارساي يوم 9 أكتوبر سنة 1757م ، كان آخر ملوك أسرة آل بورون، ورث الملك سنة 1824م عن الملك لويس الثامن عشر ، وفي سنة 1814 م أتاحت له هزيمة نابليون الفرصة للعودة إلى فرنسا مع جيش الحلفاء بعد ما كان مبعدًا مع عائلته من فرنسا عقب الثورة التي اندلعت عام 1789م ،تميز شارل العاشر بسياسته الرجعية الاستبدادية، ثار عليه الشعب الفرنسي في انقلاب خطط له خصومه في أكتوبر عام 1830، فأمضى شارل العاشر بقية حياته منفيا حتى وفاته في مدينة غورز الايطالية سنة 1836.انظر:بن عودة المزاري ، طلوع سعد السعود ، تحق : يحي بوعزيز ، ج2 ، دار البصائر ، الجزائر، ط1، 2007 ، ص79 .

[2]- شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومة للطباعة والنشر، الجزائر ،(دط) ،(د ت) ،ص12.

[3]- أبو القاسم سعد الله ،الحركة الوطنية الجزائرية ،مرجع سابق ،ص16

[4]- حمدان خوجة ، مصدر سابق ، ص 149.

[5]- المصدر السابق ، ص 150.

صَوب العاصمة، ومِن أَشْهر المعارِك التي دَارت بَيْن الطَّرَفَيْن مَعركة "اسطاوالي" في 19 جوان [1]، ومعركة "سيدي خالف" 20جوان[2]، وأمام تَقدُّمِ الجيش الفرنسيِّ المنظَّم، تراجع الجيش الجزائريُّ فاسحاً المجال أمام الفرنسيِّين الذين واصَلُوا زَحفَهم نحو العاصمة، التي دخلوها في مطلع شهر جويلية 1830م.

لَقَد كان أمراً واضحاً أن تَسقُط مدينة الجَزائر بِسهولة في أَيدي الفرنسيِّين يوم 05 جويلية 1830م، وذلك بِسبب انفراد الدَّاي بالسُّلطة، واعتماده المطلَق على مجموعة صغيرةٍ من الجُنود والأَقرِباء الذين كانوا يخدمونه، أمَّا أبناء الجزائر فقد كانوا يَعيشون في عُزلةٍ تامَّةٍ، ولَم تَكُن لَهم مَسؤوليَّةٌ في السُّلطة، ولذلك لم يكن لديهم في البداية حَماس أو رَغبَةٌ للوُقوف بِجانب الدّاي، والدِّفاع عن نُفوذِه وسُلطَته من الانهيار[3]، وفي المقابِل أَدَّى الخطأ الاستراتيجيُّ الذي أَقدم عَليه الدَّاي حُسين باستِهانَتِه بحملة الفرنسيِّين، إلى إجبارِهِ على تَوقيع وثيقَةِ استسلام[4]بَعد15 يوماً فقط، مِن نُزول الفرنسيِّين في سيدي فرج.

وفي يوم 7 جويلية أُمِرَ الدّاي بإجلاء مدينة القَصبة حَسب مَا نَصَّت عَليه الاتِّفاقية، ورَحَل عن الجزائر رفقة حاشيته يوم 10 جويلية إلى مدينة نابولي بايطاليا[5]، وعلى إِثر هذا الخبر أصاب سُكَّانَ الجزائر العاصمة الرُّعبُ وفَرَّ مِنها حَوالي عَشرة آلاف من سكانها .

بَعد انسحاب الحامِية التُّركيَّة والدّاي، دخل الجيش الفرنسيُّ مدينةَ الجزائر، مِن الباب الجَديد فَأنزَل الجُنود الفرنسيُّونَ أَعلام الدَّولَة الجزائريَّة مِن عَلى جميع القِلاع والأَبراج، واستُبدِلت برايات

---

[1]- علي محمد الصلابي ، مرجع سابق ، ص 283.

[2]- عمار عمورة ، مرجع سابق ، ص 114.

[3]- عمار بوحوش ، مرجع سابق ، ص 90.

[4]- للاطلاع على الوثيقة المعروفة بمعاهدة الاستسلام ،التي وقعها الداي حسين و الجنرال دي بورمون ، ينظر: عبد الحميد زوزو ، نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر( 1830-1900 )م ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ص ص 68 72.

[5]- سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009، ص 130.

الاحتلال [1]، وَوُزِّع أَوَّل بَيان [2]فرنسيٍّ مَكتوب باللُّغَة العربيَّة على الجزائريِّين[3]،كما أَعلنَ الجنرال " بورمون" عن حُسْن نِيَّة الفرنسيِّين، حَيث وَعَد الجزائريِّين بِاحتِرام الدِّين الإسلاميّ، وحماية مُمتَلَكاتهم ورِعايَة مَصالحهم، فَحسَب المؤرِّخ أبي القاسم سعد الله فَإنَّ بَعض الجزائريِّين قَد اغترُّوا بهذا البيان وبِكَلامه المعسول، حَيث كان هَدَفُ بورمون من وراء هذا البيان هو التَّأثير على مَعنويَّات السُّكَّان وعَزْل الحكومة عن الشعب[4]، وفي ما يلي بعضُ ما جاء في البَيان :« **يا أيُّها الجزائريُّون أهلَ الإسلام، إنَّ كَلامنا هذا صادر عن الحبِّ الكَامل إنَّه مشتمِلٌ على الصُّلح و المودَّة ....إنَّكم أنتم الذين ستَتَولَّوْن إدارة أُمورِكم** »[5]. وَرَغم تَعهُّد الفرنسيِّين لسُكَّان الجزائر باحترام شعائِرِهم الدِّينيَّة ومُمتَلَكاتهم، إلّا أنَّهم نَكَثوا العهود واستَولَوا على الخَزينَة ونَهبوا الأموال العامَّة والخاصَّة[6].

كما حُوِّلَت المساجد إلى كنائسَ، إضافة إلى اعتداءات على المواطنين والأعراض، وظَنَّ سُكَّان الجزائر في البِداية أنَّ العمليةَ مَؤقَّتَة، ولكن وفي غُضون أَيَّامٍ تَحَوَّلَت الحملةُ إلى احتلال، كما صَرَّحَ رئيس الوزراء الفرنسيِّ "بولينياك" أمام النُّوَّاب -الذين انقسموا في شأن الحملة فَريقين- بأنّ الحَملةَ التَّأديبيَّة سَتكون مُدَّتُها سِتَّةَ أَشهر فقط، ولكنَّ الإجراءات التي اتَّخذَتها السُّلُطات الفرنسيَّة مِن

---

1- علي محمد الصّلابي ، مرجع سابق ، ص 287.

2-كلف الجنرال دي بورمون العقيد تونير عضو القيادة العامة بصياغة بيان باللغة العربية ،لأنّ هذا الأخير كان يتقن اللغة العربية، وحينما فرغ من كتابته أعطاه إلى المستشرق دي ساسي حتى يصوغه باللهجة الجزائرية ، ثم أشرف العقيد دي ليسيبس المبعوث الفرنسي بتونس والعقيد رينبير والعقيد دوبينيوز على توزيعه في كل أنحاء الجزائر . ينظر : أبو القاسم سعد الله ، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر ، ج1 ، مرجع سابق ، ص 276.

3- عمار عمورة ، مرجع سابق ، ص 114.

4- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية ،ج1 ،مرجع سابق ،ص 25.

5- للاطلاع على النص الكامل للبيان ينظر: أبوالقاسم سعد الله ، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، ج1 ، مرجع سابق ، ص ص 277 280.

6-مولود قاسم نايت بلقاسم ،شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830م،ج2، دار الأمة، الجزائر، ط2، 2007م، ص251 .

نَفْيِ العائلات التُّركيَّةِ، وتَشكيل لجنة حكوميَّة فِرنسيَّة تَتَكفَّل بِإدارة الجزائر[1]، ومَجلسٍ بلديٍّ مُختلِط يَرأسُه الجزائريُّ أحمد بوضربة[2]، وإِصدار قَوانين وأوامر باسم ملك فرنسا، كلُّ هذا أَكَّدَ للجَزائريِّين بأَنَّ هَذا الاحتلال دائم .

اِعتقَد الفرنسيُّون بأنَّهم سَيُستَقبَلون كَأبطال، وأنَّ احتلال بَقِيَّة الأَقاليم سَيتِمُّ بِدون مُقاومة، وَهَذا ما صَرَّحَ بِه الجِنِرال " بورمون" بَعد دُخُوله مَدينة الجزائر قائلا : « **إنَّ كَلَّ أنحاء المملكة الجزائريَّة ستَخضع لنا خلال خمسةَ عشرَ يوماً دون أيَّة طلقة ناريَّة** »، ولهذا قام هذا الأخير رفقة جنوده يوم 24 جويلية 1830م بِجَولَةٍ إلى منطقة البليدة؛ كان الهدفُ مِنها اكتِشافُ المناطق المجاورة، واختبارُ رَدِّ فِعل السُّكَّان خارجَ العاصمةِ، حيث تَظَاهَر السُّكَّانُ باستِقبال الفرنسيِّين استقبالاً حسناً، وفَجأةً عندما كانوا يَستعِدُّون للعَودَة، خَرَج الجزائريُّون مِن الجِبال المشرِفة على المدينة، وانقَضُّوا على مؤخَّرة الجيش، وكان هذا الحدَث مُنطَلَقاً لمقاومَة عنيفَةٍ[3]دامت إلى نهاية القرن.

عِنـدَما احتُلَّـت الجزائـر مِـن قِبَـل الفرنسـيِّين في5جويليـة 1830م، أُرِيـدَ لهـا أن تكـون بوّابـةً للمسيحيَّة في إفريقيا، هَذا هو شِعار الفرنسيِّين في حَفلتهم التي أقامها الجنرال" بورمون" بعد توقيع الدّاي حسين على وثيقة العار، حَيث أسرع قائَدُ الحملة " بورمون" لإقامة الصَّلاة بالقَصَبة،حيثُ شَارك فيها رجال الدِّين، وخَطب فَيهم قائلًا: « **لقد أَعدتُم معنا فتح باب للمسيحيَّة بإفريقيا ونتمنى في القريب، أن نُعيد الحضارة التي انطفأت فيها منذ زمن طويل** »[4] .

---

1- أبوالقاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق، ص 28

2- أبو القاسم سعد الله ،محضرات في تاريخ الجزائر ،مرجع سابق،ص58.

3- عمار عمورة ، مرجع سابق ،ص 116.

4- خديجة البقطاش، الحركة التبشرية الفرنسية في الجزائر 1830م -1871م،المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية ،الجزائر 2009،ص17.

- **موقف الدول الإسلامية من الغزو الفرنسي للجزائر:**

في الحقيقة لقد كان سُقوط مدينة الجزائر قلعةِ الجهاد، ثُمَّ الاحتلال الفرنسي لباقي أقاليمها، نَكبةً كُبرى على العروبة والإسلام[1]، وحَدثاً جَلَلاً كان له عظيم الأثر في التاريخ المغاربي، بل وفي تاريخ العالم الإسلاميِّ قاطبةً، فَلا سَبيل للتَّذكِير هُنا بِما قامت به هذه القَلعةُ طيلة عقود مِن الذَّوْدِ عَن حِمى المسلمين في البحار، فَبَدءًا مِن مُشاركة الجزائريِّين في نَجدة المسلمين في الأندلس، ثُمَّ تحرير تونس من الإسبان سنة 1574م، إلى المشارَكة الفَعَّالة للجَيْشِ الجَزائريِّ في معركة الملوك الثَّلاث في المغرب 1578م، إلى العمل على تَدْعيم رَكائز الدَّولَة العثمانيَّة في ليبيا وطرد المسيحيِّين، وأَخيراً وقوف الجزائريِّين في وَجْهِ الأطماع الفرنسيَّة بالتَّصَدِّي لحملة نابوليون على مصرسنة 1798م.

إنَّ تاريخ الجزائر الحديث حافِلٌ بالمحطَّاتِ التَّضامنيَّة، التي تُخَلِّد بصدق الأعمال البطوليَّة للجزائريِّين في الدِّفاع عن العالم الإسلامي، ومنه يَستوقِفُنا في هذا المقام سؤال مُلِحٌّ وقد احتاجت الجزائر اليوم يد المساعدة، خاصَّة أنَّه وَضَح لنا فيما سَبق مَوقف القِوى الأوروبِّية من الحملة الفرنسيَّة على الجزائر، فَرأَينا أنَّها كانت كُلُّها مُؤَيِّدةً أو عَلى الأقَلِّ غيرَ مُعارِضة لاستقرار الفرنسيِّين في الجزائر، ما عدا بريطانيا التي تَحفَّظَت على موقفها، وهذا لا نراه إلَّا موقفا مَبنِيًّا على نِفاقٍ مَصلَحيٍّ بَينها وبين فرنسا في تنافُسهما على مناطق النُّفوذ.

فما الدَّوْرُ الذي أدَّتْهُ كلٌّ مِن القِوى الإسلاميَّة المجاوِرة في ما آلت إليه الجزائر؟

- **مَوقف الدَّولة العثمانيَّة :**

تَناهَت أَخبارُ احتلال الفرنسيِّين الجزائرَ، إلى الباب العالي في مطلع شهر أوت 1830[2]، وفي هذا العهد كانت الدولة العثمانيّة تحت حكم السُّلطان محمود الثَّاني، إذ كانت الدَّولة في وضع لا

1- أحمد رمزى ، مرجع سابق ، ص 95.

2- آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970، ص39.

تُحسَد عليه[1]، فالحرَكات الانفصاليَّةُ الكثيرةُ، واتِّساعُ رُقعَة الدَّولةِ، وضَعفِ الجَيش، وكَثرةُ الثَّورات والمتآمِرين، على غِرار ثَورةِ شبه جَزيرة مورا، وحَرَكَة محمَّد عَلي في مصر، وحُروبها في البحار ضدَّ الدُّول الأوربية، كلُّها أحداثٌ زادت تَأزُّمَ أُمور الدَّولة[2].

ورغم أنَّ البابَ العالي وجَّه احتِجَاجاً رسميّاً لقائد الحَملة دي بورمون على لسان مصطفى باشا[3]، إلَّا أنَّ الفرنسيِّين الذين كانوا أَعرَفَ الإمبراطوريَّات الأُوروبِّيَّة بضَعف العثمانيِّين، قَد ضَربوا باحتِجاج العثمانيِّين على الحملةِ عرض الحائِط غَير مُبالين بِمَوقِف الرَّجُل المريض .

وَيرى آرجمنت كوران صاحب كتاب السِّياسة العثمانيَّة اتِّجاه الاحتلال الفرنسيِّ للجزائر، أنَّ هذا الموقِفَ الباهِت مَردُّهُ إلى أنَّ الدَّولةَ العثمانيَّة قد رَأَت أَن تَبقَى عَلى حِياد، ظنّاً منها أنَّ الدَّاي حُسين قادرٌ على صَدِّ العُدوان.

وَيبدو أنَّ السُّلطان العثمانيَّ استسلَم للأَمرِ الواقع، وسلَّم بانهزامِيَّةٍ لم يَعرفها السَّلاطين العثمانيُّون مِن قبل. فَفي حوليَّةٍ نَشَرَتْها الدَّولة العثمانيَّة سنة 1847م، لَم يَأتِ على ذِكر ولاية الجزائر[4]، وهذا دليلٌ على تَخلِّي الدَّولَة العثمانِيَّة نِهائيًّا عن مسؤوليّاتِها اتِّجاه الجزائر.

- **مَوقف تونس:**

رغم عَدم وُضوح طبيعة العلاقات الأوروبيَّة الفرنسيَّة في هذه الفترة، إلَّا أنَّ الموقِف الأوروبيَّ كانَ ثَابتاً في دعم وتَأييد الحَملة الفرنسيَّةِ على الجزائر، فَفِرنْسا الحليفةُ والجارَةُ والصَّديقةُ، استَطاعَت أَن تَكسِب مُوافَقَة ومُباركة الكنيسة، ثُمَّ الدُّول الأوروبيَّة، لأنَّ الفرنسيِّين كانُوا قَد أَعطَوْا الحملة صِبغةً دينيَّةً بَعد أن بارك البابا نَواياهم في نَشرِ المسيحيَّة على حساب الإسلام، فَفي الوقت

---

[1]- محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 309.

[2] - يحيى جلال، مرجع سابق، ص61.

[3]- آرجمنت كوران ، مرجع سابق ، ص 111.

[4]- آرجمنت كوران، مرجع سابق، ص114.

الذي كانت فرنسا تُحاول أن تُوحِّد شُعوباً تتَنَافَر لُغَةً وحَضارَةً وأجناساً، كانت تَسعى إلى تَفكيك الأُمَم الإسلاميَّةِ رغم ما لِشُعوبِها مِن مُقوِّمات الوِحدة.

فَموقِف الدول المجاوِرة للجَزائر في مِحنَتها -في الحقيقة- موقف غامضٌ ومثيرٌ للجَدل، ونَعني هنا الموقفَ الرَّسميّ، فَتونس الجارَة الشَّرقيَّةُ التي كانت تَحت حُكم الباي حسن باعتبارها ولاية عثمانيَّةً، والتي كان مِن المفروض دينيّاً وقَوميّاً أَنْ تُقدِّم مساعدات مادِّيَّةً وعَسكريَّةً للجزائريِّين في مِحنَتهم، قَد أَيَّدت الحملة الفرنسيَّة على الجزائر(1).

حَيث يَذكر المهدي البوعبدلي أنَّ سَبَب تَأييد باي تُونس للحَملة مَردُّه إلى العَداءِ الذي كان بَينَه وبَيْن الدَّاي الجزائريّ(2)، ولكنَّ هَذا لا يُبرِّر مُطلَقاً تَخلِّي باي تُونس عَن دَورِه في نُصرة الإسلام والمسلمين، والأَسْوأُ مِن هذا إرسالُ الباي حَسَن التُّونُسي رسالةَ تَهنِئةٍ إلى الملك شارل العاشر بمناسبة استسلام الدَّاي(3)،كَما وقَّع هذا الباي المغرور مع السَّلطات الفرنسيَّة عَقْداً يَنُصُّ على تَولِّي أَحد أَفراد أَسْرَته الحُكمَ في إِقليم وَهران(4). وهذا ما جاء في التَّقرير الذي رَفَعَه الجنرال "boyer " إلى وزِير الحربيَّة عَن المعاهدة التي أَبرَمَها الباي حَسن التُّونُسي مع الجنرال كلوزيل، والمؤرَّخ في 15 جويلية 1831م، إذ وَرَد فيه ما نصه : « **..مِن الأخبار التي أَطلَعَني عليها مَبعوث تونس وهو الذي كُلِّف بإبرام المُعاهدة في الجزائر للتَّخلِّي عن مدينة وهران لباي تونس...**» 5

---

1- ورد في رسالة كتبها حمدان خوجة إلى صديقه محمد باستنبول موقعة بتاريخ 01 نوفمبر 1834م ، "...أن التونسيين وعوض أنّ يساعدونا كانوا اشتروا قسنطينة ووهران.." ينظر نص الرسالة كاملاً : عبد الجليل التميمي ، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، زغوان (تونس) ،1985 ،ص ص 119 123.

2- المهدي البوعبدلي، "**موقف ملك المغرب من الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي** "مجلة الأصالة السنة الخامسة، ع30.29 ،جانفي فيفري 1976،ص ص30.31.

3- نفس المقال ، ص 31.

4- عبد الجليل التميمي،" **مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية**"، ع5 ، تونس، 1976، ص ص 5-6.

5- المهدي البوعبدلي ، مقال سابق ، ص 31.

وعلى ضَوء هذه الاتِّفاقية[1]نَزل الباي خَير الدِّين التُّونُسيّ يوم 04فيفري 1831م في وهران[2]، والأَخطر مِن هذا كلِّه مُساندَةُ باياتُ تونس الفرنسيِّين في الجزائر ضِدَّ المقاومة الوطنيَّة الجزائريَّة، حَيث تُؤكِّد المراسلات التي كَتَبَها القُنصُل الفرنسيّ في تونس ذلك، كما كان باي تونس يُحرِّض القبائل الجزائريَّةَ في الحُدود على الثَّورَة ضِدَّ أَحمد باي في الجزائر[3].

وجُملةُ القَول أنَّ باي تُونس وَقَفَ مَوقِفاً غَيرَ شَريف مِن العُدوان الذي تعرَّضَت لَه الجزائر، غَيرَ أَنَّه مِمَّا تَجدُر الإِشارة إليه أنَّ باي تونس قد أحسن وِفادَة المهاجِرين واللَّاجِئين الجزائريِّين[4]، مِمَّا يَجعَلُنا نَفهَم أَنَّ مَوقِفَه السَّابق كان نَتيجةَ كُرهِه للحُكومة التُّركيَّة في الجزائر، مَع طَمَعه في التَّوسُّع على حِساب الأَقاليم الشَّرقيَّة للجزائر.

- **موقف ليبيــا:**

تَزامَن الغَزوُ الفرنسيُّ للجَزائر وسُقوطَ الأُسْرَةِ القَرمانلية في طَرابلس – ليبيا -[5]، حيث أصبحت ليبيا مَيداناً للتَّناحُر بَين الشَّعب والسُّلطة التُّركيَّة[6]، الأَمر الذي وَضَع ليبيا بعيدةً عن الأحداث الخارجيَّة [7]. إلّا أنَّ هذا لا يَنفي الدَّور الفَعَّال والمشرِق للِّيبيِّين شَعباً وحُكومةً في دَعْم الجزائريِّين، ومِن ومِن بَين الصُّور التَّضامُنيَّة التي سجَّلَها التَّاريخُ، الموقفُ الشُّجَاع الذي وقَفَه الباشا يُوسف القرمانلي

[1] -CHARLES André julien: « histoire de l' Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1830-1871 », éd casbah, Alger, 2005 , p81.

[2] - فارس العيد، **"طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847)"**، مجلة العصور الجديدة، ع 19-20، 2015،ص ص 335. 336. 337.

[3] - نفسه المقال ،ص 336.

[4] - فارس العيد، مقال سابق، ص ص 337.

[5] - يحيى جلال، مرجع سابق، ص58

[6] - محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 124.

[7] - محمود علي عامر، محمد خير فارس ، تاريخ المغرب العربي الحديث « المغرب الأقصى ليبيا »، مديرية المكتبة الجامعية، جامعة دمشق، (د.ت)، ص ص 337-240.

مِن الحَملة، حيث وجَّه رسالةً - حَسَب جوليان- إلى الدّاي حَسن يَعِدُه فيها أنَّه سَوف يتعرَّض إلى جَيش محمَّد علي المصري إذا حاوَلَ هذا الأخيرُ مُسانَدة الفِرنسيِّين،كما يَذكُر جوليان أنَّ خَبَر سُقوط العاصمة كان له أثَرٌ عَميقٌ عَلى اللِّيبيِّين[1]،كما سجَّلَت المصادر أيضاً بعضَ مَظاهر التَّضامُن بَين الأوسَاط المثَقَّفَة آنذاك،كَوُقوف حسونة الدّغيس[(2)] إلى جانِب عثمان بن حمدان خوجة المحتَجّ عَلى السِّياسَة الفِرنسيَّة سَنة 1833م في باريس[(3)]، كَما استطاع علي رِضا ابن هذا الأَخير أَنْ يُعزِّز هذه الرَّوابِط بَعد أَن أَصبَح يَشغَل مَنصِب دَفتردار في الحُكُومة الطَّرابلسيَّة ما بين (1848م-1853م).

- **مَوقِف مصر:**

أَصبَح محمَّد علي الثَّائِر في مصر ضِدَّ الدَّولة العُثمانيَّة يحظى بتَأْييد فرنسا، وهكذا كانت سياستُه خُطوةً مَدروسة مِن قِبَل أَعداء الإسلام لتَهيِئَة المنطقة العثمانيَّة بِأكمَلها لمرحلة استعماريَّة [(4)].

وإنَّه هُنا مِن العَبَث أَن نَعرِف مَوقفَه مِن الغَزو الفرنسيِّ للجَزائر، خاصَّةً ونحن نَعلَم سابقاً العَرضَ الذي قَدَّمه للفرنسيِّين بَعد أَزمَة الدُّيون ثُمَّ الحِصار، والمعروف بمَشْروع محمَّد علي وبولينياك[(5)]. والذي

---

[1] -CHARLES André julien,op.cit, p59.

[2]- هو تاجر وأرستقراطي ليبي ، كان له دور فعال في دعم القضية الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، ينسب له النص الفرنسي لكتاب المرآة للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ، زغوان ، 1985، ص ص 81 91.

[3] -A . TIMIMI : « L’activité de Hamada Khoudja à Paris et a Istanbul pour la question Algérienne » , in R.H.M. , N° 7-8, 1977 ,P234-243

[4]- محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 310.

[5]-للمزيد حول موضوع مشروع محمد علي لاحتلال الجزائر .ينظر:

G .Douni , « Mohamed Aly et l’expédition D’Alger 1829-1830 » imp. IFAOC.

يتضمَّن تَدعِيم فرنسا للرَّئيس المصري محمَّد علي لِغزو الجزائر[1]، إلَّا أنَّ المِشروع فَشِل بِسَبب مُعارضَة الإعلام الفرنسي.

ويَبدو أنَّ مَوقف محمَّد علي حَليف الفرنسيِّين كان مُؤيِّدا للحَملَة، وذلك حفاظاً منه على مصالحه الشخصية، للبقاء في الحكم [2].

[1]- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، مرجع سابق ، ص 113.

[2]- أحمد محمد عاشوراكس ، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الاستيطاني 1500-1962 ، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا ،ط1، 2009، ص 123.

## المبحث الثَّاني : أَوضاع المغرب عَشِيَّة الاحتِلال الفرنسيِّ للجزائر:

ابتداءً مِن مُنتَصف القَرن السَّابع عشر، أَصبَح المغربُ الأَقصى تَحتَ حُكم الدَّولة العَلَويَّة خَلفاً لِدَولة السَّعديِّين التي انهارت سنة 1640م ، وتَنتَسِب هذه الدَّولة إلى عائلة الأشراف العَلَويِّين التي يَنتهي نَسَبُها إلى الحسن بن علي بن أبي طالب[1]، هذه العائلة التي وَفَدت إلى المغرب مِن يَنبُعْ بالحجاز[2]مِن شبه الجزيرة العربية[3]، والتي استَقَرَّت[4]مُنذ القرن الرَّابع عشر الميلادي في إقليم تافيلالت[5] بسِجلماسة[6]، لِذلك كانت هذه العائِلةُ تُعرَف أَيضاً بالفِلالِية، ورغم أنَّ تاريخ الأَشْراف العَلَويِّين في بِدايَته يُشبِه إلى حدٍّ كَبير تَاريخ الأَشْراف السَّعديِّين ذَوي الأَصْل الحِجَازيِّ ؛إلّا أنّهُما يَختَلفان في أُمورٍ كثيرة، فالسَّعديُّون اعتَمَدوا في إِقَامة دَولَتِهم على دَعم الزَّعَامات الصُّوفيَّة، أمَّا الأَشرافُ العَلويُّون فَبَرزُوا كَقُوَّةٍ بَدأَت نِضالَها ضِدَّ هذه القوى الصُّوفيَّة[7]، حَيث يتجَلَّى هذا في أَوَّل

---

1- أبو القاسم الزياني ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب ،تح رشيد الزاوية ،منشورات وزارة الأوقاف ، الرباط ،ط1 ،2008 ،ص 77.

2- محمد الطيب القادري ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح محمد حاجي وأحمد توفيق ،ج1 ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط ،( دط) ، 1977، ص 31.

3- عبد الكريم غلاب ، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي،ج3، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، ط1 ، 2005، ص 5.

4- أما عن قصة استقرار جد هذه العائلة المسمى بالحسن فقد ذكر اليفريني أنه كان بطلب من الحجاج الذين وردوا إلى الحجاز قادمين من سجلماسة التي خلت من الأشراف خلال القرن السابع الهجري، فلما كان الاعتقاد ببركة الشرفاء من تقاليد الحواضر المغربية منذ نزول الأدارسة، فقد رغب أهل سجلماسة في استقدام بعض الأشراف تيمنا بمعايشتهم، فاتصلوا في ينبع ميناء صغير على البحر الأحمر بالقاسم والد الحسن الذي وافق على إرسال هذا الأخير للاستقرار بسجلماسة. ينظر: إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص18.

5- يحي جلال ، مرجع سابق ، ص 66.

6- مدينة قديمة تقع إلى الجنوب الشرقي من مدينة فاس أسسها بنو مدرار في القرن الثاني للهجرة ،ثم أصبحت عاصمة لإقليم تافيلالت .ينظر :شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية القاهرة، ط1، 1977،ص 209.

7- محمود علي عامر محمد خير فارس ،تاريخ المغرب العربي الحديث المغرب الأقصى ليبية ،الجمعية التعاونية للطباعة ،دمشق،(د ت ) ، (د ط) ،ص 77.

صِدامٍ مَع أَبي حَسون السَمْلالي[1] في الجَنوب، ثُمَّ مَع أبي بكر بن محمد الدِّلائي[2] في الشَّمال، وقد تُوِّج هذا الصِّدام بمُبايَعة محمَّد بن الشَّريف العَلَوي حاكِماً على سجلماسة سنة 1631م[3]، ثُمَّ تَولَّى أَخوه الرَّشيد بَعد أن استَولى على الحُكمِ سنة 1665م مهمَّةَ تَوسيع الدَّولة[4]، حَيث فَتَح فاس[5] واتَّخَذَها عاصمةً لَه. وبَعد الرَّشيد[6] تَولَّى المولى إسماعيل العَرش بعد أن كان نائباً لأخيه على مكناسة[7]، وكان ذلك سنة 1672م، حيث استطاع هذا الأخير تَأسيسَ دَولةٍ قَويَّة، عَرَفَت البلادُ في عَهدِه أزهى عُصورِها، كَما شَهِد المغربُ استِقراراً سياسيّاً طِيلة فَترة حُكمِه التي انتَهَت بِوفَاتِه سَنة 1727م[8].

دَخَل المغربُ بَعد وفاة المولى إسماعيل في حالة من التَّوتُّر والصِّراع على السُّلطة امْتَدَّ مِن سَنة 1727م حتَّى سنة 1757م، واشتَمَلَت هذه الحِقبةُ عَلى حُكمِ سِتَّة سَلاطين، ولَم يَخرج المغربُ مِن هذه الفَوضى إلّا بِاعتِلاء المولى محمَّد بن عبد الله الحُكمَ سنة 1792م[9].

---

[1]- هو أبو حسون السملالي الذي استولى على بلاد السوس سنة 1613م، ثم مد نفوذه على سجلماسة سنة 1631م وقبض على الشريف بن علي ونقله إلى السوس ووضعه في إحدى قلاعه -ينظر: عبد الوهاب بن منصور ، قبائل المغرب، دار أبي الرقراق ، الدار البيضاء، ط2 ،ص137.

[2]- هو أبو بكر بن محمد بن سعيد بن أحمد الصنهاجي الفحاطي مؤسس الزاوية الدلائية في أوائل العصر السعدي ،وهو ليس من أهل الدلاء وإنما سكن بينهم بجبال تادلة وأسس زاوية وجعلها مركزا للعبادة ولدراسة العلوم ينظر :محمد حاجي، الزاوية ، الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي،الرباط،1964ص ص.44.42.

[3]- يحي جلال ،مرجع سابق ، ص 66 .

[4]- عبد الكريم غلاب ،مرجع سابق ، ص 7.

[5]- إبراهيم حركات ،مرجع سابق ، ص 21.

[6]-جاء في الضعيف أن سبب وفاة المولى الرشيد ؛ أنه خرج متنزهاً على فرسه في يوم العيد ، فضرب رأسه بشجرة وكان في ذلك أجله سنة 1672م .ينظر : محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)،تح و تع أحمد العامري ، دار المأثورات ،الرباط ، ط1 ،1986، ص 57.

[7]- إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 32.

[8]- عبد الكريم غلاب ، مرجع سابق ، ص ص15 19.

[9]- يحي جلال ،مرجع سابق ، ص 71 .

رَجع الاستقرارُ إلى الدَّولة بَعد تَولِّي المولى محمَّد بن عبد الله الحكمَ، هذا السُّلطان الذي تَصِفه المصادرُ المغربيَّة بالحَزْم والوَرَع والعِلْم والأَدب والسِّياسة [1]، حَيثُ شَهِدت البلاد في عهده ازدهاراً في في جميع المجالات السياسية ،والاقتصادية، والحربية،كما عزَّزَ علاقات المغرب مع القِوَى المجاوِرة[2].

عادَ المغربُ إلى عهد الاضطرابات الدَّاخليَّةِ والتَّنافُس عَلَى العَرش بَعد وَفَاة المولى محمَّد بن عبد الله، وكَان هذا أمراً منتظَراً في تَاريخ المغرب الأقصى، حَيث تَميَّزت الفَترةُ الممتدَّة مِن 1790م إلى 1822م بِالفَوضى والفِتَن التي كادت تَعصِف بالدَّولة، فَبَدأَت هذه الفَترةُ بوِلاية يَزيد الذي قَضَى فَترَةَ حُكمِه (1790-1792) م، في إخمْاد الثَّوَرات التي ثَارت ضِدَّه، ثُمَّ تَولَّى بَعد يَزيد المولى سُليمان بن محمَّد بن عبد الله العرش[3]، ورَغم أنَّ فَتْرَة حُكمِه كانت طويلة (اثنان وثلاثون سنة)، إلَّا أنَّها هي الأُخرى امتَلأَت كسابِقَتِها بالفِتَن والثَّوَرات[4]، ورغم أنَّ المولى سُليمان عاصَر الثَّورَة الفِرنسيَّة، إلّا أنَّ المغرِب لم يَستَفِد مِنها، شأنُه شَأنُ العالَم الإسلامي الذي ضَيَّعَ فُرصَة مُواكَبَة التَّطوُّر الذي عَرفَه الغَرب المسيحيُّ، وزِيادةً عَلى هذا الضَّعف اضطرَّ إلى تَحاشِي الصِّدام مَع الغَرب، حيث عَمَد إلى بَيعِ أُسطُولِه البَحريِّ[5].

بَعد وَفاة المولى سُليمان تَلقَّى المولى عَبد الرَّحمن[6]البَيعة في أوائِل شهر ديسمبر من سنة 1822م، الموافق للتّاسع عشر ربيع الثاني 1238 هـ[1]، هذا الأَخير الذي سوف يَكون لَه دورٌ كبيرٌ في

[1]- الضعيف ، مصدر سابق ، ص 164.

[2]- أهم تلك المعاهدات: معاهدة مع بروسيا وهومبرغ سنة 1782م واتفاقية مع النمسا 1784م ومعاهدة مع السويد سنة 1763م ومعاهدة مع الدنمارك سنة1767م ومعاهدة سنة 1773م مع البرتغال ومعاهدة 1787مع الولايات المتحدة - ينظر:عبد الهادي التازي ، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، ج9، عهد العلويين 1، الدار البيضاء، 1989، ص ص 211 287.

[3]- عبد الكريم غلاب ، مرجع سابق ، ص 33.

[4]- محمود علي عامر محمد خير فارس ،مرجع سابق ، ص ص 123 125.

[5]- يحي جلال ، مرجع سابق ، ص 76.

[6]- هو أبو زيد عبد الرحمن بن هشام ولد بفاس سنة 1789م الموافق ل 1204هـ كان له اعتناء بالمعلم وذويه منذ كان صغيراً

رَسمِ مَلامِح العَلاقات بين الدَّولتَين. فَما الأَوضاعُ العامَّة التي عاشَها المغربُ الأقصى في النِّصف الأَوَّل مِن القرن.

## أولاً / الأوضاع السياسية :

وَرِثَ المولى عبد الرَّحمن تَرِكَةً مُثقَلَة بالاضطِرابات، والفِتَن، والثَّوَرات القَبَلِيَّة، والتَّمرُّدات التي قادَها أبناءُ السُّلطان سُليمان[2]، وقد نال المولاى عبد الرَّحمن حَظوَة عمه الذي فَضَّله على سائر أولاده، واختاره ليَكون وريثَه على العرش[3]، فَبَدَأ السُّلطان الجديد بإخماد الثَّوَرات، ومِن أَشْهر القَلاقِل والفِتن ثَورةُ الأَخماس في الشَّمال بِزعامة زيدان، والتي دامت حتى سنة 1825م. وثورة الشّراردة سنة 1828م التي قادها شيخ الزّاوية الشّراديَّة المهدي بن محمد الشّرادي، ثُمَّ ثَورة الأودايا والتي تَزعَّمَها الطَّاهر بن مسعود المغافري، إضافة إلى أَحداث زعير في سنة 1831م، والتي كان مِن أَسبابها امتِناعُ قَبيلَة زعير في عهد المولى سليمان عن دَفْع الجِباية حيثُ حاولوا الفتك بالمحلَّة المخزَنيَّة. كما حَدثَ أَيضاً تمرُّد الأطلس المتوسِّط، ومنها آيت يمور، وقبيلة جروان، وَشَهِدَت أَيضاً مَنطقَة الجنوب ثَوَرات كان أَغلبُها ضِدَّ السِّياسة الجبائيَّة، فَقامت ثَورة قبائل آيت عطا، ثُمَّ ثَورة آيت يافلمان بقيادة إبراهيم يسمور اليزدكي[4].

---

بويع له بفاس بعهد من عمه السلطان سليمان في 11ديسمبر 1822م وتوفي بمكناسة يوم الاثنين 28 أوت 1859.ينظر: عبد الرحمان بن زيدان ، الدرر الفاخرة لمآ ثر الملوك العلويين بفارس الزاهر، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937، ص 78 .

[1]- عبد الرحمن بن زيدان ، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس،ج5، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008 ، ص 21.

[2]-نجيب زبيب ،الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس ، تق أحمد بن سودة ،ج4 ،دار الأمير الثقافية والعلوم، بيروت ،ط1 ،1995 ،ص 157.

[3]- أحمد بن خالد الناصري ، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج3 ، دار الكتب العلمية ،بيروت، ط1 ،2007، ص 270 .

[4]- إبراهيم حركات، مرجع سابق، ص ص 175- 183 .

## ثانياً / الأَوضاع الاقتصاديَّة :

- **الزِّراعَة:**

لا شكَّ أنَّ المغرِب في القَرنِ التَّاسع عشر شَأنُه شَأنُ باقي الدُّوَل العربيَّة والإسلاميَّة، لم يتمكَّن مِن مُواكَبَة حَرَكَة التَّقدُّم التي ظَهرت في أوربا[1]، حِينئذٍ كان المغربُ يُعاني مِن الرُّكود والاستقرار في وسائله الاقتصاديَّة[2]، ويَرتَبِطُ الوضعُ الاقتصاديُّ للمَغربِ بالأرضِ والبَحرِ، فاستَغلَّ المغرِبيُّ الأرضَ في الزِّراعَةِ والرَّعي ،وهي حقيقةٌ عبَّر عَنها المولى الحسن الأوَّل بِقوله : « **... إنَّ أُمورَ أَهلِها (البلاد) وحُصول مَعاشِهم ودَوامِ نَفعِهم وعِمارَتِهم إنَّما هو بالحَرْث واكتِساب الماشِية ولا حِرْفة مُضاهيَةَ لهما... »**[3].

اِهتم المغاربةُ بِزراعَة الحُبوب وفي مُقدِّمَتِها القَمحُ والشَّعيرُ، ورغم بَساطَة الوَسائِل إلّا أنَّ الإنتاجَ كَان وَفيراً، وهذا ما نَستَجْليه مِن الملاحظات التي سَجَّلَها الرَّحَّالة الأوروبِّيُّون الذين زاروا المغرب في هذه الفترة، ومِنهم جيمس كورتس الإنجليزي الذي زار المغرب سنة 1801م، حيث قال:« **..إنَّ كَلَّ نَاحية تدلُّ على مُستوى زراعيٍّ كَبير... »**. كما سجل ذلك أيضاً الضَّابِط الفرنسيّ بورل الذي طاف بَأرياف المغرب سنة 1808م، حيث يقول:« **..إنَّ المطامير تُخزِّن حاليا ما يكفي لتغطية حاجيات مجموع السُّكان .. »**[4].

---

1-مصطفى الشابي:" **الأثمنة والأجور في مغرب القرن التاسع عشر مقاربة تاريخية**"، سلسلة بحوث ودراسات تحت موضوع: وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب ، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص105.

2- إبراهيم حركات ، مرجع سابق ، ص 495.

3- محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعة بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992، ص 29.

4- محمد الأمين البزاز ، مرجع سابق، ص 100.

كما اهتمَّ المغاربةُ أيضاً بِتَربِيَةِ الماشية ولاسيَّما في الجنوب، حيث شَكَّلَ الرَّعيُ النَّشاطَ الرَّئيسيَّ لِسُكَّان البادية، وحسب تَقدير المراجع فإنَّ المِغرِبَ اشتَمَل عَلَى ثَروةٍ حَيوانِيَّة لا بأسَ بها مِن الماعز، والأغنام، والأبقار، والخيول، والمواشي، والجِمال، التي شَكَّلَت ثَروةً رئيسيَّةً لِعَدَد كبيرٍ مِن السُّكان[1].

إلَّا أنَّ المِغاربة ظَلُّوا يَخدُمونَ الأَرضَ، ويَصرِفُون المياه بوسائلَ عَتيقَةٍ وبسيطة، ولهذا فلا غَرابَة أنْ يَتَّسِم اقتصادُ بَلَدٍ تَقليديٍّ كالمِغرب بالفَاقَة والتَّدهوُر، ومِن الواضح أَيضا أنَّه إلى غاية 1830م، تاريخ استيلاء الفرنسيِّين عَلى الجزائر، لم يَحدُث أيُّ تَحوُّل وتَطوُّر يذكر في هذه الوسائل وأساليب خدمة الأرض[2].

- **التِّجارة :**

شَهدَ المغربُ تَحوُّلاً عَميقاً في علاقَاتِه التِّجاريَّة عَشيَّة استِيلاء الفرنسيِّين عَلى الجزائر، حيث مَثَّل هذا فَصْلاً خِتامِيّاً لمرحلة تجاريَّة مُزدهِرة[3]، أَيْنَ كَان للمغربِ علاقاتٌ تِجاريَّةٌ تَقليديَّةٌ مَع المشرقِ العَربيِّ، ومَع بِلاد السُّودان الغَربيِّ ومع الصَّحراء والجزائر[4]، وكانت القَوافِل تَأتي إليه وتَتَمركَز ب مَرَّاكش في الجنوب وبفاس في الوسط، وهما عاصِمتا المغرب تجاريًّا واقتصادياً[5]، لِتَبدأ فصولٌ أُخرى من العلاقات المغربيَّة الأوروبيَّة لِغير صالح المغرب[6]، حيث اقتَصَرَت عَلاقةُ المِغرب مَع أُوربا على استيراد الثِّيَاب الرَّفيعَة، والحَرير، والمنسوجات، من بريطانيا وهولندا، والتِّبغ، والقطن من البرازيل، والكبريت، والمعادن، من إسبانيا وفرنسا. أمَّا صَادِراتُ المغرب فكان أغلبُها جُلودًا وأَصْوافًا وعِنبًا

[1]- نفس المرجع ، ص 32.

[2]- مصطفى الشابي، مقال سابق ، ص105.

[3]- عمر أفا ، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات و التحولات 1830-1912، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ،2006 ، ص 79.

[4]- يحي جلال ، مرجع سابق ،ص 356.

[5]- نفس المرجع ،ص 356.

[6]-عمر أفا ، مرجع سابق ، ص 79.

وصَفائِحَ النحاس والصّمغ[1]، وما تَجدُر الإشارة إليه أنَّ المغربَ لَمَ يَكن يُصَدِّر الحبوبَ والماشية، لأنَّ ذلك كان مَمنوعاً إلّا في الظروف الخاصّة[2]، حيث ظلَّ المغرب يَعتَمِد أَساسًا على الإنتاج الزِّراعي والحَيَوانيِّ فالتَّبادُل التِّجاريِّ بَينَه وبَيْن أُوربا كان غير مُتَوازِن، حيث قَامَ هذا التَّبادُل عَلى تَصدِير بَضائِع تقليديَّةٍ مُقابِل استيراد بَضائِع مُجتمع صِناعيٍّ[3].

- **الجِهاد البَحريُّ:**

ارتَبَط اقتصاد المغرب ولفترة طويلة مِن التَّاريخ الحديث بالبَحْر ،فاتِّساع سَواحله، وقُوَّة أُسطُوله شَكَّلَت سَنَداً قَوياًّ لِتجارة المغرب الخارجيَّة في تلك الحِقبة، إلَّا أنَّه ومَع مَطلع القرن التَّاسع عشر ازداد الضَّغطُ الأُوربيُّ حَول مَوضوع الجهاد البَحريِّ الذي أَطلَقَ الأُوروبِّيُّون عليه تَسمِيَةَ "القرصنة"، كُلُّ هَذه الدَّوافِع سَاهَمَت إلى حَدٍّ بَعيد في تَراجع سِياسة المغرب في البحر، وهذا ما دَفَع السُّلطان سُليمان إلى تَفكِيك الأُسطول البَحريِّ المغربِيِّ[4]، وإذا كان المغرب قد استطاع تَفادِيَ عَواقب هذا التَّكالب الأوروبيّ عليه، فَقَد كان مِن نَتائجِه تَراجُع مَداخِيل الدَّولة، الأَمرُ الذي أَدَّى بالمغرب إلى الانغلاقِ على نفسه.

1- الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب السعدي والعلوي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،ط2، 1989 ،ص 370.

2- يحيى جلال، مرجع السابق،ص347.

3- بلقاسم الحنايشي ، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ،منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية ،زغوان ( تونس )، 1989 ،ص57.

4 - بهيجة سيمو، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844- 1912 ،منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري بالمغرب ، الرباط ،2000 ،ص 15.

وعلـى النَّقـيض مِـن ذلـك، فَقَـد دَشَّـنَ السُّـلطان عبـد الـرَّحمن وِلايَتـه بإعـادة تشـكيل الأسطول[1]، لكنَّ هذا المشروع فَشِل في أَوَّل مُحاولة، إذ جَلب إلى المغرب الكَثيرَ من المتاعِب[2]مع القِوى الأُوروبِّيَّة، وهَكذا فَشِلَت معه مُحاولة السُّلطان عَبد الرَّحمن في إعادة الاعتبار للأسطول.

## ثالثاً / الأوضاع الاجتماعيَّة :

إنَّ الحَديثَ عَن الوضعيَّة الاجتماعيَّة بِالمغرب في النِّصفِ الأَوَّل مِن القَرنِ التَّاسع عشر، وأَمَام نُـدرَة المصـادِر وقِلَّـة الكِتابـات التَّاريخيَّـة الـتي اعتَنَـت بالجَوانـب الاجتماعيَّـة، يُصبِح صَعباً ومُعقـداً، فَالكِتابات التَّاريخيَّة لا تهتم اهتماماً مُباشراً بِالجوانب الاجتماعيَّة إلّا نَادراً، لكنَّ القِراءة المتَأنِّيةَ لِبعض المصـادِر كتَـاريخ الضَّـعيف[3]، وتَعزيـز هـذه القِـراءة بِمـا تَحتويـه كُتُـب الرَّحَّالـة الأوروبِّيِّين،كمُـذكِّرات أَسكوت[4]، سَاعدنا عَلى إلقاء نَظرة عامَّةٍ عَلى هذا الجانب المهمِّ مِن تَاريخ المغرب في أوائل القرن التَّاسع عشر.

كـان المجتمع المغربيُّ يَنقسِم إلى سُكَّان المدُن والبَوادي، وحسب تقـدير المؤَرِّخ ألـبر عياش، فإنَّ عَدد سُكان المغرب في هـذه الفـترة بَلغَ أربع مليون نسـمة[5]، ولا بُدَّ من التَّأكِيد هنا أنَّ تَاريخ المجتمع المغربي خِلال هـذه الفَترة ما كان إلَّا استمراراً وانعكاساً للأوضاع السِّياسيَّة التي تكلَّمنا عنها سـابقاً، فـالثَّوَرَات الكَثِيرَةُ الـتي قادهـا سُـكَّان البَـوادي ضِـدَّ السُّـلطة لهـي أَصـدَق صـورةٍ عَـن الحيـاة الاجتماعيَّة البائِسة، التي كان يَعيشُها السُّكَّان جَرَّاءَ الضَّرائِب والجِباية المرهِقَة .

1- الناصري ،مصدر سابق ،ص 284.

2- يحيى جلال، مرجع السابق،ص347.

3- هو محمد بن عبد السلام الضعيف ولد بالرباط سنة 1165 هـ الموافق ل 1752م ، مؤرخ مغربي له مؤلف مشهور باسمه تاريخ الضعيف .ينظر : محمد بوجندار ، الاغتباط بتراجم أعلام الرباط ، تح عبد الكريم كريم ،الرباط ،1987 ،ص 143.

4- ينظر بالخصوص الفصل الأول والثاني والثالث والرابع من مذكرات الكولونيل أسكوت.

5- ألبير عياش ، المغرب والاستعمار حصيلة السيطرة الفرنسية ،تر: عبد القادر الشاوي ،تح: إدريس بن سعيد، دار الخط الطباعة والنشر، ط1،1985،ص 38 .

كَما زَادَ هـذه الظُّروفَ الصَّعبة الجَوائحُ والكَوارِث، عَهدئذٍ كـان المغـرب يَشـهَد بـين الفَينَـة والأُخـرى مَجاعـات بِسبب الجَفـاف الطَّويـل، واجْتِيـاح الجَـراد، وانتشـار الأمـراض والأوبئـة، الـتي كانـت تَحصُد الكَثيرَ مِـن الأَرواح، وكَانـت هـذه الأَوضَـاعُ تَـنعكس سَلباً على البـوادي والحواضِـر، وقَـد عَـرف النِّصـف الأوَّل مِـن القَـرن التَّاسـع عشـر حـالاتٍ مِـن هـذا الـذي ذكرنـا، وبِالخُصـوص مـا بَـين عـامَيْ (1817م 1818م)، وبَـين عَـامَيْ ( 1818م-1820م). حيـث اجتـاح وبـاءُ الطَّـاعون الـبلادَ، وفي عـام (1825م-1828م) كانت مَجاعَةٌ شَديدةٌ، وفي عَام (1834م-1835م) عَرَف المغرب وباءَ الكوليرا[1].

---

[1]- مصطفى الشابي، مقال سابق ،ص 107.

## المبحث الثَّالث : مَوقف المغرب من الاحتلال الفرنسيِّ للجزائر:

إذا كان بعضُ المؤرِّخين سواء مِنهم المعاصِرون للأَحداث، أو غيرُهم مِن الذين كَتَبوا في موضوع مَوقف العالم الإسلاميّ والعربيّ مِن الغزو الفرنسيّ للجزائر، يجمعون في الرَّأي حَول، تَقصير الدَّولة العثمانيَّة في الدِّفاع عن الجزائر[1]، وكَذا مَوقِف بَايات تُونس الجَارة الشَّرقيَّة المثير للجَدَل، فإنَّهم يَختلِفون حَول مَوقِف المغرب أَشَدَّ اختلاف[2]، فَمِنهُم مَن يَرى أنَّ المغرِب قَدَّم ما أَوْجَبَه الشَّرعُ والعُرف ،وفي المقابِل يَرى أَصحاب الطَّرح الثَّاني أنَّ المغرِب لَم يَلعب الدَّور الذي كان مِن المفروض أَن يَلعبَه في الذَّوْد عَن حِمى المسلمين، ذلك أنَّ خُصومَ مُتناوِلي هذه الأحداث يُبالِغُون أَحياناً في تَحميل المسؤوليَّة لِطَرَف دُون آخر. [3]

ونَحن هنا ليس هدفُنا المقارَنَة بَين الفَريقَين، بَل غايتُنا الأُولى تقريبُ وُجُهَات النَّظَر، والتَّخفِيفُ مِن حِدَّة تَمايُز الكِتابَات التَّاريخيَّة التي لا نُغفِل أَبداً التَّدقِيق في شَأنِها، ولِتَتَبُّع تَطَوُّرات أَحداثِ الاحتِلال الذي تَعرَّضَت لَه الجزائر، وَتداعياتِه عَلى المغرب شَعباً وحُكومَةً،كَان لِزاماً عَلينا أن نُعالج الموقِف مِن زاوِيَتَين ،الأُولى نُعالج فيها مَوقِفَ السُّلطان مُمَثِّلاً للمَوقف الرَّسمي، أمَّا الثَّانية فنَتَتَبَّع مِن خلالها مَوقف الشَّعب المغربي عوامّاً وعُلماء .

---

[1]- محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان حسن الأول 1873-1894، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1989 ،ص25.

[2]- عز الدين بن سيفي ، «**موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر**» ،مجلة عصور جديدة، العدد 25/24 ، 2016 ص ص 181 182.

[3]- محمد العربي معريش، مرجع سابق ، ص 25.

أولاً / **الموقف الرّسمي:**

كان احتلال مَدينة الجزائر مِن طَرَف الفرنسيِّين عام 1830م أبرزَ حَدَثٍ هَزَّ العالَمَ الإسلاميَّ عامَّةً، والمغرب العربيَّ خاصَّةً، لِما له مِن أَهمِّيةٍ في تَغيير مجرى تَاريخ المنطقَة كُلِّها[1]، ورَغْمَ سُرعَة استِسلام قَلعَة الجِهاد، إلّا أنَّ خَبر سُقوطِها كَان أَسرَع، فانتَشر خَبَرُ الكارِثة في مَشارِق الأَرضِ ومَغاربِها انتِشارَ النَّارِ في الهَشيم، خاصَّةً وقد كانت أَخبارُ الحِصار الذي ضَرَبه الفرنسيُّون عَلى المدينة حديثَ العامَّة والخاصَّة آنذاك[2].

حيث تُشير إحدى الرَّسائل [3] التي بَعثَها السُّلطان عبد الرَّحمن إلى عامله على تيطوان [4]، القائدِ الحاج محمّد أشعاع والمؤَرَّخَة بتاريخ 26 مارس 1830م، أنَّ السُّلطان كان قد أُعْلِمَ بِمَشروع الغَزوِ الفِرنسيِّ للجَزائر عَن طريق قُنصُل فِرنسا في طنجة دولابورت[5].

ولما كان المغربُ أَقرَب الأَقطارِ الإسلاميَّةِ للجَزائر في ناحية الغَرب، فَقَد كان أَوَّل البلدان التي وصَلَها خبرُ الفاجِعة، وتَختَلِف الرِّواية حَول طريقة بُلوغ الخَبَر عَن سُقوط عاصِمة الجزائر إلى مَسامِع السُّلطان المغربيِّ، إلّا أنَّ الرِّوايَة الأَصحَّ هِي التي جاء بها التازي، والذي يَذكر أنَّ خَبر الحَملة، وسُقوط

---

[1] - ، محمد العربي معريش، مرجع سابق ،ص 25.

[2] - إسماعيل حامت، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، تق علي تابليت، تر زكي مبارك – محمد لخواجة، منشورات ثالة، الجزائر، 2011، ص 28.

[3] - للاطلاع على نص الرسالة ينظر : خليفة إبراهيم حماش ، وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب ( المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية بالرباط ) ،منشورات كلية الآداب والحضارة الإسلامية ،جامعة الأمير عبد القادر ،قسنطينة ، 2016 ،ص 49.

[4] - تعني تيطوان بلغة الأمزيغ العين الجارية جاء اسمها عند الوزان "بتيطاوين" ،تقع هذه المدينة على ضفة نهر قوس الذي ينحدر من الأطلس الكبير ، فتحها المسلمون عندما أخذت سبتة من القوط، ومنذ فترة من التاريخ هاجم البرتغاليون المدينة وخربوها وبقيت مهجورة قرابة الثمانين سنة ثم جدد بناءها القائد الأندلسي عبد الله بن الأصمك الذي جاء مع ملك غرناطة عندما سقطت هذه المدينة في يد فيرناندو ملك اسبانيا و أصبحت المدينة ذات أهمية منذ عهد السعيدين ثم العلويين من بعدهم –ينظر: الحسن بن محمد الوزان ،وصف إفريقيا ، ترج :محمد حاجي .محمد الأخضر ، ج 1، ط2 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ، 1983، ص318.

[5] - إبراهيم حركات، مرجع سابق ، ص 187.

العاصمة الجزائر، انتهى إلى المِغرب يوم 13 جويلية على السّاعة الرّابعة مساءً[1]، وهذا عَن طريق ابن عليل قُنصُل المغرب لجَبَل طارِق الذي اتَّصل بِعامل تيطوان السَّابِق الذِّكر، والذي رَفع بِدَورِهِ وعلى جَناح السُّرعَة تَقريراً مُفصَّلاً إلى السُّلطان الذي كان يُراقِبُ الوضعَ مُنذُ أَيَّام الحِصار، وهذا ما تُؤَكِّده المراسلة الثَّانية[2]التي بَعثَها السُّلطان إلى عامِله بِتطوان، والمؤرَّخَة بِتاريخ 30جويلية 1830 م : «**...وبعد وُصولنا كتابَك صُحبة ابن عليل، في شأن الواقعة التي ساءت الإسلام والمسلمين، وأَدْمَت عيون أهل التَّقوى والدّين مِن استيلاء عَدُوِّ الله الفرنصيص على ثغر الجزائر .... »**[3].

ومِمَّا تَجدُر الإشارة إليه هُنا، أنَّ الرِّسالة تَضَمَّنَت بَعض المعطَيات الهامَّة التي كان السُّلطان يَعْلَمُهَا عَن الحملة وما تَرتَّب عَنها مِن نَتائج؛ فَقد بَلغَه أنَّ الفرنسيِّين استَولَوا على بيت المال، كما كان مُطَّلِعاً على مُعاهَدة التَّسليم وشُروطها، عَلاوة على عِلمِه بِتهاون الدَّاي واستسلامه: «**... واحتوائه على ما وجد فيه من الأموال والذَّخائر بَعد ما شرط عليهم رئيسها ما شرط، ورضاه بالدَّنيَّة التي ما مِثلُها سَلف ولا فرط ..»** [4]**.** كَما تَضمَّنَت الرِّسالةُ أَيضاً عِباراتِ الأَسَفِ والاستِياء الشَّدِيد مِن خَبَر استيلاء الفرنسيِّين عَلى الجزائر، وهَذا ما تَبيَّن لنا مِن قَوله:« **...وإنَّا لله وإنَّا إليه راجعون، اللَّهم أجر المسلمين في هذه المصيبة العظمى، واجعَل رَدَّ هَذا الثَّغرِ لهم قَضاءً سابقاً وحُكماً، وامض العدو الكافر بريقه ،وعَجِّل بِهلاك فريقه، واجبُر صَدعَ الإسلام بِجَاه النَّبِيِّ عليه السلام ...»** [5]، وخَتَم السُّلطان الرِّسَالةَ

---

[1] - التازي ، مرجع سابق ، ج 10، ص09.

[2] - للاطلاع على النص الكامل للرسالة ينظر : الملحق رقم 06.- إبراهيم خليفة حماش، مرجع سابق، ص 50.

[3] - إبراهيم حماش، مرجع سابق،ص 50.

[4] - نفس المرجع ،ص 50.

[5] - نفس المرجع ،ص 50.

بِذكر مَوضِعه [1]، وذِكر أَوضَاع المغرب: « ...**وكتبنا لك هذا وبيننا وبين الرِّباط مَرحلة والأحوال والحمد لله صالحة والسلام ...»** [2].

وجُملَة القَول إذاً في شأن ما تقدَّم، أنَّ السُّلطان المغربيَّ اكتَفَى بِعبارات التَّعزِية وهذا ما يَدعونا إلى طَرحِ الكثير مِن الأَسئِلة عَن هذا الموقف .

فَلَيس استطراداً إذا جَددنا القول بأنّه مِن العَبث هنا أن نُقارِن بَين ما كُتِبَ في مَوضوع مَوقِف السُّلطان عبد الرَّحمن من استيلاء الفرنسيِّين على الجزائر، خاصَّة وأنَّنا نَعلَم سَلَفًا الخِلافَ بَين خُصوم مُتناوِلي الموضُوع، فالمؤَرِّخُون المغاربةُ الذين تَنَاوَلُوا أَحداثَ احتِلالِ الجزائر وما تَلاها، لا يَختَلِفُون في أنَّ السُّلطانَ عبد الرَّحمن لَم يُفرِّط في البُرهَان عَن التَّعاطف مَع الجزائريِّين في مِحنتهم[3]، أَمَّا الكُتَّابُ الجزائريُّون فَيُبالِغُون -إلّا مَن رحم ربُّك- في مَدى تَقصِير السُّلطان عبد الرَّحمن[4]، وبِطَبيعة الحال فالمصادِر والمراجِع الفِرنسيَّة هي الأُخرى كان لَها رَأيٌ في الموضوع، فَجوليان مَثلاً، والذي كَتَب في الموضوع يَقول إنَّ السُّلطان عَبد الرَّحمن عَبَّر عَن ارتِياحه لسُقُوط الحُكومَة التُّركيَّة في الجزائر، وكَان سَبَبُ ذلك حَسب جُوليان أنَّ السُّلطان كَان حُلمُهُ التَّوسُّعُ على حِساب الجزائر، وإِعادة أَمجَاد المغرب التي فَقَدَها مُنذ العَهدَيْن المرابِطي والموحِّدي [5].

ومِن مُنطلَق قَناعَتِنا بمنهج الكِتابات الفرنسيَّة التي تَخلِط الحقَّ بالباطِل، وتحتوي دائماً الكثيرَ مِن الأَخطاء الممَنْهَجَة ، إلّا أنَّ هذا لا يَنفي مُطلَقاً نَوايا السَّلاطِين المغارِبة في التَّوسُّع عَلى حِساب أَرضِ

---

1- قارنا موضع السلطان من خلال الرسالة وما ذكر السلاوي في الاستقصا أنّ السلطان كان في مراكش ،ثمَّ ارتحل إلى مكناسة، ونلاحظ من خلال المصدرين أن السلطان أخذ طريق الساحل إلى مكناسة .

2- إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص 50.

3- علال الفاسي ،الحركات الاستقلالية في المغرب العربي،ط5،مطبعة النجاح الجديدة،الدار البيضاء،1993،ص3.

4- محمد العربي معريش ،مرجع سابق ،ص 25.

5- شارل أندري جوليان :**"التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية "**، تر محمد البوزيدي ،مجلة البحث العلمي ،العدد 3 ، السنة 1- 1964،ص ص 260 262.                CHARLES André julien ,op ,cit ,p 59 -

الجزائريِّين، ومِن قَناعتنا أيضاً أنّ موقف السُّلطان عبد الرَّحمن في البدايةِ لَم يَكن بالقُوَّة والفَعاليَّة التي يَجب أَنْ تَتحلَّى بها سَلطة يُعوَّلُ عليها، أَضِف إلى ذلك الانهِزامِيَّةَ والموقفَ الباهت الذي تَبنّاه السلطان، والذي تُبَرِّرُه بَعضُ المراجِع المغربيَّة التي نَحْسَبُهَا من الكِتابات الموضوعيَّة، بأنَّ مَوقِف التَّريُّث المؤَقَّت كان سببُه ضَعف المغرب العسكريِّ[1]، وهذا ما وقف عليه التَّاريخ في مَعركة إيسلي أين انهزم الجيش المغربي أمام الفرنسيِّين شرَّ هزيمة.

ولَعلَّ هذا الموقِف الحِياديَّ أيضاً كان إلزامياً حَسَب الاتِّفاقيَّات التي كان قد أَقَرَّها فيما سبَق السُّلطان عبد الرَّحمن مع الفرنسيِّين، خاصَّةً الاتِّفاقيَّة التي وقَّعَها مُباشَرَةً بَعد اعتِلائِه العرش سنة 1823م، وَهِي في الحَقيقَة امتدادٌ لاتِّفاقيَّة وقَّعَها جَدُّه السُّلطان محمد بن عبد الله سنة 1767م، والتي جاء في فَصْلِها التَّاسِع أَنْ يَلتَزِم الطَّرَفان الحِيادَ إذا كان أَحدُهُما في حربٍ مع الدولة العثمانية[2].

كما لا نَستَبعد أَيضاً أنَّ مَوقِف الحِياد المؤقَّت،كان سببُه اعتِقاد السُّلطان أنَّ الحَملَة الفرنسيَّة عَلى الجزائر هي حملة مؤقَّتَةٌ مِن جِهة، ومِن جِهةٍ ثانية ربَّما كان السُّلطان يَعتقِد أيضاً أنَّ الحملة سَتَفشَل كما سبق وأنْ فَشِلَت الحمَلاتُ السَّابقة.

وعلى نقيض هذا الموقفِ البَاهِت غَيرِ المقْنِع للسُّلطان المغربي اتِّجاه ما وقَع للحُكومة التُّركيَّة في الجزائر، وسُقوط العاصِمة في يَد الفِرنسيِّين ، فقَد وقَف السُّلطان مَوقِفاً مُشَرِّفاً، غايَة في الإشراق، مَع أَفواجِ اللّاجِئين والمهاجِرين الجزائريِّين غَدَاة نُزولِهم في الأَراضي المغرِبيَّة هَرَباً مِن نارِ ونِيرِ المحتَلِّ، فَقَد اطَّلَعْنا عَلى الكَثِير مِن الرَّسائِل[3] التي وجَّهَها إلى عُمَّاله يَستَوصِيهم بالمهاجِرين الجَزائريِّين خَيراً، وهذا لنا فيه حَديثٌ مُفَصَّلٌ في الفصل الرَّابع.

---

1- إبراهيم حركات ،مرجع سابق ،ص 187.

2-عبد الهادي التازي ،مرجع سابق ،مج9 ،ص 101.

3- اطلعنا بالخزانة الحسنية القصر الملكي بالرباط على عدد معتبر من الرسائل التي وجهها السلطان عبد الرحمن إلى عماله على النواحي المغربية يوصيهم في أغلبها على حسن استقبال المهاجرين الجزائريين .

## ثانياً / المَوقِف الشعبي

عاش المغربُ العَرَبِيُّ تَجاربَ وِحْدويَّةً كَثيرةً عَلى مَرِّ التَّاريخ، كما تَجَرَّع مَرارَة التَّفرِقة والتَّشَرذُم في فَتَراتٍ أُخرى، أعْرَبَ فيها عَن عَدَم تَجانُسِه السِّياسيِّ رَغم تَجانُسِه الاجتماعيِّ والثَّقافيِّ والجُغرافيِّ، فَظَلَّت بِذلك وِحدَتُه آمالًا تَتجاذَبُها الاعتِبارات السِّياسيَّة بَين أَطرافِه وأَطيافِه، وهي الوِحدةُ التي أَسْهَبت كُتُبُ التَّاريخ في شَرحها، خاصَّةً ما تعلَّق منها بِعلاقَاتِ كَيانَاتِه بَعضِها بِبَعض، إلَّا أنَّ التَّاريخَ لا يَزال يَحفَظُ لِشُعوبِها مَواقِفاً مُشَرِّفَةً ومُشرِقَةً عَبَّرت فِيها عَن أَواصِر الأُخوَّةِ والتَّضامُن، لِتَمحُوَ بذلك الصُّورَة السَّيِّئَة التي رَسَمَها قَادَتُه وأُولو أَمْرِه، وَتُزيلَ اللَّبْسَ والغُموضَ عَن تَكافُل وتَضامُن الشُّعوب المغاربِيَّة فيما بَينَها في الرَّزايا والمِحَن[1]، لَقَد شكَّلَ الاحتلال الفرنسيُّ للجَزائِر بِدايَةَ مَرحلةٍ جَديدَةٍ حاسِمةٍ في تَاريخِ الشُّعُوبِ المغارِبِيَّة[2]، ورَغْمَ أنَّ هذه المرحَلَة كانت خَطيرةً، إلَّا أنَّها فَتَحَت صفحةً جديدةً في تَارِيخِ التَّلاحُم والتَّضامُن بَين شُعوبِه وأَفرَادِه، فَها هُم المغاربةُ يُفْصِحونَ عن مَوقِفَهم مِن الاحتلال الذي أصابَ إخوانَهم الجزائريِّين باستِنْكَار جَليٍّ، حيث جاء في تقريرٍ لِنائب القُنصُل الفِرنسيِّ بِطَنجة: «**...المغرب كلُّ أنظاره موجَّهة إلى الجزائر ..**»[3] وفي تقريرٍ آخر يقول نائبُ القنصل: «**...كلُّ مغربيٍّ يَلتَقي بمغربيٍّ آخر يُسلِّم عليه ويقول له : طوبى للشُّهداء، اللهمَّ ارزقنا حظَّ الشُّهداء ...**» [4].

---

[1]- عز الدين بن سيفي، « **موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر**» ، مقال سابق ، ص 180.

[2]- أمحمد مالكي، مرجع سابق ،ص154.

[3] -CHARLES André julien: « histoire de l' Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1830-1871 », éd casbah, Alger, 2005 , p59.

[4]- أبو بكر القادري ، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930-1940، ج1، مطبعة النجاح الجديد ،الدار البيضاء، ط1، 1992 ،ص15.

كما كان لِسقُوطِ الجزائر وقعٌ مُدوٍّ داخل الأَوساطِ الشَّعبيَّة المغربيَّة، وَذلك لما يَحمِلُه هذا الحَدثُ مِن تَداعِياتٍ سِياسيَّةٍ ودِينيَّةٍ، حيث أَدرَكَ المغاربةُ بِسرعةٍ الأَخطارَ التي تُهدِّدُهم[1]، كما تُهدِّد إخوانَهم، فَقرَّروا مُسانَدَة إخوانِهم في مِحنَتِهم بِكُلِّ ما استطاعوا، كَما مَدُّوا أَيديَهم، وتَعاطَفُوا مع الوافِدين مِن اللَّاجِئَين منهم، حتَّى إنَّ سُكَّان وجدة[2] فَتَحُوا أَبوابَهم ومَنازِلَهم للعائِلاتِ المهاجِرة.

وقد كان لِوَقْع الاحتلال أَثَرٌ في نُفوسِ الشُّعَراء المِغارِبة أيضاً، حَيث سَجَّلَت أَدبيَّاتُ تِلكَ الفَتْرة بَعضَ الأبياتِ في رِثاء الجزائر عِندما سَقطَت في أَيدي الفرنسيِّين:

| | |
|---|---|
| أحَقًّا ما أُشيعَ عن الجزائر | مِن إرهاب البَواطن والظَّواهر |
| لَئِن نَزل الهوانُ بها وذَلَّت | فَقد شَمِل البَوادي والحَواضر |
| وكيف يَلَذُّ في بَلَدٍ مَقامٌ | إذ هَان الهَوانُ عَلى الأَكابر |
| لَئِن ثَبَتَ المقالُ كَما سمعنا | فقد طَاب الرَّحِيلُ إلى المِقابر[3] |

كما سَجَّلت الطَّبقة المثقَّفةُ الواعِيةُ استِنكَارَها الشَّديدَ واستِياءَها لما وَقَع للجزائريِّين، فَوقَفَت تَدعُو إلى الجِهاد، ومِن بَين الأَمثِلةِ الواضحةِ في هذا الباب على سَبيل المِثال لا الحَصر: أحمد بن عبد القادر الكردودي الفاسي الذي أَلَّف كِتَاباً أَسْماهُ "كَشْفُ الغُمَّه بِبَيَانِ أنّ حَرْبَ النِظَامِ حَقٌّ عَلى هذه الأُمّة " وجاء في مقدِّمة الكتاب: «**...أمَّا بَعدُ فَإنِّي لما رَأيتُ أَسباب الجِهاد قَد أهمَّت وآلاتُه قَد أغفلت، وليله أَعتَم ، بعد ما كان مقمراً، ونهارَه أظلَم بَعد أَن كان نَيِّراً، وغُصنَه ذوَى بعد أن كان مُورِقاً، وحُسنه انطفأ بعد أن كان مُشرِقاً، ورأَيتُ العدوَّ الكافر، دمَّره الله وأهلكَه وظَفَّر أيدي المسلمين لجميع ما**

---

[1]- بهيجة سيمو،مرجع سابق ،ص 71.

[2]- وجدة مدينة قديمة بنيت على سهل فسيح على بعد نحو 40ميلا جنوب البحر الأبيض المتوسط وعلى نفس البعد تقريبا من تلمسان- ينظر: الحسن بن محمد الوزان ، مصدر سابق ، ج2 ، ص12.

[3]- المشرفي ، مصدر سابق ، ص 69.

**مَلَكه، وقد استولى على مملكة الجزائر، وقَهر كلَّ ذي سُلطة فيها مملك أو ثائر الحروب على هيئة مخصوصة ...»** [1]**.**

انْتَفَضَ كذلك الشُّعَراء المغاربةُ، مُوقِدين في الشَّعب المغربيِّ روح الجِهاد لإنقاذ الجزائر، ومنهم الوزير الشَّهير محمَّد بن إدريس العمروي الفاسي[2]الذي أَنشَد الأبيات التَّالية :

يا ساكن الغَربِ الجهادَ الجهادَ ... فالكُفرُ قَد شارَكَكُم في البِلاد
والشِّرك قد نَصب أَشراكَه ... مُستَبعِداً بِكَيدِه للعِباد
ويا حُماةَ الدِّين ما صَبرُكَ ... والمشرِكون يَطلَبون البداد
ما هذه الغَفلَةُ عَن ضِدِّكم ... وأَنتُم في الحَرب أُسْد الجلاد
إنَّ بَنِي الأَصفَر أَعداؤُكم ... أَطمَعَهم نَومُكُم في السَّواد
وقُومُوا النصر دينكم قومَةً ... تُحطِّم أَهل الشِّرك حَطم الحداد
أَين بَنُوا العَرب الذين لَهُم ... قَدَم صِدق في جِهاد الأَعاد
وأَينَ أَهلُ البَرِّ مِن بَربَر ... ومَن لَهم في الدِّين بِيض بيض إياد
وأَينَ مَن حازَ النُّهَي والتُّقَي ... ومَن لَه في الله حُسنُ اعتقاد
وأَين أَهل الدِّين قَاطبة ... وسادةُ النَّاس الصِّلاب الشِّداد
واسِطَةُ الغَرب قد حازَها ... والأمرُ جِدٌّ والبلِ في ازدياد
حَوَى الجزائر وَوَهرانَها ... وراعَ حاضراً بذلك وباد
مَصائِب صبت على مَعشَر ... يَبكي من الشفاف منهال الجماد
إِخوانُكم دينًا وجيرانُكم ... أضحَوْا رَعايا الشِّرك بَين أعاد[3]

---

[1]- أبو بكر القادري ، مرجع سابق ، ص ص15 16.

[2] - كان عالماً مطلعاً وأديباً متضلعاً وشاعراً ،تولى الوزارة زمن السلطان محمد بن عبد الرحمن ،له تأليف سماه تحفة الملك العزيز بمملكة باريز، توفي بالرباط سنة 1296 هـ /1880م : ينظر موسوعة أعلام المغرب ، تح محمد حاجي ، ج7 ، دار الغرب الإسلامي ،بيروت ،ط2 ،2008 ، ص 2663.

[3]- أبو بكر القادري ،مرجع سابق، ص17.

كما أنشد الوزير محمد بن محمد بن عبد الله غريط المكناسي[1] قصيدةً طويلةً يَرثي بها تلمسان عند سُقوطِها في يَد الفرنسيِّين يقول فيها :

مــالي أَرى جَفْــن أَهــل الغَــربِ ولســنا ... مــن بعــد مــا أخــذ الرُّومــيُّ تلمســانا

كــأنهم مــا دَرَوْا مــاذا يُريــدُ بهــم ... عَــدُوُّ دِيــنهم لا نَــالَ إمكــانا

ولا عَلــى فِعلــه في دَفــتَر وَقَفُــوا ... بِأهــل أَنــدلس يــا بــيس مــا كــانا

لا عُــذرَ للمُســلمين في التَّكاسُــل عَــن ... جِهــاده حِســبَةً مِــنهم وإيمانــا[2]

ومِن الصُّور التَّضامُنيَّةِ للعُلماء المغاربةِ أيضاً، رِسالة التَّبليغ والنُّصرة التي حَملوها إلى الشَّعب المغربيِّ مُوقدين فيه نار الحمِيَّة والغَيْرة على إخوانِهم الجزائريِّين، فَها هو عالِمٌ من علماء القَرَويِّين الكِبار، الشَّيخ أبو الحسن علي بن عبد السَّلام التَّاسولي [3] يَكتُب فَتوى عظيمةً، يَدعو فيها المغاربةَ إلى الجِهاد والدِّفاعِ عن المسلمين في أَرضِ الجَزائر، في جَوابِه عَن سُؤال تَلقَّاه مِن الأَمير عبد القادر، فيقول :

**«...إذا نزل عدوُّ الدِّين بأرضِ الإسلام أو قريبٍ منها، مريداً الدُّخولَ إليه، فإنَّ الجِهاد فَرضُ عَين على أهل ذلك البَلَد، وعَلى إمامهم شُيوخاً وسُكَّاناً، أَحراراً وعبيداً، بَل وإنَّ على المرأةِ إن كان لها قَوَّةٌ، و لا يَتوقَّفُ قِتالُهم للعَدُوِّ والنَّازِل على مَشُورَة الإمام، ولاسيَّما إِن بَعُد مِنهم،**

---

[1]- محمد بن محمد بن عبد الله غريط الأندلوسي ،علامة وكاتب وشاعر ،استوزره السلطان عبد الرحمن مدة قليلة ثم عزله ،وكان كاتباً مع الفقيه محمد بن إدريس العمروي السابق الذكر،ثم كاتباً للوزير الصفار،توفي سنة 1280هـ /1863 م .ينظر: موسوعة أعلام المغرب ،مصدر سابق ،ص 2623.

[2]– محمد المنوني ، مرجع سابق ،ص 23.

[3]– هو علي بن عبد السلام بن علي أبو الحسن التاسولي، فقيه من علماء المالكية بالمغرب الأقصى، تاسولي الأصل والمولد، يلقد بمديدش، نشأ بفاس وولي القضاء بها، ثم بتيطوان وغيرها، توفي بفاس سنة 1258هـ الموافق لـ1842م، له من المصنفات « البهجة في شرح التحفة، وشرح مختصر الشيخ بهرام، والشرح الشامل والنوازل التي فيها جواب عن سؤال الأمير عبد القادر الجزائري، وله فتاوى وتقاييد» ينظر أبي الحسن علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، ج1، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1998، ص03.

**بل إن لم يَكُن لهم إمامٌ تَعيَّن عليهم مُدافعتُه ونَصبُ إمامٍ، فإن لَمْ يَقدِروا أهل ذلك البَلد مَع إَمامهم عَلى مُقاومة العَدُوِّ ، وتَعيّن على أقرَب الأئِمَّة إليهم، وعَلى رعيَّتِه أن يُعينَهُم فَإن لَم تَكُن فِيهم كِفايةٌ ومُقاوَمةٌ أَيضاً، وجَبَ عَلى مَن وَالاهم، وهكذا حتى يأتي الجواب مُنسحِباً على جميع المسلمين ... فَقُطرُ الجزائر مَثلاً، حيث لم يَقدروا عَلى دَفعِه لِعَدَم مَن يَضبِط كَلِمتَهم ولِعَدَم وُجُود القُوَّةِ مِنهم بِدليل أَنَّه يَتردَّد العَدُوُّ إَليهم، ويَأخُذ مَدائنَهُم شَيئاً فشيئاً، فإنَّه يَجب على مَن والاهُم مِن أئمَّة المشرِق، وأئِمَّة المغرب، إلى سوس الأَقصى، وإلى بغداد، بل إلى الهِند مَثلاً، أَن يُعينوهم بالجيوش والعُدَّة والعَدَد... » [1].**

كما كانت مَنابرُ المساجِد كلِّها في المغرب الأَقصى منابِرَ للنُّصرَةِ والدُّعاء والحضِّ على الجِهاد والتَّذكير به، فَكان الأَئِمَّةُ يَجمَعون الهِبات والتَّبرُّعات للمُقاوَمَة الجزائريَّة، وَكَانُوا يُحذِّرون مِن الوقوع في شَرَكِ الاستعمار، وعَدَم الوُثوق بِوعودِه، وَكانوا يَدْعون إلى التَّضامن والتَّآزُر لطَرْد العدُوِّ.

فلا شكَّ يُخالِجُنا مِن ذلك الموقف المشَرِّف الذي وقَفَه المغاربةُ نُصرةً لإخوانِهم الجزائريِّين، وَهُو ما نَلمَسُ فيه روح التَّواصل الثَّقافيِّ والاجتماعيِّ بَين الشُّعوب المغارِبيَّةِ مُنذُ أَقدَم العُصور، تِلك الشُّعوبُ التي تَتَقَاسَم فِيما بَينَها ذلِك التُّراثَ التَّاريخيَّ المشترَك، حُلوَه ومُرَّه، وتَقاسَمَت كذلك على مَرِّ الحِقَب التَّاريخِيَّة أَواصِر الأُخوَّةِ، ولقد كان موقف المغاربة من الاحتلال الفرنسيِّ للجزائر مَوقفاً مشَرِّفاً مُشرِقاً، يُضاف إلى صَفَحات التَّاريخ المشرِق لِتضامُن الشُّعوب المغارِبيَّة فيما بينها في الرَّزايا و المِحَن.ولكن وإنْ أَفَضْنا القيلَ في الفَقَرات السَّابِقَة على المساهَمَة الفَعَّالة للمَغارِبَة في دَعمِ وتَأْييد الجزائريِّين، فَهذا لا يُنكِره أحد، بَيْدَ أنَّه ليس شَرَفاً للمغاربة فقط، بل هُو واجِبٌ عَليهم تُمليه مُقتَضَيات المروءَة، وشعائِرُ الدِّين.

1– أبو بكر القادي، مرجع سابق ،ص18.ينظر أيضاً علي بن عبد السلام التاسولي، أجوبة التاسولي على مسائل الأمير عبد القادر في الجهاد، تح عبد اللطيف أحمد الشيخ محمد صلاح، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1996.

## المبحث الرابع / اِسْتْنجادُ الجزائريِّين بِسُلطان فاس :

بعد أن استَتَبَّ للفِرنسيِّين أَمرُ العاصمة، تَوجَّهُوا بَأنظَارِهم إلى قَسنطينةَ ووهران، أمَّا قسنطينة فقَد امتَنَعَ صاحبُها أحمد باي بِأبوابِها وحُصونِها، فَحَسَب حمدان خوجة فإنَّ باي قسنطينة وَفَوْرَ رُجوعِه مِن العاصِمة، استَقَلَّ ببايلك الشَّرق، ورَفَضَ الإقرارَ بِمُعاهَدَة الدَّاي مع فرنسا، أمَّا في وهران فَكانَت الأُمور أَسوأ، فَقد عَمَّت الفَوضَى والاضطراباتُ في هَذا الإقليم خاصَّةً بَعد بُلوغ خَبَر استيلاء الفرنسيِّين على العاصمة : **«... وعندما عَلِم العَرب بأنَّ الفرنسيِّين دَخلوا إلى الجزائر، رَفَضوا أن يُواصِلوا الاعترافَ بسُلطة الباي وشَقُّوا عصا الطاعة.وزيادة على ذلك نَهبُوا المزارِع التَّابِعةَ لباي وهران ...»**[1]،وهكذا شَعَرت العائلاتُ بالخَطَر مِن التَّعدِّي على الحُرُمات، والنَّهب للمُمتَلَكات، والمنازل، والخوف في الطُّرقات، وشَعرت قَبائلُ المخزَن بتَحلُّلِها مِن الالتزام نحو السُّلطة، ولكنَّها في نفس الوقت فَقدت الحماية والدَّعم،كما شعرت القبائل الرَّعِيَّة بحرية الحركة والتَّنصُّل مِن أَداء الضَّرائب.

وأَمَام هذه الأوضاع كان على بعض الجزائريِّين الذين كانوا يُمارسون شِبه مَسؤوليَّةٍ على الأقل في تسيير الظَّرف المؤقَّت، البحثُ عَن سلطةٍ تُعوِّض الفَراغَ الذي تَرَكَهُ شُغُورُ السُّلطةِ في هَذا البايلك[2]، ونَظراً لِطبيعة العلاقاتِ التَّاريخيَّة التي رَبَطَت سُكَّان الغَرب الجزائريِّ مَع المغرب الأقصى، فَقَد نَظر هؤلاء إلى سُلطان فاس، خاصَّةً وأنَّه لَم يَكن هناك في الأُفُق ما يُؤَكِّد بأنَّ الباب العالي سيتدخَّل لِصالحهم[3].

---

1- حمدان بن عثمان خوجة ، مصدر سابق، ص187.

2- تشرشل ،مصدر سابق ،ص52.

3- فارس العيد ،مقال سابق ،ص 329.

## أولاً / رِسالةُ أَهل تِلمسان إلى السُّلطان عبد الرحمن:

يَصطدمُ الكثير مِن الباحِثين في شَأن استِنجاد سُكَّان الغَرب الجزائريِّ بالسُّلطان عبد الرحمن، بِذلك الجَدل التَّاريخيِّ حَول تِلك الرِّسالة التي وجَّهَها الجزائريُّون طَلباً للنَّجدة والدُّخول في بَيعَة سُلطان المغرب، فَعَلى غِرار جُملةِ المِصادر التي اطَّلعنا عَليها، والتي عايَشت الحدَثَ؛كالمزاري صَاحب طُلوع سَعد السُّعود، وعُثمان خوجة صاحب المِرآة، والسلاوي صاحب الاستقصا، والمشرفي صاحب الحُلل ومصطفى بن التهامي الذي كَتَب سيرة الأمير عبد القادر، وتشرشل صاحب كتاب حياة الأمير وغيرهم مِمَّن أرَّخُوا للحادثة، والذين كلُّهم تَحدَّثوا عن رسالة الاستنجاد، إلَّا أنَّهم لا زالوا يَختلِفون في أُمور كثيرة، خاصَّةً فيما تعلَّقَ بمَصدَر الرِّسالة ونَصِّها، فالمزاري يَنسِبها إلى الباي حَسن، وفي ذلك يقول: «**...ولما سمع الباي بذلك بعث لسلطان المغرب وهو السيد مولاي عبد الرحمن بن هشام الشَّريف العَلَوي بالقدوم؛ لِيتَولَّى على المغرب الأَوسَط ويُضيفَه للأقصى... ويكون هو من جملة نُوَّابه فهو الأَوْلى به من الروم ...**» [1].

أمَّا السلاوي صاحب الاستقصا فيَنسِبُها إلى أَهل تِلمسان، وقوله في ذلك :« **... ولما وقع بأهل الجزائر ما وقع اجتمع أهل تلمسان و تفاوضوا في شأنهم واتَّفقوا على أن يدخلوا في بيعة السلطان المولى عبد الرحمان رحمه الله...**» [2]،كما جاء في الحُلل عن المشرفي نفس الرأي، حيث قال: « **... ولما عاين أهل وطن الجزائر ذهاب التُّرك، وخراب مُلكِهم، ونزل بهم ما لا طاقة لهم به، اجتمع بعض الأعيان من أهل الحلِّ والعقد، والعلماء، والأشراف، لينظروا في أمرهم، فاتَّفق رأيهم على الدُّخول في طاعة المولى عبد الرّحمان ومبايعته، فكتَبوا بذلك إليه، وعيَّنوا جماعة منهم للوِفادة على السُّلطان تأكيدا للطَّلب واستعجالا لحصُول هذه الأَرب...**» [3]،وذكر حمدان خوجة صاحب المرآة أنَّ طَلَب الاستنجَاد كان

[1]- المزاري ، مصدر سابق ، ص88.

[2]- الناصري ،مصدر سابق ،ج3، ص286.

[3]- المشرفي ، مصدر سابق ، 72.

مِن سُكَّان مَدينة تلمسان، بَعد الفوضى التي عَرفتها المدينة جرَّاء صِراع الكراغلة والحضر من العرب «...وحتى لا تسود الفوضى، طلب من سلطان المغرب أنّ يتدخَّل ليَضَع حداً لهذه الحرب الأهلية ...»[1]

أمَّا تشرشل والذي استقى الأَحداث من الأمير، فينسب الرِّسَالة إلى الشَّيخ محي الدين[2] والد الأمير، حيث أورد جواب مُحي الدِّين رَدًّا على طلب تَولِيتِه ومُبايَعتِه عَلى المنطقة الوهرانية **« .... وليس هناك حاجة إلى أن نذهب بعيداً للبحث عن هذا الملك أنَّ سلطان المغرب قد عبر عن عاطفته نحونا ، ويجب أن يعرف أن الخطر الخارجي الذي يهدِّدنا نحن اليوم قد يُهدِّده هو غداً ...إنَّ حضوره بيننا يُشجِّع ويدعم حالا الخير ويصرف الشر ...»** [3].

أمَّا الحاج مصطفى بن التهامي فينسب الرِّسالة إلى كِبار الغرب « **...وكان عند دخولِهم وهران أجمَع عَزم أَهل وطَنِنا أن يسندوا أمرَهم إلى سلطان فاس ظانِّين أنَّه على شيئ ...فكاتَبوه مُستَنجِدين شاكين له ضرهم ...»** [4]

ويتَّضِح مِمَّا سَبق أنَّ كلَّ المصادر تَتَّفِق في مسألة استِنجاد الجزائريِّين بالمغرب، إلَّا أنَّهم يختلفون في مسألة مصدر الرسالة، والتي نَعتَقِد أنَّها كانت بإجماع مِن سُكَّان النَّاحية الغربيَّة للجزائر، ولكنَّ الوفد انطلَق مِن مدينة تلمسان، وسَبَبُ اختلاف المِصادر في شأن مصدر الرِّسالة؛ هُو أنَّ المؤرِّخِين المغارِبة لَطالما اعتبروا المنطقة الغربيَّة هَي تلمسان، دأبُهم في ذلك دَأبُ مَن سَبَقهم من المؤرِّخين. كَما نَعتَقد أَيضاً أنَّ الرِّسالة كَانت غَير مكتوبة، بل شَفهيَّةً سَمِعَها السُّلطانُ مِن الوفد مباشرةً، بالإضافة إلى

---

1-حمدان خوجة ، مصدر سابق ، ص 56.

2- هو محي الدين بن مصطفى بن محمد بن احمد بن المختار والد الأمير عبد القادر ولد حوالي سنة 1759م بالقيطنة في إقليم وهران ورع في العلم وتبحر فيه ،كان من إتباع الطريقة القادرية ومؤيديها،وبعد وفاة ولده أصبح مقدم الطريقة القادرية وشيخ زاوية القيطنة التي عرفت آنذاك إشعاعا دينيا وثقافيا.- ينظر:محمد الطيبي ، الجزائر عشية الغزو ألاحتلالي دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات ، ط1، ابن النديم، للنشر والتوزيع ، الجزائر،2009 ،ص174- 173.

3- تشرشل، مصدر سابق ، ص52.53.

4- مصطفى بن التهامي ، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده ، تح وتق وتع:يحي بوعزيز،دار البصائر للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2009 ، ص 126.

أنَّنا نَرى أنَّ سَبب لجُوء سُكَّان النَّاحِية الغربيَّة إلى الاستنجاد بسُلطان المغرب، سَببه الفَوضى التي أعقبَت نُزول الفرنسيِّين في الجزائر، وحُجَّتُنا في ذلك أنَّ الوَفد الذي سَيَعرض على السُّلطان أَمرَ الانضِمام إلى سُلطة المِغرب خَرجَ مِن تلمسان في أوائل شهر سبتمبر 1830م ، الوقت الذي كانت فيهِ المنطقة الغربيةُ – الوهرانيَّة – لازالت تحت حُكم التُّرك، وفيما سيأتي نُحاول البَحث عن رحلة الوَفد وما ترتَّب عن ذلك مِن أمور .

حَسب كور Cour ، فإنَّ فِكرَة الاستنجاد بسلطان المغرب كانت مِن أَحد كبار التُّجَّار المغاربة[1]بتلمسان [2]، ويَبدو أنَّ هذا الأَخيرَ استَغلَّ الوَضعَ وذَهبَ يَنشُر أَفكاراً تُمهِّد لِبَيعَة السُّلطان[3]، حَيث وبعد هذه الدِّعاية النَّاجحة اجتَمع أَعيانُ الغَرب الجزائريِّ عَلى أَمر الاستنجاد بالمغرب، فاستَحدثُوا وفداً [4] توجَّه إلى وجدة حَسب تَعليمات بن نونة لِلقاء عامِلها القائد إدريس الجراري[5]، ليَتوسَّط لهم عند السُّلطان[6]، ثُمَّ تَوجَّه الوفد مَع الجراري إلى مكناسة، أَين استقبَل السُّلطان عبد الرحمن البعثةَ فَأكرَمَهم وأَحسَن استقبالَهم[7]، وَوَعَد بِدراسَة مَطالبِها[8]، وكان السُّلطان السُّلطان حَسبما تَقدَّم في مكناسة، ولا نَدري هل مَكَث فيها طِوال الشَّهرَين الماضيَيْن، لأنَّنا ذَكَرنا

1- تاجر مغربي ينحدر من عائلة ثرية من فاس استقر بتلمسان ،ولعب دوراً بارزاً في التوسط بين سكانها والسلطان ، أصبح بعد وصول المولى علي من مستشاريه المقربين ، ثم تولى القيادة في تلمسان بعد رحيل العامري ، كما كان له دور دبلوماسي بين الأمير والسلطان .ينظر : COUR .A. «L'occupation Marocaine de Tlemcen septembre 1830»,in RA,N° :52 ,Alger,1908, p 32 .

2 - Ibid ,p 33.

3 - L. Voinot : Oudjda et l'Amalat (Maroc),Extrait SGAPO ,Oran, 1912, p296 .

4- كانت البعثة حسب تشرشل مكونة من عشرة أعضاء، هم من أهم المرابطين والشيوخ تأثيراً مع حامية تتكون من خمسين فارِسًا، وقافلة من البغال محملة بالهدايا. ينظر : تشرشل ، مصدر سابق ، ص 53.

5-هو عامل وجدة أبو العلاء إدريس بن حمان الجراري، منذ سنة 1827م خلفاً لسيدي محمد ابن الطيب الذي عزله السلطان بعد أن عجز عن رد باي وهران الحسن، بعد أن توغل هذا الأخير في الحدود المغربية لمطاردة الدرقاوى.

6- الناصري .مصدر سابق ، ص286.

7-نفس المصدر ، نفس الصفحة .

8- تشرشل ،مصدر سابق ،ص 53.

أنَّ السُّلطان لما وَصَلَه خَبرُ استِيلاء الفرنسيِّين عَلى الجزائر ارتَحَل في أَواخِر شَهر جويلية مِن مرَّاكش إلى مكناسة.

عِندما عَرف السُّلطان سَببَ قُدوم الوَفد احتارَ في الأَمرِ رَغْم استِحسانه له « **... ولما صرَّحوا له بمُرادِهم توقَّفَ في ذلك وهُو إلى قَبول طَلبهم أَمْيَل ...** »[1]، ثُمَّ عَرض ذلك على العُلماء، ويَبدو أنَّ السَّلاطِين المغاربة كانت قَد جرَت عادتُهم أَنْ يَستَشيروا الفُقهَاء والعُلماءَ في مِثل هذه المسائل التي كانت تُعتبر نوازلَ[2].

هَذا وجاءَ في كِتاب الحُلَل والاستقصا أنَّ سَبب توقُّف السُّلطان في جواب الوَفدَ الجزائريِّ، مَردُّه إلى أَنَّ العَلمَاء الذين استَفتَاهُم السُّلطان في شَأنِ البَيعَة أَجابُوه بِنَقيض الطَّلب وتحجَّجُوا بأنَّ الجزائريِّين لا يَزالون عَلى بَيعَة العُثمانيِّين، وفي هَذا يَقُول المشرفي : « **...إلَّا أنَّه أَراد مُوافَقَة الشَّريعة النَّبويَّة، فاستَفتى في ذلك عُلماء فاس، واستشار فيه قَاضي الجماعة بها صهره وابن عمه المولى عبد الهادي، وكان سديد الرَّأي وحَبْرا من أَحْبار الإسلام فَكَفَّه عن إجابتهم بقوله: إنَّهُم في القديم يَخطبون باسم العثماني فمالهم لا يذهبون إليه وهم مُطوَّقُون بِبَيعَته؟ ..** »[3]، ومِمَّا تَجدُرُ الإشارة إليه، وحسب المشرفي، أنَّ بَعض الفقهاء مِمَّن حَضَروا النَّازِلة أَفتَوا بِقَبول البَيعَة .

رَجَع الوفدُ إلى تلمسان بعد أن رَفَض السُّلطان قَبول بَيعَتِهم مُتحَجِّجاً عليهم بِأنَّهم في أعناق العُثمانِيِّين، ولما عَلِم سُكَّان تلمسان بذلك، عَقَدوا مَجلِساً عِلميّاً وأَفتَوا بِتَحلُّلِهم مِن بَيعَة العثمانيِّين[4]، ثُمَّ استَحدَثوا وَفداً جَديداً يَترأَّسُه كَبير حَضر تلمسان القائد بورصالي، وبَعضٌ مِن أَعيان

---

[1]- المشرفي ، مصدر سابق ، ص 72.

[2]- أدرجت هذه المسألة ضمن كتاب النوازل الكبرى فيما لأهل فاس وغيرهم من البدو والقرى ،والمعروف باسم المعيار الجديد الجامع المعرب عن فتاوى المتأخرين من علماء المغرب ،لصاحبه العلامة أبي عيسى المهدي الوزاني . ينظر : ص 56.

[3]- المشرفي ، مصدر سابق ، ص 72.

[4]- نفس المصدر ، نفس الصفحة .

أَعيان وشُيوخ المنطقة ك:ملامان، ورمضان تريكي، وبن ددُّوش، وقرمالة، وآغا الدواير مصطفى بن إسماعيل[1]،وآغا الزمالة المزاري [2]-[3]، ويَذكُر السَّلاوي أَنَّ الوَفد حَمَل رسالةً[4]تَضمَّنَت أَسباب فَسخِ بَيعَة العُثمانيِّين، إذ دَخلوا بها على السُّلطان في فاس، وكانت حُجَّتُهم حسب ما ذكره المشرفي :« ... **أنَّ العثماني حيل بينه وبينهم بإيالات وبحور يتعذَّر بها الوصول إليه الأيامَ والشهور، ويتعيَّن على السُّلطان إجابتُهم لِقُربه مِنهم واتِّصاله بهم براً وبحراً ..» .**[5]

وممَّا يُمكِن أن نَستَقيَه مِن رِسالة أهل تلمسان التي ذكرها السَّلاوي، والتي يقول عنها المؤرِّخ أبو القاسم سعد الله بأنَّها غَير مَوقَّعة[6]، أنَّ الأوضَاع في الجزائر كانت مُضطَرِبةً، وأنَّ الحُكم العُثمانيَّ انتهى بِتوقيع الاتِّفاقية بَين الداي والفرنسيِّين، فاجتمع الرَّأي على أمر الاستنجاد بسُلطان فاس، خاصَّةً وأنَّ الأَوضاع كانت مُضطرِبةً، حَيث يَذكُر تشرشل أنَّه وبعد سقوط وهران، عمَّت الفَوضى والاضطرابات، وكَثُر النَّهبُ والسلب.

---

[1]- ولد بن إسماعيل سنة 1770م بمعسكر يرجع نسبة إلى أولاد بن عفان من أولاد ببكر الذين يطلق عليهم اسم الدوائر بعد أن أصبحوا أعوانا لبايات وهران وهو عم الحاج محمد المزاري وكان مصطفى بن إسماعيل في خدمة الأتراك بوهران حتى دخلها الفرنسيون،فالتحق سنة 1831 بالكراغلة المتحصنون بقلعة المشور ومكث فيها حتى دخلها كلوزيل سنة 1836،ومنذ ذلك الوقت صار بن إسماعيل في خدمة فرنسا حيث شارك مع بيجو في معركة سكاك أين حاز على لقب مرشال توفي1843،ينظر:الأمير عبد القادر ،مصدر سابق،ص151.

[2]- المزاري: ولد سنة1774م بمعسكر .التحق بالجيش التركي وتدرج في الرتب حتى أصبح يلقب آغا العرب ، بدأت شهرته تظهر بعد قضائه على ثورة الشريف الدرقاوي سنة 1805في عهد الباي محمد الممقلش، وبعد احتلال فرنسا للجزائر كان من السباقين لعرض فكرة الاستسلام على الباي حسن، وبعد خروج المولاي علي من تلمسان تقرب من كلوزيل الذي عينه آغا تحت تصرف داي مستغانم، ينظر:الأمير عبد القادر،مذكرات الأمير عبد القدر،تح محمد الصغير بناني وآخرون،ط7،دار الأمة ، الجزائر ،2010 ، ص151- بن عودة المزاري ، مصدر سابق، ج2،ص288.

[3] -Cour ,op ,cit ,p32.

[4]-للاطلاع على نص الرسالة كاملاً ينظر : الملحق رقم 01- الناصري ، مصدر سابق ، ص297 .

[5]- المشرفي ، مصدر سابق ، ص 72.

[6]- أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية ،مرجع سابق ،ج1،ص165.

ويَظهَر مِن خِلال الرِّسالة أَيضاً، أنَّ الجزائريِّين فَسَخُوا طاعَتَهم عن العثمانيِّين الذين كانوا قد تنصَّلوا مِن مسؤوليَّاتهم اتجاه الجزائريين، فبِاستِسلام كلٍّ مِن الدَّاي حسين وباي وهران، وتَرحيلهم مِن الجَزائر رفقة حامِياتهم العسكريَّة، لَم يَبقَ أَمام السُّكَّان إلَّا البحثُ عَن سلطةٍ تقوم بإدارة أمور النّاس.

هذا عن أمر الاستنجاد وأخباره، وفي ما يلي نَتطرَّق إلى ردِّ السُّلطان على الرسالة .

## ثانياً / الوجود المغربي في تلمسان :

بعد سِتَّةِ أَشهُر قَضَاها الوفدُ المتفاوِض في الطَّريق بَين تلمسان وفاس، قَبِل السُّلطان بَيعَتَهم بِشيء مِن التَّوجُّس، وَوَلَّ عَليهم ابنَ عمِّه المولى علي بن سليمان في رتبة خليفة[1]، وتَذكُر المِصادِر أنَّ الخَليفَة الجَديد عُيِّنَ في مَدينة تلمسان[2]، كما بَعث السُّلطان عبد الرحمن مع الخليفة الجديد حاميةً عسكريةً[3]، ضَمَّتْ 500 فارسٍ من النُّخبَةِ الذين تَمَّ اختِيارُهم مِن جَيشِ العَبيد والأودايا، بالإضافة إلى 100 جنديٍّ مِن رُماةِ المِدفعيَّةِ الذين تَمَّ جَلبُهم مِن الرباط وسلا[4].

ولما كان الخليفةُ الجَديد حديثَ السِّن لَم يَتَجاوَز 15سنة[5]، فَقَد عزَّزَ السُّلطان جَنَابهُ بالقائد إدريس الجراري عاملِ وجدة، وفي هَذا يَقُول السلاوي :«...**وكتب إلى عامله القائد إدريس يَستَوصيه بالجميع، ويَكون بصيرةً عَليهم، وأَشركه في النظر والرأي مع المولى علي، بل الاعتماد في الحقيقة إنَّما كان عليه...**» [6]. ولإعطاء طابع الشَّرعيَّة لِقِيادَة الجراري على المحلَّة بَعث السُّلطان كِتاباً على لِسان وَزيرِه أَبي عبد الله بن إدريس إلى الجراري، ومِمَّا جَاء فيه :«...**واعلم أنَّ مولانا انتخبَك مِن**

---

1 -p. Cossé Brissac : « Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847) »,la rose ,paris ,1931 ,p10.

2 - عبد الرحمن بن زيدان ، إتحاف أعلام الناس بحاضرة مكناس، مصدر سابق ، ص 33.

3 -Ismael Hamet : « Le Gouvernement Marocain et la conquête d’Alger» ,in Académie des sciences coloniales , Annales ,Vol 1, 1925, pp 64 65 .

4 -Cour , op ,cit ,pp 36 37.

5 - CHARLES André julien: « histoire de l'' Algérie contemporaine la conquête et les débuts de la colonisation 1830-1871 », éd casbah, Alger, 2005 , p70.

6 - الناصري ، مصدر سابق ، ص 287.

**وَسَط أَبناء جِنسكَ، و قَرَّبَك مِنه، ولا زلتَ لديه في التَّرقِّي، فاللهَ اللهَ فَكُن عند الظَّن بك...»** [1]، كما كان مِن بَين المرافِقين للأَمير العَلَوي الصَّغير ضَابطان مِن العَبيد، وهما زينون والطاهر بن فرحون[2]، وبَعض المستَشارين والقُضاة، كالحاج العربي الوزاني [3]، بالإضَافَة إلى كِبار قادَة جَيش الأودايا الطاهر المغافري[4]، وابنه أَحمد المغافري، وأحمد بن المحجوب[5].

وصل الخليفةُ العَلَويُّ إلى تِلمسان في نِهايةِ شَهر أُكتوبر 1830م[6]، وكَان في استقبالِه حَضرُ حَضرُ تلمسان خارج المدينة [7]،وكان في طليعة الوفد زعيم الدواير والزمالة مصطفى ابن إسماعيل[8]، إسماعيل[8]، أمَّا الكراغلةُ الذين كانوا مُتَحصِّنِين في قلعة المشور مُنذ سقوط الحُكمِ التُّركيِّ في الجزائر بِسبب حِقْد العَرب عليهم[9]، فاكتَفَوْا بِتَقديم الهَدايا للوافِد الجديد، ولما كان المشور قَلعةً وقصراً للحُكم في تلمسان، فَقَد طالب الخليفةُ العَلَوي مِن الكَراغِلةِ تَسليمَه القَصرَ لاتِّخاذِه مَقراً للإمارة، إلّا أنَّ الكراغلة رَفضُوا طلبه[10].

---

1- الناصري، مصدر سابق، ص 289.

2- Cour ,op .cit ,pp 37.

3- عبد الرحمن بن زيدان ،إتحاف أعلام، مصدر سابق ،ص 33.

4- محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي، ج2، تحق أحمد الكنسوسي، ص 20.

5- إبراهيم حركات ،مرجع سابق ،ص 190.

6- Ibid ,p 36 .

7- أن الوفد الذي فاوض السلطان رجع قبل مجيء المولي علي بأيام حتى يهيئ الظروف أمام هذا الوافد الجديد – المولى علي - الذي وصل في نهاية شهر أكتوبر 1830م ، أين استقبله سكان تلمسان بترحيب كبير خارج المدينة. Ibid ,p 36

8- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 30.

9- حمدان خوجة ، مصدر سابق ،ص 56.

10- استقر المولاي علي بقصر الباي قارة سليمان القديم ،أما المحلة فعسكرت بفدان السبع بالقرب من سهل يعرف اليوم (بحي الزيتون) ،كما حل الضباط والمستشارون بدار المخزن (اليوم بجانب السوق المغطاه) ينظر : Cour ,op.cit ,p 36.

أَمام تَعنُّت الكراغِلة بَدأَ أوَّل امتحانٍ للخَليفَة العَلَويِّ الجَديد في فَرضِ سُلطتِه على المدينة، أَين اضطرَّ إلى مُحاصَرتهِم ومُصادرة أَملاكِهم خَارج المدينة[1]، ومِمَّا تَجدُر الإشارة إليه، أنَّه وبَعدَ الحِصار الحِصار الذي ضَربَه الجَيشُ المِغربيُّ عَلى الكَراغِلة في المشور، انقسمت قبائلُ المخزن[2]أنصارُ الكراغلة في بَيعة المولى علي، فانسَحَب ابن إسماعيل بالدواير إلى وهران، أمَّا المزاري ففضَّل البَقاءِ في تلمسان.

بَعد أنْ استَتَبَّ الأَمرُ للأَمير العَلَويِّ في تلمسان، خَرَج منها رفقة مُستشاريه يَطوف في القبائل لأَخذ البَيعة للسلطان [3]، ويَبدُو أنَّ الأَمير العَلَويَّ خَرج للقبائل التي تخَلَّفَت في المجيء إلى مُبايعته في تلمسان، لِأنَّ بَعض شُيوخ القبائل كانت قَد وفَدت إليه بعد نزوله بتلمسان، وفي هذا يقول تشرشل : «...**وقد أسرع محي الدين وعبد القادر مع كلِّ رؤساء بني هاشم ورؤساء بني مجاهر وبني عامر، وغيرهم من القبائل ، لكي يُعلِنُوا ولاءَهم للابن ومُمثِّل السلطان الجديد ...** » [4].ويذكر إسماعيل حمات أيضاً أنّ قبائل معسكر قامت بتوجيه وفد إلى الأَمير المغربي بتلمسان لتقديم الولاء والطاعة[5].

وفَوْرَ رُجُوعِه إلى المدينة استقبَل وَفْداً مِن الكراغلة يَشرحون له أَسباب عدم تخَلِّيهم عن القلعة[6]، وكَان مِن بَين المؤُفَدين، القائد بورصالي وابن إسماعيل، إلّا أنَّ الأمير العَلَويَّ لم يَقتَنِع بِتلك الحُجَجِ فأَمَر بأَسْرِهم[7]، ثُمَّ بَعثَهم مُصفَّدين في الأَغلال إلى فاس[8]، ليَنظُر السُّلطان في أمرهم.

---

1- Ibid ,p36.

2- قبائل المخزن هي القبائل التي كانت واسطة بين الحكومة التركية وأهل البلاد فمهمتها جمع الضرائب وتحصيل المكوس مقابل امتيازات كعدم دفع الضرائب واستغلال أراضي البايلك وفي قطاع الغرب الوهراني كانت قبائل المخزن مقسمة إلى قسمين رئيسيين هما المخزن الشرقي والمخزن الغربي ينظر:بن عودة المزاري ، مصدر سابق ، ج2 ، ص275.

3- الناصري ، مصدر سابق ، ص287.

4- تشرشل، مصدر سابق، ص54.

5- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 32.

6-Cour ,op. cit ,p38.

7- المزاري ، المصدر السابق ، ج 2، ص88.

8- مصطفى بن التهامي ،مصدر سابق ،ص 128.

أثار هذا التَّصرُّف حِقد سُكَّان تِلمسان، ومِمَّا زَاد الأُمورَ سُوءاً أنَّ كَتيبةً مِن الجيش التي رافقت الأمير العَلَويَّ وأَغلبُهم من الأودايا، قامت بِنَهبِ أَموال وأَثاث[1]القَبائلِ المجاورة لوهران، حيث يُشير المزاري إلى ذلك :«...**ثُمَّ جَاء جَيش المولاي علي لغنم المخزن الذي بوهران فأخذها عن آخرها... »**[2]،كما ذكر السلاوي هذه الحادثة أيضاً : «**...ثُمَّ سرى ذلك للاختلاف في قُوّات الجيش، فَتنافَسوا فَتنافَسوا وتَحاسَدوا، وكَثُر القيل والقال منهم على السلطان، ثُمَّ خَتَموا عَمَلَهم بانتهاب أثاث الكراغلة، ومال الزمالة الدوائر وماشيتهم...** » [3].

ويَبدو أنَّ السُّلطانَ لَم يَكُن رَاضياً عن الطَّريقة التي يُسيِّر بها ابنُ عمه الأمور في تلمسان، ولِكي يُهدِّئ الأوضاع أَطلَقَ سراح المعتَقَلين في فاس، الذين أرسَلهم ابنُ عمه من تلمسان، وكان على رَأسِهم الحاج مصطفى بن إسماعيل، وقائد الحضر الكرغولي بورصالي ، وعلاوةً على هذا فَقَد أكرَمَهم السُّلطان بِكثيرٍ مِن الهدايا، وألبَسَهم حُلى شرفية [4]، كما كَتب السُّلطان رِسالة إلى الكراغلة يحثهم على طاعة الخليفة الجديد المولاي علي بن سليمان ومستشاره القائد إدريس الجراري[5].

ويَبدو أنَّه في الوقت الذي كان السُّلطان يُحاول إرضاء ابن إسماعيل والقائد الكرغولي بورصالي في فاس ،كانت الأمور تَزداد سوءاً في تلمسان بَين الكراغلة والأمير العَلَويِّ، هذا الأَخيرُ الذي تَعرَّضَت مَحلَّتُه للنَّهب مِن طَرَف الكراغلة بمساعدة الشَّيخ بلغماري قائد قبيلة آنجاد[6].

---

[1]- الناصري ، مصدر سابق ،ص 289.

[2]- المزاري ، المصدر السابق ، ج 2، ص88

[3]- الناصري ،مصدر سابق،ص289.

[4]- Cour ,op. cit ,p39.

[5]-رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى كراغلة تلمسان المؤرخة في 26 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق ل 11ديسمبر 1830م ،وتتضمن طلب السلطان عبد الرحمن من كراغلة تلمسان ،طاعة الخليفة الجديد المولاي علي بن سليمان ومستشاره القائد إدريس الجراري : ينظر الملحق رقم 07.

[6] - Cour ,op. cit ,p40.

ومِمَّا زادَ الطين بِلَّة في هذا الوقت، عِلْمُ الفرنسيِّين بِخَبَر وُجود خَليفة عن السلطان في تلمسان[1]، أَين وجَّهَت الحكومة الفرنسيَّة، استِفساراً بِتاريخ 30 ديسمبر 1830م على لسان قُنصُلِها بِطنجة للسُّلطان، هذا الأخير الذي ردَّ حَسب ما جاء عن جوليان بأنَّ المغربَ له حقوق في تلمسان، ومِن واجِبه أيضاً حمايةُ المسلمين[2].وفي المقابِل أَوفَد كلوزيل مَرَّةً أخرى الكولونيل أوفري للمغرب لتقديم احتجاج، لكنَّ أوفري رجع دون إنجاز مَهمَّته، لأنَّ عامل طنجة منعه من ذلك[3].

ويَبدو أنَّ بريطانيا التي بدأت تَحشُر أَنفَها في الموضوع، كان لها أيضاً مَوقفٌ من الوجود المغربيِّ في تلمسان، حَيث يَذكر رنجنز في كتابه أنَّ قُنصُل بريطانيا إدوارد هاي، كان قد نَصَح السُّلطان عبد الرَّحمن بِسحْب جَيشِه مِن تلمسان، لأنَّ هذه الأخيرةَ حسب قنصل بريطانيا تقع ضمن نفوذ الفرنسيِّين، كما حَذَّر هاي السُّلطان مِن مواجهة الفرنسيِّين، وإن حدث ذلك، فلا يَعتَمِد السُّلطان على الدَّعم البريطاني[4].

أمَّا الأمير العَلَويُّ الموجود بِتلمسان والبَعيد عَن أَخبار طنجة والتَّهديدات الفرنسيَّة، فقد كان لا يزال يُحاوِل ضَبط أُمور المدينة، وجيشه الذي يَفقِد الكَثير مِن الانضباط، ولما ضاق ذَرْعاً بهذه المصائب

---

1- لقد كان لخبر تواجد المغاربة بتلمسان ،صدى استياء كبيراً لدى الأوساط السياسية بفرنسا،فبعثت حكومة باريس إلى مفوضها بطنجة بمذكرة احتجاج يوم 31جانفي 1831،ليعلن للسلطان سخط حكومته على هذا الصنيع ، وإنها تعتبر ذلك خرقا لمعاهدة السلم المبرمة سابقا بينهما وبين السلطان محمد بن عبد الله سنة (1191هـ-1777م)،وانتهاكا لحرمة الحدود الجزائرية وتوعدت على ذلك بإعلان الحرب ضد المغرب الأقصى، وبالفعل بعثت بأسطولها مهددة ميناء طنجة في 11جمادى الثاني 1247هـ-18نوفمبر 1831م، وجرت يومئذ بين السلطان وملك فرنسا رسائل دبلوماسية تتعلق بانسحاب القوات المغربية من تلمسان، فتوجس السلطان من ذلك وخاف نشوب حرب بينه وبين فرنسا، يصطدم فيها بقوة نظامية عصرية لا قبل له بها ، ينظر: CHARLES –robert ageron : op-cit, p 67

2 - CHARLES André julien: op-cit, p 82.

3- إبراهيم حركات ،رجع سابق ،ص ص 199 200.

4-ب روجرز ،تاريخ العلاقات البريطانية المغربية حتى عام 1900م، تر وتع يونان لبيب رزق ،الشركة الجديدة دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1981 ،ص191.

خاصَّةً وأنَّه لا زال حديثَ السِّنِّ، فَقَد راسل السُّلطانَ في ذلك[1]، هذا الأخير الذي كتب له مكتوباً يُلزِمُه فيه بالرُّجوع إلى فاس[2]:« ...**ولد عمنا الأرشد مولاي علي ...والعمل على ما قَدَّمنا لكم من جمع المتفرِّقين من المحلة والقدوم فوراً ...** » [3] وكان رجوعه في أواخر شهر جويلية من سنة 1831م، وبذلك تَصِلُ مُدَّة مُكُوثِه في الجزائر سَنةً كاملة .

ولئن كان السُّلطان قد سَحب مُمَثِّله بِسَبَب عَجزِه عَن أَداء وظيفته، فإنَّه مِن جهة أُخرى قام بِمُناوَرة الفِرنسيِّين، حَيث أَبدى لَهم أنَّه استجاب لتَهديداتهم، وفي المقابِل عَوَّضَ ابنَ عَمِّه بِخَليفَةٍ جديدٍ اسمه الشَّريف محمَّد بن العامري قَائد قَبيلة بني حسن[4]، الذي دَخَل تلمسان في 16 أوت 1831م[5]، رفقة مصطفى بن إسماعيل، وحَاميةٍ تَتكوَّن مِن 100 جنديٍّ من العبيد[6]، وَفَور نُزولِه بِمعسكر[7]، سَهِرَ على وضْع جِهاز إداريٍّ حَسب تعليمات السُّلطان، فَنَصَّب على مليانة الشريف

---

[1]- جاء في الحلل عن المشرفي أن المولاي علي لم يستشر السلطان في رجوعه ، « ... **فأمرهم بالخروج من تلمسان والرجوع إلى وجدة ومنها إلى فاس دون إذن من المولى عبد الرحمان، فانتقد عليه السلطان ذلك الرجوع دون إذنه...** » ينظر: المشرفي ،مصدر سابق ،ص 72.

[2]- إسماعيل عبد الحميد العلوي ،تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد، ج1،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1986 ،ص 101.

[3]-رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى المولاي علي بن سليمان والمؤرخة في24 رمضان 1246 هـ الموافق ل 07 مارس 1831م ، أمر الرجوع بالجيش إلى المغرب للاطلاع على النص الرسالة ينظر الملحق رقم 08.

[4] - Cossé Brissac : op-cit, p17.

[5]- CHARLES André julien: op-cit, p 82.

[6]- تذكر المراجع أن القائد أحمد بن العامري وصل تلمسان في صحبة الحاج الشريف بن علي الوزاني والفقيه أبي محمد عبد السلام البوعناني ،وكانت المحلة مكونة من 300 فارس .ينظر:المهدي البوعبدلي، مرجع سابق ، ص 20.

[7]- يبدو أن السلطان أعطى للعامري تعليمات بالاقامة في معسكر لأن الأوضاع في تلمسان لا تسمح ببقاء العامري فيها من جهة ، ومن جهة ثانية حتى يتوارى التواجد المغربي عن انظار الفرنسيين.

محمد الشرقي، والشَّريف المعطي على المدية، إضافة إلى توزيع أَتباع يُشرِفون على تَسيير أرياف النَّاحية الغربيَّة[1].

ورغم أنَّ الوَضع كان مُناسباً للشَّريف العامريّ في تَثبيت الوجود المغربي، أين رَحَّب سُكَّان المدية ومليانة بِمُمثِّلَيْ السُّلطان، فَيما كانت الإشاعاتُ تَتحدَّث عَن دخول السُّلطان بِنَفسه لِتَحرير البِلاد[2]، إلّا أنَّ الأُمور سُرعان ما اضطربت مِن جديد، حيث ثارت ضِدَّه قَبائلُ المخزن في مارس 1832م جَهةَ مُستغانم، وحاصَرتْه في معسكر[3]. ثُمَّ خَرجَ الشريف العامريُّ مِن مُعسكر باتِّجاه تلمسان، أين حَاول دُخولَ قَلعة المشور لكنَّه فَشِل بَعد تَصَدِّي الكراغلة له بمساعدة الشَّيخ الغماري كبير آنقاد، وبَعد عَجز أبي العامري مُمثِّل السُّلطان المغربيِّ عن البَقاء في تلمسان، خَرَج مِنها إلى المغرب. ويَحسُنُ التَّنويهُ هنا بِأنّه بَعد خُروج العامريِّ مِن تِلمسان نَصَّب الباشا محمد بنونة مُمَثِّلاً للسُّلطان في تلمسان، هذا الأمر الذي لم تَتَحدَّث عَنه المِصادر المغربيَّة والجزائريَّة، فَحسب كور cour بَقِي بَنونة يُمثِّل السُّلطان حتى وصول الأمير عبد القادر إلى تلمسان، أَين اقتَنَع سُكَّان تلمسان بطاعة الأمير[4].

ومِمَّا يُثير الدَّهشَة في موضوع الوجود المغربي في الجزائر، أنَّه بِقَدْر ما أثارَ هذا الوجود مِن خِلافٍ بَين المصادر التي تناولت في البداية أمر الاستنجاد، اِختَلَفت أَيضاً اختلافاً واضحاً في سَرد كيفيَّة الانسحاب، فالمِصادِر المغربيَّة كُلُّها اكتفَت بِذِكر فُصول المولاي علي مِن هذا الوجود ،كما أرجعَت سَبَب انسحاب المغاربة مِن تلمسان إلى تَمَرُّد بَعضٍ مِن فَصائل الجيش الذي رافق المولاي علي إلى تلمسان: « **...وفسد العمل وخاب الأمل فحينئذٍ رأى السلطان استرجاع تلك الجيوش التي لم يبق طمع**

---

[1]-Cour ,op. cit ,p43.

[2] CHARLES André julien: op-cit, p- 82.

[3] - Cour ,op. cit ,p44.

[4] - Cour ,op. cit, pp 44 47.

**في صلاحها...»** [1]**.**والسُّؤال الذي يطرح نفسه هنا، وبإلْحاح: لماذا غَيَّبت المصادرُ المغربية الضُّغوطَ التي مارسَتْها فرنسا وبريطانيا على السُّلطان، خاصَّةً وأنَّ أَمرَها كان معلوماً ؟

أمَّا تشرشل الذي تحدَّث عَن الخليفة الثَّاني بإيجاز، فيُرجِّح سَبب انسِحاب المغاربَة مِن تلمسان، إلى ضُغوط الحُكومَة الفِرنسيَّةِ عَلى المغرب:**«...اطَّلعت الحكومة الفرنسيَّة على العلاقة الجديدة بين عَرب الجزائر وبين السلطان عبد الرحمان، فأرسلت في الحال إنذارا إلى السُّلطان بالانسحاب العاجل أو الحرب، ولكنَّ عبد الرحمان لَم يَكن تماماً مستعدًّا للبدْء في الخصام أرسل في الحال الأوامر إلى ابنه بالعودة ....»** [2]**.**

ورَغم تَعارُض مُبَرِّرات انسحاب المغاربة مِن تِلمسان، إلَّا أَنَّ الوجودَ المغربيَّ زاد مِن المشاكل التي كان يُعاني مِنها هذا القُطر مِن الجزائر، حتَّى قالت بعض المصادر أنَّ الفوضى التي تَركها المغاربةُ بَعد خُروجِهم كَانَت أَكبَر مِمَّا كَانت عليه قَبلَ مجيئهم[3]، ومِن ذلك أيضاً ما تَحتفظ به أَدبِيَّاتُ تلك الحِقبَة المتقدِّمة في تاريخ الجزائر المعاصر، فها هو أَحدَ الشُّعراء الذين عايَشوا الحدثَ يَصِفُ الأَوضاعَ التي أَعقبَت انسحابَ المغاربة :

| | |
|---|---|
| آهــا للمَغــربِ الأوســط ضاعــا | وبــان وهنُــه ومَــن بَــه جاعــا |
| تراكمــــت أهوالُــــه وزادت | بــه الشَّــدائدُ الفســادُ ذاعــا |
| جــاء بــه للحُكــمِ أَهــل فــاس | فَجاســوا خــلال دِيــارِه سِراعــا |
| وحَلُّــوا وأَبرَمــوا الحُكــمَ بِظُلــم | ودَبَّــت فيــها اجــراه ضباعــا |
| كــان علــى التَّحقــيق ليســت | بــه رجــال قــد قَهــروا سباعــا |
| لا غــزو يــا عــلويين يَحُــلُّ | بكــم مابــني ســعد قــد عاعــا |
| فإنَّــه قَــبلكم قــد جــاء وا | لمغربنــا وقــد ذهبــوا جزاعــا |

[1]- الناصري ،مصدر سابق ،ج 3 ،ص290.
[2]- تشرشل ، مصدر سابق ، ص54.
[3]- نفس المصدر ،ص54.

رأَو مـــن باســـنا مـــا لـــيس يُـــرى وأسيافُنــــا للُحـــــومِهم قطاعـــــا

بَنادقُنـــــا رصاصُـــــها مُصـــــيب لهـــم بكــــل حــــالةٍ وقاعــــا [1]

فما الأحداثُ التي شَهدتها المنطقةُ بَعد خُروج المغاربةِ، وما موقفُهم مِن هذه الأحداث؟ هذا ما سنعرفه في الفصل الثّاني من هذا البحث

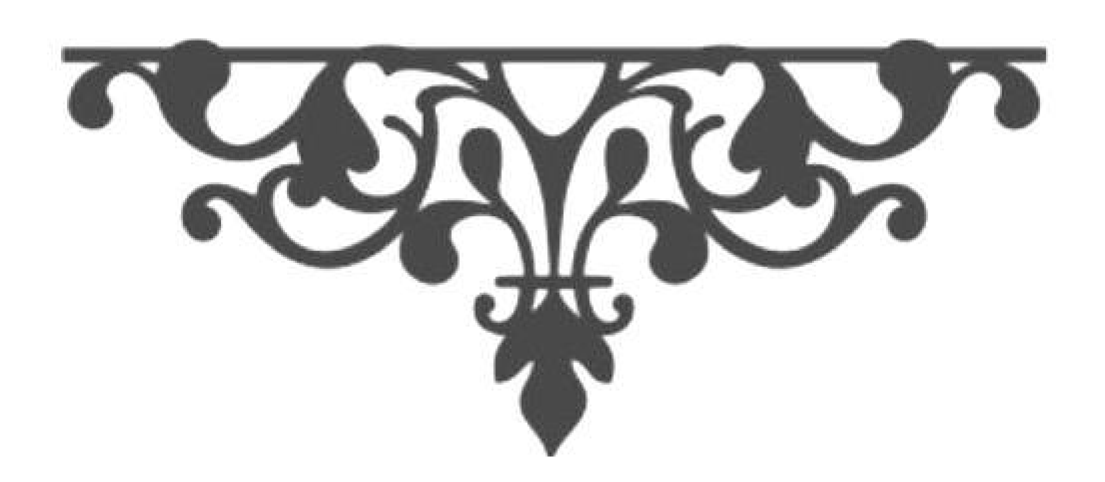
[1] - المزاري ،مصدر سابق ، ص93.



# الفصل الثـاني

## العلاقات الجزائريِّة المغربيِّة على عهد الأمير عبد القادر .

## (1832- 1847)م



## الفصل الثَّاني: العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة على عهد الأمير عبد القادر :

### المبحث الأوَّل : الأمير عبد القادر وتأسيس الدَّولة الجزائريَّة :

شكَّل انسحاب الجيش المغربيِّ مِن تلمسان، بَعد الأسباب التي ذكرناها في ما تقدَّم من الضُّغوط الفرنسيَّة المتعاقِبة على السُّلطان عبد الرحمان، صَدمةً شَتَّتَت الآمالَ التي كانت معقودةً على المغرب الأقصى، لإعادة الاستقرار لهذا الجزء مِن الوطن، والوُقوف أمام التَّوسُّع الاستعماريِّ الفرنسي في الناحية الوهرانيَّة، وبِقدر ما كان مُخيِّباً للتَّطلُّعات، كان دَافِعاً قَوِياً لإيقاظ الضَّمير الوطنيِّ الجزائريِّ[1]، حيث شهِدت السَّاحة السِّياسيَّة في الجزائر آنذاك - وخاصَّةً في ظِلِّ الظُّروف التي ذَكرنا سابقا مِن فوضى وشغورٍ للسُّلطة- مَخاضاً عسيراً أَسفَر عَن ميلاد قيادةٍ جزائريَّة خالصةٍ، تَملأ الفراغ القياديَّ الذي خَلَّفه انسحاب الأتراك ثُمَّ المغاربة من الجزائر.

إنَّ مسؤوليَّة الدِّفاع وخَلق جِهة تعمل على إعادة الاستقرار للبَلَد، كانت الشُّغلَ الشَّاغِل لمجموعة مِن الأعيان الذين يُحسَبون على الطَّبقة المثقَّفَة الوَطنيَّة، التي دَفَعها شُعورُها بالمسؤوليَّة إلى البحث عن قِيادة رَفيعة المناطِ، تَضطلعُ بِأعباء المهمَّات الصَّعبة، وفي هذا يقول المؤرِّخ عبد الرحمن بن محمد الجيلالي :«... **بينما كانت الأمَّة الجزائريَّة، لا حاميَ ولا مجير، وليس للدُّوَل الإسلاميَّة الشَّقيقة للولاء منها المجاورة وغير المجاورة مساعدة أو تأييد .. وحينما كان النَّاس إذ ذاك في حيرة وارتباك، إذ بصوت الواجب يصيح بهم من أعماق القلوب، المخلصة والضمائر الحرة مناديا صارخا..**» [2].

كَما مثَّل العَقد الثَّالث من القرن التَّاسع عشر مُحصِّلة التَّطوُّر الحاصِل في سيرورة بناء الدَّولة[3]الجزائريَّة، التي بَلغت مَرحلة المخاض. هذه الدَّولة أو السَّلطَنَة تُمثِّل في الحقيقة نتيجةً لِتراكم الشُّعور بالوطنيَّة، التي نادت بها القلوب المؤمِنة بِالوطن، ولاسيَّما خلال الظُّروف الصَّعبة التي عَرقَلَت

1- أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 102.

2- عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام ،ج4، دار الأمة، الجزائر ،ط 3، 2010م ، ص280 .

3-ليس المقصود هنا بالدولة أن الجزائر لم تعرف قبل هذا تنظيماً، وإنما قصدنا هنا بناء الدولة بمفهوم الدولة الوطنية الجزائرية الخالصة ذات القيادة القادرة على التكفل بمهمة المقاومة ، ينظر: محمد الطيبي ، مرجع سابق، ص 22 .

قِيام هذا المشروع، الذي اصْطدم قَبل انبِلاج فَجْرِه، بِبَقايا نِظام الأتراك في هذه الجهة، على غِرار قبائل المخزن التي بَدأَت تَميل شَيئاً فشيئاً للسُّلطة الفرنسيَّة قصد حماية مكانتها.

- **بَيعَة الأمير عبد القادر:**

تَميَّز الوضع الاجتماعيُّ والسياسيُّ في الجزائر في نهاية الفترة الحديثة وبداية الفترة المعاصِرة، بِنَشاط الطُّرُق الصُّوفِيَّة التي كان لها دَور فَعَّال في تَوجيه الحياة الثَّقافيَّة والسِّياسيَّة للجزائريِّين، عامِلةً على صَقل روح الانتماء والمحافظة على الهُوية الإسلاميَّة ومُقوِّماتها العربيَّة مِن جهة، وتَأطير المواقِف السِّياسيَّة مِن جهة ثانية [1]، كما لَعب الدِّين في هذه الآونة دوراً كبيراً في السِّياسة والحرب والأدب[2].

ومِن أَهمِّ الطُّرُق الصُّوفيَّة التي ذاع صيتُها في بداية هذا القَرن الطَّريقة القادريَّة[3]التي تُنسَب إلى سيدي عبد القادر الكيلاني[4]، دَفِين بَغداد، والمَلَقَّب بِسُلطان الأولياء، التي انتشرت في منطقة التَّلِّ الوهرانيِّ خاصَّةً، حيث تُقِيم القبائل العربيَّةُ المعتَزَّةُ بِأُصولِها والمشهورة بِشدَّة بَأس فُرسَانِها[5]، وانْتَسَبت لِهذه الطَّريقة في أَوائِل القرن التَّاسِع عشر ثلاثون زاويةً[6]، أَهمُّها زاويةُ القيطنة[7]التي أسَّسَها الحاج مصطفى بن المختار الغريسي، الذي خَلَفَه بعد وفاته ابنُه الأكبر الشيخ مُحيي الدين[8].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير عبد القادر الجزائري ،مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين الإبداع الشعري ،الكويت ،2000 ،ص 113.

[2] -عائشة بن ساعد، البعد الروحي لمقاومة الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرة ماجستير ،قسم التاريخ، جامعة الجزائر،2004 ،ص 50.

[3] - الطريقة القادرية انتشرت في الجزائر خلال العهد العثماني على الخصوص بمنطقة الجنوب الوهراني والهضاب العليا، وتفرعت إلى قسمين :العيساوية والعمارية .ينظر : عائشة بن ساعد، مرجع سابق ،ص 55.

[4] - هو أبو عبد القادر محي الدين بن أبي صالح بن عبد الله بن يحي الكيلاني، ينتهي نسبه إلى عبد الله الكامل بن الحسن المثنى بن علي، ولد بقرية نيف بجيلان قرب بغداد عام 1079م للمزيد حول هذه الشخصية ينظر: عبد القادر الجيلاني، السفينة القادرية، تع محمد المنلا، منشورات مكتبة النجاح، طرابلس، ص 97

[5] - ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق، ص 114.

[6] - Louis Marie Rnn « Marobouts et khouan Etude sur l’islam en Algérie » , Ed Adolphe Jordan libraire ,Alger , 1884 ,p200.

[7] - القيطنة :قرية على بعد 28كلم من مدينة معسكر، مقر أسرة الأمير عبد القادر اِختطها جده مصطفى بن المختار سنة 1206هـ-1791م،وفيها ولد الأمير، وعرفت آنذاك إشعاعا دينيا وثقافيا معتبرا بفضل زاويتها القادرية، وقد هدمها بيجو في سبتمبر 1841وهي اليوم بلدية تابعة لدائرة بوحنيفية ولاية معسكر.

[8] - ناصر الدين سعيدوني ، عصر الأمير عبد القادر الجزائري، مرجع سابق، ص114.

كان الشَّيخ مُحْيِي الدِّين مِن أَبرَز الوُجوه الدِّينيَّة والسِّياسيَّة في الغرب الوهرانِيِّ[1]، وذلك لما أَظهَرَه مِن الوَرَع الكامِل، والزُّهدِ الفائِض، وصَلاح الرَّأي، وحُسن التَّدبير[2]، وخَاصَّةً بعد سِلسلة الانتصارات التي حقَّقَها ضِدَّ الفرنسيِّين في خَنْق النّطاح[3]، أين بَدأت تَظهر عليه ملامحُ القائد، فَكانَت هذه الإشاراتُ دافعاً قِوياًّ للمُرابِطين وأَعيان النَّاحيَة لِيَعرِضوا عَليه قِيادَة البلاد، ولكنَّه رَفَض مُعتَذِراً بِكِبَر سِنِّه[4]، وعَرَض عَلَيهِم مَن هو أَصلَحُ لها وأَقدَر، وَلَدَه عبد القادر[5]، «..**إنَّكم تعرفون أنَّني رجل سلام مكرِّسٌ نفسه لعبادة الله وأنَّ الحُكمَ يقتضي استِعمال القوة بِغلظة وبِسَفك الدِّماء ولكن مادُمتم تُصرُّون على أن أَكون سَلطانكم فإنِّي أَقبل، ولكن أَتنازل عن ذلك لصالح ابني عبد القادر...**»[6].

وَذلك بَعد أنْ أَثْبَت شَجَاعَتَه في واقِعَتَيْ خَنق النطاح، وفي الثَّانية بالخصوص[7]، والتي قادها الأمير الشَّابُّ لِوَحدِه بَعد أن غَاب والدُه مُحْيِي الدِّين ،حيث كانت فرصةً لاختِبار حِنكَته العسكريَّة[8].

1- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين ، ج1 ، دار البصائر، الجزائر، 2009 ، ص 36 .

2- عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ، ج4 ، ص 283 .

3- تشرشل ، مصدر سابق ، ص52 .

4- صلاح العقاد ،المغرب العربي في التاريخ الحديث والمعاصر ،المكتبة الانجلومصرية ، مصر ، ط6 ، 1993،ص 100.

5- ولد الأمير عبد القادر يوم الجمعة 23 رجب سنة 1222هـ ـالموافق لـ25 سبتمبر1807م بالقيطنة الواقعة بواد الحمام شمال غرب مدينة معسكر، ولد في بيت عريق في العلم والسؤدد والصلاح، بيت سيد قادة بن المختار من قبيلة عربية ذائعة في الصيت المعروفة بالحشم المنحدرة من قبائل سليم وزغبة، نشأ عبد القادر في أحضان والده محي الدين وتربى في عشيرته وقومه، وسلك مسالك آبائه وأجداده، جامعاً بين آداب الدرس وآداب النفس ، فحفظ القرآن وختمه وهو لا يزال فتى، وأحب الفروسية فكان صاحب سيف وجواد منذ صباه، ولحب والده له فإنه صحبه معه إلى الحج سنة 1827م وعمره إذ ذاك عشرون عاما، فطاف معه أشهر بين عواصم المشرق الإسلامي، فذهب من تونس إلى القاهرة، ثم دمشق وبغداد والحجاز، وهناك تعرف على كبار الشخصيات كعبد الله الكزبري إمام دمشق ومحدثها، وضياء الدين خالد النقشبندي السهروردي، والشيخ محمد القادري نقيب أشراف بغداد وغيرهم ، وبعد رجوعهما إلى أرض الوطن رفقت والده، عكف على التبحر في العلوم فيقال أنه اشترى نفائس الكتب في سفره فقرأ الرياضيات والعلوم والطب والفلسفة _ للاطلاع أكثر .ينظر : هنري شرشل مصدر سابق؛ والأمير عبد القادر، مصدر سابق، و أ ف.دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ،تر تق أبو العيد دودو، دار هومة ، الجزائر،2012م ،ص20.

6- تشرشل، مصدر سابق ، ص 56 .

7- شوقي أبو خليل ،الإسلام والحركات التحررية العربية ، دار الرشيد ،دمشق ،ط1 ، 1976 ،ص 69.

8- هوارية بكاي ، الاحتلال الفرنسي لمنطقة تلمسان وردود الفعل الوطنية " الأمير عبد القادر الجزائري نموذجاً " ،مجلة القرطاس ،العدد 1 ، 2012 ، ص 235.

أَخَذ عبد القادر- الأميرُ الشَّابّ - البَيعَة في 21 نوفمبر 1832م، وهو لَم يَتجاوَز الرابعة والعِشرين مِن عُمره[1]، وَرَغم صِغَر سِنّه استَطاع أَن يَتحمَّل مَسؤوليَّة الجِهاد[2]، فَكان ابن مُحيي الدِّين شَاباً يَتَّقِد حَماساً وبأساً، وبِقَدر هذا الحَماس كانت المسؤوليَّة كبيرة، وهي طَرد الفرنسيِّين مِن البلاد، وإقامةُ دولةٍ عربيَّةٍ إسلاميَّةٍ[3]، وكان ظُهور الأمير الشَّابّ على مَسرَح الأَحداث، وتَولِّيه القِيادَة في هذه الفَترَة الحَالِكةِ مِن تَاريخ الجزائر، فُرصةً أَمام الجزائريِّين لإقامة دَولةٍ أَساسُها الدِّين وقِوامُها التَّآخي والتَّفاهُم، وهذا ما يُؤسِّس قَاعدَةً لِبنَاء دَولةٍ وَطنيَّةٍ لا تَقوم على الإكراه، ولكن تَستَنِد إِلى مَبادئ العَدل، والتَّعاوُن بَين الجَميع، وقَد تَمَّ ذلكَ عِندما نُصِّبَ الأميرُ عَلى رَأس الإمارةِ، واعتُرِفَ له بالزَّعامَة في بَيْعَتَين مُتَتَالِيتَيْن[4].

- **بناء الدَّولة :**

اِتَّخذَت البَيعَتان وبالخصوص الثَّانية( 04 فبراير 1833م ) طابِعاً وَطنِياً وصِبغَةً شَرعيَّةً[5]، مَكَّنَت الأَميرَ أَنْ يَتصرَّف كَسُلطان[6]، حَيث شَرع بَعد أن استَتَبَّ له الأَمر في تَشكِيل الحُكومَة التي سُمِّيت الدِّيوان، وكان مقرُّها معسكر[7]، وعُيِّنَ عَلى رَأس الدِّيوان الحَاجِب وهو السَّيِّد محمَّد بن العربي ويساعده في عَمَلِه ثلاثةُ وُزَراء وهم : السيد أحمد بن علي أبو طالب، والحاج مصطفى بن التهامي، والسيد الحاج الخروبي، أمَّا المستشار(حاجب الأمير) فهو محمد علي الرحاوي[8]، كما انتَهجَ الأميرَ سياسةً إداريَّةً تَقوم على نظام المقاطعات، حَيث يَتولَّى كلَّ قطاع خليفةٌ يُمَثِّل الأمير، وتَكون تَحتَ

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر،مرجع سابق ،ص 37 .

[2]-عائشة بن ساعد، مرجع سابق ،ص 67.

[3]- عبد الجليل التميمي ،بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي ،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط2 ،1985 ،ص 44.

[4]- ناصر الدين سعيدوني،عصر الأمير، مرجع سابق، ص ص 203- 204- 205 .

[5]- نفس المرجع ،ص 206.

[6]- نقولا زيادة ،صفحات مغربية ،الأهلية للنشر والتوزيع ،بيروت ،2002 ،ص 100.

[7]- مدينة تبعد عن وهران ب 95كم بالجنوب الشرقي وهي من المدن الهامة بالغرب الجزائري ومن أقدمها، أسسها الرومان وأطلقوا عليها تسمية كاسترانوفا أي المدينة الجديدة، وفي القرن 6 هـ 12م جعلها الموحدون قلعة عسكرية، ثم أصبحت في عهد الزيانيين إقليما للعرب، وفي العهد العثماني صارت عاصمة بايلك الغرب في عهد مصطفى بوشلاغم، واستمرت عاصمة البايلك حتى سنة 1792م _ ينظر سيرة الأمير عبد القادر الذاتية، مصدر سابق ، ص 47 .

[8]- إبراهيم مياسي ،من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ،ديوان المطبوعات الجامعية ،الجزائر ،ط2 ،2007 ،ص 35.

تَصرُّفِه مجموعة مِن الأَغَوات، حَسب هذا النِّظام اشتَملَت دَولةُ الأَمير في أَوَّل أَمرِها عَلى مُقاطَعَتَين رئيسَتَيْن، هما مُقاطَعَة الشَّرق ومقَرُّها مُعسكر، وتَتَكَوَّن مِن سَبعة أغليكات، تولّاها ابنُ عمِّ الأمير أَحمد بن التهامي[1]، ومُقاطَعة الغَرب ومركزُها تلمسان، وتَتَشكَّل مِن خَمسة أغليكات، عليها الخليفة محمَّد البوحميدي الولهاصي[2]، ثُمَّ تعدَّدَت المقاطَعات بعد أَن توسَّعَت دَولَة الأمير وانتَظَم أمرُها[3].

يَقوم النِّظامُ الإداريُّ لِدَولَة الأمير عبد القادر على الهياكل القَديمة لنظام البايلك، الذي أثبَتَت بعضُ تَنظِيماتِه مُلاءمَتَها لَلبيئة الجزائريَّة، مَع تَعدِيلات اقتَبَسَها مِن بَعض النُّظُم المعمول بها في الدَّولةِ العَلَويَّة بَالمغرب الأقصى، لمرونَتِها وتَمَاشِيها مَع النِّظامِ القَبَليِّ السَّائِد في الرِّيف، أمّا جَيشُه فَكان مُنظَّماً على غِرار الجيوش الأوروبيَّة الحديثة، حَيث بَلغ في أقصى قُوَّة الدَّولة حدود 153000 جنديٍّ ،مُزَوَّدِين بَأحسَن الآلات الحربيَّةِ، وأَحدَث الأسلحة العصريَّة[4]، وقد قسَّم هذا الجيشَ إلى ثلاثة فرق :

- فرقة المشاة
- فرقة الخيالة
- فرقة المدفعية

---

[1]- هو الحاج مصطفى بن أحمد التوهامي ولد سنة 1796 كان والده مفتيا في عهد العثمانيين، ولما بويع الأمير عينه على رأس ديوان الإنشاء، وبعد وفاة الخليفة ابن فريحة في حادثة خلال حصار تلمسان عينه الأمير خلفاً له على مقاطعة الشرق معسكر، ثم قائداً للدائرة بعد هزيمة الزمالةن وهو ابن عم الأمير عبد القادر وأحد المقربين والمخلصين له _ ينظر :سيرة الأمير، مصدر سابق ،ص166.

[2]- محمد بن عبد القادر البوحميدي الولهاصي ينتمي إلى قبيلة ولهاصة البربرية المتواجدة بجبال ترارة بتلمسان وعرف بصلابته وورعــه، كلفه الأمير بمدينة تلمسان ليكون خليفة عليها عند جلاء الجينرال كافينياك منــها في 25 جوان1837م _ ينظر: نفس المصدر ، ص197 .

[3]- ناصر الدين سعيدوني ،عصر الأمير ،مرجع سابق ، ص ص 213 215 .

[4]- شوقي أبو خليل ،مرجع سابق ،ص 70.

وبالإضافة إلى هذا الجيش النِّظامي شكَّل الأميرُ جَيشاً آخر مِن المتطوِّعين[1]، وكان نِظام التَّجنيد يقوم على مبدأ التَّطوُّع لفَريضَة الجِهاد عَلى الأفراد القادِرين على حمل السلاح، مُقابل مُرتَّبات قارَّةٍ، فَضلاً على إنشاء الحُصون وتَشييد المدُن وإنشاء مَصانع للسلاح[2].

- **العلاقات الخارجيَّة :**

حِرصاً مِن الأَمير عَلى تَثبيتِ أركان دولتِه، وفَرضِ وُجودِه إقليمياً ودَولياً أَقام اتِّصالات سياسيَّةً، وعلاقات دبلوماسيَّةً مَع الدُّول التي كانت لها علاقةٌ مَع الجزائر، أَو أَظهَرت اهتِماماً بِأوضَاعِها، حَيث كان قِوامُ هذه العلاقاتِ التَّعامُل بالمِثل، وضَمانُ المِصالح المشترَكَة[3]، وكانت سياستُه الخارجيَّةُ تَعتمِد عَلى إيفاد المبعوثِين في المراسَلات واعتِماد وُكَلاء، فَبَرَز في النَّشاط الدِّبلوماسيِّ لِدَولَةِ الأَمِير عَبد القَادر رِجالٌ مُحَنَّكُون ذَوُو كَفاءةٍ منهم محمد البوحميدي، والميلود بن عراش[4]مِن قَبيلَة الغَرابة الذي يُعتَبر بِحق أَفضَل شخصيَّةٍ سياسيَّةٍ في المجال الدِّبلوماسيِّ، كما كان لليَهودِيَّيْن نِيكُولا مَانُوتشي، وابن دَارَانْ، دَورٌ في اتِّصالات الأمير مع الممالك الأوروبيَّة[5].

هذا عن الدَّولةِ الجزائريَّة التي أَقامَها الأمير عبد القادر الجزائريِّ، والتي مِن خلالها نستطيع تَتبُّع واقِع العلاقاتِ الجزائريَّة المغربيَّة، وذلك بالوُقُوف على حَقيقَة العلاقات التي رَبَطت الأمير عبد القادر والسُّلطان المولاي عبد الرحمن بن هشام، مُستَعرِضِين في ذلك الأحداثَ التَّاريخيَّةَ وانعكاسَاتِها عَلى هذه العلاقة مرحلةً فَمرحلة.

---

[1] - محمد علي الصّلابي، مرجع سابق ،ص 371.

[2] - ناصر الدين سعيدوني ،عصر الأمير، مرجع سابق، ص218.

[3] - نفس المرجع، ص 220.

[4] - ولد ابن عراش ببني شقران في أسرة متواضعة حوالي سنة1800م، حيث نشأ في رعاية والده الذي كان آغا عند بايات وهران ، وكان ذا خصال متميزة بالحذق والمهارة جعلته ينال حظوة كبيرة لدى الأمير الذي أسند إليه مهام شؤون الخارجية، فأشرف على إبرام معاهدة دي ميشال و تافنة . له عدة سفريات أشهرها إلى ملك فرنسا لويس فيليب _ ينظر: سيرة الأمير عبد القادر الذاتية ، مصدر سابق ، ص171.

[5] _ ناصر الدين سعيدوني، عصر الأمير، مرجع سابق ، ص221.

## المبحث الثَّاني : علاقة الأمير بالسُّلطان عبد الرحمن قبل إيسلي:

- **تطوُّر أحداث المقاومة الجزائريَّة و مَوقِف السُّلطان المغربيِّ منها :**

مثَّلت علاقة الأمير عبد القادر الجزائريِّ والسُّلطان عبد الرَّحمن المغربيِّ في الحقيقة، علاقةَ بَلَديْن يجمعُهُما التَّاريخ والجغرافيا، ولِشعُوبهما أَواصر يَشدُّ بعضُها بعضاً، مِن دِينٍ ولُغةٍ، وأُخوَّة ودم، وجِوارٍ طَويل[1]، حَيث كان لِقيام دَولةِ الأَمير عبد القادر في شَرق المغرب الأقصى عَلى أساسٍ مِن رِعايَة الجِوار، والتَّفاهم والتَّعاطُف بَين الشَّعبَين، مَوضِعَ رِضا السُّلطان عبد الرَّحمن خلال السَّنَوات الأُولى مِن قِيام هذه الدَّولةِ، وقَد زاد العَلاقَةَ مَتانَةً بَين الشَّعبَين الشَّقيقَيْن شُعور الإعجاب الذي كان يَحمِلُه السُّلطان عبد الرَّحمن والمغاربةُ للأَمِير الشَّابِّ المجاهد [2]، لما أَبْدَاهُ خِلالَ أَعوامٍ مِن ضُروب الشَّجاعة في جهاد الأعداء، ولكن سُرعَان ما تَكَدَّر الجوُّ بينهما.

وباعتبار الأمير والسلطان الفاعلَين الرّئيسَيْن في رسم مَلامِح هذه العلاقات، فقَد سَعَت فرنسا، وتحت شِعارها المعهود "فَرِّق تَسُد"، إلى زَرع الفِتنَةِ بَينهُما،كما كان لها دَورٌ في تَوجِيه هذه العلاقة، التي انتَهت بِفُصُول مُؤلِمة بَين الأمير والسلطان.

وحَسب سَيْر الأَحداث نَستَطِيع أَن نُقسِّم العلاقةَ بَين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمن إلى ثلاثِ مراحل: المرحلة الأُولى تَبدَأُ مِن قِيام دَولَة الأمير عبد القادر إلى مَوقِعة إيسلي، ثُمَّ المرحلة الثَّانية والتي تَبدأ مِن مَوقِعة إيسلي إلى إبرام مُعاهَدَة لالَّة مغنية، ثُمَّ المرحلة الثَّالثة والتي تَمتدُّ مِن مُعاهَدَة لالَّة مغنية إلى نهاية المقاومة مع تسليم عبد القادر سنة 1847م.

---

[1] - عزالدين بن سيفي، "**العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر الجزائري والسلطان عبد الرحمن المغربي**" ،مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية ،العدد 29 ،السنة 2016 ،ص 50.

[2] - إسماعيل العربي ،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1982م ، ص267.

- **ظُهور الأمير ومَوقِف السُلطان مِن البَيعة وفَتح تلمسان الأَوَّل :**

لم يَكن السُّلطان عبد الرحمن غافِلاً عَمَّا يَجرِي في الجَزائر عامَّةً، والنَّاحيةِ الغَربيَّةِ خاصَّةً، مِن أَحداثٍ أَعْقَبَت خُروجَ العامريِّ مِن تلمسان، وكانت الأخبارُ تَصِلُه عَن طريق الباشا محمد بن نونة التَّاجر المغربيِّ المستَقِرِّ في تلمسان، فَمِن البديهيِّ أنْ يكون هذا الأخيرُ قَد أَبلَغَه عن بَيعَة أهل الغَربِ الجزائريِّ للأَمير ابن مُحيي الدِّين، الذي يَنحَدِر مِن أُسرَةٍ مَعروفة في البِلاط المِلَكي المغربيِّ، حتى أنَّ بَعض المؤرِّخين الفرنسيِّين[1]كانوا يَعتَقِدُون أنَّ مُحيي الدِّين والد الأمير كان خَليفَة السُّلطان على تلمسان، مُستَدِلِّين بالتَّقارير التي كان الجنرالات الفرنسيُّون يَرفَعُونها إلى وزارة الحرب[2].

إِّلا أنَّنا نَستَبعِد أَنْ يَكون والدُ الأَمير الشَّيخ مُحيي الدِّين قد تَولَّى وظيفةَ خليفة السُّلطان في تلمسان، وحُجَّتُنا في ذلك غِياب مَا يُؤَكِّد هَذا الأمرَ في جميع المصادر التي اطَّلَعْنا عليها، فَتَقرِير قَاضي أَرزيو الذي استَنَدَ عَليه بعضُ المؤرِّخين الفرنسيِّين قَد يكون فيه مُبالغَةٌ، أمّا عن مَوقِف السُّلطان مِن خَبر بَيعَة الأَمير ودُخولِه تِلمسان فقَد اختَلَفَت المصادرُ في شَأنه، فابن التهامي يذكر أنَّ الأميرَ أَظْهَر حُسْن نِيَّتِه في عَدَم تَجاوُز السُّلطة الرُّوحيَّة للسُّلطان عبد الرحمن، فَكَتَب له «:**...إنَّ أهل ناحيتنا هذه اتَّفَقوا أشرافاً وعُلَماء وأَهل العقد والحلِّ على ولايَتِنا ومُلازمَته بيعتَنا، وقد أمر كتاب ذلك موافَقَة للوالد إذ كان هو المطلوب بها ففر منها وألزمنا إياها ...**» [3]ويَبدُو مِن خِلال النَّصِّ أنَّ الأَمير أَظهَر تَواضُعَه وأَدَبَه إلى السُّلطان كما أَبطَن طِيبَة سَريرَتِه وحُسنَ سِيرته، ومِن جِهتِه أَظهر السُّلطان فرَحَه[4]، وأجاب بِأَلطَفِ العِبارات عن قَبوله :« ...**إنَّ أهل الوطن أصابوا وما غلطوا وعلى الخبير سقطوا والله يعينكم**

---

[1] -Cour ,Op .cit ,p 40.

[2]- جاء في تقرير رفعه قاض أرزيو أحمد بن الطاهر إلى الجنرال بوايي مؤخر في12 ماي 1830م عن العلاقة بين محي الدين والسلطان عبد الرحمان حتى ذهب الجنرال بوايي إلى الاعتقاد أن محي الدين هو خليفة السلطان المغربي على تلمسان بعد خروج العامري :ينظر محمد بن جبور، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر من خلال وثائق الأرشيف المغربي ،أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، وهران، 2013- 2014 ص 126.

[3]- مصطفى بن التهامي، مصدر سابق ،ص131.

[4]- تشير إحدى مراسلات الجنرال بوايي إلى وزارة الحرب مؤرخة في 12ديسمبر1832م أن الأمير تلقى التهنئة من طرف السلطان بالبيعة. ينظر: محمد بن جبور،مرجع سابق،ص 131.

**ويحفظكم والسلام ...** »[1]، وكان مِن حِلْم الأَمير أيضاً ومُراعاةً لِتَبجِيل آل البَيتِ أَنْ أَمَر وُلّاتِه بِالدُّعاءِ للسُّلطان عَبد الرَّحمن على المنابر[2]، ثُمَّ يَأتُوا بِذكره – أي الأمير – بعدَه[3]، وخَاصَّةً ونَحنُ نَعلم أنَّ نَصَّ البَيعَة التَّامَّة التي خَوَّلَت للأمير الجَمعَ بَين السُّلطَتَيْن الزَّمنِيَّة والرُّوحيَّة، لَم تَتضمَّن اسمَ السُّلطان المغربِيِّ، إلا أنَّ الأمير رَفَضَ لَقَبَ السُّلطان واكتَفَى بِلقَب الأمير[4]، كَما أَظهَر طاعتَه للسُّلطان احتراماً لمشاعر المسلمين.

أمَّا بنونة الذي كان في تلمسان يَشغَلُ مَنصِب باشا نائباً عن السُّلطان بعد خروج العامريِّ منها- كما سبق وأن ذكرنا في الفصل الأَوَّل- فَقَد التَجَأ إلى ضَريح سيدي بومدين فاسِحاً المجالَ أمام الأمير لِدُخُول المدِينة، وهَذا ما يُرجِّح أنَّ بنونة لَم يَعتَرِف بِبَيعَة الأمير، حيث تَذكُر المصادِر أنَّ بنونة فَرَّ إلى المغرب بعد أَن استَقرَّ الأميرُ في تلمسان، وعلى النَّقيضِ مِن ذلك فَقد جاء عن النَّاصري أنَّ مُمثِّل السُّلطان قَبِل بَيْعة الأمير بَعدَ أَن اعتَرَفَ هذا الأخيرُ بالسُّلطان عبد الرحمن[5].

وقام الأمير بعد دُخول تلمسان بِتَعيين أَحدِ أَعيان الحَضَر في مَنصِب خَليفة، أمَّا الكراغلة فَرفَضوا تَسليمه المشور رغمَ اعتِرافِهم به، مِمَّا دَفع الأمير إلى مُحاصَرَتِهم[6]، أمَّا السُّلطان عبد الرحمن فَغَضِب حَسب رواية ميشان مِن خَبَر دُخول الأمير تلمسان وطَرْدِه مُمَثِّلَه بنونة، حيث أَصدَر ظَهيراً يأمر فيه عُمَّالَه بِمُصادَرَة كَلِّ القَوافِل المتَّجِهة إلى الجزائر، وكان هذا الإجراءُ دليلاً على رفض السُّلطان وُجودَ الأمير في تلمسان[7].

---

1- ابن التهامي، مصدر سابق، ص 131.

2- الناصري ، مصدر سابق ، ص 297 .

3- ابن التهامي ،مصدر سابق ،ص 131.

4- أحمد كمال الجزار ،المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر ،مطبعة العمرانية لأوفست، الجيزة ،ط1، 1997 ،ص 23.

5- الناصري ، مصدر سابق ، ص 292.

6- محمد مكاوي، "**جوانب من المقاومة الوطنية في تلمسان ونواحيها، 1830-1930م**"، مجلة الحكمة ، العدد08. السداسي الثاني، 2016، ص291.

7- محمد بن جبور ،مرجع سابق ، ص 134.

ومَن جِهَتِه بادرَ الأَميرُ حَسب رواية المؤرِّخ دي بريسك إلى الصُّلحِ فَأرسَل وَفْداً إلى فاس مُحَمَّلاً بالهَدايا، أين استَقبَل السُّلطانُ الوفدَ بِحَفاوَةٍ كَبيرة، وأَكرَمَهُم بِالهدايا وبَعث إلى الأمير بِكمِّية مُعتَبَرَةٍ مِن الأسلحة والمِعَدَّات الحربيَّةِ[1]، كما أَرسَل السُّلطان أيضاً حَسب آزان الباشا بنونة مِن جديد إلى تلمسان، أَين تَلقَّاه الأميرُ بالتَّرحيب، وعُيِّن في مَنصِبٍ يَليق به[2].

- **مُعاهَدة دي ميشال[3] 26 فيفري 1834م:**

ما كادَ الجنرال دي ميشال يُباشِر حُكمَه لوهران، حَتَّى فَجَأَهُ جيشُ الأَمير وقد طَوَّقَ الإقليمَ مِن كلِّ جانب[4]، وقَد رَأى هذا العَجوز المحنَّك أنَّ أَفضَل طَريقة لِبَقاء الفرنسيِّين في إقليم وهران هي مُهادَنَة الأمير[5]، وإِثر هَذا عَقد الطَّرفَان مُعاهَدةً حملت اسم دي ميشال في 26 فيفري 1834م، ونَصَّت المعاهدة على وَقْف الأعمال الحربيَّة، وإِطلاق سَراح الأَسرى، وحُريَّة التجارة[6]، كما اعتَرف فيها دي ميشال بِسُلطَة الأمير ولقَّبه فيها بأمير المؤمنين[7].

---

[1] - Cossé. Brissac : «Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847) »,éd la rose ,paris ,1931 ,p 37 .

[2]- Azan .p : « L'émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patriotisme Français », Hachette, Paris, 1929, p 33.

[3]-هو لويس اليكس ديمشال ولد بباريس 05 جانفي 1780، انخرط في الجيش الفرنسي سنة 1805م وارتقى عدة مراتب عسكرية، عين قائدا عاما للجيش الفرنسي في القطاع الوهراني سنة ،1838 و في البداية حاول الإعتماد على القوة بغزو القبائل والمدن المجاورة لوهران، لكنه مالبث أن إقتنع أمام مقاومة الأمير بضرورة عقد الصلح لتفادي الخسائر الحربية ،فعرض على الأمير معاهدة سلم وقعها معه في 26 فيفري 1834، وأصبحت تحمل إسم معاهدة "دي ميشل" _ ينظر : سيرة للأمير عبد القادر الذاتية ، مصدر سابق ، ص 118.

[4]-أحمد توفيق المدني ،كتاب الجزائر ، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار ، الجزائر ،2010 ، ص 67.

[5]- شارل روبير أجيرون، تاريخ الجزائر المعاصر، تر عيسى عصفور، منشورات عويدات، بيروت – باريس، ط1 ،1982 ، ص 24.

[6]- يحي بوعزيز ،ثورات الجزائر، مرجع سابق ،ص 38.

[7]- أ ف دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ، تر أبو العيد دودو ،دار هومة ، الجزائر ، 2012، ص ص 46 47 .

مِن الواضح أنَّ السُّلطان الذي كان مُبتَهِجاً لِسلسلةِ الانتصارات العسكريَّة التي حقَّقَها الأمير ضِدَّ الفرنسيِّين وتلقَّاها بِكَثيرٍ مِن التَّقدير والاحتِرام، قَد رَحَّب أَيضاً بِهذا الانتصار السِّياسيِّ للأمير، وفي هذا يَقول المؤرِّخ عبد الرحمن الجيلالي الذي عَبَّر عَنه باعتِراف دولة المغرب الأقصى بالحكومة الجزائريَّة: « ...**ويوم أن تَمَّ التَّوقيع على معاهدة وهران – ويقصد بها مُعاهدة دي ميشال– وأَوفَد سلطان المغرب الأقصى المولى عبد الرحمان بن هشام مَن يَقوم بتَمثيل دَولَتِه في تقديم مَراسيم التَّحيَّة والهناء إلى حكومة الأمير عبد القادر بمناسبة نَجاحِها في الميدان السِّياسيِّ بهذا التَّفوُّق الباهر، وإحرازِها على الفوز بَعد هذا النِّضال، حيث حلَّ الوَفدُ في الجزائر مَصحُوباً بِهدايا نَفيسة وذَخائِر وآلات حربيَّة، كما جاؤوا مَعهم بِطائفة مِن الجُند الفرنسيِّ الذين كانوا قَد فَرُّوا فيما سَبق إلى المَغرب الأقصى، فبَعثَ بهم المولى عبد الرحمان إلى الأمير لِيَرى فيهم رَأيَه، فَقَبِل الأميرُ كلَّ ذلك بِقَبول حَسنٍ وأَكرَم وِفادَة الوَفد وعظَّم جَانِب السُّلطان...** »[1]، إلّا أنَّ بَعض المِصادِر الفرنسيَّة تُشير إلى عَدَم رِضَا السُّلطان على هذه المعاهَدَة، فَحَسب زَعمِهم قَد غَضِب السُّلطان وأَرسَل بنونة للاستيلاء مُجَدَّداً على تلمسان، وبَرَّرُوا ذلك بأنَّ الأميرَ الذي استَفاد مِن مَزايا استغلال ميناء أرزيو ورشقون حسب معاهدة دي ميشال، قد أَصبَح في غِنَى عَن المساعدات التي كانت تَصلُه مِن المغرب[2].

- **إخضاع المُناوِئين والمتمرِّدين لِسُلطة الدَّولة :**

استغلَّ الأميرُ فُرصَةَ الهُدنَة التي تَلَت التَّوقيع على مُعاهَدة دي ميشال في تدعيم أُسُس دَولتِه، وقَد كان أَوَّل عَملٍ قام به هُو تَوحِيد كَلمَة القَبائل الجزائريَّة تَحتَ سِيادتِه[3]، وإِخضَاع المتَمَرِّدِين إلى سُلطَتِه، وخَاصَّةً مِن الذين شَقُّوا عَصا الطَّاعَة، ومِنهُم مصطفى بن إسماعيل شيخ الدواير، وشيخ قبائل شلف سيدي العربي، وشيخ أنجاد عبد الله الغماري[4].

---

1- عبد الرحمان الجيلالي ، مرجع سابق ،ج 4 ، ص 309.

2-بن جبور ، مرجع سابق ،ص 149.

3- يحي جلال ،مرجع سابق ، ص 145.

4- بن جبور ،مرجع سابق ، ص 147.

وفي12 أفريل 1834م وَقَعَت أَوَّل مُواجَهَة بَين الأمير والمتَمَرِّد مصطفى بن إسماعيل، والتي انتهت لصالح الثَّاني، وإثر هذا الانتِصار شَعر العَجوز مصطفى بن إسماعيل بالغُرور، وَوَجَّه رسالةً إلى الفرنسيِّين يَعرِضُ عَليهِم خَدَماتِه ويَأخُذ مَكان الأمير[1]، إلّا أنَّ دي ميشال رَفَضَ عَرضَه وَزادَ على ذلك أَنْ دَعَّم الأميرَ بِمَا يَستَحِقُّ مِن آلاتِ الحَربِ، أمَّا الأَمير الذي استَطاع في وقتٍ وَجيزٍ أَن يُلَملِم جِراحَه فَقد اتَّجَه شَرقاً بِجَيشِه للقَضَاءِ عَلى سيدي العربي بشلف، ثُمَّ نَزل في قبيلة ابن المخفي مُؤدِّباً، وخَتَم سِلسِلة انتصاراتِه بِدَحْر ابن إسماعيل عند سيق في معركة طاحنة في 12 جويلية 1834م [2].

وحَظِيت مسألةُ صِراع الأَمير وشَيخ قَبائل الدواير مصطفى بن إسماعيل باهتمام السُّلطان عبد الرحمن شخصياً، وفي هذا الشَّأن تَشيرُ المصادر[3]إلى مُحاولَة السُّلطان رَأبَ الصَّدعِ وإصلاحَ ذاتِ بَيْنِ الطَّرفَيْن[4]، فَكَتَب إلى الآغا مصطفى بن إسماعيل رسالة يَحُثُّه على اتِّباع الأمير والدُّخول في طاعته: **«...خَديمُنا الأَرْضَى القائد مصطفى بن إسماعيل وفقك الله وسدد خطاك ...وبعد وصلنا كتابك الأَوَّلُ والثَّاني مُخبِراً بِمَا شَجَر بَينَكم وبين الحاج عبد القادر بن مُحيي الدين، ومَهما ظَهر بَينَكم خِلاف وعدمُ ائتِلاف إلّا وَنَشط له عَدُوُّ الدِّين ...فَعليكُم أيُّها المسلمون بالتَّماسُك ...وعليه إن أَردتَ رِضا الله ورِضانا، فاجْتَهِد في صُلح بين خدامنا الدواير والزمالة والشيخ ابن الغماري مع الحاج عبد القادر ...»** [5] ، وَيظهَر مِن نَصِّ الرِّسالة أنَّ السُّلطان كان حَريصاً على تَوحيد الصُّفُوف بَينَ الجزائريِّين تَحت قيادة الأمير، حَيث كان السُّلطان يَعرِف أنَّ الشَّخصَ الوحيدَ الذي بِإمكَانه قِيادة الأمرِ هو الأمير عبد القادر.

---

1- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 61.

2- المرجع السابق ، ص 62.

3- عبد الرحمن بن زيدان ، اتحاف ، مصدر سابق ، ص ص 42 43.

4- عبد الهادي التازي ،مرجع سابق ،ج 10،ص 13.

5- ينظر نسخة الرسالة الأصلية في الملحق رقم 10.

- **نَقضُ الهدنة وتَجَدُّد الحرب :**

رغم أنَّ دي ميشال كان يَعتَقِدُ أَنَّهُ حَقَّقَ انتِصاراً سِياسياًّ بِإبرامِه عَقْداً مَع الأمير، إلّا أنَّ الحُكومَة الفرنسيَّة رَفَضَت بُنودَ هذه الاتِّفاقية[1]، وخاصَّةً بَعد أن بَدأَ الفرنسيُّون يَخافُون نُفُوذ الأمير في الجزائر، فَعَمِلوا على نَقضِها، واعتَبَروا الاتِّفاقيَّةَ عَمَلاً شَخصِياًّ بَين دي ميشال والأمير[2]، كما لَقِيَت المعاهدةُ معارضةً شديدةً في البرلمان الفرنسي، الذي ضَغَط مِن أَجْل إزاحَة دي ميشال وتَعْيين الجنرال تريزال مَكانَه[3]، هَذا الأَخير الذي عَمل فَوْرَ نُزولِه الجزائِر شِتاء 1835م على البَحث عن سبيلٍ لِنَقضِ الهُدنَة.

تَجَدَّدَت الحربُ بَين الأمير والفرنسيِّين، وكَانت أَوَّل مُواجَهة في نِهايَة شَهر جوان مِن نَفسِ السَّنَة التي حلَّ بها تريزيل بوهران في مكان يُعرَف بالمَقْطَع، أَين كان النَّصرُ حَليفَ الجزائريِّين بِقيادة الأمير، هَذا النَّصرُ الذي وصلَت أَصداؤُه إلى المغرب فَقُوبِل بِكُلِّ مَظاهِر التَّقديرِ والتَّبجِيل، وَبَلغَت بالسُّلطان مَشاعرُ الفَرَحِ مَبلَغاً عَظيماً، حتَّى أَنَّه كَتَب إلى الأمير بعد وُصول خَبَر هزيمة الفرنسيين:« ...**ليتني كنت معكم فأفوز فوزاً عظيماً ...** » ، وَطَلَب منه في كتابٍ آخر أن يُوجِّه لَه قَميصَه المباشِر لِيَتَبرَّكَ بِعَرَقِه السَّائِل مِنه وَقتَ القِتَال وذلك غايةُ المحبَّة[4].

وَكَان مِنَ نَتائِج هَذه المعركة التي تَكَبَّدَت فيها القُوَّاتُ الفرنسيَّةُ خَسائِر كبيرةً، عَزلُ كلٍّ مِن الجنرال تريزيل والحاكِم العام ديرليون، وتَعيين الماريشال كلوزيل حاكماً عاماًّ على الجزائر نهاية شهر جويلية 1835م[5]، حَيث عَمِل كلوزيل فَوْرَ تَولِّيه قِيادَة القُوَّات الفِرنسيَّة على تَوجِيه كُلِّ ثِقَلِه العَسكريِّ إلى القَضاءِ عَلى المقاوَمَةِ في مَنطِقة وهران[6]. وَسَعْياً مِنهُ لِقَطْع الإمْدادات التي تَصِل الأميرَ عَن طريق البَرِّ والبَحر، عَمَد في البِدايَة إلى احتلالِ الموانِئ كَجزيرةَ أرشقول التي تَقع على بعد ثلاثِ كيلومترات عن مَصَبِّ وادي تَافنة، وَنَظَراً لِأَهمِّيَّة الطُّرُق البَرِّيَّة بين الجزائر والمغرب في تَزويد المقاوَمة

---

1 - CHARLES André julien :Op . cit , p 106.

2-يحي بوعزيز ،مرجع سابق ، ص 39.

3- محمد بن جبور ، مرجع سابق ، ص 145.

4-المشرفي ، مصدر سابق ، ص 68.

5- يحي بوعزيز، مرجع سابق ، ص 40.

6-يحي جلال، مرجع سابق ،ص 146.

بالأسلحة والذَّخيرة، خاصَّةً بَعد التَّقرير الذي رَفعَتْه وزارة الحَرب إَلى الوالي العامِّ كلوزيل المؤرَّخ في 07 أكتوبر 1835 [1]م، فَقَد وَضعَ هَذا الماريشال خُطَّةً للاستيلاء على تلمسان.

وفي 13جانفي 1836م تَمَكَّنَ الجِنرال كلوزيل مِن دُخُول المدينة دون مُقاومَة من الأمير، الذي فَضَّلَ الانسحاب بَعدما تَأَكَّدَ مِن عَدَم قُدرَتِه عَلى الوُقُوف في وَجه القُوَّات الفرنسيَّة[2]، ولما وَصَل خَبَر سُقوط تلمسان إلى السُّلطان أَدرَك خُطورة الوضع، ويظهر هذا في الرِّسالة التي أرسَلها إلى اِبنه سيدي محمد، والتي دَعا فيها السُّلطان ابنَه إلى أَخذِ الاحتياطات اللّازمة والاستعداد لِكُلِّ طَارئ[3].

غادَرَ كلوزيل مَدينة تلمسان في بداية شَهر أَفريل، بعد أنْ نَصَّب حاميةً عسكريَّةً بِقِيادَة العَقيد كافينياك مُتَّجِهاً إلى العاصِمة، وكَان كلوزيل يَعتَقِد أنَّ الحامية بإمكانها تَأمينُ الحدود والمدينة مِن قُوَّات الأَمير، ومِن جِهتِه ضَرَبَ هذا الأَخيرُ حِصاراً عنيفاً على تلمسان، وفي الوقت نفسِه حاوَل الفرنسيُّون بِقيادَة دار لانج فَكَّ الحِصارِ عن طَريق نَهر تافنة، إلَّا أنَّ الأمير عَزَل القُوَّاتِ الفرنسيَّة، وأَصبَح المنقِذُ غَريقاً بَعد أن طَوَّقَ الأميرُ مَصَبَّ الوادي في جزيرة أرشقول[4].

أمَّا الحَدَثُ الأَبرَزُ في هذه الفترة، فهو نُزول الجِنرال بيجو إلى الجزائر خَلَفاً للماريشال كلوزيل الذي فَشِلَ في القَضَاءِ عَلى الأمير، ففي 12جوان 1836م اِنطَلَقَ بيجو بِحامِيَةٍ عَسكريَّةٍ ضَخْمَةٍ مَدعُوماً بالخائن ابن إسماعيل لِفَكِّ الحصار على دار لانج، في قاعدة أرشقول، أين انتَصر على قُوَّات الأَمير المرابطة هُناك، ثُم تَجَدَّدَت المواجَهة بين الطَّرفَين في مَوقِعَة سكاك، التي انتهت هي الأخرى بِهَزيمة جَيش الأمير[5].

---

[1]-جاء في التقرير أنّ قافلة تتكون من 600 جمل خرجت من فاس متجهة إلى معسكر وتنقل كميات كبيرة من البارود والمدافع والبنادق، وأنّ القافلة سيرت بناء على تواطؤ ابن السلطان نفسه. ينظر: إسماعيل العربي ،المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير ،مرجع سابق ، ص 108.

[2]- تشرشل، مصدر سابق، ص 104.

[3]- ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص ص 38 39.

[4]- إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق ، ص ص 126 127.

[5]-يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص 42.

- **مُعاهَدة تافنـة 30 ماي 1837م:**

أَرغَمَت الظُّروفُ الطَّرفَيْن– الأَميرَ والجِنرال بيجو – على إبرام مُعاهَدَة تافنة ،فالأمير كان في حاجة إلى الوقت لتَرتِيبِ أُمور الدَّولة[1]، أمَّا الفرنسيُّون فَكانوا يَبحَثون عن فُرصَةٍ لِتوجِيه ضَربة لأحمد باي في قسنطينة[2]، وعلى هذا الأَساس عَقَدت مُعاهدة الصُّلح والهُدنَة في يوم 30 ماي 1837م، بِوادي تَافنة ومِمَّا جاء فيها :

- يَعترِف الأمير بِسُلطةِ الفرنسيِّين على مدينة الجزائر ووهران .
- تحتفظ فرنسا بِبَعض المرافِئ كمستغانم وأرزيو ووهران.
-يَحكُم الأمير في مُقاطَعة وهران والتِّيطري ومنطقة الجزائر[3].

ولَعلَّ أَكبَر انتصار حقَّقَه الأمير في هذه الاتِّفاقية، هو استرجاعُ مدينة تلمسان وجزيرة أرشقول من الفرنسيِّين، أمَّا السُّلطان عبد الرحمن، فَيظهَر أنَّه لَم يَكُن مُوافِقاً على المعاهدة التي أَبرَمَها الأمير مع الفرنسيِّين، حَيث تُشِير مَجموعةٌ مِن الرَّسائل بين الأمير والسُّلطان إلى أنَّ هذا الأخير لم يكُن في البداية راضِياً عن الاتِّفاق بَين الأمير والفرنسيِّين في تافنة، إلا أنَّه غَيَّرَ مِن مَوقِفِه مع مُرور الوقت : «... **ومع هذا يرى الشَّاهد ما لا يرى الغائِب فَما رأيت فيه الصَّلاح للمسلمين ارتكبه...** »[4]، ومِمَّا تَجدُر الإشارةُ إليه هنا، أنَّ السُّلطان أَظهَر فَرحَتَه لاستعادة تلمسان، وهذا ما نَلمَسُه مِن رِسالةٍ أَبرقَها إلى عامِله على طَنجة عبد السَّلام السلاوي، بمناسبة دُخول الأمير إلى تلمسان في 24 جويلية 1837م «.. **فقَد وَرَد البشير بما يشرح الصَّدر وأعلى الإسلام بِظهور القُوَّة ورَفع القدر مِن فتح مدينة تلمسان في تاسع شهر تاريخه من غير إعمال سيف ولا سنان، طهَّرَها الله مِن رِجس الكُفر ونَجسه، وأَطلَع فيها سعد الإسلام ..**» [5]، هذا وسجَّلَت بعض المصادر أنَّ المغارِبَة احْتَفَلوا ثَلاثَة أيَّامٍ بَعد وُصول خَبَر

[1]- يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر، مرجع سابق ،ص 45.

[2] - CHARLES André julien ,op : cit , p 137.

[3]- للاطلاع على النص الكامل للمعاهدة .ينظر: أ ف دينيزن، مصدر سابق ، ص ص 118 119 120.

[4]- محمد بن جبور ، مرجع سابق ، ص ص 173 175.

[5]- للإطلاع على النص الكامل للرسالة ينظر :خليفة إبراهيم حماش ،مرجع سابق ، ص ص 60 61.

فَتح تلمسان الثَّاني [1]، وبَدأَت الاحتفالات بإِطلاقِ 16 طَلقةً مِدفعيَّةً، كما تَزَيَّنَتْ المحَلَّات المغربيَّةُ في موجادور بالأَعلام والرَّايات الملوَّنَةِ[2].

- **حرب الأمير للتِّجانية ومَوقف السُّلطان منها:**

كانت الانتصارات التي حقَّقها الأمير على الصَّعيدَين العسكريِّ والسِّياسيِّ بعد معاهدة تافنة، فُرصةً لِفَرض طاعتِه على القبائل المتمَرِّدة، وعلى بَعض الحاقدين كمصطفى بن إسماعيل رئيس قبيلة الدواير، والمزاري شيخ قبيلة الزمالة، بالإضافة إلى بقايا النِّظام التُّركيِّ في تلمسان[3]، وبعض شُيوخ الطُّرُق الصُّوفيِّة في الجنوب كمحمَّد الصغير التِّيجاني، كما عَمِل على إِخضَاع القبائل التي خَرجَت عَن طاعَتِه، وَقَام بِحملَةٍ واسِعةٍ لِتأديب القبائل التي تَنشُر الفوضى بين الناس[4].

ومِن جِهته كان السُّلطان عبد الرحمن يُتابِع باهتمام بالغٍ، كُلَّ تَحرُّكاتِ الأمير في حَملتِه التَّأديبيَّة ضِدَّ المتِمَرِّدين، حيث تُشير المِصادِر أنَّ السُّلطان المغربيَّ أَظهَر تَأييدَه المطلَقَ لِلأَمير في حَملَتِه ضِدَّ محمد التِّجاني في قَصر عَين ماضي[5]، رغم ما تَتَمتَّع به الطَّريقةُ التِّجانيَّةُ في البِلاط المغربيِّ مِن نُفوذ، ومِمَّا يَحسنُ ذِكرهُ هنا أنَّ التِّجاني كان قَد راسَل السَّلطان في أَمر حِصار الأمير لَه في قَصر عين ماضي، كَما حَاول أيضاً الشَّيخ العَربي الوزّاني صديق التجاني إقناع السُّلطان بمساعدة التجاني ضِدَّ الأمير، إلا أنَّ السُّلطَان رَفضَ طَلب الوزاني[6]، ومِن جِهتِه كَتَب الأَمير إَلى وَكِيله في فاس الطَّالب بن جلُّول رِسالةً أَورَدَها المؤرِّخ Ceorges Yver في العَدد السِّتِّين مِن المجِلَّةِ الإفريقيَّة بِمَقَال تَحتَ مَوضُوع عبد القادر

[1] -C. Brissac,op : cit , p 88.

[2]-CHARLES André julien ,op : cit , p 186.

[3]- عائشة بن ساعد ،مرجع سابق ،ص ص 238 239.

[4]- محمد علي الصّلابي ،مرجع سابق ،ص 390.

[5]-يقع قصر عين ماضي غرب مدينة الأغواط ،ويرجع تاريخ بنائه إلى القرن الخامس الهجري الحادي عشر ميلادي، على يد ماضي بن يقرب على عهد الدولة العبيدية، وهو قصر يشمل قصبة وحصينة محاط بالخنادق والبساتين، استقر به مؤسس الطريقة التجانية أحمد التجاني منتصف القرن الثامن عشر، الأمر الذي أكسبه أهمية دينية و اجتماعية .ينظر : مصطفى ابن التهامي، مصدر سابق ،ص 327.

[6]- محمد بن جبور، ص181-182.

والمغرب، حيث تَضَمَّنَت الرِّسالة أَسبابَ إِقدام الأمير على حَرب التِّيجانية وعلى هَذا الأَساس أَقنَع الطَّالب بن جلول السُّلطان بالوُقوف مع الأمير في حَربِه ضِدَّ التجانية[1].

أمَّا السُّلطان الذي اسْتَعْجَمَت عَليه مَذاهِب الفَريقَيْن، فَقد اختار في النِّهاية الوقوفَ في صَفِّ الأمير[2]، ولَعلَّ ما يُثبِتُ ذَلكَ ما تَلقَّاه هذا الأخيرُ مِن أَسلِحَةٍ لِمُحاربة التِّيجاني مِن آلات حربٍ ومَدافِعَ مِن السُّلطان عبد الرحمن[3]، وحتَّى يُظهر مَوقِفَه الحِياديَّ طَلَب مِن التِّيجاني أنَّ يُسلِّم لِلأمير قَصر عَين ماضي والقُدوم إلى فاس، لكنَّ التِّيجاني أَصرَّ عَلى مُواجَهَة الأمير في مَعركَةٍ فاصلة، والتي انتَهَت بانتِصَار الأمير واضطُرَّ التِّجاني إلى الاستِسلام في 17 نوفمبر1838م.

- **مِن تَجَدُّد الحَرب 1839م إلى مَعركة إيسلي1844:**

تَجَدَّدَت الحربُ بَعد نَقضِ الفرنسيِّين أَحد بُنود المعاهَدة، وذلك بَعد اجتِياز فِرقَةٍ مِن الجيش الفرنسيِّ مَنطِقَة نُفوذ الأمير دُون إِذنِه، الأمر الذي اعتَبَرَه الأَمير خَرْقاً للاتِّفاق، وإنذاراً بتَجَدُّد الحَرب، ورَغم أنَّ الأمَير استَفسَر في رِسالَتَيْن بَعثهُما إلى الجنِرال فالي، والملِك الفِرنسيِّ لُويس فيليب، إلَّا أنَّه لَم يَتلَقَّ أيَّ جواب[4]، وأَمَام هَذا الصَّمتِ فَهِمَ الأميرُ أنَّ الحَربَ أَوشَكَت فَبَادَر بِإظهار قُوَّتِه[5]، لكنَّ هذه القُوَّةَ كانت تَحتَاج إلى الإمدادات، وهذا ما كان يَجعَل الأمير يُفكِّر دَائماً في المحافَظَة على عَلاقاتِه الحَسَنةِ مَع المغرب، أمَّا بِالنِّسبة للسُّلطان عبد الرحمن الذي كنَّا رَأَينا مَوقفَه الرَّافضَ للهُدنة، فَكانَ يَحثُّ الأميرَ دَائماً على استِئنَاف الحَرب، ولعلَّ ما يُؤَكِّدُ ذَلِك الوَصِيَّةَ التي حَمَلَها عبد الله السقاط إلى الأمير بَعدَ أَن زار فاس سنة1837م، كما كان قد طَلَبَ مِن محمد بن عبد الله المشرِفيّ أن يُعْلِم الأَمير بِضَرورة استِئناف الحَرب ضد الفِرنسيِّين[6]، وحَسَب ما نَقَلَه السَّقاط فَإنَّ السُّلطان حَثَّ الأَمير على

---

[1] - Georges Yver : « abd El kader et le maroc en 1830 », RA, N° 60, 1910, pp 93 95.

[2] -Jillali. Adnani : « La Tijâniyya 1781-1881 les origines d'une confrérie religieuse au Maghreb », ed Marsam, 2007, p 170.

[3] - CHARLES André julien ,op : cit , p 186.

[4] - يحي بوعزيز ،ثورات الجزائر،مرجع سابق ،ص 47.

[5] - ابن التهامي، مصدر سابق ،ص 110.

[6] - محمد بن جبور، مرجع سابق ، ص 175.

استئنافِ الجِهاد، كما يُشير نَائب قُنصُل فِرنسَا في المغرب إلى أنَّ استِئنَافَ أَو تَجَدُّدَ الحَرب بَين الأمير والفرنسيِّين، كان له بالغُ الأَثَر في الأوساط المغربيَّة، ولا سيَّما أخبارُ انتِصَار الأمير في متِّيجة[1].

كما شَهِدَت الفَترةُ المِمتَدَّةُ مِن 1840م إلى 1843م حُدوثَ العَديد مِن المعارك الشَّرسَة، التي كانت تُجبِر الأَميرَ عَلى اِقتِناء المزيدِ مِن الأسلِحة عَبر المغرِب، عن طريق وُكَلائِه في طَنجَة وجَبَل طارق وفاس، وهُو ما انزَعَج لَه السُّلطان عبد الرحمن، خاصَّة وأنَّ الفرنسيِّين كانُوا يُراقِبُون الأَوضَاع على الحدود، وكَانَت فِرنسا تَحتَجُّ في كُل مَرَّة، لكنَّ السُّلطان كان يُماطِل في الرَّدِّ على استفسارات الفرنسيِّين[2].

وابتداءً مِن سَنَة 1842م بَدَأ ميزانُ القِوى يَختَلُّ بَين الفرنسيِّين وقُوَّاتِ الأمير، ولاسيَّما بَعد عَودَة الجنرال بيجو في فيفري 1841م ، الذي خَلَفَ الجِنرال فالي صُحْبَةَ 120 ألفَ جُنديٍّ عَلاوة عَلى فِرقَة ابن الملك الدوق دومال، وكَان مِن الواضِح أنَّ فِرنسا أَرادَت أن تُنهِيَ مَسأَلة الأمير، الذي بَدأَت القَبائل التَّابعَةُ لَه تَتَخلَّى عَنه بِسَبب سياسَة الأَرض المحروقة، والإبادة التي انتَهَجَها بيجو فَوْرَ نُزولِه بالجزائر، ومِمَّا زَاد تَأَزُّمَ أَوضاع الأمير استيلاءُ الفرنسيِّين عَلى تلمسان، ثُمَّ الزمالة بَعد مَعركَة عين طاقين في ماي1843م، أَين اضطرَّ بعد مُطارَدَة (الجيوش الفرنسيَّة) لَه أَنْ يَلجَأَ إلى المغرب لإعادة تَنظِيم أمور الجيش والدَّولةِ.

- **البَعَثَات والمُراسَلات بَين الأمير والسُّلطان:**

مِن الواضِح والمعلوم أنَّ الأمير عبد القادر الجزائري، والسُّلطان المغربيَّ عبد الرحمن بن هشام، كانا على تَواصُلٍ دائِمٍ ومُستَمِرٍّ، عَلى الأقلِّ في هذه الفَترة، وهذا ما نَستنتِجه مِن كَثرةِ المراسَلات والبَعثَات بَينهُما، هذه المراسَلاتُ اختَلَفَت في أَسبابها ومَوضوعَاتِها، فَنَجِدُ منها بَعثَات التَّهاني ورسائِل الشُّكر، كما نَجِد أَيضاً رَسَائل الاستشارات الحربيَّة والدِّينيَّة، ونَلمَس مِن خِلال العبارات والألفاظ المستَعمَلة، أنَّ الطَّرفَين كانا يُكِنَّان بَعضِهما لِبعضٍ كثيراً من الاحترام والتَّقدير، وفي هذا الباب اختَرتُ نَموذَجَين لِتوَضيحِ ذلك.

[1] - CHARLES André julien ,op : cit , p 186.

[2]- محمد بن جبور، مرجع سابق، ص ص 192 196.

فَفِي رِسالة بَعث بها السُّلطان إلى الأمير أَورَدَها صَاحبُ الابتِسام أَبِي العَلاء إدريس[1] يُهنِّئُ فِيها السُّلطان الأَميرَ عَلى إحدى انتصاراته : « ...**مَحل الولد البار الأحظى المجاهد الأرضى السيد عبد القادر بن محي الدين، أمدك الله بالعون واليقين ...** »[2]. ويَظهر مِن خِلال ديبَاجَة الرِّسالة أنَّ السُّلطان كان يَعتَبِر الأَمير أَحد أَبنائه، فَعِبارة الوَلد تَكرَّرَت أيضاً في رسائل السُّلطان إلى ابنه سيدي محمد، ومِن جِهتِه كان الأميرُ يَستَشير السلُّطان كُلَّما دَعَت الضَّرورةُ إلى ذَلك، وحَمَلَت رَسائِل الأَمير إلى السُّلطان عِبارات المحبَّة والإطراء عَلى غِرار ما جَاء في رسالةٍ أرسَلَها إلى السُّلطان يَسأل عَن أحد أفراد عائلته: « ...**ملاذنا وعمدتنا وقاطبة أهل الإسلام ...** »[3] .

كما تَبَادَل الطَّرَفان البَعَثات التي كان أَغلبُها في المناسبات كالأعيادِ وعِند الانتِصارات، وَلعَلَّ أَهَمَّها بِعثة "هَديَّة العيد " سنة 1836م، التي وجَّهَها الأمير إلى السُّلطان، فَأَحْسَن السُّلطان وِفادَتَهم، وَكَتَب لَهم عِند رُجوعِهم كِتاباً إلى بني قيل وذوي منيع والعمور، وآنجاد يَأمرُهم أن يُعِينوا الأميرَ في الجِهاد[4]، كمَا بَعث الأمير بِعثةً أُخرى تَحدَّثَ عَنها صاحبُ التُّحفة:« ...**وتأكيداً لمحبته أمر بتجهيز هدية عظيمة ذات قدرٍ وقيمة واختار السيد ابن عبد الله السَّقاط لإيصالها إلى السلطان عبد الرحمن بن هشام لإحكام عرى المحبة بينهما...** »[5]، ومِن خِلال هذه المراسَلاتِ و البَعَثَات بَين القائدَين نَستَنتِج أنَّهُما كانا على تَواصُل تَامٍّ في هذه المرحلة.

- **المغاربة ومقاومة الأمير عبد القادر :**

اِستَفاد البَلَدان -الجزائر والمغرب الأقصى- في هذه الفترة( 1832-1844)م مِن علاقات التَّعاوُن وحُسن الجِوار فَوائدَ لا تُنكَر، فَأمَّا المقاومَةُ الجزائريَّة، فَقد كَانت تَجِد في المدُن والموانِئ المغربيَّة السُّوقَ الضَّروريَّةَ لإبرام صَفَقات شِراء الأَسلِحَة والذَّخيرة، التي كانت تَأتِي خُصوصاً مِن جَبَل طارق، وتَمُرُّ عَبر الحدود بمُساعَدة السُّلُطات المغربيَّة[6]، إضافة إلى الدَّعم اللُّوجستيكي الذي كان يَتلَقَّاهُ الأميرُ

---

[1]– أبو العلاء إدريس، الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام: مخطوط بالخزانة الحسينية تحت رقم 12490، ص 220.
[2]-للاطلاع على نص الرسالة كاملاً .ينظر : خليفة إبراهيم حماش ،مرجع سابق ، ص ص229 233 .
[3]- ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق ،ص 64.
[4]- سيرة الأمير عبد القادر الذاتية، مصدر سابق، ص 172.
[5]- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق ، ص 206.
[6]- إسماعيل العربي ، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير ، مرجع سابق ، ص267.

مِن السُّلطان شَخصِياً وفي هذا الصَّدَد يَذكُر الكُولُونيل أَسكُوت باعتِباره شَاهِداً عَلى كَيفِيَّةِ الإمداد بالسِّلاح، والدَّعم الذي كان يتلَقَّاهُ الأمير مِن السُّلطان عبد الرحمن :**«...وفي الفاتح من سبتمبر بدأ هذا الشهر بوصول قافلة من فاس تتكوَّن من سِتِّين بغلا مَثقَلَة بالأَقمِشة للجيش، و بمائة برميل من البارود من نفس المصدر الذي جاءت منه مواد أخرى منذ بضعة أيام، وقد رافق هذه القافلةَ ابن الحاج طالب بن جلول (ابن رئيس وزراء المغرب)نفسه.... »**[1] .

كَمَا كَانَت الأَراضي المغربيَّةُ قَاعِدةً استراتيجِيَّةً يَلجَأُ إليها الأميرُ كُلَّما دَعَت ضَرورة الحرب إلى ذلك، خاصَّةً بَعد سُقوط عاصِمته المتَنَقِّلَة، فَكانت مَنطقة الحُدود الشَّرقيَّة للمَغرب الملاذَ الآمِن للأَمِير لِيستَرِيح وَيُعِيد تَرتِيبَ جُيوشِه والاستِعدَادَ للمُواجَهات القَادِمة، بِالإضافة إِلى هَذا فَقَد وَجَد الأَميرُ الدَّعمَ الكَافِي المادِّيَّ والبَشريَّ مِن القَبائل المغربيَّة، ولاسيَّما الواقعةُ بالحدود والرِّيف المغربي، وحتى مُدُن السَّاحل كتيطوان، وهُنا نَذكُر ما جاء عن الكولونيل أَسكُوت الإنجليزي في كِتابه عن إِقامَته في زمالة الأمير: **«...ولما غادرنا تيطوان، خرج لتوديعنا عدد كبير من الناس وقَبلَ أن نَخطُوَ الخطوات الأُولى، تَقدَّم إلينا شَيخٌ عَجوزٌ ورفع يديه إلى السماء يدعو الله أن يُسهِّل سَفرنا ويَجعلَه مَيموناً بحيث نلتحق بسلام إلى حامي الإسلام »** [2].

ويُضِيف الكولونيل في مُذَكِّراتِه الشَّخصيَّة التَّوثِيق للكَثِير مِن مَظاهِر التَّضامُن المغربي، خاصَّةً الشَّعبِيَّ مِنهُ مَع مُقاومة الأمير عبد القادر:**«...ولما وصلنا إلى إحدى هذه القرى، قابلنا وفد منهم على رأسه قائد المنطقة الذي سأل مانوتشي**[3]**عمَّا إذا كان هو سَفير الأمير عبد القادر وعندما أجابه بالإيجاب ترجَّاه أَن يَقبَل مِنه أربعين دولاراً مُساهمة منه في تكاليف حرب الجزائر، وإثر ذلك رفع رجال الوفد أيديهم مُتضَرِّعين إلى الله بِأنْ يَقهَر الغُزاةَ الفرنسيِّين ويُرشِد السُّلطان عبد الرحمان مَلِكَهُم ويوفقه لينضم إلى الأمير عبد القادر في الدفاع عن قضيته العادلة . »** [4]، ويَظهَر مِن خلال هذا النَّصِّ أنَّ الأمير كان يَتمتَّعُ بِمَكانَةٍ هامةٍ في الأَوساطِ الشَّعبية المغربيَّة ولاسيَّما في الريف، حيث كان يَحظى بالإعجاب والتَّقدير

---

1- الكلونيل اسكوت ، مذكرات الكلونيل اسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841،تر: إسماعيل العربي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1989م ، ص 149.

2- نفس المصدر ، ص 22 .

3- نيقولا مانوتشي : هو معتمد الأمير في جبل طارق وهو ابن قنصل ايطاليا في بنزرت .

4- الكلونيل اسكوت، مصدر سابق ، ص 28.

[1]، فَشَعْب المغرب كان دائماً يُتابع ما يُبدِيه الشَّعبُ الجزائريُّ مِن ضُروب الشَّجَاعَة والإقدام، بروحٍ مِن التَّعاطُفِ والتَّضامُن الذي يُمْلِيه عَلَيه الدِّينُ والجِوار والدَّم والتَّاريخ [2].

كَمَا كَانت المقاوَمَةُ الجزائريَّة تَجربَةً حَيَّةً ومِثالاً للنِّضال الذي يُمَكِّن المسلمَ المغاربيَّ أن يَنالَ فيه فَضْلَ الجِهاد [3]، فَكانَت الفُرصَةُ بالنِّسبَةِ لِبعضِ الشَّبَاب المغاربَة لِيَلتَحِقوا بِصُفُوف المقاوَمَة تَحت لِواءِ الشَّابِّ الأمير المجاهِد[4]، حَيثُ تُشير بَعضُ المصَادِر إلى وُجودِ مَغاربةٍ في جَيشِ الأمير[5]، وخَاصَّةً في فَترةِ إقامَتِه بِالأَراضِي المغربيَّة [6]، ومِمَّا تَحسُن الإشارةُ إليه أَيضاً الدَّورُ الذي لَعِبَه عُلماءُ المغرِب، وعَلَى رَأسِهم العالِمُ الفَقيه أبو الحَسن عَلي بن عبد السَّلام التاسولي، حيث أَشَار السلاوي في الاستقصا أنَّ الأمير عبد القادر كان يَستَفتِي عُلَمَاء فاس في أُمُور الدِّين كالجِهاد والزكاة والرِّدَّة: «**...وفي سنة اثنتين وخمسين ومئتين وألف ورد من عند الحاج عبد القادر بن مُحيي الدين إلى علماء فاس يقول فيه ما نصه : "... الحمد لله سادتنا الأعلام أَئِمَّة الهدى، مصابيح الظلام فقهاء الحاضرة الإدريسيَّة ... وقد أجاب عن هذا السُّؤال بإشارة مِن السُّلطان العلاّمة أبي الحسن علي بن عبد السلام مديدش بجواب طويل يشتمل على خمسة كراريس وزيادة** » [7]، وقد ذَكَرَ هذا النَّصَّ أَيضاً صَاحِبُ تُحفَة الزَّائر [8].

أَمَّا بالنِّسبة للمغرب الأقصى، فقَد كان استِتْبابُ الأَمْنِ في الجزائر أَمْراً حَيَوْياً لِتِجارَة الولايات الشَّرقيَّة، بل وللمنطقة الواقعةِ خَلْفَ نَهْر الملوية أيضاً، فَقَد كانَت القَوافِل التي تَمُرُّ عَبر التُّراب الجَزائريِّ، وتَنقُل السِّلَعَ بَينَ بِلادِ السُّودان الغربيِّ وفاس، تَتَعرَّضُ للسَّلْب بِسَبَب اضطِرابِ الأَمنِ في عَهْدِ الأَتراك، فَكَانت في كَثِيرٍ مِن الأَحْيان تَتَعرَّضُ لمضايَقَاتٍ عِندَ الحُدود ولِهَجَمات القَبائِل التي تَمُرُّ

---

[1] - إسماعيل العربي، مرجع سابق ،ص 268.

[2] - إسماعيل العربي، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزترة الثقافة والسياحة، الجزائر ،1986 ،ص 5.

[3] -CHARLES André julien ,op : cit , p 186.

[4] - تشرشل ،مصدر سابق، ص 222.

[5] - أدريان بيربر وجير ،مع الأمير عبد القادر "رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)" ،تر أبوالقاسم سعد الله ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ،2006 ،ص 72.

[6] -إسماعيل العربي ،معركة سيدي إبراهيم ،مرجع سابق ،ص 16.

[7] - الناصري، مصدر سابق، ص 290.

[8] - محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج 1، ط 1، المطبعة الأهلية ، الإسكندرية ، ص ص 207-209.

بِأَراضِيها ولِقُطَّاع الطُّرُق، وكَثيرا ما تُنهَب القَوافِل، ويُقتَل المرافِقُون لها، إلّا أنَّ دَولَة الأَمِير وما اشتُهِر عَنها مِن العَدل والاستِقامة جَعلَت القوافلَ التِّجاريَّة في مَأمَنٍ و تَتَمتَّع بِحُريَّة التَّنقُّلات[1].

وزِيادَةً على ضَمانَات الأَمْن التي وفَّرهَا الأمير للقَوافِل، فَقد فَتَحَ الحُدودَ وحَرَّر التِّجارة بين البَلَدَين مِن جَميع القُيودِ التي كان يَفرِضُها الأَتراك، وعَلاوَةً على هذا فإنَّ السُّلطان عبد الرحمن قَد وَجَد في الأمير واسطةً قَوِيَّةً لِفَرض الطَّاعةِ على القَبائِل الحُدوديَّة المعروفَة بِكَثرةِ تَمرُّدِها، فالأَمير عبد القادر استَطاع بِحِكمَتِه وَقُوَّتِه أَنْ يُروِّضَ هذه القبائل التي طالما شَكَّلَت هاجساً للسُّلطان عبد الرحمن،كَقبائل الرِّيف، وبني زناسن، وآنجاد[2]؛ وبِاختِصار فَقَد كان تَأْييد المغربِ الأَقصى الذي يَقُومُ على المصلَحَة، وعلى رِعَايَة العَلاقات الأَخوِيَّة، تَأييداً أَخَوياً شاملاً مادِّياً ومَعنَوياً.

ولكنَّ هذا الوَضعَ البَسيطَ مِن العَلاقات الذي كان كلٌّ مِن البَلَدَين يَجِدُ فيه ما يَبعَثُ على الرِّضا، سَوفَ يَتعقَّد وتَدخُل فيه حِساباتٌ سِياسيَّةٌ دَاخليَّةٌ وخارجيَّةٌ، تُؤَدِّي في النِّهاية إلى تَكَدُّر صَفْوِ هَذه العلاقات، وهذا ما نَبسُط فِيه الحديث فيما تأَخَّر مِن هَذا الفَصل.

## المبحث الثالث: الضَّغط الفرنسيُّ على المغرب وتَراجُع الدَّعم المغربيِّ للمقاومة الجزائريَّة:

- **الضَّغط الفرنسيُّ على المغرب :**

لم تَكُن فِرنسا لِتَغفَل عن أهميَّة المغرب بالنِّسبة للأمير، خُصوصاً في الفترة التي تَلَت نَقضَ مُعاهَدة تَافنة، حَيث عَمِلت مُنذُ ذلك الوَقتِ عَلى تَوجيه ثِقَلِها الدِّبلوماسي للضَّغطِ على المغرب لصالح التَّخلِّي عن دَعمِ الأمير، خاصَّةً وأنَّها أَصبَحَت تَخْشى قِيام حَرَكَةٍ تَحرُّريَّة واسعةٍ في شمال إفريقيا، بَعد أنْ وصَلتْها أَخبار تَعاطُف الجماهير المغرِبيَّة مَع مقاومة الأمير عبد القادر [3]، وعلى هذا الأَساس بَدأت الحُكومة الفرنسيَّة تَضغط على المِغرب مُنذ بِداية المقاومة.

---

[1]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير، مرجع سابق ،ص 268.

[2]- تشرشل ،مصدر سابق ،ص 219.

[3]- يحي جلال ،مرجع سابق ،ص 169.

واستِناداً إلى التَّقارير التي كانت تَصلُها مِن قَادة الجيش في الجزائر، وجَّهَت الحكومةُ الفرنسيَّة على لسان قُنصُلِها بِطنجة دي لابورط ثُمَّ خليفتِه ميشان، وبعده دي شاطو، الكثيرَ مِن الاستِفسارات عَن الدَّعم الذي يَتلقَّاه الأميرُ مِن المغرب [1]، ومِن جِهتِه رَدَّ السُّلطان كَعادتِه بِعَدَم وُجود علاقةٍ بَينَه وبَين الأمير، ونَسَب للتُّجَّار الأمر: « **... البَرُّ مُتَّسِعٌ والطُّرق كثيرة، ولا يخفى حال التُّجَّار إذا وجدوا الربح في مَحلٍّ يتسابقون إليه ...** » [2].

وفي 26 جوان 1836م أَرسَلَت الحُكومَةُ الفِرنسيَّة الكولونيل دي لاريو إلى المغرب قَصدَ الضَّغط على السُّلطان عبد الرحمن، حَيث حَمَل مُفَوِّضُ الحُكومَة الفرنسيَّة السَّابق الذِّكر رسالةً تَتَضَمَّن مُقتَرَحات تَسوِيَة الخِلافِ بَين البَلَدَين، وَعَلى هذا الأساس اجتَمَعَ دي لاريو يَومَ 27 جويلية بالسُّلطان عبد الرحمن[3]، ومِن جِهتِه كَلَّف السُّلطان الطَّبيب البياز بالتَّفاوُضِ مع مَبعوث الحكومة الفرنسي[4]، وخَلُصَت المفاوضاتُ إلى التَّوقيع على سَبعةِ شُروطٍ منها : الاعتراف بِحَقِّ فِرنسا على الجزائر، والتِزام المغرب الحيادَ، وَمَنْعَ الجزائريِّين مِن دُخول المغرب[5].

وفي مارس 1842م وجَّهَت الحُكومة الفرنسيَّةُ استِفسَاراً آخرَ حَول الدَّعْم الذي يتلقَّاه الأمير مِن طَرَفِ القَبائل المغربِيَّة، وَكَان رَدُّ السُّلطان عَلى هذا الاستِفسار بأَنَّهُم مُجَرَّدُ مُغامِرين استَمالَهُم الأميرُ عَن طَرِيق المال[6]، كَما كان التَّهديد الفرنسيُّ يَصِلُ إِلَى حَدِّ الاحتِجاج باستِعمال القُوَّةِ، فَفي جويلية 1836م أَرسَلَت فرنسا سَفِينَتَين حَربِيَّتَين إلى خَليج طَنجَة تَحمِلان مَبعُوثاً جَاء لتَقديم احتِجَاج للسُّلطان على المِعونَة التي يَحصُل عليها الأميرُ مِن المغرب[7].

---

1 - C. Brissac,op : cit , p 43.

2- محمد بن جبور ،مرجع سابق ،ص 168.

3- ابن زيدان ،إتحاف أعلام الناس ،ج5 ،مصدر سابق ،ص 187.

4-محمد بن جبور ،مرجع سابق ،ص 166.

5- ابن زيدان ، مصدر سابق ، ص 178.

6 - L. Voinot , op : cit , pp 301 302.

7- ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900،تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1981،ص 193.

- **الطَّريق نَحو التَّصادم المغربيِّ الفرنسيِّ :**

إنَّ فرنسا بِقُوَّة جَيشها وخِبرَتِه التي حازَها في الحروب النابليونية، وتَطَوُّر أَسلِحَتِه الحربِيَّة مُقارَنَةً بالمقاومَة الجزائريَّة تَحت لِواء الأَمير الشَّابِّ صاحِب الخِبرة الميدانيَّة، والعَتاد البسيط، وأَمام تَوالي الهزائِم اضطُرَّ الأَمير إلى اعتِماد استراتيجيَّة الحربِ الخَاطِفَة التي تَعتَمِد عَلى أُسلوب الكَرِّ والفَرِّ، هذه الاستراتيجيَّة التي سَتَجعل مِن الأَراضي المغرِبيَّة الواقِعَةِ عَلى الحُدود المِلاجِئَ الآمِنَةَ للأَمير لِتَرتِيب صُفوفِه، والانطلاقَ في هَجَماتٍ سَريعةٍ مِن جِهةٍ، ومُحاولة إِقْحام السُّلطان في هذه المعادَلة، من جِهَةٍ أخرى.

حَيث كان الأميرُ عبد القادر وحَسَب اجتهادِه الخاصِّ، يَرى في دُخول السُّلطان عبد الرحمن مُعادَلَةَ الحَربِ في صَفِّ المقاومةِ الجزائريَّة عاملاً بإمكانِه القَضاءُ على الفرنسيِّين، و طَرَدِهم مِن البِلاد، ومِمَّا زَاد في إصرار الأَمير تِلك الدَّعَوات التي كانَت تَصِلُه مِن شُيوخ القَبائل والزَّوايا المغرِبيَّة عن ضَرورة تَوحيد الجُهود، ومِمَّا حَمَّس الأَمير أَيضاً، بَعضُ الرَّسائل التي تَلقَّاها من الوَزير الأَكبَر الحاج الطالب بن جلول، عن إمكانيَّة دُخول المغاربَة الحربَ لو تَعدَّى الجيشُ الفرنسيُّ الحدودَ.إنَّ كُلَّ هذه الظُّروفَ سَاعَدت الأميرَ على أن يَمضِيَ قُدُمًا في تنفيذ خُطَّتِه خَاصَّةً بعد سقوط زَمالته في أَيدي الفرنسيِّين سنة 1843م.

**مَوقِعَة إسلي:**

لقد كنا تَطرقنا في مطلعِ هذا البَحْث إلى العلاقات الفرنسيّة المغربيّة، وتحدثنا عن الضغط الفرنسي على المغرب لسحب جيوشه من تلمسان، وفي هذا كانت بعثة الكولونيل "دموريني" الذي أوصل تهديدات كلوزيل إلى السُّلطان عبد الرحمن، مذكراً إياه باتفاقيات جده المولاي محمد بن عبد الله . ومع تنامي صوت المقاومة الجزائرية الداعية إلى الجهاد، ازدادت القبائل المغربية تعلقاً بالأمير، حيث وجد سلطان المغرب صعوبة كبيرة في إسكات الأصوات الداعية إلى حمل لواء الجهاد في مملكته، و كان السُّلطان يتعرض أيضاً لِضغوط سياسية خارجيّة من فرنسا، ومن جهتها كانت المقاومة الجزائريّة التي أصبحت تعاني من الضعف بعد أن فقدت جميع قواعدها في الجزائر، ترى أن التأييد بالأقوال

والمساعدة في المناسبات لم يعد كافيا؛ وأن الوقت لم يعد أيضاً كافيا وأنّ الفرصة مواتية لتوحيد الصفوف وتدخل السُّلطان للدفاع عن حدود مملكته الشرقية في تحالف مع الأمير عبد القادر[1].

وقد حَاوَل الأَمير إِقنَاع السُّلطان بهذه الحَقيقَة، وتَبيِين نِيَّة الفرنسيِّين في مَنطقة المغرب العربيِّ، ولكنَّه لَمْ يَجِد الآذان الصَّاغِيَة، وفي هذا كان الأَمير قَد وَجَّه بِعثَةً دبلوماسيَّةً إلى السُّلطان، بِرئَاسَةِ ميلود بن عراش، مِن أَجل إقناع السُّلطان بِضرورة تَوحِيد الصُّفوف[2]، إلَّا أَنَّ رَدَّ السُّلطان كان غيرَ واضِح حَيث بَعثَ بِرسالةٍ يَتحَجَّج فِيها بانشِغَاله بِأُمور الدَّولة :«**..وإننا نتمنى الحضور بأنفسنا في غمار المسلمين، ولكن ما نحن فيه مِن قَمع العُتاه، وكَفِّ البُغاه، جهاد بل أفضل من جهاد النصارى حسبما نص على ذلك إمامنا ملك رحمه الله ..** »[3] .

ولما رأى تَصمِيم السُّلطان عَلى التَّمسُّك بِمَوقِف الحِياد، عَمَد الأمير إلى وسيلة أخرى تَدفَع السُّلطانَ إلى المواجَهَة العَلَنِيَّة مَع فرنسا، فالأمير كان يَعْلَم مِن مُساعِديه شَغَفَ الجماهير المغربِيَّة إلى الجهاد، وفي هذا يَقول اسكوت:«**... هل يدرك الفرنسيُّون أنَّ سُلطان المغرب مُلزَمٌ بِحُكم الرَّوابِط الدِّينية بِحماية الأمير؟ هَل يُدرِكُون أنَّه مَهما تَكن الاعتِذارات التي يُقدِّمُها إليهم السُّلطان لِكَي يَتجَنَّب قَطع العلاقاتِ بَينَه وبَين فِرنسا فَهو في نِهايَة الأمر، سَيُفضِّل هذه القطيعة على مُحاولَة استِعمال العُنفِ مَع الأمير، فإنَّ الأَمير عبد القادر هُو البَطل الذي يُدافِع عَن الدِّين الإسلاميِّ الذي يَدين به السلطان عبد الرحمان، وبالتالي فلو قام بأيَّة محاولة مِن هذا القَبيل، لَوَجَد الشَّعب المغربيَّ يَقِفُ ضِدَّه، وفي جانب الأمير عبد القادر** »[4].

والظَّاهر أنَّ أسكوت ذلك الخَبيرَ العسكريَّ الذي زَارَ المغربَ، وطافَ في أَرْيافِه وقَبائلِه كان يَعرِفُ مَكَانَةَ الأمير عِند القبائل المغربيَّة، وقَام أسكوت على الأَرجَحِ بإيصَال هذه المعطَيات إلى الأمير الذي كان يَرى في إِقحَامِ المغِرب وضَمِّه إلى ساحَة المواجَهَة، ونَيْلِ شَرَف الجِهاد الذي كانت تَتوَقَّعُه الجماهيرُ المغربِيَّةُ، والتي كانت غَيرَ راضِيَةٍ عَن السِّياسَة التي يُبدِيها السُّلطان اتِّجاه أَعداءِ الدين[5].

---

1- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 296.

2- نفس المرجع، ص 269.

3- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق ،ج1، ص 285.

4- الكولونيل أسكوت ، مصدر سابق ، ص17.

5- تشرشل ، مصدر سابق، ص222.

وحَسب المؤرِّخ شارل أندري جوليان فإنَّ الأميرَ حَاوَل إقحَام المغرب في الحرب [1]، فَكانت خُطَّة الأمير أَن قَام بِشَنِّ حَمْلةٍ تَأديبيَّة على بعض القبائل الجزائريَّة في جِهة تلمسان[2]، التي كانت خَاضِعَةً لِلفِرنسيِّين مِن أَجل استِدراج القُوَّات الفرنسيَّة إلى الحدود المغربيَّة، وبذلك يَجِد المغاربةُ أنفسَهم وَجْهاً لِوجْهٍ أَمام عُدوان فرنسيٍّ واضحٍ[3]، إلّا أَنَّ الفرنسيِّين الذين كانوا يَتَخَوَّفون مِن أن تُؤَدِّي الحَربُ مَع مولاي عبد الرحمن إلى اندِلاعِ حَرَكَةٍ تَحَرُّرِيَّةٍ في المنطقة [4]، خَاصَّةً أنَّ ظُروفَ الحرب الطَّويلةِ في الجَزائر أَنْهَكت خِزانَة المالية الفِرنسيَّةِ، مِمَّا أَدَّى إلى تَعالي أَصواتِ المعارَضَة في مَجلِس النُّوَّاب، الذين طَالَبُوا بِوقْفِ العَمليّاتِ الحربيَّةِ في الجَزائر، وفي الوَقت الذي سَتَفرِضُ فيه الحَربُ في المغرِب الأقصى عِبْئاً جَديدا في النَّفَقات، وزيادَةَ عدد أفراد القُوَّاتِ المسلَّحة [5].

ثُمَّ إنَّ الفرنسيِّين الذين كانُوا لا يُوافِقون على إِعطاء فُرصَةٍ لبريطانيا، التي كان يَبدو عليها الاستعدادُ للتَّدخُّل في وَضع حَدٍّ للأَطمَاع الفرنسيَّة في المغرب، خاصَّةً وأنَّ رئيسَ وزراء بريطانيا يُراقِب تَطوُّراتِ الموقِف باهتِمامٍ وقَلَقٍ[6]، وقد كانت هذه هي الظُّروف التي كَتَب فيها الجنرال "بيدو" مِن الجنوب الغربيِّ للجزائر، إلى الجنرال "لاموريسيار" رِسالةً يَشْكُو فيها من الوضع الذي يَمنَعُه مِن مُطارَدَةِ قُوَّاتِ المقاومة الجزائريَّة، وتَعقُّبِها إلى المغرب الأَقصى، وقَد اقترَح "بيدو" تَوجِيه إِنذار إلى المغرِب الأقصى، ثُمَّ القِيام بِهُجومٍ عَبر الحدود، إذ لَم تَكُن نتيجةُ الإنذار إيجابِيَّةً[7].

وفي إجراءٍ غَيرِ مَسبُوقٍ أَقَامَ الفرنسيُّونَ مَراكِزَ عَسكَرِيَّةً على الحُدود، تَنفِيذاً لمشروع وزارة الحرب الذي يقضي بإنشاء عِدَّة مَراكز عسكريَّةٍ على الحدود [8]، وإِنشاء نِقاطِ مُراقَبَةٍ، ومِن ضِمْن المناطِق التي اختارَها الفرنسيّون لإنشاء مَراكز مراقبة، كانت مدينة لالة مغنية .

---

[1] -CHARLES André julien ,op : cit , p 195.

[2] -Azan .p, op : cit , p 198.

[3] - إسماعيل العربي،المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 270 .

[4] - يحي جلال، مرجع سابق، ص 169.

[5] - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 271.

[6] -Henri . Garrot : « Histoire Générale de l'Algérie », imp cvbn, Alger, 1910, p 854 .

[7] - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 271.

[8] -C .Brissac, Op :cit, p79 .

وإزاء هذه التُّطوُّرات أَرسَل السُّلطانُ قائِد وجدة السِّي الطَّيِّب القناوي، الذي وجَّه إنذاراً إلى السُّلُطات الفرنسيَّة للجَلاء مِن مغنية[1]، وقد رَدَّ عَليه الجنرال لاموريسيار ردًّا مُعتَدِلا مُتنصِّلاً ، قائلاً أنَّه يَحتلُّ هذا المركز الذي أُقيم لِتسْهِيل إخضاع "رعايانا" بِناءً على تعليماتٍ من رؤسائه[2].

وفي 30ماي تَقَدَّم بَعضُ الجُنود المغاربةِ مِن المعسكَر الفرنسيِّ للاستِكشَاف، ولما وَصلوا إلى المعسكر أَطلَق بَعضُ المتَحَمِّسِين مِنهم النار على المعسكر، فوقَعَت بَين الطَّرَفَين مَعركَةٌ انتَهَت بانسِحاب الكَتيبَة المغرِبيَّة إلى وجدة[3].

وفي 11 من شهر جوان وَصَل المارشال بيجو [4] إلى لالة مغنية[5]، حيث اقترَح على القناوي أن يَعقِد الطَّرَفَان لقاءً للتَّباحُث، وكان بيجو قد تَلقَّى أَخبارَ حادِث اشتِباك القُوَّاتِ المغربيَّة بِالقُوَّات الفرنسيَّة لَدى وُصولِه إلى وهران في 5 جوان، وفي ذلك اليَومِ نَفسِه كَتَب إلى قُنصُل فرنسا في طنجة لِيُبْلِغَه تَطوُّرات الموقف، ويَطلُب مِنه الاتِّصال بالسُّلطان المغربيِّ لِيَعرِضَ عَليه رَغبَةَ فرنسا في أَنْ يُعيِّن أَحد أَتبَاعِه، لِيَنوب عنه في التَّفَاوُض مَع السُّلطات الفرنسيَّة لِرَسْم الحدود بَين البَلَدَين.

وفي لالَّة مَغنية كَتَب المارشال بيجو إلى القناوي يَعرِضُ عَليه أَن يُجرِي مُحادَثاتٍ لِتَسوِيَة النِّزاعِ مَع الجنرال بيدو[6]، لأَنَّ بيجو لَم يَكُن يُريد أَن يَدخُلَ في حَربٍ مَع المغرب للأَسبَاب التي كُنَّا شَرحناها

[1]- هنري شرشل ،مصدر سابق ، ص 223 .

[2] - Henri . Garrot, Op :cit, p856 .

[3]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 272.

[4]- هو المارشال توما بيجو من نبلاء بيكوربي ولد سنة 1784 بمدينة ليموج الفرنسية يلقب بدوق إيسلي، انخرط في الجيش سنة 1804 وشارك في حروب نابليون الأولى، وفي سنة 1836 عين قائداً لمنطقة وهران ،خاض مع الأمير معارك عديدة انتصر في بعضها وانهزم في أخرى، ما دفعه لإبرام معاهدة تافنة في ماي 1837 التي اعترفتْ فيها فرنسا ثانية بدولة الأمير ، ثم استدعي إلى فرنسا ليشغل نائبا في البرلمان، وفي سنة 1840 عاد إلى الجزائر وعين واليا عاماً بعد استئناف الحرب بين الجيوش الفرنسية والمقاومة الجزائرية بقيادة الأمير. بقي في الجزائر إلى سنة ،1847 سلط خلالها على الجزائريين حرب إبادة شنعاء، وارتكب جرائم كثيرة كمحرقة الفراشيش 1845 ، أما عن اتجاهه السياسي فقد كان يدعي الانتماء إلى التيار الديمقراطي الليبرالي، لكنه في الحقيقة كان من دعاة النظام الملكي، وقد أصبح بيجو في الذاكرة الفرنسية وخاصة لدى المعمرين عنوانا ، "للإمبراطورية الكولونيالية " هلك سنة 1849 بداء الكوليرا _ ينظر: السيرة الذاتية للأمير عبد القادر، مصدر سابق ، ص 115.

[5]- إسماعيل العربي ، مرجع سابق ،ص 272.

[6]- Henri . Garrot, Op :cit, p856 .

سابقا، وقَد قَبِل القناوي القائدُ المغربيُّ هذا الاقتراحَ، وتَمَّت المقابَلة يوم16 جوان، ولكن المحَادَثات تَوقَّفت بِسَبَب إقدَام بَعضِ الفُرسَان المغاربة على إطلاقِ النَّار[1]، وتَرتَّبَ عن هذا تَجَدُّدُ المواجَهَة بَين الفرنسيِّين والمغاربةِ، والتي انتَهَت هي الأُخرى بانسِحاب الجيش المغربي. وأَمام هذا الوَضعِ شَعَر بيجو بِضَعف المغرب فَقَرَّرَ التَّوجُّهَ إلى وجدة، فَكَتَبَ إلى القناوي يُبْلِغُه عَزمَه عَلى احتِلال مَدينة وجدة، ومِمَّا جَاء في رسالة بيجو: «... **إنَّنا نرغب في أن تكون لنا نفس الحدود التي كانت للأتراك، ثُمَّ لِعبد القادر مِن بَعدِهم، إنَّنا لا نريد أن نأخذ شيئاً منكم، ولكن يجب أن نُصِرَّ على أن لا تُؤْوُا عبد القادر بعد الآن، وأن لا تَمنَحوه المساعدةَ أو التَّأييد، وأن لا تُنعِشوه بَعد أن يكون قَد أَوشَك على الهلاك، ثُمَّ تُطلِقوه ضِدَّنا مِن جديد، إنَّ عملا كهذا ليس مِن الصَّداقة الحقَّة، إنَّنا نخوض حربا. وإنَّكُم كنتم تَقومون بالحرب ضِدَّنا على هذا المنوال منذ سَنتين، إنَّنا نَطلُب مِنكُم أن تُحاصِروا دَائرةَ عبد القادر وكِبار مُساعِديه ... وسَنُشَجِّع تِجارتَكم وسَنَكون في صالحِ حُكومة مولاي عبد الرحمان بقدرِ ما نستطيع .أمَّا إذا تَصرَّفتُم غَير ذلك فَسَنَكون أعداء لكم** »[2].

ولكنَّ هذا الإنذارَ لَمْ يَأت بِنتِيجَةٍ، فَقَد تَراجَع الجيش المغربيِّ إلى الدَّاخِل، وفي المقابل زَحَفَ بيجو على وجدة التي احتلَّها بِدون مُقاومة، حيث كان القناوي قد انسحب منها بجيشه و اتَّجَه إلى تازا[3].

على الرَّغم مِن المعارك التي جَرَت عِندَ لالَّة مغنية، والإنذارات الفرنسيَّة المتَوالية، فإنَّ السُّلطان عبد الرحمن قَد التَزَمَ الصَّمت التَّام، وقيل أنَّ هذا الموقِفَ الذي يَنِمُّ عَن الهدوء والثِّقَةِ كان نتيجةَ تَشجيعِ مُمَثِّلَيْ بريطانيا، الجنرال ولصن في جبل طارق، ودوق هاي القُنصل البريطاني في طنجة، اللَّذَيْن نَصَحاه بِمُقَاوَمَة الضُّغوطِ الفرنسيَّةِ بالوسائل الدِّبلوماسيَّةِ [4]، ويَبدو أنَّ بريطانيا كانت قَد أَوْفَدَت إلى فرنسا مُذَكِّرة احتِجاج.

وفي نِطاقِ هذه السِّياسَة التي تَستَهدِفُ إغراءَ بريطانيا حتَّى تُفسِح المجالَ للمناورات الفرنسيَّة، استَقبَل الملكُ لويس فيلب سَفيرَ بريطانيا في باريس، وأَكَّدَ لَه أنَّه في حالة عَدَم استِجَابَة السُّلطانِ المغربيِّ للمَطالِب الفرنسيَّة، لا تُقَدِّم فرنسا ضَماناتٍ عَن عَدَم إمكان وُقوع الحرب.

1- تشرشل،مصدر سابق، ص223.

2- نفس المصدر، ص 224 .

3- إسماعيل العربي،المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص273 .

4 _ CHARLES - André julien : op , cit .p.197.

وفي هذه المرحلة أَخرَج بيجو عُروضَه القديمةَ، وكَتَب إلى الأمير عبد القادر على لِسان ليون روش [1]، عارضاً عليه مَنحَه الأمانَ ونَقْلَه إلى مَكَّةَ مَع ضمان معاشٍ له، وقَد رَدَّ الأميرُ قائلاً : «**...إنَّني أَعرِف جيداً ديني، وأَعلَم أنَّ جهاد ساعة في سبيل الله، أفضل عندي كجنديٍّ مِن قضاء سِتِّين سَنةً في مكة...** » [2] .

وكان الضَّغطُ الفرنسيُّ على السُّلطان مُتواصِلاً، والنِّزاعُ الذي نَشَب على الحدود سُرعانَ ما انتَشَر إلى الجنوب، وفي شهر جوان انطَلَق الأُسطولُ الفرنسيُّ مِن طولون بِقِيادَة الأَمير" دي جوان فيل "، الذي وَصَلَ في أَواخِر شَهر جويلية إلى المياه الإقليميَّة لِلمَمْلكة المغربيَّة[3]، وذلك لِيُعَزِّزَ احتِجاجَات القُنصُل دي نيون[4]، هذا الأخير الذي كان قَد وجَّه إِنْذاراً إلى السُّلُطات المغربيَّة لِيُؤَكِّد فيها المطالب الفرنسيَّةَ، حيث حَدَّدَ "دي جون فيل" ابنُ الملك ثَمانية أَيَّامٍ مُهلَةٍ للرَّدِّ عَلى مَطالب الأمير الفرنسيِّ، ولما لَمْ يَتَلقَّ رَدّاً مُبَاشِراً شَرَعَ في قَصْفِ مَدينة طَنجة بالمِدفَعيَّةِ يوم 6 أوت، ثُمَّ الصويرة (موجدور) في يوم 25 أوت، وجاء في الابتِسام أنَّ الأُسطُول الفِرنسيَّ أَلقَى خَمَسمِئة قَذيفَةٍ عَلى مَدينة طَنجة : « **...ثُمَّ وَرَدَ الخبرُ بأَنَّ العَدُوَّ حارب طنجة فَرمى عليها خمسمئة من الكور والبُنْب في نحو ستِ ساعات ...ثم بلغ الخبر بأنَّ عَدُوَّ الله قَدِمَ بمراكبه إلى ثغر الصويرة...**» [5]. وفي هذه الأثناء كان

---

[1]- ولد ليون روش (حاج أعمر) في غرو نوبل في فرنسا في27 سبتمبر 1809 ،شارك ولده في الحملة الفرنسية على الجزائر سنة 1830، ولما استوطن فيها دعى والده للالتحاق به ، فحل الوالد فيها بتاريخ 30 جوان ،1832 تعلم ليون روش اللغة العربية من الأهالي والمزارعين الذين كانوا يعملون لحساب والده،و كان يحضر جلسات المحاكم الشرعية ، تولى الترجمة في الإدارة الفرنسية في الجزائر ،وفي أثناء الهدنة بين الأمير عبد القادر وفرنسا طبقا لمعاهدة تافنة 1837 التحق ليون روش في خدمة الأمير كجاسوس لمصالح فرنسا ابتداء من 23نوفمبر 1837 ،ولازمه في حروبه الداخلية وتنقلاته واجتماعاته، وأصبح أحد كتابه الخاصين المقربين، أعلن ليون إسلامه أمام الأمير ، وسماه الحاج عمر ولد الروش، إلا أن تجدد الحروب بين فرنسا والأمير أظهرت ليون روش على حقيقته، ورجع إلى قومه بعد أن عرف أسرار الأمير وأعلن أنه لم يكن مسلما وأصبح معروفا أنه كان يتجسس على الأمير، وبعد مهمته هذه انتقل إلى تونس ثم طنجة بالمغرب حيث تولى قنصليتها، توفي سنة1901 _ ينظر : ليون روش، اثنان و ثلاثون سنة في رحاب الإسلام تر: محمد محمود البقاعي ،ط1،جداول للنشر والتوزيع ،بيروت ، 2001 ، ص ص12 .13.14.

[2] - CHARLES - André julien : op , cit .p.195.

[3]- عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ،ص 13.

[4] - Henri . Garrot, Op :cit, p857 .

[5]-أبو العلاء إدريس، الابتسام، مخطوط سابق، ص 227.

السُّلطان عبد الرحمن قد أنهى كل التَّرتيبات الخاصَّةِ بالجيش الذي عَهِد بِه إلى ابنه المولاي سيدي محمد ،الذي ضَربَ مُعَسكَره عند وادي أَسيلي على مسافة كيلو متر إلى الشمال الغربي مِن وجدة[1].

وفي 11 مِن نَفسِ الشَّهرِ، تَلقَّى "بيجو" رسالةً مِن جوان فيل يُخبِرُه فيها بِقِيام الأسطُول الفرنسيِّ بِقَصْفِ "طنجة "و "موجدور" [2]، وفي 13 مِن نَفسِ الشَّهْرِ وَصَل إلى بيجو أَمرٌ مِن الحُكومَة يَقضِي بِعَدم تَجاوُز الحُدود المغربيَّة، ولَكن المارِشَال ضَرَب بالأَمر عَرض الحائط، وهَيَّأ في اليَوم الموالي جَيشَه الذي يَتكوَّنُ مِن 11500 جندي، ثُمَّ عَبَر النَّهرَ، ودَخَلَ في معركَةٍ مَع الجيش المغربي الذي يقدر بـ 30 ألف مقاتل[3].

يَذكُر الناصري في الاستقصا أنَّ الأميرَ عبد القادر كان قَد عَرَضَ على الخَليفَة المولاي سيدي محمد تَدابِيرَ حربِيَّةً، إلّا أنَّ هذا الأخير رَفَضَ رَأي الأمير، يقول الناصري:

> **«... ولما احتَلَّ الخليفة سيدي محمد بإسلي وعسكر بها، جاءه الحاج عبد القادر يستأذن عليه في الاجتماع، فأَذِنَ له واجتمع به وهو على فرسه، فدار بينهما كلام كان مِن جُملته أن قال الحاج عبد القادر إنَّ هذه الفُرش والأثاث والشارات التي جئتم بها، حتى وضعتموها بباب جيش العدوِّ ليس مِن الرَّأي في شيء، ومهما نَسيتُم فلا تَنسَوا أن لا تُلاقوا العدو إلا وأنتم متحمِّلون مُنكَمِشون بحيث لا يبقى لكم خِباء مضروب على الأرض، يراه العدو وإلا فإنَّه متى رَأى الأخبِيةَ مضروبةً لم يَنتهِ دون الوصولِ إليها، ولو أَفنى عليها عساكره، وبَيَّنَ كيف كان هو يُقاتِله ... وكان هذا الكَلامُ منه صَوابا، إلا أنَّه لم ينجح في القوم لانفساد البواطن... »** [4].

واستِناداً إلى الرِّسالةِ التي بَعثَ بها المولى محمَّد إلى أبيه، السُّلطان عبد الرحمن فإنَّ الأمير لَم يُشارِك في المعركة **«...والسيد عبد القادر بن مُحيي الدين تأَخَّر بِمَن مَعَه إلى ملوية بِأَلْطَف إشارة.. »** [5]،

---

[1] -CHARLES-André julien: op –cit، p 198.

[2] - BENACHENHOU - a ": l'état algérien en 1830 ses institutions sous l' Emir Abdelkader"، ed ENAG ، Alger 2009 ،p128.

[3] - إسماعيل العربي ،مرجع سابق ،ص،280.

[4] - الناصري ،مصدر سابق ،ص 280.

[5] -ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 68.

ويَظهَر مِن ذلك أنَّ المولاي مُحمَّد كان يُريد أنْ تَكونَ الحربُ فرنسيَّةً مَغربيَّةً، وحتَّى لا تَكُون حُجَّة الحرب بين الطَّرفَين هي الأمير «**..فلم يبقَ للكافرين الآن ما يتعذَّرُ به من جهته...**»[1] .

وفي يوم 14 أوت 1844م اِلتَقى الجَيشَان، حَيثُ قامَت مَعركةٌ طاحِنةٌ استمرَّت يَوماً كاملاً، انتهت بهزيمة مُنكَرَة للجيش المغربيِّ[2]، وقَد قَدَّرَ بيجو عَدَدَ القتلى مِن الجانب المغربي بـ800 قتيل، وعَدَد الجرحى بما يَتراوح بين 1500و2000 جريح[3]، أمَّا خَسائِرُ القُوَّات الفرنسيَّة حَسب تقارير رسميَّةٍ، فهي لا تَتَجاوز أَربعة ضُبَّاط قَتلى، و10ضباط مجروحين، و27 مِن الجنود القتلى، و87 جريحاً[4]، على أنَّ هذه الأرقام تُعتبَر تَقريبيَّةً إذ تُذَكِّرُنا بِما عُرِف به بيجو مِن التَّضخِيم والتَّهويل بالأرقام، لأغراض الدِّعَايَةِ في بَلاغاتِه الرَّسميَّةِ.

لاشَكَّ أنَّ هذا النَّصرَ السَّريعَ، وتَلك الخسائرَ غَير المتوازِنة بَين الطَّرفَين، كانت رسالةً واضحة العبارات للسُّلطان عبد الرحمن ليُعيد حِساباتِه في الجِهة الشَّرقيَّة، ولَم يَبقَ له مِن الخِيارات في هذه الجهة سوى اثْنَين لا ثالثَ لهما، فإمَّا أَن يَدخُلَ في حرب طويلةٍ ضِدَّ فرنسا، ويُشهِر لها العَداءَ لِيُعيدَ مَلاحِمَ أَجدادِه السَّعديِّين في واد المخازن، ويُعيد بُطولات المولى إسماعيل، أو الاستسلام لضُغوطَات الفرنسيِّين والتُّنَكُّر لِدِماء الشُّهدَاءِ في وادي إيسلي، والتَّنَكُّر لِلِواءِ الجِهاد المعقُود في المقاومَة الجزائريَّةِ تَحت قيادة الأمير عبد القادر.

- **مُعاهدَة طنجة ولالَّة مغنية:**

لقد لاحظنا كَيفَ انتَصَرَت فرنسا عسكرياً عَلى الجيش المغربي، هذا الانتصار الذي له مِن الأسباب ما لا يَخفى أمرُه، فَهي -أي فرنسا-دَولةٌ قَويَّةٌ مَرهوبةُ الجانب، أمَّا المغاربة فَدَخَلوا المعركَةَ دُونَ تَدبير رَغم كَثرةِ الجُندِ، فَقَد كانت الخَسارةُ ثَقيلَةً ومُخزيةً أَدخَلَت المغرِبَ مَرحَلةً جديدةً مِن تَاريخه، فَقَد فيها عِزَّتَه، وفَقَدَ فيها نَشْوَة وادي المخازن، إنَّ مَعركة "إيسلي" في الواقع أَبرزت للسُّلطان مولاي عبد الرحمن حقائقَ الأُمور، فَمِنها أنَّ قُوَّاتِه غَيرُ مُتَكافِئَةٍ مع قُوَّاتِ الفرنسيِّين، وأنَّه لا يَستَطيع مُواجُهَتَهم مُستَقبَلا[5].ولِذلك غَيَّرَ سِياسَتَه كُلِّياً، فَصار يُناوِر ويراوغ، ويَستعمِل كثيرا مِن الدَّهاءِ، بَل

---

[1]- ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 68.

[2]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص 280 .

[3]- CHARLES. André julien : op –cit ‹p198.

[4] - Henri . Garrot, Op :cit, p859 .

[5]- أبو بكر القادري، مرجع سابق ، ص16 .

صَار يُجامِل، ويَقبَلُ بَعض الحُلولِ في المشاكل المعروضَةِ، مثلَ قضِيَّة الحدود حَيث وقَّعَ مُعاهَدَتَيْن مَع الفرنسيِّين :

**مُعاهَدة طنجة :10سبتمبر 1844م[1] :**

بَعد هَزيمة أُوت لَمْ يَبقَ أمام السُّلطان المغربيِّ سِوى الخِيارُ الدِّبلوماسيُّ، الذي رأى فيه أَقرَبَ الحلولِ للحِفَاظِ عَلى العَرش، وهُنا فَوَّضَ السُّلطانُ لِنائِبِه وعامِلِه بِطنجَة بوسلهام بن علي عَقدَ المعاهَدَةِ، والصُّلحِ المقتَرَحِ عَلَيه مِن لَدُن فِرنسا[2]. وَجَرَت المفاوضاتُ بَينَ الطَّرفَين، حَيث مَثَّلَ الوفَدَ الفرنسيَّ كُلٌّ مِن الدوق "غلوسبر Glusber" سفير فرنسا في مدريد، والدكتور "وارنييه Warnier"،والقُنصَل الفرنسيُّ بِطنجة "دي نيون Nion "، أمَّا الوفدُ المغربيُّ فَمَثَّلَهُ بوسلهام بن علي عاملُ طنجة، والفقيهُ بوسلام، وانتَهَت المحادَثاتُ بِعَقد مُعاهَدة طنجة يوم10سبتمبر 1844م، والتي تَضَمَّنَت ثَمانِيَة شُروط[3]، يَهُمُّنا مِنها الثَّالثُ والرَّابع والخامس، حيث جاء في الشَّرطِ الثَّالِث أن يَلتَزِمَ السُّلطانُ المغربيُّ بِعَدَم تَقديم المساعَدَة لأيِّ ثَائرٍ ،أَوعَدُوٍّ لِفرنسا، أمَّا الشَّرطُ الرّابع فتَمَثَّلَ في وَضْعِ الأَمير عبد القادِر خارجاً عن القانون[4]،على امتِداد الدَّولتَين الجزائر والمغرب، وعَليه يَجِب مُتابَعتُه بالسِّلاح على تُرابِ البَلَدَين[5].

وَنصَّ البَندُ الرَّابع مِن هذه المعاهَدَة على أنَّه إذا وَقَع الأمير عبد القادر في أيدي الجيش الفرنسيِّ، فإنَّ الحُكومَةَ الفرنسيَّة تَلتَزِمُ مُعامَلَته بِكُلِّ احترام ومُروءَةٍ، وفي حَالة وُقوعِه في أَيدي السُّلطان فإنَّه يَلتَزِمُ سَجنَه في إحدى مُدُن السَّاحل الغربيِّ، حتَّى يَنظُرَ الطَّرفان في الإجراءات اللّازِمة لِمَنع عبد القادر مِن حَملِ السِّلاح، وإفساد ما بين الجزائر والمغرب، ويحتوي الشَّرطُ الخامس على تَحديد الحُدود ما بين أملاك فرنسا والمغرب، فَتَبقَى ثَابتَةً حَسب ما كان مُعتَرَفاً به على عَهدِ الدَّولَةِ العُثمانِيَّة في الجزائر[6].

---

[1] - للإطلاع على النص الكامل لاتفاقية طنجة ينظر الملحق رقم :13

[2] - عبد الهادي التازي ،مرجع سابق ،ج 10،ص15.

[3] - Henri . Garrot, Op :cit, p860 .

[4] - بلعربي نورالدين، "**معركة إيسلي وانعكاساتها على المغرب الأقصى ومقاومة الأمير**"، مجلة الحكمة، العدد 12، السنة 2017، ص 107.

[5]- CHARLES-André julien : op – Cit ,p.200.

[6]-إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837- 1934 ، دار هومة ، الجزائر ، ا2009 ، ص341.

- **مُعاهَدَة لالَّة مغنية[1] 18 مارس 1845 م:**

تَبقَى أسبابُ عَقدِ المعاهدة الثَّانية بَين فرنسا والمغرب في هذه الفَترة مجهولةً، وخاصَّةً بَعد مُرور سِتَّةِ أَشهُرٍ فَقط على تَوقِيعِ مُعاهَدة طَنجة، إلّا أنَّهُ مِن الرَّاجِح أنَّ أَسباب عَقْد هذه المعاهَدَة تَرجِع في أَساسِها للطَّرَف الفرنسيِّ الذي كان يَرى في مُعاهدَة طَنجة، مُعاهَدةً غامضةً، خاصَّةً إذا عَلمنا أنَّ الجنرال "بيجو" الذي كان غَيرَ راضٍ بِعَدَم إشراكِه في معاهدة طنجة، قد ضَغَط أَمَام البرلمان الفِرنسي لإعادة النَّظر في مسألَةِ الحدود، ويَبدو أنَّه كان يُرِيدُ ضَمَّ مَدينة وجدة إلى نِطاق حُدود دَولة الجزائر، كما كان يَرى أنَّ مسألة الحدود سَتَكون موضوع اتِّفاقيَّةٍ خاصَّةٍ.

فَبَعدَ مُعاهَدَة طنجة أَرسَل الماريشال "بيجو" رسالةً إلى وِليِّ العَهد المولى محمد بن عبد الرحمن بتاريخ 17 سبتمبر 1844م، يُحذِّرُه فيها مِن تَحرُّكَات الأمير، ومِمَّا جَاء في هذه الرِّسالة ما يلي:

**« .. إنَّ الحاج عبد القادر قد انتقل لِوَسَط هذه الأقطار، فَليس هكذا الطَّلَب مِنكَ بل أردنا أن يَنتقل بأهله ومَن معه إلى مرسى مِن مَراسيكم البعيدة، وتُلزِموا أنفسَكُم أَن لا يَخرُج مِن مَوضوعٍ وضع فيه قط، سيما تَلتزموا أن لا يرجع لمُضادَّتِنا بالنَّواحي الشَّرقيَّة ولم يكن بيننا سبب في القتال إلا هو فقط... »**[2]. ويبدو أنَّ بيجو كانت نِيَّتُه الضَّغطُ مُجدَّداً على المغرب تَمهيداً لمشروع تَرسيم الحُدود بَين الدَّولَتَيْن.

ولما كان لِزاماً على الطَّرَفَيْن الجلوسُ مُجَدَّداً للتَّفاوض حَوْل مسألة الحدود حسب ما نَصَّ عليه الشَّرطُ الخامس[3] مِن اتِّفاقية طنجة: **« ...إنَّ تحديد الحدود بين المملكتين يبقى مُقَرَّراً ومُتَّفَقاً بَين الطَّرفَين على عهد الأتراك بالجزائر، وسيكون لتحديد الحدود التَّام و المنتظم لهذا البَند موضع اتِّفاقيَّةٍ خاصَّةٍ تُعقَد بين الطَّرفَين في عين المكان بَين المُكَلَّفِين لهذا الشأن مِن قِبَل جَلالة إمبراطور فرنسا و بين مندوب عن الحكومة المغربية ..»** [4]، فَقد اجتَمع الطَّرفان في مدينة مغنية يوم 18 مارس 1845م، للاتِّفاق حَول رَسم الحدود، وقد اشتَرَكَ في المفاوضات التي تُوِّجَتْ باتِّفاقيَّة لالَّة مغنية مِن الجانب الفرنسيِّ

---

1- للإطلاع على النص الكامل لاتفاقية لالة مغنية ينظر: الملحق رقم 14.

2- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، ص ص341 - 342.

3 -M H. de La Martinière N Lacroix : « Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain »,T1, gouvernement générale de l'algerie, Service des affaires indigènes, 1897,p 25.

4- إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، مرجع سابق، ص 205.

إِضافَةً إلى الجنرال، دو لاروا ( De la rue) ،والمترجم ليون روش (Léon roch )، الذي كان يَشغل منصِبَ قُنصُل فرنسا بطنجة، بالإضافة إلى العقيد ريورات (Rouret)، وقد تَشكَّلَ الوفدُ المغربِيُّ مِن: سي حميدة الشجعي عامل وجدة، والسيد أحمد خضر السلاوي كاتب الأوامر السُّلطانية [1]، وممثلاً شخصياً عن السلطان عبد الرحمن.

وبِمُوجِب هذا الاتِّفَاقِ وقَّع الطَّرفَان على مُعاهَدَة حملت اسم المكان الذي وقَع فيه التَّفاوُض "لالة مغنية" يوم 18 مارس 1845م، والتي رسَّمت الحدودَ بين البلدين[2]، حيث نصَّت المعاهدة على رَسمٍ تَفصيليٍّ للحُدودِ الإقليميَّةِ والسِّياسيَّة ما بين الجزائر والمغرب، ابتِداءً مِن سَواحِل البحر الأبيض المتوسِّط إلى منطقة ثنية السَّاسي، كما حَدَّدَت ما بقي مِنه انطلاقاً مِن أسماء القبائل التَّابِعة لِكُلٍّ مِن البَلَدَين .

تَضَمَّنَت المعاهدةُ سَبعةَ شُروطٍ تَهُمُّ المِسألة الفرنسيَّةَ المغربية « **هذا تقييد ما اتَّفَق عليه نائب سلطان مراكش وفاس، وسوس الأقصى، الفقيه السيد حميدة بن علي الشجعي عامل بعض مملكة المغرب، ونائب سلطان الفرنسيس وسائر مملكة الجزائر، الجنرال "ارستيد يزيد ور" والكونت "دولاروا" صاحب نيشان الافتخار لدولة الفرنسيس** » [3].

أَشارَ البَندُ الأَوَّلُ مِن الاتِّفاقِيَّة إلى أنَّ وكيلَيْ السُّلطَتَيْن الفرنسيَّةِ والمغربيَّة، اتَّفَقا على إبقاء الحدود بينها كما اتُّفِقَ عليها في الماضي بين الأتراك ومُلوك المغرب السَّابقين، بِحَيْثُ لا يَتَعدَّى أَحدٌ حدودَ الآخر، ولا يَحِقُّ لِأَحدٍ البِناءُ في الحدود، ولا تُمَيَّزُ بالحِجارة، بل تبقى كما كانت قَبْل استيلاء الفرنسيِّينَ على الجزائر.

أمَّا البَند الثَّالث، فَقَد تَطرَّقَ إلى تحديدٍ تَفصيليٍّ للحُدود مِن "فَم عجرود" مَع البحر الأَبيض المتوسِّط، إلى "ثنية ساسي"، الواقِعةِ عَلى بعد 150 كلم نحو الجنوب [4]. أمَّا الشَّطر الرَّابع مِن هذه الاتِّفاقيَّة فَتَعرَّض لوضعيَّةِ المِجَال الصَّحراوي المشتَرَك بَين المغرب والجزائر، ونَصَّ على عَدَم وضع أيِّ

---

1- محمد مزيان، "**جذور النزاع الحدودي بين الجزائر والمغرب**"، مجلة كان التاريخية، ع 22، ديسمبر 2013، ص40.

2- إسماعيل العربي ، مرجع سابق ، ص282 .

3- إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، مرجع سابق، ص 342 .

4- محمد مزيان، مقال سابق، ص 42.

حَدٍّ فَاصِلٍ بِهذا المجال لِكونه لا يُحرَث، وإنَّما هو مَرعى للقَبائل المتَنقِّلَة والتي يَنبَغي أن تَظَلَّ تَنتَفِع بِموارد الصحراء المائيَّة والكلئيَّة[1].

أمَّا عَن الصحراء المشتَرَكَة فقد اقتَصرَت المعاهَدةُ على الإشارة إلى مُمارَسَة كلِّ سلطة لسيادتها على رعاياها في تلك الصحراء، وَعلى حَسب شهادة الموقِّعين على اتِّفاقيَّة "لالة مغنية"، فإنَّ الحدودَ بين الجزائر والمغرب قُسِّمَت إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول: يَمتدُّ مِن مَصبِّ واد كيس في البحر الأبيض المتوسِّط، إلى" ثنية السَّاسي"، الواقعة على بعد 150 كيلومتر إلى الجنوب .

والقسم الثَّاني: يَمتَدُّ مِن" ثنية السَّاسي" إلى" فقيق "[2]جنوباً، وهذا القِسمُ لَمْ تُعَيَّن حُدودُه بِدِقَّةٍ، وإنَّمَا نَصَّ فَيه على القَبائِل والقرى التي ذُكِرت على أَنَّها تابِعةٌ لِسلطةِ الفرنسيِّين في الجزائر[3].

والقسم الثَّالث : يَقَع جنوبي "فقيق" وقد اتَّفَق المتفاوِضون، وبِناءً عَلى برقِيَّةٍ وَصَلَت من "الكي دورصي " على أن لا تُعين حُدودُه ولا قَبائلُه، بِحُجَّةِ أنَّه صحراء ومراعي لرعايا الدَّولَتَين[4].

اِعتَبَرت فرنسا أنَّ اتِّفاقِيَّةَ لالَّة مَغنيَّة مِن جانب إطارِها الدَّوليِّ اتِّفاقِيَّةُ سَلام بينها وبين المغرب، ولَعلَّ ما يُؤَكِّد ذلك رسالةُ دو لاروا ( De la rue) إلى وزير الحربِ الفرنسيِّ عشيَّة تَوقيع المعاهدة « **إنَّ النَّتيجَة المُحصَّل عليها مِن اتِّفاقيَّةِ لالَّة مَغنية جِدُّ مُهمة، وأتَوقَّع أن تكون أكثَر مِن ذلك عِندما نَقوم بنشر مَضامينها، فهي في الواقع لم تَسمَح لنا بإقامة حُدودنا الغربيَّة مثلما كانت أيام التُّرك، ولكنَّها الآن أكثرُ وضوحاً ودقةً ...باختصار فاتِّفاقيَّة لالة مغنية هي معاهدة سلام** » [5].

---

[1] - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي ،مرجع سابق ، ص 342.

[2] - فقيق أو فجيج: هي إقليم واسع يمتد على مساحة تقدر ب900كلم$^2$، وتحتوي على واحات كثيرة بها ثمانية قصور أشهرها العابد وزناقة، كانت في العهد الزياني تابعة إلى مملكة تلمسان، وبعد حملة المنصور في صحراء السودان الغربي ضمها إلى ملك السعديين- ينظر : إبراهيم مياسي ، مرجع سابق ،ص 386.

[3] -M H. de La Martinière N Lacroix :T2 , Op . cit, p 2 .

[4] - عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج10 ، ص16 .

[5] -محمد مزيان، مقال سابق، ص 41.

لقد عبَّر السُّلطان عبد الرحمن في البداية عن رَفضِه للمُعاهدَة، فقد اقتطعت هذه الاتفاقية -برأيِه- أجزاءً مُهمَّةً مِن التُّرابِ المغربيِّ لِصالح الفرنسيِّين في الجزائر، وهذا مِن خِلال الرَّسائِل التي بَعثَها إلى عامِله بوسلهام بن علي[1] «...**وإنَّ عَدُوَّ الدين خدعهُما وبذل لهما الطَّمع حتَّى أَدخل طَرفاً وافراً مِن هذه الإيالة السَّعيدة في إيالة الجزائر...**» [2]، إلَّا أنَّه وافَق عَليها فيما بعد، لما تَبَيَّنَ له أنَّ الاتِّفاقِيَّة صحيحةٌ، وخاصَّةً بعد وُصُول تَقاريرَ مِن كِبارِ وشيوخ قبائل الحدود، تُؤَكِّد أنَّ رسم الحدود مُطابقٌ لما كان عليه أيَّام التُّرك بالجزائر «**...أنَّ أمرَها كان على حقٍّ، وتَحري حدود التُّرك القديمة المشهورة، فحيث كان الأمر على هذا الوجه فلا كلام فيه، وإنَّما حَملنا على المراجعة ما ادَّعاه أَعيانُ القبائل الذين وَجدَهم الحال بحضرتِنا**[3]**، وكان عددُهم يُنَيِّف على المائتين ...فهم فيما ادَّعَوه مِن أُمْرِ الحدود أَكذَب، إنَّا أَردنا قَطع حُجَّتِهم، وإيضاحَ دعواهم وقد كتبوا بعد توجُّهِهم بأنَّ الحدود على حدود التُّرك ...**» [4]

لقَد انتَهت اللُّعبة السِّياسيَّة الفرنسيَّةُ بِنَفسِ النَّجاحِ الذي حقَّقَتْه على أرض معركة "إيسلي"، حيث اعتبر الفرنسيُّون الأمير عبد القادر العَقَبَةَ الوحيدة في العلاقات الثُّنائيَّة، حيث مَثَّلَت هاتان الاتِّفاقيَّتان بِدايةَ مرحلةٍ جَديدةٍ في تَاريخ العلاقات السِّياسيَّةِ بَين الفرنسيِّين والمغاربَة مِن جهة، وبَين الجزائريِّينَ والمغارِبة مِن جهة ثانية.

وعلى صَعيدِ علاقاتِ السُّلطان عبد الرحمن بالأمير وفرنسا، فقد حددتهُما الاتِّفاقِيَّتان الموقَّعَتان بين فرنسا والمغرب، وهُما الاتِّفاقِيَّتان اللَّتان وضَعَتا حدًّا لِأَطمَاع "بيجو" في المغرب بَعد مَوقِعة "إيسلي"، لولا تَهديد بريطانيا بالتَّدخُّل، كما يُمكِن اعتِبار المعاهدَتَيْن مِن الأَهمِّية بِمَكان بِحيث وضَعَتا أَرضِيَّةً جديدةً لِعلاقات المغرب بالجزائر، ومَع فرنسا في الجزائر أيضا، والأَهمُّ مِن هذا أنَّ المعاهَدَتَين تُقحِمان المغرِبَ مُباشَرةً في أَحداثِ الجزائر وذلك مِن خلال :

- اعتراف المغرب بالسُّلطة الفرنسيَّة في الجزائر .

---

[1]- نشر حماش في كتابه وثائق تاريخ الجزائر ثلاثة رسائل في شأن رفض السلطان عبد الرحمن للمعاهدة، تحمل الأرقام 24-25-26 مؤرخة على التوالي في 27ربيع الأول 1261هـ /04 أفريل 1845م و9 ربيع الثاني 1261هـ/ 16أفريل 1845م و6جمادى الأول1261هـ /12 ماي 1845م ، ص ص 95 97.

[2]-إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، ص 208.

[3]- كان هؤلاء الأعيان في فاس عند توقيع المعاهدة لحضور حفل المعايدة بمناسبة العيد.

[4]- خليفة إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص ص 99 100.

- التَّنكُّر لجهاد الأمير عبد القادر وقَبول حقِّ مُطارَدَته مع غيره مِن المجاهدين مِن قِبَل الفرنسيِّين والجيش المغربي[1].

وهكذا انتَهَت معركةٌ جانِبيَّةٌ لا شكَّ أنَّ الأمير الذي هو صاحب الشَّأن الأَوَّل فيها، قَد تجرَّعَ مرارتَها ، فَكان عَليه الاستِعداد لمواجهة فَريقَين: الأَوَّلُ دَخيلٌ مُستعمِر، والثَّاني أخٌ عدو. لَقد تَلقَّى الأميرُ خَبر المعاهدَتَين بالحزن وخَيبة الأَمل، لأنَّ هذه المعاهدَةَ وإن لَم تَكُن لنُصوصها قِيمَةٌ عَمليَّةٌ في الحدِّ مِن نَشاطه، فَهي بالتَّأكِيد قَد وَضعَت حدًّا لآمالِه في تَوسيع نِطاق المعركَة، بحيث تندمِج المقاومة الجزائريَّةُ المغربيَّةُ وتَنطلِق في مجهود مُشتَرك لِطردِ العَدوِّ مِن البلدين .

## المبحث الرابع :تَوتُّر العلاقات بين الأمير عبد القادر والسلطان عبد الرحمان:

إذا كانت هزيمة إيسلي نقطةَ تَحَوُّلٍ حَاسمةٍ في سِياسة المغرب الداخليَّة والخارجيَّة، فَقَدْ كانت أَيضاً نقطةَ تَحوُّل عَميقة في مَسار الكِفاح الجزائريِّ تَحت لِواء الأمير عبد القادر، فَبَعد إيسلي، رَأينا كَيف وقَّعَ السُّلطانُ عبد الرحمن على مُعاهَدَة طنجة، التي نَقلَت المغرِبَ مِن مَوقِفِ المؤيِّد للأَمير إلى مَوقِف العدوِّ، فالأمير الذي أرادَ أنْ يَدفَعَ بالقُوَّات الفرنسيَّةِ إلى ما وراء الحُدودِ المغربيَّة، طمَعاً في أن تُفضِيَ الأُمور كما أسلفنا إلى دُخول المغرب في مُعادَلة الصِّراع، ممَّا سَيعطي للنِّزاع القائمِ بين الأمير وفِرنسا بُعداً دَوْلياً، انقلَبَت عليهِ الظروف فتَوَحَّدت فرنسا والمغرب ضِدَّه .

- **إشاعة مُحاولة انقلاب الأمير على الحُكم في المغرب:**

إنَّ تَوقيع السُّلطان على اتِّفاقِيَّة طنجة، واعتِرافه بِحَقِّ فِرنسا في الجزائر، واعتِبارِه أنَّ الأَمِيرَ رجلٌ خارجٌ عن القانون، وتَعهُّدَه بِطردِه أو اعتقاله وتَسليمِه إلى الفرنسيِّين، كُلُّها أُمور زادت مِن سُخطِ المِغاربة ضِدَّ المخزن وتَصرُّفاتِه، فالمغاربَةُ المعجَبون بالأَمير[2]الذي كانَ في نَظَرِهم بَطَلاً وطنياً مُدافِعاً عَن الإسلام[3]،كانوا مُستَعِدِّين - حسب ما تَذكره المصادر- لِتَنصِيبه بَدَلَ السُّلطان عبد الرحمن[1]،

---

[1]-محمد العربي معريش، مرجع سابق، ص 34.

[2]- المرجع السابق، ص 30.

[3]- ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900،تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1981، ص 193.

فَتَذكر بعضُ المصادر أنَّه بَعد تَوقيع السُّلطان على اتِّفاقيَّة طنجة كاتَبَ بعضُ الموظَّفِين مِن العَسكَرِيِّين والإدارِيِّين الأَميرَ يَتوسَّلون إليه لإِنقاذِ الدَّولَة مِن الانهيار[2]، كما تُشير إحدى التَّقارير الفرنسيَّة التي بَعثَها الجنرال دوماس Doumas إلى الماريشال بيجو في 25 فيفري 1845 م، إلى أنَّ أثرياءَ مدينة فاس كانوا يَنشُرون فِكرةَ تَولِّي الأَمير أمرَ المِملَكة، وأَنَّهُم كانوا يَتَبادَلُون مَعه الرَّسائلَ [3]،كما أنَّ بَعض القبائل اتَّصَلَت بالأمير وعَرَضَت عَليه البَيعَة وخَلْعَ السُّلطان، وفِي هَذا يَقُولُ صَاحِب تُحفَة الزّائر« ...**فَقَبِل سُلطان مراكش هذه الشُّروط وتَقَرَّر الصُّلح، ولما شاع هذا الأمرُ في نَواحي المغرب الأَقصى، وسارت الرُّكبان بما وقع لجيوشهم وجموعِهم مع الفرنسيِّين، كَبُر عَندهم ذلك ونَسَبُوا المَعَرَّة فيه إلى سُلطانِهم وقُوَّاد الجيوش، وكَثُر القِيل والقال، واتَّفَق أكثرُ القبائل على انتفاض على السلُّطان، وإِعطاء الطَّاعة للأمير لِما كانوا يَسمعُون عنه مِن الإقدام والشَّجاعة والقيام بأُمور الجهاد على ما ينبغي ...فكَاتَبوه في ذلك، فَلَم يَقبلْه مِنهم، وقال إني دخلت بلاد السُّلطان لا لأكون ضِدَّه، أو لِنأخذ منه مُلكَه»** [4].إلّا أنَّ الأمير أَنكَر عَليهم هذا العرض ورَفَض الأمر جُملةً وتَفصيلاً، حَيث رَدَّ قائلاً حَسب مَا ذَكَره تشرشل « **..لقد رفضت ما عرضَه المغاربةُ عليَّ ليس فَقط لأنَّ ديني يمنعني من مَضرَّة حاكم اختاره الله وعينه .. »**.[5]

أَمَّا السُّلطان عبد الرحمن فَقدْ كَانت تَصلُه هذه الإشاعاتُ في فاس عن طريق الرسائل التي كان يبعثها القُنصُل الفرنسي دي لاري إليه، حَيث كان يُحذِّرُه مِن أَطماعِ الأمير بِعَرشِ المغرب[6]، ومِمَّا تَجدُرُ الإشارة إِليه هُنا، أنَّ فِرنسا قَد جَهَّزَت لذلك مُنذ زَمن، حيث عمَلت على إيغارِ صَدرِ السُّلطان ضِدَّ الأمير، وأَوعَزَت إَليه بأنَّ الأمير يَرغَبُ في إنشاء سُلطةٍ مُستقلَّةٍ في المغرب، وأنَّه – أي

---

1 - برونو أتيين، مصدر سابق، ص 230. - CHARLES-André julien : op ,cit , p ,196.

2 - تشرشل ، مصدر سابق، ص 225.

3 - محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 210.

4 - محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص 292.

5 - تشرشل ، مصدر سابق ،ص225.

6 - محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 213.

الأمير – يَنوِي الاستيلاء على السُّلطة بعد ثَورة عاتِية، والقضاء على الأُسرةِ العَلَويَّةِ، وتَنصيب حُكم بني هاشم [1].

ومع الأسف فَقدْ سايَرَ بعضُ المؤرِّخين المغاربةِ المعاصرين للأَحداث هذا الطَّرح، ومِنهم النَّاصري الذي ذكر أنَّ الأمير كان يُريد الوصول إلى العرش «**..وكان مِن فساد نِيَّة الحاج عبد القادر، أنَّه رام الاستبداد بل والتملك على المغرب ..**» [2]،ويَتَحدَّثُ ابن زيدان أيضاً عن الإشاعات التي راجت بعد معركة إيسلي، مِن أنَّ الأَمير نَاصَب السُّلطان العداءَ[3]، إلّا أنَّنا وبعد تَفحُّصِنا العَميق لهذه الوقائع، استنتجنا أنَّ الأَمير لَمْ يَكُن في نِيَّتِه الانقلابَ مُطلَقاً على السُّلطان عبد الرحمن، وحتَّى يَنفِيَ الأميرُ تلك الإشاعات بادَر إلى توضيح الأمور فَأرسَلَ مَكْتُوباً يَتَبَرَّأُ مِمَّا نُسِب إليه مِن بُهتان[4]، ويُطمئِنُه بأنَّه لا يَطمَع في عرشه[5].

- **تحريض القبائل المغربية ضِدَّ الأمير:**

بدأ تنفيذ الخُطَّة الفرنسيَّةِ المغربيَّة التي تَقضي بِمُطاردة الأمير، منذ أواخر أكتوبر 1845م[6]، حيث ازداد الضَّغطُ الفرنسيُّ الانجليزيُّ عَلى السُّلطان بِمقتَضى مُعاهدة طنجة[7]، وخاصَّةً بَعد عَودَة الأمير عبد القادر إلى الدائرة صيفَ 1846م، فكَاتَب السُّلطان الأميرَ بمغادرة بِلاده طَوعاً أو تسليم نَفسه، أو سَيضطر إلى استعمال القُوَّةِ ضِدَّه ،وفي نفس الوَقت أَمَرَ السُّلطانُ القَبائِل المجاوِرة للدّائرَة بالتَّضييق عَلى الأمير وقَطع التَّموين عنه ومُجافاته، فَكَتَب إلى الشيخ بوزيان ،شيخ قبيلة الأحلاف

1- يحي جلال، مرجع سابق، ص 177.

2- الناصري ، مصدر سابق ،ج3، ص308.

3- ابن زيدان، إتحاف، مصدر سابق، ص 75.

4- المصدر السابق، ص 75.

5- محمد علي الصلابي، مرجع سابق، ص 495.

6- محمد العربي معريش، مرجع سابق ، ص35 .

7- يرجع إلى نص الرسالة التي كتبها السلطان عبد الرحمن إلى عاملة الطالب بوسلهام المؤرخة 06 ذي القعدة 1261هـ/ 05 نوفمبر1845م، في شأن ضغط بريطانيا وفرنسا على المغرب للإلتزام بالصلح وإنهاء وجود الأمير في المغرب: ينظر خليفة حماش، ص ص 114 115.

رسالةً يأمُره فيها باتِّخاذ الإجراءات الفَعَّالَةِ لإخراج الأمير مِن المغرب حيث جاء فيها «...**بَلغنا أنَّ الأمير عبد القادر ومَن انضاف إليه مِن إخوانِكم الذين استفزَّهم وخَدعَهم بِتَمويهِه وأَباطيله ... وقد خَدعَهم بإظهار الدِّين وأحوال الصَّالحين، وما في ضَميره إلّا الفساد وإيقاد الفتنة بين العباد ...ونحن لا نَكرَه الجِهادَ بِشروطه، ونَكرَه ما يَعود بالضَّرَر والغَلَبَة لجانب الإسلام، ولكنَّ هذا المشئوم أَراد نَقض ما أَسَّسْناه مِن الصُّلحِ الشَّرعيِّ، وإيقادِ الفتنة بعد إطفائها سَعْيًا في هَضمِ جَانب عِزِّكُم وإفساد دِينكم ودُنياكُم ...فها نحن أَمَرْنا الأمجدَ بوزيان بالقيام على ساقِ الجِدِّ وإخراجِه ودائرتِه مِن إيالتِنا السَّعيدة طَوعًا أو كُرها ،وحَسْمِ مادَّة فِتنتهم وضَلالهم، فَكونوا معه يداً واحدة، وشُدُّوا عَضُدَه على ذلك حتى يقضيَ الغرضَ إن شاء الله**»[1].

وقَد رَدَّ الأميرُ على مُضايَقات القَبائل المغربيَّة كعادتِه بالطُّرُق الدبلوماسيَّة، حَيث كَتَب إلى السُّلطان رسالةً يَطلُب فِيها وَقفَ اعتِداء القَبائل المغربيَّة على الدَّائرة: «**... أمَّا بعد، فإِنِّي كاتَبتكُم أوَّلاً، والتَمسْتُ مِنكُم كَفُّ ضَرَر قَبائِلكُم المُجاورة لنا وتَعدِّيها على مَن تَبِعَني، وسوء معاملتهم لهم، كُلُّهم دين واحد وشريعة واحدة، فَلَم يأتني جوابٌ عن ذلك، ولَم يَحصُل لهم ردعٌ مِن طَرفكم، ومع هذا كلّه أنا صابرٌ ومتحمّل لما يُجرونَه كراهةً في سَفك دماء المسلمين مُدة ستة أشهر، طمعًا في رجوعهم عن الغَيِّ والطغيان إلى العدل والإحسان، مع قُدرتي عليهم في كُلِّ آن، فإن لَم تَردعْهُم الآن عن أفعالهم، وتُرجِعَهُم عَن قَبيح تَصرُّفاتِهم، أَلتَزِم المحاماة عن حُقوقي، والمحافظة على–شرف أتباعي، ولذا بادرت بإخباركم والسلام عليكم**» [2].

ويَبدو مِن خِلال هذه الرِّسالة أنَّ الأَمير كان قد راسَل السُّلطان المغربيَّ في أكثر مِن مَرَّة، وذلك في قوله:«**... فلم يأتني جواب عن ذلك...** »، وفَضلا عَن هذا، فَقد كان الأميرُ طيلة الفترةِ التي عَاد فيها إلى الدَّائرة صابراً على أذى قبائل المخزن المغربيَّة، ولَم يواجِهُّم رَغم قُدرتِه على ذلك .

وبَعد هذا اجتَمع الأميرُ بقَادَة جُنده وكِبار ضُبَّاطِه، وأَطلَعَهُم على حقائق الأمور، فجَلس وقال: «**... بسم الله الذي لا يجوز لنا القيام بأيِّ عمل إلا بذكر اسم الله تعالى، والآن سأُطلعُكم على رسالة السُّلطان عبد الرحمن إلى أحد زعماء بني سناسن وقعت بيَد أحَد أعواننا سلَّمها إليّ، وهي سِتَّة رسائل كُلُّها أُرسِلت إلى القبائل ...إنَّ السُّلطان يُحرِّضُ القبائل على التَّمرُّد، ويَتدخَّل في شؤون دولتنا**

[1]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص ص 309 310.

[2]- المرجع السابق، ص310.

**وأكثر مِن هذا يَطلبُ مِن هذه القبائل تقديم العون للفرنسيِّين ... »** [1]. هذا، وأخبَرَهم أنَّ السلطان عبد الرحمن قد عزَم مع العَدُوِّ على إذلال المجاهِدين، وطَلب إليهم مَعرفَةَ رأيِهم بِشَأن الموقف الذي يَنبَغي أن تَتَّخِذه المقاومةُ إذا تَعرَّضت للعدوان، فكان ردُّهم :«**...إنَّنا بايَعناك على السَّمع والطَّاعة والجهاد إلى الموت ونحن مستعِدُّون للوفاء بالعهد »** [2]. ورَغمَ هذا ظَلَّ الأمير يَتحَرَّى الطُّرُق السِّلميَّةَ في مُواجَهة تَعدِّي القبائل المغربيَّة، حَقْناً لدماء المسلمين، راجِياً أَن يَصِلَه جواب السلطان الذي طال انتظارُه.

- **استفتاء الأمير للعلماء في شأن السُّلطان عبد الرحمن:**

وحينما لَمْ يَبقَ أمام الأمير مِن خِيار تَوجَّهَ إلى عُلَماء الشَّرع في ذلك كَعادته، فَكَتَب إلى عُلماء الأزهر الشَّريف يَستَفتِيهم في أَمر سلطان المغرب، حَيث كَتَب رسالةً طَويلةً جاء في مطلعها حسب ما ذكره صاحب تُحفة الزَّائر:

> **«... الحمد لله حمداً يُوافي نعمه.. إنَّه لما استولى عدوُّ الله الفرنسيس على الجزائر وخَلَت الإيالة عن الأمير، وانقَطعت السُّبُل، وعُطِّلت الأسباب، وطالت الشَّوكة والكافر، اجتمع ذَوُو الرأي وتفاوضوا على أن يُقدِّموا رَجُلاً عن سادتهم يُؤمِّن السُّبُل ويَكُفُّ المظالم ..فاختاروا رجلا منهم وقدَّموه لذلك، فتَقدَّمَ، وعمل جهدَه في سبيله . وتَيَسَّرت الأسباب بِعونِه، وجاهد في سبيله، وذلك مِن لَدُن سنة ستة وأربعين إلى سنة ثلاثة وستين هذه، ولا نزال كذلك إن شاء الله، فإذا بِسلطان المغرب فَعَل بنا الأفعال التي تُقَوِّى حِزب الكافر على الإسلام وتُضعِفنا، وأضرَّ بنا الضرر الكثير، ولَم يَلتفت إلى قول رسول الله صلى الله عليه وسلم .المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه ..ولا إلى قوله عليه الصلاة والسلام..المؤمن لأخيه كالبنيان المرصوص يشدُّ بعضه بعضاً .. »** [3].

وشرح فيها الأمير أسباب خِيانة السُّلطان له وعدَّد لهم كما يلي:

- إمداد السُّلطان لجيش الكُفَّار بما يحتاج مِن البقر وغيرها من لوازم القوة، وذلك بعد أن شدَّد الأمير الحصار على الفرنسيِّين.

1- محمد علي الصّلابي، مرجع سابق، ص 496.

2- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق،ج1، ص 321.

3- المصدر السابق، ج1 ، ص. 306.

- حجز السُّلطان شُحنَةً مِن الأسلحة كان قد اشتراها عاملُه الحاج الطيب.
- مصادرة السُّلطان 400 بذلة مِن الجوخ اشتراها وكيل الأمير للمجاهدين.
- مَنعُ السُّلطان المغاربةَ مِن تقديم التَّبرُّعات للمُجاهدين حتَّى بلغ الأمر به أن أخذ أموالاً كان أوقَفَها أحدُ المغاربة لمجاهدي الجزائر بِدعْوى أنَّه أَوْلَى بها.
- أنَّ بَعضاً مِن القبائل المغربيَّة كانت تَرغَبُ في الانضِمام إلى المقاومةِ فمَنَعها السلطان.
- اتِّفَاق السُّلطان مع فرنسا في معاهدة أوت 1844، والتي اعتَبر فيها الطَّرفان أنَّ الأمير عبد القادر خارج عن القانون، والعملُ على قَتلِه وتسليمه لفرنسا، أو نَفيِه مِن بلاده[1] «... **ثُمَّ أخذ يسعى في قبضي، فحفظني الله منه، ولو ظفر بي لقتلني أو لفعل بي ما اشترط عليه الفرنسيس** » [2].

وقَد تَحدَّثَ صَاحبُ تُحفة الزائر عن رَدِّ العلامة محمد عليش[3]على هذه المسألة، مِن الديار المصرية في بِجوابٍ طويل: «**...فأجابه العلامة الحُجَّة الشيخ محمد عليش مُفتي المالكية بالديار المصرية ...يُحرِّمُ على السُّلطان المذكور أصلح الله أحواله، جميع ذلك الذي ذَكرتم حرمتُه معلومة من الدين** » [4].

كما كان الأميرُ قد بعثَ برسالة إلى السُّلطان العثماني عبد المجيد[5]، يَطلُب فيها الأمير المساعدةَ، وقَد حملت الرِّسالةُ في بعض جوانبِها تَحليلاً لِعلاقة الأمير والسُّلطان عبد الرحمن، حيث شرح فيها الأمير كيف تَخَلّى السُّلطان عبد الرحمن والقِوى الإسلامية المجاوِرة عنه، في جهاده ضِد الفرنسيِّين ومِمَّا جاء في الرسالة :«**..أسلمنا إخوانُنا المسلمون وتَركونا في يد العَدُو فهم لنا ظالمون، وتَبرَّأ منَّا مَن كان قريبا لنا من الملوك، ومَنعُونا شراءَ ما نَتقوَّى به على الكافر خَوفاً منه، طلبنا منهم الإعانة**

---

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،(د.ط)، 1990، ص 233.

2 -محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1 ، ص. 306.

3- محمد بن أحمد بن محمد عليش ولد سنة ( 1217هـ/ 1802م) بالقاهرة ، وتوفي بها سنة (1299/هـ/1881م)، درس بالأزهر وتقلد مشيخة المالكية والإفتاء له مؤلفات عديدة في النحو والبلاغة .ينظر: محمد السنوسي، الرحلة الحجازية، ج3، تح علي اشنوفي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.

4– محمد بن عبد القادر، مصدر سابق ، ص310 .

5-يوجد النص الكامل للرسالة في الملحق رقم :12.

**بالرجال فلم يَقبلوا، واستعنّاهم بالأموال فلم يفعلوا، وطلبنا منه السَّلف، فكان عين المحال، ومنعوا رعاياهم مِن إعانتنا بكل وجه حال... »** [1].

إنَّنا مِن خِلال هاتَين الرسالتَين التي بعثهما الأمير عبد القادر إلى علماء مصر والسلطان العثماني، والتي تَحمِلان الكَثير مِن الحقائق التاريخيَّة، ونظراً لأهمِّية الرسالة فقد تعرَّضنا لها بإسْهابٍ حتى نستطيع -في اعتقادنا- أن نفهم الظروف والأسباب التي جعلت الأمير يُرسِل هذه الرسائل، عَلاوة على أنَّ الرِّسالتَيْن ذواتاَ أَهمِّيةٍ بمكان حيث تَحتويان على شرح مُفصَّلٍ مِن الأَمير حول أسباب الاختِلاف والنزاع القائم بينه وبين السُّلطان عبد الرحمن، والتي أَوجزها الأمير في ستِّ أو سَبع نقاط، كانت سبباً كافياً حسب الأمير ليَكتب إلى علماء الأزهر يَستَفتيهم في أمر السُّلطان عبد الرحمن .

وبَعد وصول جواب العلماء إلى الأمير الذي كان في بلاءٍ عظيمٍ مِن جيش السلطان عبد الرحمن، أخذت طُبولُ الحربِ بين الأَشِقّاء تُدَقُّ ، فالأمير هُنا مُلزَم بالدِّفاع عَن نفسه وعياله ورعيَّتِه، والسُّلطان حسب الروايات المغربيَّة مُلزَمٌ بالدِّفاع عن عرشه وبلاده [2].

- **نَكبةُ قبائل بني عامر في المغرب:**

نتيجةَ الركود الذي أصاب المقاومة سنة 1845م، قرَّرَ الأمير إعادةَ بَعثِ روح الجهاد في القبائل الجزائريَّة، فاضطرَّه ذلك إلى مُغادَرة المغرب نحو الجزائر، التي دَخلَها شِتاء 1846م، حيث تمكَّن مِن إقنَاع بَعض القبائل للانضِمَام إليه، واللَّحاق بالدائرة في المغرب، وذلك لحَشْد قُوَّةٍ كَبيرة يَنطَلِقُ بها لِتَحرير الوطن، وخِلال غِيابه عن الدائرة، عَبَر تَدريجياً عَدَدٌ مِن القبائل الجزائريَّةِ الحدود، وكان أَشهرُ هذه القبائل قبيلةُ بني عامر[3]، وقَد كانت هذه القبيلةُ كَبيرةً تُجَنِّد وحدَها ما يَتراوح بين 6000 و7000 فارس[4]، ومثلُهم تقريباً مِن المشاة في جيش الأمير، وكان مِن سُوء حظِّ هذه القبيلة أنَّها

---

1- عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي،منشورات ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1985، ص 51.

2- عبد القادر بو طالب، مرجع سابق، ص182.

3 -C .Brissac, Op :cit, p126 .

4 - Minister de la Guerre : « Tableau de la situation des établissements Français dans l'Algérie », Impr. Royale,paris, 1839, p 309.

وَصَلت إلى الدَّائِرة في المغرب، وهي تعيش أوضاعاً مُزرِيةً [1]، حَيث كانت تُعاني مِن قِلَّة الإمداد بِسَبَب الحصار الذي ضَربَتْه القبائلُ المغربيَّةُ المجاورةُ لها بأوامر السلطان عبد الرحمن.

وفي 06 أفريل 1846م، وَصل إلى الدائرة مبعوثٌ مِن الأمير يَحمِل أوامرَ بتَسليم مَهامِّ الدائرة إلى ابن التهامي عِوض البوحميدي، هذا الأخيرُ الذي رَفَضَ الأمرَ ودَخَل في صِراعٍ مَع ابن التهامي في مسألة الأَسرى، ولما كانَت قبائل بني عامر تَخضَع لطاعة البوحميدي فقد تمرَّدت على ابن التهامي [2]. « ...**لما ترك المهاجرون مِن بني عامر الدائرة لما وقَع بينهم وبين ابن التهامي خليفة الأمير عليها بدسائس من الخليفة البوحميدي، ارتحلوا إلى فاس مغاضِبين** » [3]، وفي إجراء غير مسبوق قام ابن التهامي بإعدام الأسرى الفرنسيِّين يوم 24أفريل 1846م[4]، بعدما وصَلتْه إشاعات حَول محاولة الجيش المغربي تحرير الأسرى [5].

وفي منتصف شهر ماي تدهورت أوضاعُ الدَّائرة أَكثَر مِن ذي قبل، خاصَّةً بَعد أن تخلَّى عنها كبار قادَة الجيش،كابن عراش، والبركاني، الذين انتقلا مَع عائلتَيْهما إلى فاس، الأمر الذي شجَّع قبائل بني عامر على مُغادَرة الدائرة [6]، حيث تُشير إحدى التَّقارير التي رفعها الماريشال بيجو يوم 27 ماي 1846م، إلى القُنصُل الفرنسي في المغرب دي شاطو، عن مغادَرَة قَبائل بني عَامر الدائرةَ، ونَزولَهم في أَراضي بَني سناسن [7]، أمَّا المصادر المغرِبيَّةُ فتَحدَّثَت عن هِجرَة هذه القَبيلَة إلى المغرب، وإكرامِهم مِن طَرَف السُّلطان عبد الرحمن «**فقَبِلَهُم السلطان وأَنزَلهم على نهر سبو** » [8].

ويَذكُر أيضاً صاحبُ تُحفَة الزائر ما وَجدته قَبائلُ بني عامر مِن كَرمِ السُّلطان، الذي مَنَحَهُم أَرْضاً للإقامة فيها «...**فأكرم سلطان المغرب نُزُلَهم وأَقطَعَهم أَرِضاً تَشتَمِل عَلى مِحرَاثٍ عظيم وبسائطَ**

---

[1]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص300 .

[2]- Henri . Garrot, Op :cit, p872 .

[3]- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص320 .

[4] -Azan .p, Op : cit , p 223.

[5]-إسماعيل العربي، معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ،1986، ص ص 111 112.

[6]- محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 231.

[7]- نفس المرجع، ص 231.

[8]- الناصري، مصدر سابق ،ج9،ص 308 .

**خِصبة فاستوطنوها.. »** [1]، ومِمَّا يَجمُلُ التَّنويهُ هنا، ورغم عدم تَشكيكنا في الحَظوة التي نالها المهاجرون الجزائريُّون في المغرب مِن جانب السُّلطان عبد الرَّحمن، وهذا سَيكون له حديث مُفصَّلٌ في ما بقي مِن هذا البحث، إلّا أنَّنا نَعتقد أنَّ الهدف مِن وراء إقدام السُّلطان على إكرام قَبيلةٍ بِحَجم بني عامر، هو محاولةُ تَفكيك القُوَّة العسكريَّة لجيش الأمير .

وفي نهاية شهر جويلية من سنة 1846م، رجع الأمير إلى الدائرة التي كانت في وضع كارثيٍّ، فَعَمَد إلى ترتِيبها والاستِعدادِ إلى المواجَهة مُجدَّداً، ولكن بإستراتيجية جديدة لا تقوم على المواجهة المباشِرة، بَل على إستراتيجية الحرب الخاطِفة " حرب العصابات "، أمَّا قبائل بني عامر المقَيمين بَعِيداً عَن الدَّائرة، فَكانوا مُستَعدِّين للعَوْدَة إلى صُفوف المقاومة، خاصَّةً وأنَّهم لا يُريدون الانفصال نهائياً عن الأمير والوطن، وقد كَاتب زعماؤُها الأميرَ بِهذا الشَّأن، فأَجابَهم لمطلَبِهم وقَبِل رُجوعَهم، بل سار بنفسه لاستقبالهم [2].

ويُشير صاحبُ تُحفة الزائر إلى رَغبة بني عامر في العَودة لمعسكر الأمير:«**...ولما رجع الأمير من الجهة الشرقية إلى الدائرة، اشرأبَّت نفوسُهم إلى الرجوع، وقاموا ينتظرون سنوح الفرصة ... »** [3]، ولما عَلِم السُّلطانُ برغبتهم – أي الرُّجوع إلى الدائرة – مَنَعَهُم مِن ذلك، لأنَّه كان يرى في هذه الحَركة عاملاً مِن شَأنه أن يُعزِّز جَيش الأمير، ولما أصرُّوا على الرُّجوع، سيَّر لَهُم جَيْشاً عَظيماً تَتَقدَّمُه قَبيلة الشراردة، تحت أَوامر القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل، فوقَعت بينهم معركةٌ استغرَقَت نهاراً كاملاً، كان بنو عامر يُقاتِلون فيها دِفاعاً عن نِسائهم وأولادِهم، وفي هذا يَقول النَّاصري «**... فلما اطَّلع السُّلطان على دسيسته بعث إلى أولئك الجماعة عسكراً من الشراردة، عليهم القائد إبراهيم بن أحمد الأكحل فاجتاحوهم بعد جهد جهيد، وقتال شديد، مِن ذلك أنهم اعتصموا بربوة وجعلوا يُقاتِلون على حريمهم، وكانوا رُماةً لا تسقط لهم رصاصة في الأرض، فكانوا كلما تَوجَّهت إليهم طائفةٌ استأصلوها بالرصاص، وكانوا يَجمَعون مَوتاهم، ويَنصِبونَهم أَشباراً يَتراسون به ويقاتلون من خلفه، ولما أعيى الجيش أمرهم حملوا عليهم حملة واحدة حتى خالطوهم في معتصمهم ...فكانوا يقتلون أبناءهم ونساءهم بأيديهم فرارا من**

---

1- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص320.

2- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق، ص314 .

3- محمد بن عبد القادر، مصدر سابق، ج1، ص320 .

**السَّبي والعار ...»** [1]. وحسب النَّاصري، فإنَّ لجُوء قَبيلة بني عامر إلى السلطان، كان مكيدةً مِن الأمير لِغرض الانقلاب عليه في فاس، ويبدو مِن هذا، أنَّ الناصريَّ أَراد أن يُبرِّر المجزرَة التي ارتَكبتْها قبيلةُ الشراردة وقائدها أحمد بن الأكحل في حقِّ قبيلة مُسلِمة مُهاجِرة.

هذا وتُشير بَعض المصادر الفرنسيَّة إلى المجزَرة الرهيبة التي تعرَّضت لها قبائل بني عامر في المغرب، ومنهم الجنرال كافينياك في كتابه Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien، «**... هاجرت قبيلة بني عامر إلى المغرب للحاق بالأمير، لكنها لم تلق إلا البؤس ،حيث علمنا أنها تعرضت للإبادة من طرف الجيش المغربي، القلة القليلة من الناجين لقيناهم وآثار التعب والجوع بادية على أجسادهم الملطخة بالدماء، ونساؤهم شبه عاريات...»** [2].

- **الحربُ بين الأمير والسلطان:**

بَعدما كان مِن أَمر الأمير والسُّلطان في ما تقدم مِن هذا المبحث مِن مشاكل وفتن، ها هم اليوم قَاب قوسَين أو أَدنى مِن المواجهة الفِعليَّة، هذه المواجهة التي كان بإمكانهما – الأمير والسلطان – تجنُّبُها لَولا تَدخُّل المنافِقين والخَونة بينهما[3]،وهذا رأي المشرفيِّ أيضاً الذي قال في الحُلَل« **إلى أن سعى بينهما الوشاة، فعقب تلك المحبة والألفة كان الشتات وكان ما كان من العداوة والافتراق»** [4]، حيث رأينا كيف حاول الأمير مَرَّاتٍ عديدةً أَن يُصلِح الأَمر بَينَه وبين السُّلطان عبد الرحمن،[5] إلّا أَنَّه لَم يصله جواب، كما رأينا مُحاولات السُّلطان إقناعَ الأمير بالتَّخلِّي عن المقاومة، والاستسلام، ومهادنة الفرنسيِّين، أو الخروجَ من المغرب .

---

[1] - الناصري، مصدر سابق، ص 308.

[2] - Félix .Jacquot : « Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien », ed Gide et j . boudey libraires, paris, 1849, P 20.

[3] -راجع في الموضوع : يوسف مناصرية، مهمة ليون روش في المغرب ومحاولة الايقاع بين السلطان عبد الرحمن والأمير عبد القادر ( 1845-1847)، مجلة التاريخ، عدد خاص بالذكرى المئوية لوفاة الأمير ، 1983، ص 25.

[4] -المشرفي ، مصدر سابق، ص 80.

[5] - يذكر روجرز في كتابه تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية ، أن الأمير عبد القادر راسل الملك البريطاني وليم الرابع من أجل التوسط له لحل الخلاف بينه وبين السلطان عبد الرحمن، إلا أن الملك البريطاني رد عليه بالسلب، على لسان القنصل هاي إدورد

ورغم ما في الأحداث مِن آلامٍ وفَواجِع تَضيقُ لها الصُّدور، إلّا أنَّ البحث يُجبِرنا على تقصِّيها على مرارتها، فَبِداية الحرب كانت عندما أَمر السُّلطان عبد الرحمن قائدَ قبيلة الأحلاف بالهجوم على الدائرة وتدميرها، وتَنفيذاً لأوامر السُّلطان تحرَّكَ القائد محمد بن سالم الأحمر[1]شيخ الأحلاف، على رأس قُوَّةٍ كبيرة مِن الفرسان إلى تافرسيت لمقاومة الأمير، ولما بلغ الأميرَ خبرُ تَقدُّم ابن الأحمر، قَرَّرَ مُواجَهة الجيش المغربيِّ بِقُوَّة نِظاميَّةٍ، والتي يَبلغ عددُها زُهاءَ أَلفَيْ مُقاتل[2]، ولكنَّه رأى أن يَكتُب إليه قَبل أن يواجهه، وأنه مستعد للدِّفاع ضدَّ أيِّ هُجوم يقوم به، وهذا الإنذار وَحدَه كان كافياً لإفزاع قائد الأحلاف الذي رأى أن يُرجِئ هُجومَه ويَطلُب مِن السُّلطان مَدَّه بِتعزيزات أُخرى، وهَذا ما كان مِن السُّلطان فأَجابه ووجَّهَ إليه خمَسمائة فارس، وأربعمائة رجل، ولكنَّه أَصدَرَ إليه أَمراً بِعدَم التَّواني والزَّحف على الأمير[3].

ولَمْ يَفْتُرْ عَزمُ ابن الأحمر نتيجةَ هذا الفشل، بل تَمسَّكَ بِخُطَّتِه وَراح يَنتَظِر الفُرصَة لمفاجأةِ الأمير[4]، ولما عَرَفَ الأمير ذلك، قَرَّر أَن يَقوم بِمُبادَرَةٍ تكون بِمثابة إنذارٍ نهائيٍّ لابن الأحمر، فجَمَع القَبائَل الموالِيَة له ورتَّبَ جيشَه وسار على رأس قُوَّةٍ كبيرة في ليلة 07 جوان 1847م ، حتى وصلَ إلى معسكر جيش قائد الأحلاف ابن الأحمر وطَوَّقَه مِن جَميع الجِهات، ثُمَّ أَمَر بِنَفخِ الصُّنبور وضَرْب الطُّبول إيذاناً بالاستِعداد للهجوم وسَط ظلام الليل، وقَدْ كانت نتيجةُ هذه الحركة انتشارَ الذُّعر بَين الخيول والجنود، ولَمْ يُبدِ ابنُ الأحمر استعداداً للدفاع عن المعسكر سوى فِرقَة الخَيَّالة النِّظامية، لكنَّ الأمير هَدَّأَ مِن رَوْعِهم وقال لهم، إنَّما جاء للقيام بزيارة وُدِّيَّةٍ لابن الأحمر، ردًّا على زيارته الأخيرة[5].

---

حيث قال« إن حكومة جلالته لديها من المشغوليات ما يمنعها من الاستجابة إلى مطلبه وأنه ليس من امل لدى جلالة الملك بأن يتمكن من التوسط » ، ينظر: ب روجرز، مرجع سابق، ص 193.

[1]- الكنسوسي، مصدر سابق، ص 25.

[2] - C .Brissac, Op :cit, p155 .

[3]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 311 .

[4]- جاء في تحفة الزائر أن الأمير أرسل إلى القائد ابن الأحمر طالبا الصلح في مرتين متتاليتين إلا أن ابن الأحمر أصر على المواجهة ،ينظر:محمد بن الأمير عبد القادر ، تحفة الزائر ، ج1 ، ص319 .

[5]- إسماعيل العربي،مرجع سابق،ص 313.

وتُشِير بَعض المصادر الفرنسيَّة أنَّ الأمير حاصَر ابنَ الأحمر في قَصبة تافرسيت، ثُمَّ بعث له الخليفة البوحميدي يُفاوِضُه للاستسلام وحَقناً للدِّماء، إلّا أنَّ جُنود الجيش المغربي أطلقوا النار على الوفد المفاوِض، فاندَلَعت معركةٌ لَم تَدُم طويلاً، قُتِل عَلى إِثرِها ابنُ الأحمر.وقَد كان مَقتَلُ هذا الأخير في 8 جوان 1847م فاجعةً للسُّلطان عبد الرحمن الذي كان يُعلِّق عليه آمالا كبيرةً في تنفيذ مُخطَّطِه ضِدَّ الأمير[1]، حيث كَتَب السُّلطان إلى ابنه المولاي سيدى محمد في 18جوان 1847م واصفاً فيها هذا الحادِث بأنَّه كارثةٌ أَخطَر مِن كارثة "إيسلي"،« **وقد كانت واقعة وجدة أخف لأن النصارى فعلوا ما فعلوا و أقلعوا أدراجهم، وهذه الواقعة هي الطامة... »**[2].

وغَنِم الأمير مِن هذه المعركة كمِّيةً كَبيرةً مِن الحَقائِب والغَنائِم بَلغَت حسب شرشل 2000 جنيه انكليزي، ونظرَ الأمير وقُوَّادُه بِمَشاعِرِ الدَّهشَة والسُّخريَّة إلى المِعاطِف والبرانس الفاخرةِ التي حشا بها القائدُ المغربي عِدَّةَ صناديق بهدف توزيعِها على شيوخ قبائل الريف، وإغرائهم بمثل هذه الهدايا بهدف تأليبهم على الأمير[3].

وفي شَهر نُوفمبر مِن سنة 1847م جَمَع السُّلطانُ عَبد الرحمن جيوشاً ضَخمة، وضَعَها تحتَ قِيادَة ابنَيه مولاي محمَّد ومولاي سليمان، وقائد منطقة الريف، وبالتنسيق مع القُوَّات الفرنسيَّة في الجزائر قَرَّر ضَرب حِصارٍ شَامِلٍ على الدائرة، وقَد قُدِّر عددُ الجيوش المغربيَّة بأكثر مِن ثلاثين ألف مُقاتِل، بينما لَمْ يَكُن يَتعَدَّى جيشُ الأمير أَلفين[4].

ومِمَّا تجدر الإشارة إليه هنا، أنَّ الأمير قام بمحاولةٍ أخيرةٍ لإقناع السُّلطان بالصُّلح ، فأرسَل وفداً إلى فاس بِقيادَة نائِبه البوحميدي[5]، وكان ذلك في 27 نوفمبر 1847م، إلّا أنَّ السُّلطان رفضَ عَرضَ الأمير، وأَبقَى البوحميدي عنده بفاس[6].

---

[1]- إسماعيل العربي،مرجع سابق، ص 313.

[2]- محمد بن جبور، مرجع سابق، ص 245.

[3]- تشرشل، مصدر سابق، ص 239.

[4]- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 31.

[5]- Henri . Garrot, Op :cit, p879 .

[6]- تختلف الرويات في مصير البوحميدي، فمنها أنّ الخليفة استقبله السلطان بكثير من الحفاوة، وانزله في أحدى أحياء مدينة فاس- درب الدرج– ، وزوجه إحدى بنات الفقيه ابن عبد الله السقاط، وبعد بضعة أشهر أمر السلطان بسجنه الذي بقي به

أمَّا الأمير الذي فَقَد الأَملَ في رُجُوع البوحميدي، فقَد زادَه حِصارُ القُوّات المتَحالِفَة ضِدَّه ألماً، وتكاثَرت وتعاظمت الشَّدائد عليه يوماً بعد يوم[1]، وازداد الأمير اقتناعاً أنَّ المقاومة تلفظ أنفاسها الأخيرةَ، ورغم عِلمِه باستحالة النَّجَاة إلَّا أنَّه قرَّر المواجهة، ويبدو أنَّ الأمير كان يريد بذلك أن يَختِم مسارَهُ قائِدَ حَربِ لا قائِدَ عِصابَةٍ أو تَمرُّد، وفي هذا الموقف لم يَكن يَسَعُ الأمير الانتظارُ حتى تُطبِقَ عليه الجيوش المغربِيَّةُ، فَجَمَع جَيشَه في ليلة 11و12 ديسمبر 1847، وأَحضَر جَمَلَيْن وشَدَّ على ظَهر كلٍّ مِنهُما حُزمةً مِن الحَلفاء وسار على رأس الجيش، تحتَ جُنح الظلام، إلى المكان الذي عسكَر فيه نَجْلا السُّلطان، فَأَمَر بِضَرْب الطُّبول ونَفْخِ الطُّنبور لإحداث أَكبَر ما يُمكِن مِن ضَجيج، ثُمَّ دَفَع الجَملَيْن المحمَّلَيْن بالحَلْفاء التي أُضرِمت النار فيها لتُعطِي الإِضاءَة وهي تَتَخَطَّى مُعسكَر المِغاربة، وحينها قامَ الأميرُ بإِعطاء الإشارةِ لِإطلاق الرَّصاص الذي نزل كالمطر، وقد كان مِن نَتائج هذه الخُطَّة أن سادَ الرُّعبُ والاضطرابُ في جُيوش السُّلطان، حَتَّى أنَّ أَحدَ المعسكَرَيْن المغربِيَّين كان يُطلِق الرَّصاص على المعسكر الآخر، واستمرَّت المِعرَكَة إلى الفجر، حينها انسَحَبَ الأميرُ مِن مَيدان المعركة مُلحِقاً خسارةً فادِحةً بِجيش السلطان[2].

وحسب رواية الناصري فإنَّ الأمير في تلك اللَّيلة انتَقى مِن جَيشِه ألفاً وخمسمائة فارس مِن أَفضَل فُرسانِه وفي هذا يقول« **...وفي أثناء ذلك عمد الحاج عبد القادر إلى طائفة من جنده نحو الخمس عشرة مائة على ما قيل، كلُّهم بَطلٌ مُجَرِّبٌ انتَقاهُم انتقاءً، وكان جيش الخليفة منقسِماً قسمين....فضمد الحاج عبد القادر إليهما بتلك العصبة الذين هم فتيان الكريهة ومساعير الهيجاء وجمرات الحرب كلهم شهد بهم الوقائع وخاض غمرات الموت مع الفرنسيين وغيره فلم يقف بهم إلا بين المحلتين وأطلقوا الرصاص مثل المطر وأرسلوا حراقيات على الجمال وتهاويل مفزعة فماج الناس في ذلك الظلام الغاسق ونزل بهم من الهول ما يقصر اللسان عن وصفه.** »[3].

---

حتى وفاته، وتوجد روية أخرى تقول بأن السلطان حمَّل البوحميدي مسؤولية مقتل ابن الأحمر وسجنه ثم أرغمه على شرب السم : ينظر Michaux Billaire « les Musulmans Algériens au Maroc », archive marocaines, $V_{11}$,1907.publication de la mission scientifique du maroc, paris, 1974, p60.

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 240.

2- إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية، مرجع سابق ، ص 318.

3- الناصري ،مصدر سابق،ص ص 308-309.

وفي يوم 16ديسمبر كانت وقعةٌ أخرى بين الأمير والخليفةِ سيدي محمد ابن السلطان، والتي انتَهت هِي الأخرى بِهزيمةٍ للجيش المغربي، إلّا أنَّ إصرار الجيش المغربي على النَّيْل مِن الدَّائِرة جَعَل الأمير مُضطرّاً إلى الخروج مِن الحصار، وذلك بِالعبور إلى الضِّفَّة الشَّرقيَّةِ لِنَهر ملوية، وفي 19ديسمبر بينما كان الأمير يَجتازُ على رأس الدَّائرة نَهرَ ملوية مُتَّجِهاً إلى الحدود الجزائرية، استغلَّت القُوَّاتُ المغربيَّة فرصَة انشغال الأمير بالإشرافِ على عمَليَّة اجتياز النساء والشيوخ والأطفال، فَراحت تُطلِق الرَّصاص على المهاجرين وقَتَلَت الكثيرَ منهم، ولما وَصل الأمير إلى الحدود، وَجد أنَّ الجنرال لاموريسيار الذي كان يُحاصِر المدخَل بِقُوَّة فاقت 4000 جنديٍّ و1100 فارسٍ [1]، قد اتَّخَذَ جَمِيعَ احتِياطَاتِه لِحِراسة المدخَل إلى الجزائر وخاصَّةً مَضِيق جربوس.

ولما وَصلت طلائِع الجيش الجزائريِّ بِقِيادة الأمير عبد القادر إلى هذا المضيقِ في يوم 22ديسمبر 1847 ، وَجَدَت القُوَّات الفرنسيَّةَ بانتظارِهم في اثني عشرة ألف جنديٍّ، حِينَها أَدرَكَ الأميرُ أنَّ وقتَ الشَّهادَة حان، إلَّا أنَّه وبعد مُشاوَراتٍ مَع أصحابِه، وخوفا على النساء والأطفال قَرَّرَ تَسليمَ نفسه إلى الجنرال لاموريسيار، وهذا في مكان غير بعيد من ضريح سيدي إبراهيم الذي شهد فيه الأمير أعظم انتصاراته [2].

كان هذا التسليمُ في يوم 23 ديسمبر بعد تَعَهُّد لاموريسيار بِتنفيذ شروط الأمير في الانتقال إلى مكة أو فلسطين أو دمشق، ورَغْمَ أنَّ الأميرَ كان قادرًا على تَسليم نفسه إلى السُّلطان إلَّا أنَّه اختار الفرنسيِّين حسب جوليان[3]، وبِهذا الاختِيار مِن طَرَفِ الأمير نَكُون قَد عرَفنا أيُّ الأَعداءِ كان في اعتقادِ الأميرِ أرحمَ بِدائرته[4].

وإنَّنا ونَحن نقف عند هذه النِّهايَة المأساويَّة بالنِّسبة لمسار أحَد رموز المقاومة الوطنيَّة مِن بِداية الاحتلال إلى النِّصفِ الأَوَّلِ مِن القرن التَّاسِع عشر، وبَعد تَتَبُّع أَهمِّ مَحطَّات ومَراحل تَطوُّر العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة، مِن بِدايتِها إلى هذه النهاية التي تَتَلَجْلَجُ عندها الألسُن، وتَخونُها الألفَاظُ والعبارات.

---

[1] - برونو إتيين، الأمير عبد القادر الجزائري، تر ميشال خوري، دار عطية للنشر، بيروت، ط1، 1997، ص 235.

[2] - إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية ، مرجع سابق، ص 320.

[3] -CHARLES- André julien :op –cit ,p ,206 .

[4] - يقول شرشل أن الأمير خير أصحابه وشاورهم إلى أي الطائفتين يسلم نفسه .حيث قال لهم « والمشكل هو هل نسلم أنفسنا إلى أيدي المسيحيين أو إلى أيدي مولاي عبد الرحمان ،ولكم أن تحكموا في هذا الأمر بما ترون أنه الأفضل ، أما أنا فإنني أفضل ألف مرة أن أثق فيمن حاربني على من خانني .» ، ينظر :هنري شرشل ،مصدر سابق ، ص 246 .

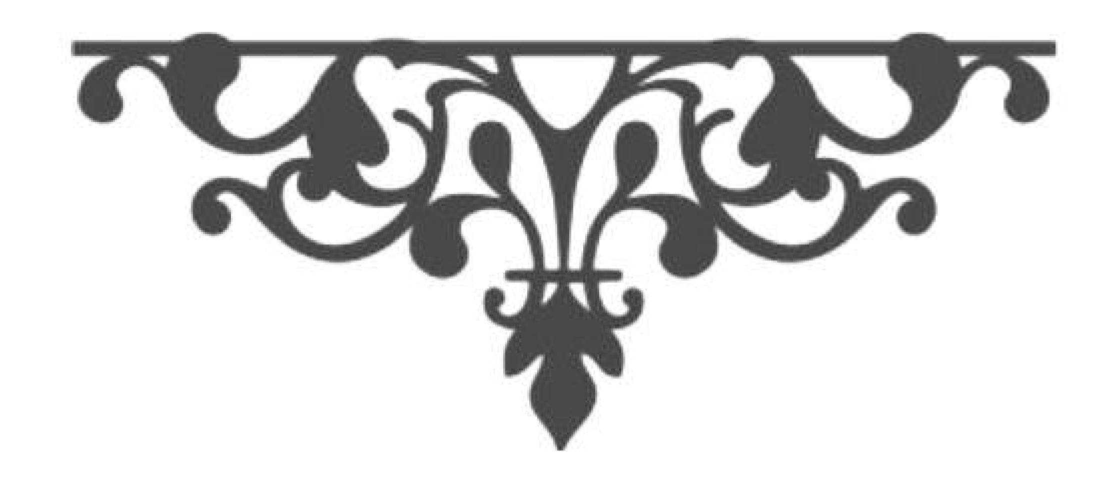
**إنَّ** نهايـة المقاومـة الجزائريَّـة تحـتَ لِـواء الأمـير عبـد القـادر، أَنْهَـت مَعهـا آلام القلـوب الـتي كانـت تَتَحسَّـرُ علـى سُـقوط دِمـاء المسـلمين، دمـاءٌ لـو بُـذِلت في حقِّهـا لأَغْنَـت ولـو يسـيراً عمَّـا سَـقط مِـن دِمـاءٍ في الجزائـر، وتـونس، والمغـرب، وليبيـا، ولكنَّنـا نأَسـى أسـىً بعيـداً أنْ ضَـيَّعَ القـادَةُ المسـلمُون حُلـمَ وِحـدةٍ لَـو تحقَّقَـتْ في هـذا الفجـر مِـن التَّـاريخ المعاصِـر لكـان الأَمـر مُختلفاً الساعةَ.



# الفصل الثالِث

**العلاقات الجزائرية المغربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.**

(1850- 1912)م



## الفصل الثَّالث :

## العلاقات الجزائريَّة المغربيَّة مِن منتصَف القرن التَّاسع عشر إلى فَرض الحماية على المغرب .

### المبحث الأَوَّل : أوضاع الحُدود الجزائريَّة المغربيَّة مطلعَ النِّصف الثَّاني مِن القرن التَّاسع عشر:

- **أحداث قبائل الحدود بني سناسن وآنجاد 1850م - 1859م:**

طِيلَةَ السَّنوات التي تَلَت نِهاية المقاومة الجزائريَّة تَحت لواء الأمير عبد القادر الجزائريِّ، لَم تَنسَ قبائلُ الرِّيف والحدود المغربيَّة ذلكَ البطلَ الذي قدَّم أَروَعَ صُوَر التَّضحيَة والشَّهامة، كما ظَّلت هذه القبائلُ تَتَذكَّر وتَستَعيد أَيضاً الصُّوَر المؤلِمَة لمواقف الخِيانة والعار التي وُصِمَتْ بها السُّلطَةُ المخزنيَّة المِخزِيَة، والتي أَرغَمَتْهم على الوُقوف في وجه رائد المقاومة الجزائريَّة وَقتئذٍ الأميرِ عبد القادر، فق كانت وعلى سبيل المثال قبائل بني سناسن وآنجاد مِن القَبائِل التي تذَبذَبَ موقفُها إِزاءَ رمز المقاومة الجزائريَّة، حيث وتحتَ الضَّغُوط المستمِرَّة مِن الجانِبَين الفرنسيِّ[1] والمغربيِّ[2]، غَيَّرَت هذه القبائلُ مِن مَوقِفها باستمرار، مِن مُسانَدَة الأمير إلى رَفضِ وُجودِه على أراضيها .

وبَعدَ استِسلام الأمير في ديسمبر 1847م، أَصبَحَت هذه القبائلُ مَكشوفَة الجوانب بعدما كانت تحتمي بجناح المقاومة الجزائريَّة،كما غَدَتْ أراضي هذه القبائل صَيْداً سهلاً للأطماع الاستعماريَّة في المغرب، ومِن هنا تَبدأ فصولٌ جديدة لعلاقاتٍ غَيرِ واضحة الدَّلالات، سَترتبط القبائل المغربية المذكورةَ بالفرنسيِّين، والتي كانت في غالِبها مَعارك هامشيَّة على الحدود.

[1] - ينظر في هذا الموضوع رسالة المريشال بيجو إلى عامل وسكان مدينة وجدة المؤرخة في 20 أفريل 1847 م و رسالة السلطان عبد الرحمن إلى قبائل الحدود المؤرخة في أوت 1845م : مولاي إسماعيل عبد الحميد ،مرجع سابق ،ص ص 148-151.

[2] - ينظر في الموضوع رسالة السلطان عبد الرحمن إلى عامله الحاج عبد القادر أشعاش المؤرخة في 16 رجب 1262هـ / 1 جويلية 1846م في شأن بني سناسن والأمير –ينظر خليفة حماش، مرجع سابق، ص 117.

تَرتبِط أسبابُ هذه الأحداثِ ارتباطاً وثيقاً بالأوضاع المتَردِّيَة التي عاشها إقليمُ الشَّمال الشَّرقي للمغرب، وخاصَّةً بَعد مَوجَة الجفاف التي ضَربت المنطقة[1]، كما تَأثَّر الوضعُ بِوَفاة السُّلطان عبد الرحمن بن هشام في 26 سبتمبر 1859م، وهي الفَتْرَة التي أَصبَحَ فِيها سكَّان المناطق الحدوديَّة مَع الجزائر يَعيشون حالةً مِن الفوضى، ومِن جِهة ثانية ساهمت سياسةُ الفرنسيِّين القاسِيَة اتِّجاه سُكَّان المناطق الحدوديَّة في تَأَزُّم الوضع[2].

أمَّا الكُتَّابُ الفرنسيُّون فَيسوقُون في ذلك مجموعةً مِن الأسباب نَذكُر مِنها :

- أنَّ السُّلُطات المغربِيَّةَ اغتَنَمَت فرصةَ مُشارَكَة القُوَّات الفرنسيَّة في الحرب مع إيطاليا[3]، فشجَّعَت قبائل "آنجاد" و"مهاية" على مُهاجَمَة قُوَّات حَرَس الحدود الفرنسيَّة في التُّراب الجزائريِّ، وذلك لِطَرَدِ أَعداءِ الدِّين مِنَ الجزائر[4].
- تَذَمُّر سَكَّان مناطق الحدود مِن قِيام السُّلُطات الفرنسيَّة تَحت قيادة الجنرال "بوبريتر" قائد الغزوات بِإغلاق الحُدود بين الجزائر والمغرب، وإيقاف حركة التَّبادُل التِّجاريِّ للحُبُوب، وخاصَّةً في عِزِّ موجَة الجَفَاف الذي ضَرَب المنطقة [5].

إنْ صَحَّت هذه الرِّوايات، فهل كان السُّلطانُ المغربيُّ في وَضعٍ يَسمَحُ لَه بِالقِيام بهذا التَّصرُّف الذي مِن شَأنِه أَن يَجُرَّ عليه المشاكل، في وَقتٍ يُواجِه فيه عِدَّةَ جَبَهاتٍ: جَبهةٍ داخليَّةٍ بِقِيادَة ابن عَمِّه عبد الرحمن بن سليمان الذي تَمَرَّدَ عليه في "تافيلالت" مُطالِباً بِالعَرش[6]، وجَبهَةٍ خارجيَّة بِقِيادة إسبانيا التي دَخَلَت تيطوان[7]؟ وَهَل هؤلاء السُّكَّانُ الذين حَرَّضَهم السُّلطان - إن صَحَّ ذلك - لديهم الإمكاناتُ اللَّازِمةُ لتَحقيقِ النَّتيجَة المرجُوَّة ؟

---

[1]- CHARLES André julien ,op : cit , p 417.

[2] ـ يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص149.

[3] - نفس المرجع ،ص 149. أنظر أيضاً: - Henri . Garrot, Op. cit, p 904 .

[4]- Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Extrait PSGA ,Oran, 1912, p 378.

[5]- CHARLES André julien ,op : cit , p 417.

[6] ـ الناصري، مصدر سابق ، ص 329 .

[7] - إبراهيم حركات ، المغرب عبر التاريخ ،ج3، مرجع سابق ، ص 231.

اللَّهمَّ إلّا إنْ كَان السُّلطان يُريد أن يَشغَلَ الفرنسيِّينَ بهذه الأحداث ليِتَسَنَّى له مُواجَهة مَشاكِل الإسبان في الجِهة الأخرى، بَيْدَ أنَّ السَّبَبَ الحَقيقيَّ حَسَبَ المؤَرِّخِ يحي بوعزيز يَرجِع إلى أنَّ هَذه القبائِلَ لَم تَزل تَرفُض الوجُود الفِرنسيَّ في أَرض الجزائر، وتُبغِضُ جِوارَهم، بالإضافةِ إلى الانتِهاكَات المتَتَاليَةِ التي مارَسَها الفرنسيُّون ضِدَّ الشَّعب الجزائريِّ على مَرأى ومَسمَع قَبائل الحدود المغربيَّة [1].

وعلى أيِّ حال فَإنَّ الأحداثَ التي وقَعَت بِمَنطِقَة الحدود ضِدَّ بَعض القوافل الفرنسيَّة وحُرَّاس الحدود، اِمتدَّت إلى سَهل تريفة مَوطِن قبائل بني سناسن، وانضَمَّ إلى الثَّورَةِ أَحَد مُتَصَوِّفي الزَّاوية الدَّرقاويَّة المسَمَّى بالشريف محمد بن عبد الله [2]، حيث ادَّعى المؤرِّخ" ڤارو" بأنَّهُ استَغَلَّ كُلَّ هذه الظُّروفَ والمشاكِل، فَدَعا للجِهادِ ضِدَّ الفرنسيِّينَ باسم السُّلطان مولاي عبد الرَّحمن بن هشام، ثُمَّ بِاسم السُّلطان المولاي محمد بن عبد الرحمان بعد وفاة أبيه [3].

لقد هاجَمَ مُسَلَّحُو هذه القبائل الثَّائِرةِ القُوَّاتِ الفرنسيَّةَ المتَمَركِزَةَ عند لالَّة مغنية، فَقَتَلوا العديدَ مِنهُم وَحَزُّوا رُؤوسهم، وشُهِرتْ في أَسواقِ وجدة والقُرى الجَبَليَّةِ، قَصدَ رَفعِ مَعنَويَّات السُّكَّانِ ودَفْعِهم إلى حَملِ السِّلاح [4].

وحَسَب ڤارو فإنَّ السُّلطانَ محمد بن عبد الرحمن كان وراءَ هذه الأحداثِ، إذ حَرَّض الشَّريفَ محمد بن عبد الله على اقتِحامِ مَنطِقَة الحُدود، والعَمَل على تَحرير الجزائر، وإعادَتِها دارَ إسلامٍ كَما كَانت قَبلَ أن تَحوَّل إلى دارِ حَربٍ مُنذُ أَن احتَلَّها الفرنسيُّون، وَرَغم أنَّ السُّلطان محمد بن عبد الرحمن كانت له أفكارٌ مِن هذا القَبيل، إلّا أنَّنا لا نَعْتَقِد أَن تَكونَ هذه الأَحداثُ بإيعازٍ مِن المخزن، لأنَّ السُّلطانَ الجَديدَ كان له مِن المشاكل -كما ذكرنا سابقاً - مَا يُثنِيه عَن مُغامَرَة فَتحِ جَبهةٍ مِن

---

[1] - ثورات الجزائر، مرجع سابق ،ص 149.

[2] ـ تزعم المصادر الفرنسية أن هذا الثائر تسمى أيضا محمد بن عبد الله و قدم هذا الشيخ المرابط من السوس وأخذ يدرس بزاوية كرزاز وكان من أتباع الزاوية الطيبية ــ ينظر: أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية مرجع سابق،ج1 ، ص 367 .

[3]- Henri Garrot , Op. cit, p 904.

[4] ـ إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ، ص 345 .

الجهة الشَّرقِيَّة ، وأمام من؟ أَمامَ فرنسا التي يَعرِفُ مَكْمَنَ قُوَّتِها أَكثَر مِن غَيرِه[1]، لأنَّه واجهَهَا سابقا[2].

وفي 10 سبتمبر اِقتَحَم الشَّريف محمد بن عبد الله الحدودَ الجزائريَّة على رَأس قُوَّاتٍ تَتكوَّن مِن ستَّةِ آلاف مُقاتلٍ[3]، وتَوجَّهَ إلى سيدي الزَّاهر الذي كانت به إحدى مُعسكَرات القُوَّات الفرنسيَّة على الحدود، وحَدثَت مَعركةٌ بَين الجانِبَيْن، حيث تَكَبَّدَ فيها الطَّرَفان خَسائرَ مُعتَبَرَةً في الأرواح، فَمِن جِهةِ الثُّوَّار فَقَدَ الشريف محمد بن عبد الله أَكثَر مِن مِئةٍ وخمسين ثَائراً، أَمَّا القُوّاتُ الفرنسيَّةُ فَقَدْ فَقَدَت ثَمانِين جُندِياً، وثلاثين قومِياً، وفي اليوم الثَّاني مِن المعرَكَة أَشعَلَ الثُّوَّارُ النَّارَ في المناطِق المجاورَة لسيدي الزَّاهِر وقَريَة المعازيز، كما اعتَرَضَ الثُّوَّار يوم11سبتمبر فِرقَةَ الجِنرال توماس Thomasحَاكِمِ منطقة تلمسان في واد تيولي[4]بَينَما كان مُتَّجِهاً إلى مغنية، وتَمَركَزَ بَعدَ ذلك الثُّوَّار على الضِّفَّة اليُمنَى لِوادي "كيس" ، وكان مِن ضِمنِهم زَعيمُ قَبيلة" بني سناسن "الشَّيخ الحاج ميمون.

اِمتَدَّت الثَّورةُ التي قَادَها الشَّريف محمد بن عبد الله إلى كُلِّ المناطق الحدوديَّة، وانتَشرَت أحداثُها أو ربَّما تَقصِد أخبارها في كامل المنطقة المِمْتدَّة مِن الغَزَوات إلى العريشة، حَيث أَصبَح الوضعُ خَطيراً بِالنِّسبَة للفرنسيِّين الذين عَمِلوا على جَلْبِ قُوَّاتٍ إِضافِيَّةٍ إلى النَّاحيَةِ الغَربِيَّةِ مِن الحُدود الجزائريَّةِ، حيث قُدِّرَت القُوَّاتُ الفِرنسيَّةُ حَسب المصادر بِحَواليْ خَمسَةَ عشرَ ألفاً[5]، وَقَدْ اشتَرَك في قِيادَتها : وي لسن إسترازي Walsin Esterhazy، ويوسف yusuf، ومِمَّا تَجدُر الإشارةُ إليه هنا، ظُهورُ وباءِ الكوليرا الذي انْتَشرَ بَين السُّكَّان، وأَصَاب أَكثَرَ مِن ثَلاثَةِ آلافِ جُندِيٍّ فِرنسي[6].

وَ في يوم 21 أكتوبر اتَّجهَت قُوَّاتٌ مِن الجيش الفرنسيِّ بِقِيادَة كُلٍّ مِن الجِنرالَيْن إستيرازي Esterhazy و يوسف yusuf إلى ضِفَاف نهر "الملوية"، حيث يُعسكِرُ الثُّوَّار على وادي كيس، ومِن هُناك انْتقَلَت إلى مُرتَفَعات سيدي "محمد أبركان"المجاوِرَة لمرتَفَعَات "عين تافوغالت"، كما جَنَّدَ

[1] ـ كان المولاي محمد بن عبد الرحمن قائداً للجيوش المغربية التي شاركت في معركة"إسيلي" 14 أوت 1845م، ضد الجنرال"بيجو"، والتي انتهت بانتصار هذا الأخير و هزيمة المولاي محمد حسب ما تقدم ذكره في الفصل الثاني.

[2] ـ يحيى بوعزيز ،ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص 151.

[3]- Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Op. cit, p 378.

[4]- Henri Garrot , Op. cit, p 904.

[5] - Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Op. cit, p 384.

[6] ـ يحيى بوعزيز ،ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص 152.

الفرنسيُّونَ قُوَّاتٍ بَحريَّةً عَلى عادَتهم في مِثل هذه الحروب، حيث جَهَّزُوا عَدَداً مِن المراكِبِ قُربَ سَواحِل مليلية استِعدَاداً لأَيِّ طَارِئ[1].

وفي يَوم 27 أكتوبر عندَ الحادية عَشْرَةَ نهاراً شَنَّ الجِنرال إستيرازي Esterhazy هُجوماً على الثُّوَّار في عَين تافوغالت، أمَّا الجِنرال يوسف yusuf فزَحَفَ على قُرَى" تاغمة"، و"بني سناسن"[2]، فَحَصَلَت مَعارِكُ ضاريةٌ طِوال اليوم، حَيثُ أَرغَمَت القُوّاتُ الفرنسيَّةُ الثُّوَّارَ على التَّراجُعِ، وفي اليَومِ الموالي تجَدَّدَت الاشتِباكَاتُ بَينَ الفَريقَيْن، لَكنَّ المعرَكَةَ مَالَت للفرنسيِّين الذين أَلحْقُوا بِالثُّوَّارِ هَزيمَةً وخَسائِر في الأرواح، وفي يوم 28 أكتوبر كَتَب شَيْخ بني سناسن الحاج ميمون رسالةً إلى الفرنسيِّين يَطلُب الصُّلحَ[3]، فَقَبِلَ الفرنسيُّونَ ذَلِكَ وأَجْبَروه على دَفْعِ غَرامَةِ حَرْبٍ وتَقْديمِ الرَّهائِن، وحُدِّدَت الغَرامَةُ بمَبلَغ مائتَيْ فرنك لِكُلِّ بُندُقِيَّة مِن جُملة اثنَتَيْ عَشْرَةَ ألف بُندقية، وقامَت القُوَّاتُ الفرنسيَّةُ بمُهاجَمَة القَبائِل المُجاوِرة لِبَني سناسن، كمهاية وآنجاد وبني غيل، وغيرِهم مِن سُكَّان الحدود[4].

واصَلَت الجيوش الفرنسيَّةُ مُطارَدَتَها للثَّائِرين، فَفِي يَوم 2 نوفمبر اتَّجَهَت قُوَّاتٌ أُخرى إلى عيون سيد ملوك وتافوغالت، ومِن هُناك إلى آنجاد لِمُهاجَمَة سُكَّان الهِضاب المؤيِّدِينَ للثَّورَةِ، ومِن مَدينة معسكر انطَلَقَت تَعزيزاتٌ عَسكريَّةٌ تَحتَ قِيادَة الجِنرال دوريو لِتَلتَحِق بِالقُوَّات الفِرنسيَّةِ الرَّابِضَة على الحُدود في مُواجَهة قَبائِل آنجاد، حَيثُ بَدَأ الجيشُ الفرنسيُّ بانتِزاع خِيام هذه القَبائل وإجبَارِها عَلى الابتِعادِ عَن الحُدود إلى داخل المغرِب، ومَن بَشار تحرَّكَت قُوَّاتٌ أُخرى مِن كَتائِب الجَيش الفرنسيِّ التي اِلتَقَت مَع تعزيزات أُخرى مِن البَيِّض في وادي النموس، حَيثُ هاجَمت هذه القُوَّات قَبائل بني غيل، و بني يعلى، وكلَّ القَبائِل الواقِعَة في الطَّريق نَحو فقيق[5].

و في يوم 09 نوفمبر عَسكَرَت القُوَّاتُ الفِرنسيَّةُ في وادي إيسلي، بالمكان الذي خَاضَ فِيه جَيشُ السُّلطانِ عبد الرَّحمن مَعركَة إيسلي ضِدَّ الجِنِرال بيجو عام 1844م، وفي اليَومِ الموالي اعتَقَلَ

---

[1] ـ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ص 152.

[2] - Henri Garrot , Op. cit, p 906.

[3] -Voinot .L: « Oudjda et l’Amalat (Maroc) »,Op. cit, p 387.

[4] ـ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ص 152.

[5] ـ المرجع السابق ، ص 152.

الفرنسيُّونَ بَعضَ الثُّوَّارِ وكان بَينَهم الشَّيخ بلقاضي زعيمُ قبيلة آنجاد، حيث تمَّ تَسليمُه إلى عامل طنجة [1].

وهَكَذا كَانت نِهايةُ ثَوراتُ قَبائِل الحُدود، أَو كَما سَمَّيناها في هذا المبحث بأَحداث الحُدود، التي أَعادَت إلى الأَذهانِ تِلك الصُّوَر التي عاشَتْها القَبائِل المغربيَّةُ مَع رائِد المقاوَمَة الجزائريَّة الأميرِ عبد القادر، ومِمَّا يُمكِن أَن نَستَقيه مِن هذه الأحداث، أَنَّها ورَغم عَفْوِيَّتِها ونُقْصِ تَنظِيمِها فَقَد عَبَّرَت كَسابِقاتِها مِن الثَّوَرَات عَلى رَفْضِ الوُجود الفرنسيِّ في المنطقة، كما عَبَّرت عَن روح التَّضامُن المغاربيِّ الذي نَستَشِفُّهُ مِن خلال مُشارَكَة قَبائِلِ مَغربيَّةٍ أَخَواتِها مِن القَبائِل الجزائريَّة في هذه الانتفاضَة.

- **وضعيَّةُ الحُدود الجزائريَّة المغربيَّة مِن 1845م إلى 1906م**

إنَّ ظاهرةَ الحُدود لَيسَت بالجديدَةِ في منطقة المغرب العربيِّ ،حَيث عَرَفَت المنطقةُ الظَّاهِرة مُنذ أَقدم العصور [2]، وهَذا مَا وقَفْنا عَليه في كُتُب التَّاريخ، والرَّحَّالةِ، والجُغرافيِّين، والتي تَحدَّثَ أَغلبُها عَن تقسيماتٍ تَقليدِيَّةٍ لِبِلاد المغرب، بَيْدَ أَنَّ مَفهُوم الحُدود كَان مُختلِفاً عَمَّا أَصبَحَ عَليه بَعدَ نُزول الاستِعمار، وهذا ما عُرِف في أَجَنداتهم الاستعماريَّة بِتَجزِئَة المغرب العربيِّ، وذلك لِنَشْرِ الخِلَاف والشِّقاق بَين الشُّعوبِ المغاربِيَّةِ، فَفِرنسا التي أَحكَمَتْ قَبضَتَها عَلى الجزائر منذ 1830م، أصبحت تُمَهِّدُ وتُحضِّرُ لمشروع الحدود، وخَاصَّةً بَعدَ الصِّدامِ مَع المغرب في واقعة إيسلي.

ومنذئذٍ عَمِلَت السُّلطات الاستعماريَّة على الإسراعِ في تَسوِيةِ مَسأَلَة الحُدود،حَيث قَامت بأعمال تَمهيديَّةٍ، وذلك باستِشارَةِ بعضِ الموَظَّفِين القُدامى في الحكومة التُّركيَّةِ كَحميدة السقال حاكمِ تلمسان، ومصطفى بن إسماعيل كبير قبائل المخزن، وبعض كبار وشُيوخ القبائل الجزائريَّة الواقعةِ على الحدود [3]، وذلك مِن أَجْلِ تَخْطيط الحدود بين الجزائر المستعمَرة والمغرب .

و إِثْر ذلك جاءت مُعاهَدَة "لالة مغنية" بين فرنسا والمغرب، والتي نَصَّت على تَعْيين تفصيليٍّ للحُدود الإقليميَّةِ، والسِّياسيَّة، والجغرافيَّة، بين الجزائر والمغرب، والعمل على توضيحها بِمَعالم طبيعيَّةٍ

---

[1] ـ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر ، مرجع سابق ، ص 153.

[2] - إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ،ص 333.

[3] - جلول المكي ،مسألة الحدود بين الجزائر والمغرب 1847/1234م ،رسالة ماجستير ،معهد التاريخ ،جامعة الجزائر ،1993،ص 145.

مُتَعارَفٍ عليها، وقد قُسِّمَت بموجب هذه الاتِّفاقيَّة الحدودُ إلى ثلاثة أقسام : القسمُ الأَوَّلُ يَبدَأ مِنَ البحر الأبيض المتوسط إلى ثنيَّة الساسي، والموضَّح بِمَعلَم طبيعيٍّ وَهُوَ واد كيس، بَينَما يَمتَدُّ القسمُ الثَّاني مِن ثنيَّة السَّاسي إلى فقيق[1].

أمَّا القِسمُ الأَوَّلُ وَحَسب نصِّ المعاهَدة[2]، فَهُو المحَدَّد بالمَعْلَم البَشَري ؛ حَيثُ يَمتَدُّ نُفُوذُ كُلِّ بَلَدٍ إلى الحُدودِ المتعَارَف عَليها بَين القَبائل، والتي هِي الأُخرى تَخضَعُ لإحدى السُّلطَتَيْن، أمَّا القِسمُ الثَّالثُ والأَخير، فَهو صَحراءٌ لَم تُحَدَّد مَعالِمُها نَظراً لِخُلُوِّ ذلك الإقليمِ مِن السُّكَّان، وأيَّةُ مُحاولة لِرَسمِ الحدود ستكون عَديمَة الفائدةِ.

يُعتَبَر هذا الخَطُّ الحُدودِيُّ الأَوَّلَ مِن نَوعِه في تاريخ العَلاقات المغارِبيَّةِ، وإنْ كَان مفهوم الحُدود كَمَفهومٍ جُغرافيٍّ ظَهر مُنذ تاريخ بعيد[3]؛ حيث كان قبل هذا التاريخ-1845م- اتِّفاقٌ بَين المغرِب الأَقصى والجزائر العُثمانيَّة حَول رَسم الحدود، وهذا يَرجع إلى استقلال المغرب الأقصى كوحدة سياسيَّةٍ مُنفصِلَةٍ عَن الدَّولةِ العثمانيَّة، الأَمرُ الذي اقتَضى وضعَ خَطٍّ حُدوديٍّ لِفَصلِ الأراضي التَّابِعَة للنُّفوذِ العثمانيِّ عَن تِلكَ التَّابِعَة للنُّفوذِ المغربيِّ.

رغم أنَّ مسألة الحدود باتت مَضبوطَةً مِن تاريخ تَوقيع الطَّرفَين الفرنسي والمغربي على اتفاقية "لالة مغنية"، إلا أنَّ الغُموضَ الذي اكتَنَف تَقسيماتِها ولاسيَّما القسمُ الثَّاني والثَّالث، حالَ دون إعطاء شَرعيَّةٍ لها، خاصَّةً وأنَّ الأَحداثَ التي تَتالَت على الحُدود كانت تَطرح في كثيرٍ مِن الأحيان فِكرَة العَودة إلى الاتِّفاقيَّة لِحَلِّ بعض النِّزاعات، هذا ما أرغَم الطَّرفَيْن على إعادة صِياغَتِها لِتَتَماشى والواقِعَ السِّياسيِّ والجغرافيِّ والبَشريِّ بين البلدين.

ولَعلَّ أَوَّلَ لِقاءٍ جَمَعَ بَين السُّلُطات الفِرنسيَّة والمِغربيَّة حَولَ مَوضُوعِ الحُدود بَعد اتِّفاقِيَّةِ لالَّة مَغنية، ذاكَ الذي جَمَع العقيد "شانزي Chanzy" وعامل وجدة سي أحمد بن الداودي يوم 18 جوان

---

[1] ـ عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 16.

[2] ـ ينظر نص المعاهدة في الملحق رقم : 14.

[3] -عرف المغرب العربي ظاهرة الحدود منذ زمن الممالك البربرية، حيث كانت حدود مملكة موريطانيا الطنجية ( المغرب الأقصى) في عهد الملك البربري بوخوس مع مملكة مويطانيا القيصرية (الجزائر اليوم) في عهد الملك سيفاكس، هو وادي مالشوس( ملوية) .ينظر: جلول المكي ، مرجع سابق، ص 149.

1866م[1]، حَيث جاءَ هذا اللِّقاءُ عقِبَ إقدام أَحد زعماء أولاد سيدي الشِّيخ بِجَولَة تَحريضِيَّةٍ في مَنطقة الحدود المغربيَّة، فطلبَ العقيدُ شانزي Chanzy مِن عامل وجدة القِيامَ بِجَولَةٍ تَفَقُّدِيَّةٍ وتَحسيسيَّةٍ للحدود، إذ وعلى هامش الجَولَة التَّفَقُّديَّة تَبادَلَ الطَّرَفان وُجُهات النَّظَر والملاحظاتِ، ونَظراً لِصُعوبَةِ الوصول إلى اتِّفاقٍ يُرضِي الطَّرَفَيْن في شَأن الحُدود، ولا سِيَّما بَعد المعارضَة التي تَلقَّاها عامل وجدة مِن قَبيلة بني سناسن[2]، قَام العقيد شانزيChanzy والذي كان مُصِراًّ عَلى إنهاء الخِلافِ في مَسأَلة الحُدود، بِتَكليفِ قَائد سبدو بِالعَمَل مَع مُمَثِّلٍ مَغربِيٍّ لِلقِيام بِمَسحٍ طبوغرافيٍّ للحدود، مِن رَأس عُصفُور إلى عُنق المشاميش، وذلك لِتَسهيل مهمَّةِ وَضعِ المعالِمِ الجغرافيَّة[3].

ظلَّت مسألةُ الحدود تُراوِحُ مَكانَها على ما بُذِلَ مِن المساعي الحثيثةِ بين البلدين، والاستعداداتِ التي كانت قد اتُّخذت لهذا الغَرَض، ومِمَّا زاد الأمورَ تَعقيدا تِلكَ التَّجاوُزاتُ التي كانت تَرتَكِبُها قَبائِلُ الحدود بُعضُها في حَقِّ بَعضٍ على طَرَفَيْ الحدود؛ فَفي شهر أوت 1866م تَعَرَّضَت المنطقَةُ للجَفافِ وأَدَّى هَذا لِنَقصٍ كَبيرٍ في المناطِق الرَّعَويَّةِ فاضطرَّت بعضُ القبائل المغربيَّةِ إلى الصُّعودِ إلى الشَّمال قُربَ سُهول مَغنية[4]، حيث طَلَبت قَبيلة المهاية يوم 02 أُوت الرُّخصَةَ مِن قائد سبدو، لِتَنصِبَ خِيامَها في الأَراضي الجزائريَّة ما بين وادي الملح والعريشة، لكنَّ القائد رَفض طَلبَهم، ولَم يَسمَح لِقادَة القَبيلة بالدُّخول إلى الجزائر، واحْتَجَزَ شَيخَ القَبيلَة مولاي أحمد كعِقابٍ لِمُدَّةِ ثلاثةِ أيَّام[5].

وَمِن الأحداث التي وقَعت في هذه الفترة أيضاً، تلكَ الانتهاكات التي كانت بعضُ القبائل وراءِها، والتي حَاولت مِن خِلالها التَّوسُّعَ نَحو الشَّرقِ على حِساب أراضي العَرش للقبائل الجزائريَّة، فَخِلالَ مَوسِم الحَرث لِسَنَتَيْ 1870-1871 م، حَرَثَ المغاربَةُ زُهاءَ أَلفَيْ هكتار داخل أراضي قَبائل بني واسين، الذين لَم يَتوقَّفُوا عن الاحتِجَاجات؛ لِهَذا التَقى الجنرال " داستوك Dastugue " قائد

[1] - VOINOT .l : « La situation sur la frontière Algéro-Marocaine du Tell lors de l'insurrection des Oulad Sidi Cheikh dans le Sud-Oranais (1864-1870) » , la revue Africaine, N° 60, 1919, p 411.

[2] - إبراهيم مياسي ، الإحتلال الفرنسي للجزائر، مرجع سابق ص 348.

[3] - VOINOT .l : « La situation sur la frontière Algéro-Marocaine », Op. cit, p 411 .

[4] -Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Op. cit, pp 407 408.

[5] - إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 348.

الشُّعبَة العسكريَّة لِتلمسان مَع عامِل وجدة عبد السلام ولد الحاج العربي الذي خلف سي أحمد بن داودي، يوم الفاتِح مِن ماي 1873م، وعبَّر عَن قَلَقِه المتزايد إزاء هذه القضية[1].

وبَعد تَربُّع السُّلطان الحسن الأوَّل عَلى عرش المغرب 1873م، ورَغْمَ أنَّ العلاقات الفرنسيَّة المغربيَّة عَرفَت انفراجاً واضحاً تجسَّدَ في كثيرٍ من رسائل التَّهاني، وفي وتَبادُل الزِّيارات والسِّفارات، إلا أنَّها سُرعان مَا توتَّرت بِسبب قضية حميان الجنبة وتداعياتها، وذلك بَعد إقدام عَامل وجدة على جمع الضَّرائب مِن بَعض القبائل الجزائريَّة، ويُعَدُّ هذا خرقاً واضِحاً لاتِّفاقية "لالة مغنية"، وهو ما عَجَّلَ بِوَضع حَدٍّ لِهذِه التَّجاوُزات بِإلحاحِ السُّلطات الفرنسيَّةِ بِالجزائر، وهي التي كانت ترى في المسألة حلًّا عَملِيًّا يُفيدُها كَثيراً في القَضاء على الثَّورات التي انتَشَرَت على امتداد الحدود، وذلك بِتَحديد مَسؤوليَّة القَبائل، وأَحقِّيَّة مُتابَعتِها إنْ كانت ضِمن رَعاياها، أو الضَّغط على السُّلطان إنْ كانت من رعاياه.

وعلى هذا الأساس وبِطَلَبٍ مِن السُّلُطات الفرنسيَّة اِلتقى الجنرال عصمان والسُّلطان الحسن الأول يوم 12 سبتمبر 1876م، بِوجدة وذَلِك بِمُناسَبَة زِيارَة السُّلطان إلى المدينة، إلّا أَنَّ اللِّقاءَ الذي جَمَع الطَّرَفَيْن اِنتَهى كَسابِقيه إلى عَدم الوُصول إلى اتِّفاق[2].

وتُشيرُ بَعضُ المصادِر إلى أَنَّه بَعد مُغادَرة السُّلطان وجدة وبأَمرٍ منه، كَتَب عامل وجدة إلى بعض القبائل الجزائريَّة أَمراً لِدَفع الضَّرائب، وذَكَّرَهُم حَسب زَعمِه بأنَّهم رعايا مَغاربة، ومِن بين القبائل التي راسلَها قائدُ وجدة، قبيلةُ بني منقوش، وبني عطية، وحميان الجنبة[3]، ويَبدو أنَّ السُّلطانَ كان يُريدُ إثارةَ روح التَّمرُّد لَديهِم لِدَفع الفرنسيِّين لِمُعاقَبَتِهم، وبَعدها تَطلُبُ هَذه القبائلُ الحِمايةَ مِن السُّلطان، وتُصبِحَ أَراضِيها ضِمنَ نُفوذ المِغرِب، وفِعلاً تدهور الوضع عندما أَعلَنَ شَيخ قبيلة حميان الجنبة الحاج الحبيب ولد مبخوت، انشِقاقَهُ عن السُّلطَةِ الفرنسيِّة، وزَادَ الوضعُ تَعقيداً حِينَما أُطلِقَ الرَّصاصُ عَلى

---

[1] ـ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص ص 351. 352.

[2] - Voinot .L :« L'imbroglio marocain et l'entrevue du Général Osmont avec le Sultan à Oudjda (1874-1876) », in revue Africaine, N° 64, 1923, pp 190.273

[3] - Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Op. cit, p436 .

ضَابِط المِكتَب العربيِّ بالعريشة، ولولا تَدخُّلُ الرائد بن داود يوم 19 أكتوبر 1876م، الذي هدَّأَ الوضع[1] لَتعَرَّضَت القبيلةُ إلى ما لا يُحمَدُ عُقباه.

واستَمرَّت الأَوضاعُ في الحُدود على حالها بِدون حلٍّ، وتَعقَّدَت أكثرَ مَسألَةُ جَمع الضَّرائِب وأَحقِّيَّةُ كُلِّ طَرَفٍ بِها، كما تَوالَت مُداهَماتُ القَبائِل المغربيَّةِ لِلأراضي الجزائريَّةِ طِيلة الفترةِ المِمتَدَّة مِن 1877م حتى 1881م ، حَيثُ ازداد خَطَرُ الاعتِداءات خَاصَّةً بَعد تَولِّي القائِد بوستَّة ولد البغدادي أُمورَ عَمالة وجدة، وقد كان ضَعيفاً غَيرَ قَادِرٍ على الوُقُوفِ في وَجْه قَبائل بني سناسن و آنجاد القَوِيَّةِ، مِمَّا عَجَّل بِطَرِدِه وتَعويضِه بِالبَشير ولد عامر الديليمي، حيث كان رجاءُ السُّلطان مِن وَرَاء هَذا التَّغيير أَنْ يَضْمَنَ فَرضَ الطَّاعَةِ عَلى هذه القَبائِل، خُصُوصاً وأَنَّ رَسائِل الاستِنكارِ، والمطالَبَة بِغَرامات التَّعويضِ لا تَكادُ تَنقَطِع مِن قِبل السُّلُطاتِ الفرنسيَّة بِالجزائر، غَيرَ أَنَّ هذا العامِلَ كان كَسابِقِه فاستَبدَلَه السُّلطانُ بالسي علي قدير، وكان ذلك في 30 جانفي 1880م[2].

وفي 10 فيفري مِن سَنَةِ 1880م قَامَ المولاي أحمد بن العربي البقتيسي -كوزير مُفَوَّضٍ مِن السُّلطان- بِمهَّمة التَّفاوُض مع الفرنسيِّينَ حَولَ قَضيَّةِ الحدود، فاستُقبِل الوَفدُ المغربيُّ بتلمسان مِن طَرَف قائد شُعبتِها الجنرال "لويس lOUIS"، ونَظرًا لِتَشَعُّبِ القَضايا المطروحَة تُركَت الأُمُور عَلى حَالِها مَعَ الخُروجِ بِتَوصِيَاتٍ حَوْل ضَرورةِ القِيامِ بِعَمَل ميدانِيٍّ لِضَبطِ مَعالِمِ الحُدود بَين البَلَدين، وفي هذا الشَّأنِ كان لِقاءٌ بَين النَّقيب "لافرين Lavergne " قائد شُعبَة مغنية، والمولاي بن عرفة، يوم 12 أوت سنة 1884م في سيدي بهليل على بُعْدِ أَمْيالٍ قَليلةٍ عن وادي كيس[3].

و في مُستَهَلِّ عام 1893م تَجَدَّدَت الأحداثُ في منطقة الحدود، فَضَربت بعضُ قبائل بني سناسن وبني درار خيامَها في أراضي قبيلةِ مسيردة، الأمرُ الذي دَفَع بِقائِد شُعبَة تِلمسان إلى توجيه إِنذارٍ إلى عامل وجدة، مُذكِّراً إِيَّاهُ بالاتِّفاقيَّات المِوَقَّعة بَين الطَّرفَين، وفي يوم 31 مارس 1896م اِلتَقى وفدٌ فرنسيٌّ تَحتَ قِيادَة الرائد "سانت جوليان" و النقيب "تارنو"، بِنَظيرِه المغربيِّ الذي مَثَّلَهُ السَّادَةُ: قائدُ

---

[1] - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء، مرجع سابق ، ص 354.

[2] - نفس المرجع، ص ص 355 359.

[3] ـ نفس المرجع، ص ص 351. 367.

عامِلة وجدة، والمستَشارَيْن : الهاشمي بن روكاش، ومحمد بن الطيبي، حيث بَدَأَ العَمَل على تَحديد الحدود بِدِقَّةٍ.

وفي 20 جويلية 1901م صَادَقَ الطَّرفان الفرنسيُّ والمغربيُّ على بروتوكول[1] يتعلَّق بِمَسألَةِ الحُدود بباريس، حَيث مَثَّل الوفدَ المغربيَّ وزيرُ خارجيَّتِهِ "عبد الكريم بن سليمان"، بِالإضَافَةِ إلى محمد الجباص، وبن ناصر غانم، ومحمَّد الكَعب مترجِمُ القُنصل الفرنسيِّ في طنجة[2]، وعنِ الوفدِ الفرنسيِّ وزيرُ خارجيَّتِه "دلكاسي Delcassé"[3]، وتَضمَّنَت أَجندةُ المفاوضات إعادة رَسمِ الحُدود بَين البَلَدين، والتي ظلَّت غَامِضةً مُنذ التَّوقِيع على مُعاهَدَة 1845م[4].

وفي شَهْر جانفي 1902م حُدِّدَت اللَّجنةُ المغربِيَّةُ الفِرنسيَّةُ التي تَسهَر على تَطبيق بروتوكول 20 جويلية عَلى أَرضِ الواقِع، وتَأَلَّفَت اللَّجنَة عَن الجانِب الفرنسيِّ مِن الجِنرال "كوشميز"، ومِن الجانب المغربيِّ السيد محمد الحباص، وكان مِن فقيق[5].

وفي 07 ديسمبر 1908م قَدَّم الجِنرال ليوتي المحافِظ الأَعلى للحُدود تَقريراً إلى الحكومة الفرنسيَّة يَحتَوي على بَرنامج شَامِلٍ يَستَنِد إلى الاتِّفاقيَّات المبرَمَة بَين الفرنسيِّين في الجزائر والمغرب، لاسيَّما مُعاهدة 1845م، و بروتوكولا 1901م 1902م، وقَد شَرَعَ في تطبيق هذا البرنامج خلال سنة 1909م، وكان استِحداثُ شُرطَة الحدود أَهمَّ ما جاءَ بِه برنامج ليوتي[6]، وهكذا يُلاحَظُ أنَّ مَشاكِل الحُدود التي كانت تُؤثِّر في العلاقات السِّياسيَّةِ الفرنسيَّة المغربيَّةِ على مَرِّ نِصفِ قَرن، لَم تَجِد حَلًّا نِهائياً إلَّا مَع مَطلع القرن العشرين، أي عشيَّةَ ضَم المغرب 1912م.

---

1 - ينظر الملحق رقم : 20 و 21.

2 - محمد مزيان، مقال سابق، ص 43.

3 _ عبد الهادي التازي ، مرجع سابق ، ج 10 ، ص 33.

4 - محمد مزيان، مقال سابق، ص 43.

5 ـ عبد الهادي التازي، مرجع سابق،ج 10، ص 34.

6 - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 380.

## المبحث الثَّاني . العلاقات الجزائرية المغربية على عهد ثورات أولاد سيد الشيخ

- **ثورة أولاد سيد الشيخ الأولى أسبابها ومراحلها**

**- نَسَب أولاد سيد الشيخ:**

يَنحَدِر أولاد سيدي الشيخ حَسب مَا هو شائِعٌ مِن سُلالَة الخليفة أبي بكر الصديق رضِيَ الله عنه [1]، واستِناداً إلى المصادِرِ العربيَّةِ والأجنبِيَّة، فَقَد هاجَر أجدادُهم الأوائل مِن مَنطقة الحجاز بِشِبه الجزيرة العَربيَّةِ إلى مدينَة الإسكندريَّة بمصر، ومِنهَا إلى تُونُس التي استَوطَنُوها فَترةً طَويلةً مِنَ الزَّمن، فانحَدَرَ مِنهم المشهُور سيدي محرز، ومِن تونس انتَقَلَ البعضُ مِنهم إلى جرجرة، وتنس، وتلمسان بالمغرب الأوسط، ثُمَّ إلى مَنطقة فقيق بالمغرب الأقصى، وأخيراً استَقَرُّوا بِواحات تانكريت التي أَصبَحت تُعرَف باسم الأبيض سيدي الشيخ بالجنوب الوهراني[2]، والتي سُمِّيت نِسبةً إلى جَدِّ العائِلة عبد القادر بن محمد، الذي يُعرَفُ بسيدي الشيخ[3].

وخَلَّفَ عبد القادر بن محمد سيدي الشيخ أَحدَ عَشَر ابناً ، مِنهُم سِتَّةُ ذُكور هم: الحاج أبو حفص، ومحمد بن عبد الله، والحاج عبد الكريم، وابن الدين، وابن الشيخ، وعبد الرحمن، كما انقسَموا فَرعَيْن: فَرعٌ استَقَرَّ في قَصر الأَبيض سيد الشيخ، وفَرعٌ آخرُ استَقَرَّ في النَّاحِيةِ الغربيَّة مِن القَصر، وكانُوا أَكثَر عَدَداً مِن الفرع الأَوَّل، وانقَسَمَ الفرعُ الأَوَّلُ أيضاً فَخِذَيْن: فَخِذٌ بِزَعامة الابن الأَكبَر الحاج أبي حفص، وفَخِذٌ بِزعامة الابن الثَّالثِ الحاج عبد الكريم، وقَد أَسَّس كلٌّ مِن هذه

[1] - بودواية مبخوت ،دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية ،مجلة المواقف ،عدد خاص ،2008 ،ص352.

[2] -louis Rinn ,op : cit , p 359.

[3] ـ هو عبد القادر بن محمد بن سليمان المشهور بسيدي الشيخ، من المرجح أن تكون ولادته سنة 904 هـ 1533 م تلقى تعليمة الأولي على يد والده محمد بن سليمان السماحي، فحفظ القرآن الكريم ،كما انتفع بجده الإمام سليمان ابن سماحة و عمه الفقيه أحمد المجدوب، ثم ارتحل في طلب العلم فنزل في تجرارين، ثم فقيق التي مكث فيها سبع سنوات ، تتلمذ على يد الشيخ أبي عبيد الله سيدي محمد بن عبد الرحمان السهلي، حيث سلك على يده ولقنه سنده في الطريقة الشاذلية، و بإذن منه توج مساره العلمي بإنشائه لزواياه المختلفة، و التي عملت على التربية و التعليم و تكوين المريدين وفق الطريقة الصوفية الجديدة، و المستوحاة من الشاذلية و التي عرفت بالشيخية ، توفي متأثرا بجروح أصيب بها في معركة ضد الإسبان بناحية وهران 1976م.ينظر: مجدوب ميساوي، سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد ، مذكرة ماجستير غير منشورة ، جامعة معسكر ، سنة 2012.

الأقسام زاويةً خاصَّةً [1]،كما استوطَنَ أولادُ سيد الشِّيخ منطقةً واسعةً مِن الجَنوب الغَربِيِّ للصَّحراء، أين شَيَّدوا بِهذه المنطقَةِ قُرى كثيرةً مِنها : أربا التحتاني، وأربا الفوقاني، كما أقاموا القِبابَ على أَضرِحَة أَجدادِهم كَقُبَّة سيدي معمر، وسيدي عيسى بوليلة، وسيدي بن حيَّة، وسيدي بوسماحة[2]، أمَّا عَن النَّشاطِ الأساسيِّ لِقَبيلةِ أولاد سيدي الشِّيخ، فَهُو الرَّعيُ والتِّجارة، ويَرجعُ هذا إلى بِنيَة إقليم الجنوب الغربيِّ للقِطاع الوهرانيِّ، الذي استَقَرَّت به القَبيلَةُ، حَيث اهتَمَّ السُّكَّان بِتربِيَة الماشيَة، والأبقار، والإبل، كما مارس أولاد سيدي الشيخ التجارة [3].

## ❖ أسباب الثَّورة :

كان مِن نَتائِج هَزيمة المغارِبة في مَوقِعَةِ "إيسلي" على الحدود الجزائريَّةِ المغرِبيَّة صَيفَ 1844م، تَوقيعُ معاهدة طَنجة يَوم 10 سبتمبر 1844م[4]، والتي نَصَّت في بَندِها الرَّابع على مُحاصَرَة الأمير عبد القادر بالحدود الجزائريَّةِ المغرِبيَّة مِن طَرَف القُوَّاتِ المغربِيَّة غَرباً، والقُوَّات الفِرنسيَّةِ شَرقاً، مِن أَجل إنهاء الخلاف المغربيِّ الفرنسيِّ، ثُمَّ كانَت مُعاهَدة "لالَّة مغنية" المبرَمَة يوم 18 مارس 1845 م، والتي كان يُرجَى مِنها أَن تَكُون حَلاًّ للأَزْمَة بين المغرب وفرنسا، إذ بِمُوجِبِها حُدِّدَت الحدودُ الشَّماليَّةُ بَين البَلَدَين، إلَّا أنَّ الحدودَ في الصَّحراءِ بَقيَ يَدُلُّ عليها انتماءُ القَبائِل إلى مَواطِنِها، ومِن بَين القَبائِل التي لَم تُحَدِّد الاتِّفاقِيَّةُ مَصيرها، والتي كانت مُنتَشِرَةً عَلى طُول هذا الخَطِّ، قَبائلُ أولاد سيد الشيخ الذين أَعلنُوا مُنذُ البِدايَة ولاءَهم للأمير عبد القادر، لكنَّهُم سُرعانَ ما انْحازوا إلى السُّلطةِ الاستعماريَّة، لاسيَّما الفرعُ الشَّرقِيُّ الذي حاولت فرنسا أَن تَجعلَ مِنه وسيلةً لِتَوسُّعِها في الجنوب الغربيِّ، حَيث عَيَّنَت سيدي حمزة ولد أبي بكر خليفة على الجنوبِ الجزائريِّ سَنة 1850م [5].

---

[1] ـ يحيى بوعزيز ، مرجع سابق ص 169.

[2] - بودواية مبخوت ، مقاومة سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري 1864- 1908 ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب جامعة عين شمس ،مصر ،1992 ،ص ص 81 82.

[3] - بودواية مبخوت ،الوضعية الصحية بالجنوب الغربي من خلال كتابات الطبيب الفرنسي أرميو سنة 1856، مجلة القرطاس ،العدد الثاني ، جانفي 2015، ص 205.

[4] - بودواية مبخوت، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية ، مقال سابق ، ص 353.

[5] - إبراهيم مياسي ،الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ،ص 214.

وفي سنة 1851م ظَهَر في المنطِقَةِ الشَّريف محمد بن عبد الله[1]بَعد عَودَتِه مِن ليبيا، والذي عَمِل على نَشرِ أَفكارِ الطَّريقةِ السَّنوسيَّة المعادِيةِ للتَّوسُّع الفرنسيِّ في الصَّحراء، حَيث حَاوَل الشريف محمد الاتِّصالَ بابن عمِّه الخليفة السي حمزة كبيرِ أولاد سيدي الشِّيخ، لِيسْتَميلَه إلى صَفِّه، ولِلعَمَل عَلى التَّحضِير لِثَورةٍ عارِمةٍ ضِدَّ الوُجودِ الفِرنسيِّ في المنطقة، إلَّا أَنَّ السُّلطات الفرنسيَّةَ تَفطَّنَت لِلأَمر، فَأرسَلَت لَه سَرِيَّةٍ بِقِيادَة الرائد"ديليني" رَئيسِ المكتَب العربيِّ بمُقاطَعَة وهران، حيثُ أَلقى القَبضَ عليه واقتَادَه مَعه إلى وهران، أين حُكِمَ عليه بِالسَّجْن مُدَّةَ سَنَتَيْن[2]، وعَقِبَ الفَراغِ الذي خَلَّفَه السي حمزة، استَغَلَّ أَخُوهُ السي النعيمي[3]الفُرصَةَ، وعَرَضَ خَدَماتِه عَلى الفرنسيِّين، الذين قَبِلُوا العَرضَ وعَيَّنُوه قَائِداً بِرتبَةِ آغا على أولاد سيد الشيخ[4].

لَمْ يَلبَث القائِدُ الجديد السي النعيمي أنْ تَأَثَّر بأفكارِ الشريف محمد بن عبد الله، فانْضَمَّ إليه لِمُواجَهَة الفرنسيِّينَ لِذلِك أَفْرَجَت فِرنسا عَن الآغا السَّابِق السي حمزة، وأَعادَتْه إلى مَنصِبِه خَليفَةً عَلى الجنوب الغربيِّ الجزائريِّ، وَكَانَ هَذا الموقِفُ مِن فِرنْسا حتَّى تَضرِبَ السي النعيمي والشريف محمد بن عبد الله بالسِّي حمزة، هذا الأخيرُ الذي قاد حملةً عسكريَّةً إلى جانب الفِرنسيِّينَ لإِخْضَاعِ القَبائِل الثَّائِرَة كَقبَائِل حميان الشفاعة الموجودَة على الحدود الجزائريَّة المغربيَّة شَهرَ أَفريل مِن سَنَة 1853م[5]،كما بَرهَن الخليفَةُ السي حمزة مَرَّةً أُخرى عَن إخلاصِه للسُّلُطات الفِرنسيَّة، وذلك بمُشارَكَتِه في الحَملَة التي قادَها الجنرال"بيليسي" لِضَرْبِ القَبائِل الثَّائِرَة مَع الشريف عبد الله،كما أَسنَدَ الفرنسيُّونَ إليه مَهمَّةَ مُلاحَقَة محمد بن عبد الله الشريف باعتباره – أي السي حمزة – رَجُلَ زاويةَ يتَمَتَّعُ بهَيمَنَةٍ وَهيبَةٍ دِينيَّةٍ عِندَ القَبائِل الصَّحراويَّة[6].

[1] ـ هو إبراهيم بن أبي فارس عبد العزيز ، تذهب بعض الروايات إلى أنه من عائلة أولاد سيدي الشيخ، و أنه ظهر معارضا للأمير فولاه بيجو على تلمسان لكن سرعان ما اختفى ،ويقال أنه هاجر إلى المشرق فتأثر بحركة السنوسيين بليبيا أثناء غيابه ، عاد إلى الجزائر رافعا علم الجهاد و اتخذ من ورقلة نقطة انطلاق.ينظر: أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية...، ج1،ص 355.

[2] - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ،ص 251.

[3] -يبدو أن السي النعيمي كان له عداء علني مع أخيه السي حمزة استغلته فرنسا لتفكيك قبيلة أولاد سيدي الشيخ وذلك ضمن استراتيجيتها المعروفة بفرق تسد .

[4] - يحي بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنيين التاسع عشر والعشرين ،مرجع سابق ،ص 173.

[5] -بودواية مبخوت، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية ،مقال سابق، ص 354.

[6] ـ إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 2،2007 ، ص 139.

ورَغْمَ مَا أَظهَرَهُ السي حَمزة مِن الطَّاعَة فِي خِدمَةِ السُّلُطاتِ الفِرنسيَّةِ، إلَّا أَنَّها تَنَكَّرَت لَهُ بَعد ذلك، ولَمْ تَطمَئِنَّ إليه، وذلك نَظَراً لِمَا يَتَمَتَّع بِه مِن نُفوذٍ قَوِيٍّ بَينَ القَبائِلِ الصَّحراوِيَّةِ، فَعَزَلَتْه واستَدعَتْهُ إلى الجزائر العاصِمةِ، قَصدَ التَّحقيقِ مَعَه حَولَ بَعضِ الشَّكاوِي التي رَفَعَها ضِدَّهُ أَهالي الصَّحراء، فَأَعْدَمَتْه يوم 11 أوت 1861[1]، وَلِتَتَسَتَّرَ عَلَى هذه الجَرِيمَة اِدَّعَى الفِرنْسِيُّونَ أَنَّهُ مَات بِمَرَضِ الكوليرا، ولإِبْعاد الشُّبهَةِ أَيضاً بَثَّتْ السُّلُطَاتُ الفِرنْسيَّةُ فِي النَّاسِ إِشاعةَ أنَّ زَوجَتَه قَامَت بِتَسمِيمِه[2].

وحتَّى تَمتَصَّ السُّلُطاتُ الفرنسيَّةُ غَضَبَ أولاد سيدي الشِّيخ، عَيَّنَت ابنَه الأَكبَرَ السي بوبكر بِرُتبَةِ "باشا آغا " في المَنصِب الذي كان يَشغَلُه والدُه، حَيثُ تَفانَى السي بوبكر بن حمزة في خِدمَةِ الفرنسيِّين، ولاسيَّمَا في القَضاءِ عَلَى الشريف محمد بن عبد الله، لكنَّهُ سُرعانَ مَا قُتِلَ هو أَيضاً مَسمُوماً في 22 جويلية 1862م[3]، وهذا دائماً حَسَب التَّقارِير الفرنسيَّة التي قَالَت أنَّ أَحَد أَتبَاعِه هو مَن دَسَّ له السُّمَّ.

و خَلَفاً لِأَخِيه عَيَّنَت السُّلُطاتُ الفرنسيَّةُ السي سليمان بن حمزة وهو في عِزِّ شَبابِه، إذ لَم يَتَجاوَز الثَّانِيَةَ والعِشرينَ مِن العُمر، كَما عَزَلَت القائد السِّي زبير عن أغاويَّة ورقلة بِسَبَب مَرَضِه وعَيَّنَت مَكانَه أَخاه السي الأعلى بن بوبكر، وكان هذا الأخيرُ صَاحِبَ طُموحٍ ونَشَاطٍ وَيُكِنُّ كُلَّ الكُرهِ للفرنسيِّين، وكَان مُتأَكِّداً مِن أنَّ الفرنسيِّين كَانوا وراء وفاة السي حمزة وابنِه السي بوبكر، فَأَخَذَ يُحَاوِلُ أَنْ يَدفَعَ بابن أَخِيه السي سليمان إلى الانفصال عن فرنسا وإشعالِ فَتيلِ الثَّورَة ضِدَّها، مُستَغِلَّين في ذلك عِدَّةَ ظُروفٍ مِثلَ رَحِيلِ بَعضٍ مِنَ القُوَّاتِ الفِرنسِيَّة عن المنطقة للمُشارَكَة في الغزو الاستعماريِّ بالمكسيك و الهند الصينيَّة[4].

كما كانت لِثَورةِ أولاد سيدي الشِّيخ دوافِعُ أُخرَى تَتَعلَّقُ بِالسِّياسَة الاستِعماريَّة القَائِمَة عَلى القَهْرِ والقَسوَةِ في مُعامَلَةِ سُكَّان الجنوب، وسِياسَة المكاتِبِ العربيَّةِ التي أَرهَقَت كَاهِلَ السُّكَّان بِالضَّرائِب

---

[1] ـ عبد القادر بوطالب ، مرجع سابق ، ص 223.

[2] - إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ،ص 140.

[3] ـ إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ، ص 217.

[4] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص 141.

والغَرامات، ومُصادَرَة أَملاك القَبائل العقاريَّة والحيوانِيَّة[1]،كَما اتَّبَعَت السِّياسَةُ الاستعماريَّةُ عِدَّةَ أَساليب في تَكرِيسِ احتِلالِها وَبَسْطِ نُفوذِها في الجَزائر، مِنها أنَّها استَعمَلَت نُفوذَ أُسرَة أولاد سيدي الشِّيخ مَطِيَّةً للتَّسَرُّب والتَّوغُّل داخِل البِلاد، وحَينما أَدركَ زُعماءُ القَبَائِل الصَّحراوِيَّةِ خَطَرَ هذه السِّياسَة وقَفُوا مُتَصَدِّينَ لها، و أَعلَنُوا الجِهادَ للذَّودِ عَن حِمَى الوطنِ، وَدِفاعاً عن الدّين و العِرض، و لاشكَّ أنَّ التَّفاعُل بَين العَوامِل الدِّينِيَّة و السِّياسيَّة عَجَّلَ بِاندِلاع الثَّورَةِ التي مِن أَسبابها ما يلي:

- رَفضُ الشَّعبِ الجزائريِّ الوُجودَ الاستعماريَّ الفِرنسيَّ في بِلاده.
- عَمَلُ السُّلُطات الفرنسيَّةِ على سِياسَة تَهديم البِنْيَةِ القاعِدِيَّةِ لِلقَبائِل الكُبرى الصَّحراوِيَّةِ مِن خِلال زَرع بُذور الخِلافات والنِّزاعات.
- فَرضُ الضَّرائِبِ الباهِضَةِ وغَير المعقُولَة عَلى قَبيلَةِ أولاد سيدي الشِّيخ، إلى جَانِبِ مُصادَرَةِ أَراضيهم و أَملاكِهم العقَاريَّةِ و الحَيوانِيَّةِ مِن طَرَف السُّلُطات الفرنسيَّة.
- إرهاقُ السُّكَّان بِالضَّرائِبِ العَديدة التي تَفرِضُها الحُكومة الفِرنسيَّة لإفقارِهم وَتَحطِيمِهم مادِّيًّا[2].

أمَّا السَّبَبُ المباشِر لِثَورَةِ أولاد سيدي الشِّيخ فَهُو أَحداث 29 جانفي1864م[3]بَين السي فُضيل والصَّبايْحِيَّة[1]، والتي انتَهَت بِقِيام ثَورَة أولاد سيدي الشِّيخ، التي مرَّت بِمَرحلَتَين أساسِيَّتَين:

[1] - فارس العيد ،علاقات الجزائريين بالمغرب الأقصى وتونس (1848-1930،أطروحة دكتوراه في التاريخ ،جامعة وهران ، قسم التراريخ والآثار ،2017 ، 101.

[2] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ،مرجع سابق ، ص ص 142 143 .

[3] ـ اجتمع عدد من أفراد عائلة أولاد سيدي الشيخ في إحدى الساحات كما جرت عليه العادة للعب لعبة"الهف"، وكان من ضمنهم السي فضيل بن علي خوجة كاتب البا ش آغا السي سليمان، وكانت هذه اللعبة ذات شهرة واسعة ومنتشرة كثيرا في معظم مناطق الجنوب الوهراني ، وكان معهم في الساحة عدد من الصبايحية التابعين للمكتب العربي بالبيض، وخلال اللعب تدخل أحد الصبايحية لصالح بعض اللاعبين ، فغضب السي فضيل عليه ونهره ، وأدى ذلك إلى حصول مشادات كلامية ومشاجرة بينهما أدت إلى تدخل كل الصبايحية ضد السي فضيل انتهت باقتياده إلى المكتب العربي بأمر من الملازم"بوران" وعاقبوه بالعصى على الأقدام، وعندما علم الباش آغا السي سليمان بالحادث أسرع إلى مقر المكتب العربي واحتج لدى الضابط الفرنسي، وأطلق

## - المرحلةُ الأُولى 1864-1867م :

أَعلَن السي سليمان النَّفيرَ لِلقِيام بِثَورةٍ ضِدَّ فرنسا، وذلك في نِداءٍ وجَّهَه كاتِبُه السي فُضيل إلى كُلِّ قَبائِلِ الصَّحراء والتَّلِّ الوهرانِيِّ، كَما راسَل السي سليمان كلَّ فُروعِ قَبيلةِ أولاد سيدي الشيخ؛ فَوَجَّهَ رِسالةً إلى السي الطَّيِّب شَيخ وزَعيمِ قَبيلَة الغرابة، وفي المقابل وَجَّهَ رِسالةً إلى السي الأعلى زَعيمِ الشّراقة، كما انضَمَّ الثَّائِرُ بن شهرة[2] إلى الثَّورة.

و في يوم 08 أفريل 1864م دارَت أُولى المعارِكِ بَينَ أولاد سيدي الشِّيخ والقُوَّاتِ الفرنسيَّةِ، وكان هذا حينما باغَتَت قُوَّاتُ أولاد سيدي الشيخ مُخَيَّمَ الجَيش الفرنسيِّ في هَضَبَة عوين بوبكر 20 كلم شَرقَ البَيِّض، حيث حَقَّقَ أولاد سيدي الشِّيخ أَوَّلَ انتصار[3] على العَدُوِّ، وقَد ذَكَرَت التَّقارِيرُ العسكرِيَّةُ أنَّ الخسائِرَ الفرنسيَّةَ كانت فادِحةً ،حيث قُتِلَ العقيدُ"بوبراتر"[4].

ومِن جَانِب أولاد سيدي الشِّيخ ورَغم قِلَّةِ القَتلى، إلَّا أنَّهم فَقَدُوا قائِدَهُم السي سليمان الذي تُوفِّيَ بَعدَ المعركَةِ مَتأَثِّراً بِجِراحِه[5]، فَخَلَفَهُ أَخوهُ السي محمد ولد حمزة، هذا الأخير الذي اعتَمد

---

سراح كاتبه، واعتبر الحادث اهانة شخصية له ولعائلته كلها، وفي يوم الفاتح من فيفري، تخلى السي سليمان عن وظيفته بصورة رسمية و غادر مقر إقامته البيض ، و اتجه إلى الصحراء.ينظر: يحي بوعزيز ثورات الجزائر ، مرجع سابق ، ص 178.

[1]- Trumelet :« Histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864 », Alger ,1879 ,pp 2.7 .

[2] ـ يرجع أصل ابن ناصر بن شهرة بن فرحات إلى قبيلة المعامرة المنحدرة من الأرباع إحدى القبائل العربية ولد سنة 1804 بقرية المخرق جنوب مدينة الأغواط ،كان أبوه بن شهرة و جده قائدين بالتوالي على الأرباع ولما توفي أبوه رفض الفرنسيون أنْ يعينوه آغا على الأرباع ، تمرد و حمل لواء الثورة عام 1851 دام كفاحه لما يربو عن خمسة عشر سنة 1851 – 1875، واشترك في كل الثورات التي كانت ضد التواجد الاستعماري وبعد إلقاء القبض على بومرزاق زعيم المقرانيين قاد ابن شهرة الثورة في أعماق الصحراء إلى داخل البلاد التونسية إلى أن أرغمه باي تونس على الرحيل، فركب يوم 2 جوان 1875 البحر إلى بيروت، ثم استقر إلى جانب الأمير عبد القادر في دمشق إلى أن توفي عام 1884.ينظر: أحمد بن أبي زيد قصيبة:**"ابن ناصر بن شهرة أحد أبطال ثورة 1871"** ،مجلة الأصالة السنة الأولى، العدد6 ، جانفي 1972، ص 56.ص 57.

[3]-Henri Garrot, Op. cit, p 917.

[4] - كمال بن صحراوي ،قضية موت العقيد بوبراتر عام 1864بالبيض ملابساتها و تداعياتها من خلال وثائق أرشيفية ،مجلة عصور جديدة ،العدد 24 -25 ،جامعة وهران ،2016،ص ص 196 197 .

[5] - بودواية مبخوت ،دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية ،مقال سابق ،ص 355.

عَلى عمَّيْه السي الزُّبير والسي الأعلى في إدارَة الثَّورَة، وذلك لِصِغَرِ سِنِّه، وقَد أَظهَر هَذا الأَخيرُ نَشَاطاً وحَماساً خِلال هذه الفَترة مِن الثَّورَةِ، حَيث قَام يُحَرِّضُ القَبائِلَ المجاوِرَةَ على دَعْمِ الثَّورَة بِالمؤَن والفُرسَان[1].

ومَن أَشْهر مَعارِكِ هذه المرحلة أيضاً معركة "ابن حطب" يوم 26 أفريل 1864م، ضِدَّ فَيلَقِ الجِنرال"مارتينو"[2]، حَيثُ تَكَبَّدَت فيها القُوَّاتُ الفِرنسيَّةُ خسائِرَ كَبيرةً في الأرواح، وَفي يوم 13 ماي 1864م وَقَعَتْ مَعرَكَةٌ أُخرى تُعرَفُ بـ"ستيتن" تَحتَ قِيادَة الجِنرال"دليني" الذي اسْتَطاعَ أَنْ يُحَقِّقَ أَوَّلَ انتِصارٍ عَلى حِسابِ أَولاد سيد الشِّيخ، وَرَغْمَ الهَزِيمَةِ إِلّا أَنَّ الثُّوَّارَ سُرعان ما أَعادُوا تَرتِيب الصُّفوف، حَيث استَطاع الثُّوَّارُ بِزَعَامَةِ السي محمد القيامَ بِهُجوم عنيفٍ عَلى قُوَّات الجنرال "جوليفي" بِعَين البيضاء في 30 سبتمبر 1864م، وانتَهَت هذه المرحلةُ بَعد معركة الشَّلَّالة التي حدثت في أفريل 1866م، حيث استطاع العقيد"دي كلومب" الانتصار على الثُّوَّار إثرَ مَعركَةِ الشَّلالة، التي تَشَتَّت رجال الثَّورَة عَقِبَها، وتَوَزَّع مُعظَمُهم عَبر الصَّحراء، واختبأ القادةُ، وبذلك عَرَفَ الجنوب الغربيُّ الجزائريُّ بَعضَ الهدوء، حيث دَخَلَتْ الثَّورةُ في مرحلة جديدة[3].

- **المرحلة الثَّانية 1867-1881 :**

لَم تُثْنِ الهزائمُ الأَخيرةُ مِن عَزمِ أولاد سيدي الشِّيخ عَلى مَواصَلَةِ الثَّورَة، ولَم تَتحطَّم مَعنَويَّاتُهم [4]،بَل ظَلَّتْ آمالُهم مُعلَّقَةً بِقائِدِهم السي الأَعلى الذي أَعلَن النَّفيرَ إلى الجِهادِ مرَّةً أُخرى، فانطلَقَت الثَّورَةُ مِن جَديد في وَقتٍ عَصيب عَلى الجزائريِّين والفرنسيِّين مَعاً، حَيث شَهِدَت فيها الجَزائِر سنوات 1867م وَ 1868م وَ1869م كَوارِثَ وجَوائِحَ، كالجَفاف، وانتشار الأمراض والأَوبِئَة، مِثلَ الكوليرا والطَّاعون، إضافةً إلى زَحفِ الجَراد، مِمَّا تَسَبَّبَ في حُدوثِ مجاعَةٍ، فَقَلَّل الجيشُ الفرنسيُّ عَدَد الجنود في الجزائر خوفاً مِن الأمراضِ المعدِيَة، وقَلَّت تَحرُّكَاتُ الجيش، فاستَغَلَّ أولادُ سيد الشِّيخ هذه الفُرصَة للظُّهور زَمنَ الطَّاعُون، واستَطاعَ المجاهِدُونَ في أَقَلَّ مِن سَنةٍ إِعادَة المناطِق التي فَقَدُوها بَعدَ

[1] - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر ،مرجع سابق ،ص 183.

[2]- Trumelet," notes pour servir a l'histoire de l'insurrection dans le sud de la province d'Alger en 1864" ,in RA , Ň20 ,1876 ,p180.

[3] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ، مرجع سابق ، ص 154.

[4] - المرجع السابق ،ص 154.

هَزيمَة الشَّلالة. ومِن أَشهَر مَعارك هذه الفَتْرَة مَعركَةُ أُمِّ الدَّبداب في فيفري مِن سَنة 1869م، ومَعركَةُ ماقورة يوم 17 أفريل 1871م، ثُمَّ مَعركَةُ المنقب ديسمبر1871م [1]، ولَقد خاضَ أولاد سيد الشيخ في هذه المرحلةِ عدَّةَ مَعارِكَ، ورَغْمَ عَدَم تحقيق أَهدافٍ مُحدّدَة إلَّا أَنَّهم أَوقَفُوا النُّزوحَ الفرنسيَّ نَحوَ الجنُوب الجَزائريُّ رَدْحاً مِن الزَّمَن[2].

- **عَلاقَة أولاد سيدي الشِّيخ بِسلاطِين المغرب:**

تَرجِعُ علاقَةُ أولاد سيدي الشِّيخ بِسلاطِين فَاس إلى عهدٍ بعيدٍ، فَسيدي الشِّيخ الذي تَنتَسِبُ لَه العائلةُ والذي كان مِن عُلَماء عَصرِه، استَطاعَ أن يَأخذَ لِنفسِه مَكانَةً بَين أَهل عِلْم الحواضِر المغربِيَّة، ولَمَّا كان المنصُور الذَّهبي مِن مُحِبِّي أَهلِ العِلمِ قَرَّبَه إليه وأَكرَمَه، واستَمرَّت عَلاقاتُ الاحتِرام والتَّبجِيل لِأولاد سيدي الشِّيخ حتَّى وفاتِه[3].

ونَظَراً لمركَزِ هَذه العائِلةِ الدِّينِيِّ والسِّياسِيِّ بالمنطِقَة فقَد ارتبَطَ سلاطينُ المغرِب الأَقصى مَعها بالمصاهَرَة، فَتَزَوَّجَ السُّلطانُ عبد الرحمن بن هشام مِن السَّيِّدة الياقوت شَقِيقَةِ السي حَمزَة سنة 1844م [4]، وهي فَتْرةٌ حَسَّاسَةٌ مِن تاريخ العلاقاتِ الجزائريَّة المغربيَّة مِن جِهة، والفِرنسِيَّةِ المغرِبِيَّةِ مِن جِهةٍ ثانية[5]، وهو ما يَدُلُّ على رِفعَةَ المكانَة التي تَمَتَّعَت بها هذه القبيلةُ عند سلاطين المغرب .

وبَعد التَّوقيع على مُعاهَدة الحُدود مَع الفرنسيِّين في لالَّة مَغنِية، أَظهَرَ السُّلطانُ عَدَمَ رِضاهُ عَلى الاتِّفاقيَّة، وهذا ما لاحظناه مِن رسائله إلى وُلَّاتِه[6]، وَيَظهَر هَذا مِن خِلال الرِّسالة التي وجَّهَهَا

---

1 - يحي بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنين ،مرجع سابق ، ص ص 200 210.

2 - بودواية مبخوت، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية، مقال سابق، ص 355.

3 - مجدوب ميساوي، سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد، مذكرة ماجستير غير منشورة، جامعة معسكر، سنة 2012، ص 33.

4 ـ يحيى بوعزيز ، ثورات الجزائر في القرنيين ، مرجع سابق ، ص 169.

5 ـ إن تاريخ المصاهرة و المحدد بـِ سنة 1844 يستدعي منا التوقف خاصة إذا علمنا أن العلاقات بين السلطان والأمير، بدأت تتوتر، أضف إلى ذلك أن السلطان وقع على اتفاقية طنجة التي جاء في أحد بنودها ضرورة ترسيم الحدود، فالسلطان كان يعلم أن علاقة مصاهرة بسيطة قد تجعل من أولاد سيدي الشيخ تحت صفة رعايا، ويمكن أن تكون كل مناطق نفوذ هذه القبيلة تحت أملاك السلطان فيما بعد.

6 - ينظر على الخصوص، الرسالة التي وجهها السلطان عبد الرحمن إلى عامله على طنجة الطالب بوسلهام بن علي، والمؤرخة في 27 ربيع الأول 1261هـ الموافق ل 04 أفريل 1845 م، وتتضمن احتجاج السلطان على الاتفاقية، في الملحق رقم 15.

إلى عَامِلِه على العرائش بوسالم بن علي المؤرَّخَةِ في 4 رمضان 1261هـ/ 1845م، إذْ إنَّ السُّلطانَ كان قَد استَقبَلَ وَفداً مِن أولاد سيدي الشيخ الغرابة، في ما يَتعلَّقُ باتِّفاقِيَّة لالَّة مَغنية، وجاء فيها: «...**وقَد وَرَد إلينا أولاد سيدي الشيخ المحسوبون من إيالتنا، وسألوا عن رَسْمِ الحُدود فوَجدوا فيها تَناقُضاً ...فَلهم قُصور بها ...وبها أصولهم وأَجِنَّتُهم، ومَحَلُّ خزن أمتعتهم، وأضافوها لإيالة التُّرك، وهي الأبيض، و بوسمغون، وشلالة، وتيوت، ...فَبِوُصُول كِتَابِنا هذا إليك كَلِّمهُم في هذه البلاد أن يُسلِّموها ...**» [1]، ويَظهَر مِن خِلال الرِّسالة أنَّ السُّلطَانَ كان يَعلَمُ أنَّ قَبيلَةَ أولاد سيدي الشِّيخ تَنقَسِم إلى فَرعَين، أحدُهُما تَحتَ سُلطَتِه وَهُم المعروفون بالغرابة، والفَرعُ الثَّاني تَحتَ سُلطَة الأتراك وهُم الشراقة، وَيَظْهَرُ أنَّ هذا التَّقسيم كان قَبلَ المعاهَدَة بَينَهُ وبَين الأَتراكِ في الجزائر معروفاً أيضاً بانتماء القبائل، عكس مَا تُروِّجُ له بَعضُ الكِتاباتِ في عَدَم وُجود حُدودٍ قَبل الاستِعمار، وعكسَ ما هو شائعٌ أَيضاً عندَ بَعضِ المؤَرِّخين مِن أنَّ اتِّفاقِيَّة لالَّة مَغنيَّة هي ما قَسَّمَ القبيلةَ فرعين.

وفي شَهر نوفمبر 1848م أَرسَل الشَّيخ بن الطَّيب زَعيم فَرع الغرابة، وَفْداً إلى حَاكِم وَهران الجنرال"داربوفيل" يَطلُب تَوضِيحاً حَولَ وَضعِ فَرعِ الغرابة، مع السُّلطات الفرنسيَّة، غير أنَّه لَم يَتَلَقَّ الرَّدَّ مِن السُّلطات باعتِبار أنَّ الأمورَ بالنِّسبَةِ للحدود كانت ماتَزال غامضةً في تلك الفترة[2].

وَخَلال نَفسِ السَّنَة انتَشَرَت في مَنطِقَة الحُدود إشاعاتٌ بأَنَّ سُلطانَ المغرِب يُريدُ تَعْيين خليفة في المنطقَةِ الجنوبيَّة مِن وجدة، فاغتَنَمَ الشَّيخُ السي الطَّيب أَحدُ زعماء أولاد سيد الشيخ الغرابة الفرصةَ، وخاصَّةً بَعدَ انتِشارِ نَبَأ اندِلاعِ ثَورَة أولاد سيد الشِّيخ في الجزائر، فاجتَمَع بإخوتِه الأربعةِ: السي سليمان، والسي أبو الحفص، والسي محمد، والسي قدور، مِن أَجل نَيلِ المنصِب، وحتَّى يُبرهِنَ على قُدرتِه عَلى تحمُّل المسؤوليَّة شَنَّ غارةً على حميان الغرابة لِتأدِيبِهم على العِصيَان الذي أَبدَوه للسُّلطان[3].

وبَعد اندِلاع الثَّورَة في الجنوب الغربيِّ مِنَ الصَّحراءِ الجزائريَّةِ بِقيادَة الفَرع الشَّرقِيِّ مِن أولاد سيد الشيخ، تَأجَّجَ الصِّراعُ حَولَ قِيادَة الثَّورَة، فَحَسب الرائد فوانوvoinot فإنَّهُ ابتِداءً مِن سَنة 1866م ظَهَرَت مَلامِح الصِّراعِ حَول الزَّعامة بَين السي سليمان بن قدور زعيم الغرابة، والسي أحمد

1 - فارس العيد ،مرجع سابق ، ص 105.

2 ـ يحيى بوعزيز ، مرجع سابق ، 170.

3 - نفس المرجع، ص 170.

بن حمزة زعيم الشراقة[1]، ومِمَّا تَجدُرُ الإشارةُ إليه هُنا، أنَّ السُّلطانَ المغربيَّ وجَّهَ إلى السي قَدُّور شَقيقِ السي سليمان رسالةً على يَد عامِلِ وجدة، يَسألُه فِيها عَن موقِف أولاد سيد الشيخ الغرابة مِنَ الثَّورَة التي قادَها بنو عُمومَتِهم الشَّراقة في الجزائر.

- **ثَورة أولاد سيدي الشِّيخ والعلاقاتُ الفرنسيَّةُ المغربيَّةُ :**

أَحْيَت ثورةُ أولاد سيدي الشِّيخ بَعد اندلاعِها في فيفري 1864 م في نفوس الوطنيين ذِكرَى مُقاوَمَة الأمير عبد القادر التي انتهت قَبلَ خمس عشْرَة سَنة، لا مِن حيث التَّنظِيم والشُّموليَّة فقط، بل وحتَّى مِن حيث أَثرُها على الصَعيدَيْن الوطنيِّ والإقليميِّ، فَثَورَةُ أولاد سيد الشيخ التي قامت في الجنوب بِصفة عامَّة، والجنوب الغربيِّ بِصِفَةٍ خاصَّة، سُتعيدُ العلاقاتِ المغربيَّةَ الفرنسيَّةَ مِن جهة، والعلاقاتِ الجزائريَّةَ المغربيَّةَ مِن جهة ثانية إلى نقطة البداية.

فَقَد عَرفَت سَنة 1864 م نَشاطاً دبلوماسيًّا غَيرَ مَعهُودٍ مِن قِبَل الفِرنسيِّين نَحو سُلطان فاس، ويَبدو أنَّ هذا النَّشاطَ جاءَ نتيجةً لِقِيامِ ثَورَة أولاد سيد الشِّيخ[2]، حَيث حَذَّرَ الفِرنسيُّون السُّلطانَ مِن مُشارَكَة فَرعِ الغرابة مِن أولاد سيد الشيخ في الثَّورة التي قَادَها بَنو عُمومَتهم الشراقة في الجزائر [3]، وحَسَب فوانو voinot فإنَّ السُّلطانَ الحسن الأَوَّلَ حذَّرَ أولاد سيد الشيخ الشراقة مِن تَحريض القبائِل المغربيَّةِ خَوفاً مِن إِثارَةِ الفرنسيِّين، ومِمَّا تَجدُر الإشارة إليهِ أنَّه وفي الوقتِ الذي أَشعَل أولاد سيد الشيخ الشراقة الثَّورَةَ، كان الشيخ الطَّيِّب زَعيمُ الغرابة يَنتَظِرُ الفُرصَةَ لِيَنتَقِمَ مِن الفِرنسيِّين[4].

وفي مارس 1866م قام السي سليمان بن قدور، أَحَدُ قادَة أولاد سيد الشيخ، بِجَولَةٍ تَحريضِيَّةٍ داخِل القَبائِل المغربيَّة بِالحدود المغربيَّة الجَنوبيَّة يَحُثُّهُم على المشارَكَة في الثَّورَة، ومِن أَجل تَهدِئَة القبائِل المغربيَّة، قَام عامِلُ وجدة سي أحمد بن داودي بِجولَةٍ في المناطِق الجنوبِيَّةِ مِن وجدة وتازة[5]، ويَبدو أنَّ

---

[1] -l. VOINOT: « La Situation sur la Frontière Algéro- Marocaine du Tell lors de l'insurrrection des Ouled sidi cheikh dans le Sud Oranais (1864-1870) », in RA , N° , p 403.

[2] ـ محمد العربي معريش ، مرجع سابق ، ص 217.

[3]- l. VOINOT : « La Situation sur la Frontière Algéro- Marocaine du Tell lors de l'insurrrection des Ouled sidi cheikh dans le Sud Oranais (1864-1870) », Op. cit, p 410.

[4] -Ibid,p402.

[5] ـ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 348.

الجَولَة التَّفقُّديَّة لِعامِل وجدة كانت بإيعازٍ مِن السُّلطانِ الذي طالما تَلقَّى رسائِل التَّهديد والضَّغطِ مِن قُنصُل فرنسا بطنجة.

ومَهما يَكُن فإنَّ الوضعَ الذي عاشَه الأميرُ عَبد القادر في آخر أيَّامِ مُقاومَتِه وتَخاذُل المخزن في دَعمِه، لَن يَتكَرَّر مع أولاد سيد الشيخ ، فالأميرُ الذي سَلَّم نَفسَه للعدُوِّ أوْرَثَ المغارِبَةَ شُعوراً بالخِزي إزاءَ سُلطةٍ حافَظَت عَلى عَرشِها بخِيانَة نِداء الجِهادِ، والتَّنَكُّر لِدِماءِ الشُّهداء الجزائريِّين والمغارِبة، فالسُّلطانُ مولاي محمد وإنْ كان يَحرِصُ عَلى تَتبُّع خُطى والدِه في عَدَم التَّعرُّض لِسياسَة الفرنسيِّين، فإنَّه يَعلَمُ أنَّ مُحارَبَتَه لأولاد سيد الشيخ سَتَزيدُ مِن شُعور الكُرهِ الذي دَبَّ في الأوسَاطِ الشَّعبيَّة والدِّينيَّةِ المغربيَّةِ.

إنَّ تَعبِئَةَ الجَيش الفِرنسيِّ للحَربِ ضِدَّ أَلمانيا وتَرحِيلِه إلى الضِّفَّةِ اليُسرَى مِن نَهْر الراين، جَعل الأوضاعَ في الجزائر صَعبَةً، خاصَّةً بَعد اهْتِزازِ مَكانَة فِرنسا في نَظَر الجزائريِّين[1]والمغاربة، ونُشيرُ هنا إلى أنَّ السُّلطَان المولاي محمد قد أطلَقَ سَراح أَبناءِ السي الطيب زعيمِ فَرعِ الغرابة، بَعدَما عَمِل الشيخ السي الطيب على إصلاح العَداوَة التي كَانَت بَين بَعضِ القَبائِل الحُدودِيَّةِ، ويَظهَر مِن هَذا أنَّ السُّلطَان المغربيَّ سَعى في هذه الفَترةِ بَعد أنْ عَلِمَ بِضَعفِ الفرنسيِّين، إلى استِمالَة عَطْفِ أولاد سيد الشيخ لِيكسِبَ بَعضَ التَّأييد مِن قَبائِل الحُدود التي تَغَلْغَلَت فيها روح التَّمرُّد.

وبَعدَ وفَاةِ السُّلطان المولاي مُحمد واعتلاء السُّلطان الحسن الأَوَّل[2] العَرشَ أَواخِرَ شَهر سبتمبر مِن عام 1873م، عَمِل على إعادَة هَيبَةِ المغرب المفقودَةِ، فَعَمَد إلى إلغاء القُيودِ المفروضَةِ

---

[1] ـ إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 350.

[2] ـ هو الحسن بن محمد بن عبد الرحمان بن هشام، ولد سنة 1247هـ الموافق لـ 1831 م، ينتمي من حيث النسب القريب إلى الأسرة العلوية، فيما ينتهي نسبه إلى الجد الخامس والثلاثين علي بن أبي طالب، نشأ الحسن الأول في حجر جده عبد الرحمان، الذي اعتنى بتربيته من حداثته، فكان يختار له المدرسين، ولما شب وجهه إلى زاوية الشمعة ببلاد مراكش، ثم انتقل إلى جامعة فاس، ثم اعتنى به والده السلطان محمد بعد وفاة جده عبد الرحمان، فبرع في كثير من أمور السياسة، فقدمه أبوه على إخوته، وولاه عهده، وبعد وفاة أبيه السلطان محمد بن عبد الرحمان يوم الخميس 11 سبتمبر من سنة 1873م، بويع له بالخلافة يوم 20 سبتمبر 1873م، عرف المغرب في عهد السلطان الحسن الأول إصلاحات مست جميع مناحي الحياة السياسية والعسكرية

مِن الدُّوَل الأوروبِّيَّة على المغرب، وعَلى رأسِها فِرنسا التي رَبطَتْها مع المغرِب اتّفاقِيَّةُ طَنجة ولالَّة مَغنية، وفِي أَثناءِ زيارتِه إلى إقليمِ وجدة ولِقائِه بالجنرال "عصمان" مُمَثِّل القُوّات الفِرنسيَّةِ في عَمالة وهران، تَسرَّبَت الشَّائِعاتُ التي تَزعُمُ أنَّ السُّلطانَ المغرِبيَّ يَنْوي إعادَة الاتِّفاق حَول رَسْمِ الحدود بَينَ البَلَدَين.

وَتَصْدِيقاً لِهذه الشَّائِعات والتي يَبدُو أنّها مِن صَنيعِ السُّلطانِ نَفسِه، راسَل السُّلطان المغربيّ بَعضَ القَبائِلِ الجزائريَّةِ التي كانت مُستَقرَّةً في الحدود، لِيُذَكِّرَهُم حَسب زَعْمِه بأنَّهم كانوا رَعايا مغاربةً، وهو بذلك يُريد إثارةَ رُوحِ التَّمَرُّد لَدَيهم، ويُحَرِّضَهم عَلى المقاومَة، وقد نَجَح مَسعاهُ هذا فَتَدَهْوَر الوَضعُ، كَمَا أوْمَأنا إليه في المبحث الأوَّل[1]، وتَمَرَّدَت بَعضُ القبائِل الجزائريَّةِ على الحدود.

أمَّا مِن حَيثُ عَلاقةُ السُّلطان بِأولاد سيد الشيخ، الذين بَدأُوا يُحاوِلُون البَحثَ عَن وَسَاطَةٍ للصُّلحِ مَع الفرنسيِّينَ في الفَترةِ التي وَصَلَ فيها المولاي الحسن إلى العرش، وذلكَ مِن خلال مَساعِي شريف وزان الحاج عبد السَّلام شيخ الطَّريقَة الطَّيبيَّة[2]، فَقد حَدَثَ أنْ فَرَّ زَعيمُ أولاد سيد الشيخ السي سليمان بن قدور إلى المغرب الأقصى رِفْقَة أَتبَاعِه مِن الإقامَة الجبرِيَّة بِسَهْل "ملاته" بِوهران في سنة 1873م، ويَبدُو أنَّ السي سليمان بن قدور اِلتَقى السُّلطانَ الحسن الأَوَّل في أكثر مِن مُناسبة،كما يَظهَر أنَّ السُّلطان المغربيَّ كان يَسعَى مِن خِلالِ هَذه اللِّقاءات إلى الوُصولِ إلى اتِّفاقٍ مَع أولاد سيد الشيخ بِشأن إنهاء التَّمرُّدِ ضِدَّ فِرنسا، حَيثُ وَعَدَ السي سليمان السُّلطانَ بِأَنْ لا يَعُودَ إلى أيِّ نَشاطٍ ضِدَّ الفِرنسيِّين، وضِدَّ سِياسَة المغرِب[3].

وبِسَبَب تَفاقُم الأحداث في منطقَة الحدود المغرِبيَّةِ، جَرَت مُفاوَضاتٌ بَينَ فِرنْسا والحكومَةِ المغرِبيَّةِ، وانْتَهَت بالاتِّفاق بَينهما عَلى تَعْيين الحاج العربي ولد الشيخ الطيب زعيمِ فَرعِ الغرابة، خَليفةً

---

والاقتصادية للدولة، توفي سنة 1894م.للمزيد في الموضوع ينظر: عبدالرحمان بن زيدان ، مصدر سابق ، ص ص 96 97 _ محمد العربي معريش ، مرجع سابق.

1 ـ ابراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق، ص 354.

2 ـ تعتبر الطريقة الطيبية من الطرق الصوفية التي تستمد أصولها من الطريقة الشاذلية ، أسسها الشيخ عبد الله الشريف المتوفي سنة 1876 في وزان بالمغرب الأقصى ثم توسعت في المغرب والجزائر لها العديد من الزوايا في أقطار المغرب العربي.ينظر: إبراهيم مياسي، مرجع سابق، ص 507.

3 ـ يحي بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق، ص 213.

عَلى فقيق تَحتَ سَيطَرَةِ قَائِد وجدة، وكان الحاج العربي مُعتَقَلاً بوجدة منذ أكتوبر 1864م، بَينَما كان أخوه سليمان مُعتَقَلاً في فَاس عندما أَرسَلَهُ أَبُوهُ إلى السُّلطانِ يَطلُبُ إِطلاقَ سَراحِ أَخِيه، فَأَطلَقَ السُّلطانُ سَراحَهُما مَعاً، حتَّى يَضْمَنَ وَلاءَ الحاج العربي وأَبِيه زَعيمِ فرعِ الغرابة مِن أولاد سيد الشيخ[1].

إنَّ المتَتَبِّعَ لِمَسارِ العلاقاتِ الجزائريَّةِ على عَهد ثَورة أولاد سيد الشيخ، لَيَقِفُ عند ذلكَ الغُموضَ الذي اكتَنَفَ مَوقَفَ سَلاطينِ المغرِبِ مِن هذه الثَّورَة، فَمِن جِهةِ عَمَلِ السُّلطان محمد وابنِه الحَسَن عَلى استِمالَة زُعماءِ أولاد سيد الشيخ، خاصَّةً الغرابَة، ومِنْ جِهَةٍ أُخرى أَنكَروا عَلَى الثُّوَّارِ صَنيعَهَم، والظَّاهِرُ أنَّ تَفسير هذه العَلاقَة غَير الواضِحة مِن قِبَل سلاطين فاس، يَرجِعُ في الأَسَاس إلى الخَوفِ الذي اسْتَبَدَّ بالسُّلُطات المغرِبيَّة مِن عَداءِ أولاد سيد الشّيخ الذي قَد يَجُرُّ المغربَ إلى انقِلابٍ عَلى الأُسرَةِ الشَّريفَة مِن جهة، ويَرجِعُ أيضاً إلى القَلَقِ مِن الدَّعمِ المطلق للثَّورَة الذي قَد يَجُرُّ المغرِبَ إلى حَربٍ لا تُعرَفُ نتائِجُها مع فرنسا.

[1] ـ يحي بوعزيز،ثورات الجزائر، مرجع سابق، ص 200 .

## ● ثورة أولاد سيد الشيخ الثانية أسبابها ومراحلها :

### - الشّيخ بوعمامة[1]:

ما كادَت جَذْوَةُ ثَورَة أولاد سيدي الشِّيخ تَخْبُو، حتَّى اندَلَعَت ثَورةٌ أُخرى أَشدُّ عُنفاً، تَزَعَّمَها الحفيدُ الثَّالثَ عشَر لِجَدِّ الأُسرَةِ سيدي الشِّيخ الكَبير[2]الملَقَّب بالشيخ بوعمامة[3]، فَبَعدَ آخِرِ المعارِكِ التي خَاضَها فَرعُ الشّراقة ضِدَّ الاحتِلالِ والوُجودِ الفِرنسي، تَشَتَّتَت العائِلةُ وهَاجَرَ أَغلبُ أَفرادِهَا إلى المغرِبِ الأَقصَى، كَما انْتَقَلَ البعضُ الآخَر مِن القَبيلَةِ إلى الجَنُوبِ الشَّرقِيِّ لِلجَزائِر بِضَواحِي المنيعَة، لَكِن لَمْ يُشَكِّلْ ذلكَ فَراغاً سِياسِيًّا بِالمنطِقَة، إذ سُرعَان مَا ظَهر على مَسرَح الأحداث المتصَوِّفُ بُوعْمامة زَعيمُ الفَرعِ الغَربِيِّ لِأولادِ سيدي الشّيخ[4]، حَيثُ كان جَدُّه إبراهيم بن التَّاج قَد عَمِل لِوَقتٍ طَويلٍ عَلى المحافَظَة على انتِمائِه الجزائريِّ، فَكَانَ يَزورُ الجزائرَ كُلَّ سَنةٍ لجَمع الزِّيارات والهِباتِ مِن أَتْباعِ أُسرَةِ أولاد سيدي الشيخ في التَّلِّ الوَهرانيِّ[5]، وَفي إحدى الزِّيارات تُوُفِّيَ وُدفِنَ عِندَ قَبيلة بني

---

[1] ـ هو محمد بن العربي بن الشيخ بن الحرمة بن محمد بن إبراهيم ابن التاج و المشهور بأبي عمامة، وهو سليل عائلة أولاد الحرمة ، التي تنحدرمن أولاد سيدي التاج الابن الثالث عشر للجد الأول سيدي الشيخ ولد حوالي 1838 بـ فقيق في قصر الحمام الفوقاني، و في سنة 1875 انتقل بوعمامة مع أبيه من فقيق إلى المقرار التحتاني الذي أسس به زاوية على غرار زاوية أجداده ، و اتبع حياة الزهاد و النساك حيث يقضي معظم أوقاته في التعبد، أو تعليم القرآن أو دراسة المسائل الفقهية ، و لهذا النشاط الحثيث و الحيوية المتزايدة، حظي الشيخ بو عمامة باحترام و تقدير كبيرين من كل أتباعه و أقاربه و اعتبر عندهم من أولياء الله الصالحين ، و بذلك أصبح زعيمهم الروحي الذي ورث البركة عن أجداده، فازدادت شهرته و نفوذه في المنطقة، فكثر أتباعه و مريدوه و تلامذته،.و قد تزوج من ابنة سيدي المنور بن حرمة السيدة ربيعة، و التي أنجبت له أربعة أبناء - ينظر: إبراهيم مياسي، الإحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، ص 272 – محمد الأمين بلغيث **:" الشيخ بوعمامة القائد المتصوف"** ، مجلة الصراط ، جامعة الجزائر ، عدد 02 ، مارس 2002 ، ص 185.

[2] - بودواية مبخوت ، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ الثانية ،مقال سابق ، ص 355.

[3] - يذكر عبد الوهاب بن منصور في كتابه أعلام المغرب العربي أنّ اسم بوعمامة هو محمد ،ولكنه لا يُعرف إلا بكنيته بوعمامة ،وبهذه الكنية نقش خاتمه ،وتجدر الإشارة إلى أنّ كنية بوعمامة يشترك بها مع جده الأعلى سيد الشيخ الذي ينحدر منه أحد أجداد بوعمامة .ينظر : عبد القادر خليفي ،قراءة في ترجمة الشيخ بوعمامة ،مقال سابق ، ص 98.

[4] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ،مرجع سابق ، ص 161.

[5]-P . Wachi : «  L’Insurrection de Bou Amama 1881 1882 » ,imp Rabide RND, Tunis ,1902 ,p 5.

صميل[1]، وأمّا أُبوهُ العربي بن الحرمَة الذي كان تاجِراً في فقيق اِرتَحَلَ وعائِلته إلى أَرضٍ أَجدَاده[2]، وصَحِبَ ابنَه بُوعمَامة، فَأُعطِيَت لَه قِطعةُ أَرضٍ في المقرار التَّحتاني، أَين أَسَّسَ عليها الشيخ بوعمامة زَاويَةً دِينيَّةً عَلى الطَّريقَة الشيخيَّة[3].

- **أَسباب الثَّورة :**

لقد تَظافَرَت عِدَّة أَسبابٍ على قِيامِ ثَورَةِ الشيخ بوعمامة يُمكِنُ إِجْمالُهَا في ما يلي :

**أَوَّلاً:**

لا شكَّ أنَّ في مُقدِّمَة الأَسباب رَفضُ الشَّعبِ الجَزائريِّ للاحتِلال الفرنسيِّ ومُقاوَمَة هَذا الدَّخِيل كُلَّما سَنَحَت الفُرصَة[4].

**ثانياً:**

تَشيرُ بَعضُ الدِّراسات الفرنسيَّةِ إلى أنَّ أَسبَاب الثَّورَةِ تَرجِعُ بِالدَّرَجَةِ الأُولى إلى انتِشارِ المَجاعَة في أَوسَاط الأَهالي، وَ ذلك نَظراً للنِّظَامِ الاستِعماريِّ و أُسلوبِه في الجزائر، والذي يَهدِفُ إلى إخضَاع السُّكَّانِ مِن خِلالِ سِياسَة التَّجوِيع.

**ثالثاً:**

فَشَلُ البِعثَة الرَّسميَّةِ لِدراسَة مَشروعِ مَدِّ الخطِّ الحديديِّ عَبرَ الصَّحراء في الجَنوبِ الغَربِيِّ لإِقلِيم وَهران خِلال سَنَة 1879، فَقَد أُجْبِرَت البِعثَةُ على أَنْ تَعُودَ أَدراجَها بَعدَ أَنْ تَحَرَّشَ بِها سُكَّانُ قَريَة تيوت، لذلك عَزَمَتْ السُّلُطاتُ الاستِعماريَّةُ على إِقامة مَركَزٍ عَسكَرِيٍّ للمُراقَبَةِ في قَصْرِ تيوت الصَّحراوِيَّة التي تَرفُض أيَّ تَواجُدٍ فِرنسيٍّ في المنطقة.

---

[1] -DJILALI.Sari : « l'insurrection de 1881-1882 lépopée de cheikh Bou amama », éd ENGA , Alger , 2010 , p 82.

[2] - رغم أننا لا نعرف دوافع هجرة عائلة العربي ولد إبراهيم الحرمة من فقيق المغربية إلى مقرار التحتاني في الجزائر، إلا أننا لا نعتبرها إلا مجرد رحلة لعائلة صحراوية دأبت على عادات الترحال ضمن نطاق القبيلة الأم، و في حدود مجالها الجغرافي ؛ أي قبيلة أولاد سيدي الشيخ الأم .

[3] - بودواية مبخوت ، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ الثانية ،مقال سابق ، ص 356.

[4] - عن أسباب ثورة بوعمامة ينظر: - بودواية مبخوت ، الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف و المجاهد - إبراهيم مياسي ،التوسع الاستعماري الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري – عبد الحميد زوزو ،ثورة بوعمامة 1881 -1908 م ،عبد القادر خليفي ،المقاومة الشعبية للشيخ بوعمامة .

**رابعاً:**

استِياءُ وتَذَمُّرُ القبائل الصَّحراويَّة بَعد أَنْ مُنِعُوا مِن التَّنَقُّلِ بِمَواشِيهِم إلى الَمناطِق الكلِيئَةِ خِلالَ مَواسِم التَّرحال، في فَصْلَيْ شِتاء (1879-1880) و (1880-1881)م مِمَّا أَدَّى إلى نُفُوق مَواشيهم بِأَعدادٍ كَبيرةٍ[1].

**خامساً:**

بِالإضَافَةِ إلى هذه الأسبابِ الدَّاخليَّةِ، هُناك أَسبابٌ خَارجِيَّةٌ أَذْكَت شُعلَةَ الثَّورَة ولا سيَّما غَزوُ فرنسا لِلقُطْرِ التُّونسي الشَّقِيق في مَطلَعِ سَنَةِ 1881م، والحوادِثُ التي أَعقَبَت هَذا الاحتِلالَ وخاصَّةً بَعد أَنْ تَحَوَّلَ جُزءٌ كَبيرٌ مِن الجَيش الفِرنسيِّ المرابِط في النَّاحيِة الوهرانيَّة إلى تونس[2].

**سادسا:**

إنَّ الدَّعوةَ السَّنوسيَّةَ[3]التي انتَشَرَ صَداها الدِّعَائيُّ ضِدَّ التَّواجُد الفرنسيِّ في الصحراء، وَصلَت إلى بوعمامة عن طريق مُقَدَّمِها في عين صالح الحاج المهدي ولد باجودة[4].

**سابعاً:**

الواقِعِ بِجِوارِ زَاوِيةِ الشيخ بوعمامة، وقَدْ أَحْدَثَ هَذا النَّبَأُ قَلَقاً مُتَزايِداً لَدى بُوعمامة والقَبائِل

كان لِدَعوَة جمال الدِّينِ الأفغانيِّ وحَرَكَة السُّلطان عبد الحميد الثاني[5]تأثيرٌ في بوعمامة باعتِبارِهِ رَجُلَ عِلْمٍ وَدينٍ مُتَحَمِّسٍ[6].

---

[1] ـ في سنة 1877 قامت فرنسا بإنشاء شركات لاستغلال نبتة الحلفاء التي تعتمد عليها القبائل الصحراوية كمراعي لتوفير الكلأ لمواشيها ، مما أدى إلى صدامات بين السكان و هذه الشركات ، ومما زاد في تذمر القبائل الرعوية و إقدام السلطات الفرنسية بتأجير هذه المناطق إلى شركات إسبانية، الأمر الذي ألزم الفرنسيين بتوفير الحماية لهذه الشركات، وفرض غرامات مالية ضد القبائل التي تخرب مواشيها حقول الحلفاء .

[2] - GRAULLE. E : "Insurrection de Bou-amama avril 1881",éd Charles les Vauzelle, paris , 1905 , p .7 .

[3] ـ الدعوة السنوسية: لقد عملت الطريقة السنوسية على تنظيم الأهالي في وحدات خاصة تقيمها في الزوايا في قلب الصحراء ، و كانت توزع هذه الزوايا بشكل استراتيجي إذ إنها أقامت في الواحات و عند الآبار و جهزت كل منها بمباني بسيطة يقيم فيها الأخوان و تقوم الدعوة السنوسية على تجنيد المجاهدين.للمزيد في الموضوع ينظر: جلال يحيى ، المغرب الكبير...،ج4 ، ص 19.

[4]- H . Martiniere & N . La Croix , « Documents pour servir à L'étude du Nord Ouest Africain » ,Tome 2 ,pp772- 777.

[5] ـ كانت هذه الدعوة تقوم على جمع شمل المسلمين في إطار خلافة إسلامية.

[6] ـ عبد الحميد زوزو ، ثورة بوعمامة 1881 – 1908 (جانبها العسكري) ، ج1 ،موفم للنشر ، الجزائر ، 2010 ، ص11

أمَّا السَّبَبُ المباشِر للثَّورَةِ فَيَتَمَثَّلُ في مَقْتَلِ ضَابطٍ فِرنسيٍّ بِرُتبَةِ مُلازم أَوَّل، وهو "وانبي رونر" نائبِ رَئيسِ مَكتَبِ العَربِ لِمَدينة جارفيل (البَيِّض) يوم 22 أفريل 1881م، مع أربعة صبايْحِيَّة مِن حُرَّاسِه حينَمَا حَاوَلَ إيقَافَ نَشاطِ بوعمامة، واعتِقالَهُ مَع مَبعُوثَيْه لَدى الجرامنة، وهُما الطَّيِّب بن الجرماني، ومرزوق بن السرور، وكَانَ هذا الحادِثُ بِمَثابَةِ إعلانِ قِيامِ ثَورَةِ بوعمامة[1].

- **مَراحِلُ الثَّورَة :**

بَعدَ أَنْ تَضافَرَت تِلك الأسبابُ وغَيرُها، اِندَلَعَت ثَورةُ الشيخ بوعمامة ضِدَّ سُلُطاتِ الاحتِلالِ الفرنسيِّ بَعدَ حادِثَةِ الجرامنة، وحَسَب الدِّراساتِ التَّاريخيَّةِ حَوْلَ هذه الثَّورَةِ فإنَّها مَرَّت بِمَرحَلَتَيْن مُتمَايِزَتَيْن مِن حَيث الأسلوبِ والنَّتائِج، فَالمؤرِّخ عبد الحميد زوزو يُقَسِّمُ الثَّورَةَ إلى قِسمَيْن: القِسمُ الأَوَّلُ أَطلَقَ عليه ثورةَ بوعمامة الجانب العسكري (1881-1883)، أمَّا القِسمُ الثَّاني مِن الثَّورَةِ فَسَمَّاهُ الجانبَ السِّياسيَّ (1883-1908)، ولَعلَّهُ مِن المفيدِ لَنا نَحنُ أَيضاً أَنْ نَأخُذَ هَذا المِنوالَ لِتَتَبُّعِ مَسارِ هذه الثَّورَة بِصُورةٍ أَوضَح.

**أ/ المرحلة الأُولى 1881 – 1883 :**

اِسْتَنْفَرَ الشيخ بوعمامة جَميعَ القبائِل الصَّحراويَّةِ مَغربيَّةً وجَزائِريَّةً، حيث أَرسَلَ مَبعوثِيه في كُلِّ الأَنْحاءِ دَاعينَ للنَّفير، ومُنادِين بِالجهاد المقدَّس[2]، حَيث يَذكُر ابنُ مَنصور أنَّ الشيخ بوعمامة كَتَبَ إلى شُيوخِ قَبائِل الحدود الجزائِريَّة المغربيَّةَ يَحُثُّهم على حَمْلِ السِّلاح[3]، وَقَد لَقِيَت هذه الدَّعوةُ تَرحيباً واسِعاً ، إذ تَمَكَّنَ بوعمامة في وقت قَصيرٍ مِن جَمعِ زُهاء أَلفَين وثَلاثَمائةِ جُندِيٍّ بَين فُرسَانٍ وَمُشاة:

قبائل طرافي .......................700

أولاد زياد .......................180

الأحرار..........................160

---

[1] -P . Wachi : Op. cit, p 3.

[2] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ،مرجع سابق ، ص 172.

[3] - عبد القادر خليفي ،قراءة في ترجمة الشيخ بوعمامة لعبد الوهاب بن منصور ،مجلة العلوم الإنسانية ،العدد 2 و 3، جامعة وهران،2012 ،ص 101.

أولاد سيد الشيخ الغرابة ...........250

أهل مغرار.........................100

أولاد عمور .......................170

أولاد سيد التاج ...................50

القصوريون .......................500

قبائل أخرى.......................190

المجموع ........................2300 [1]

وفي 19 ماي 1881م تَواجَه الثُّوّارُ في أَوَّلِ مَعرَكَةٍ ضِدَّ القُوّاتِ الفِرنسيَّة، وهي حيث دارت بينهما "معركة مولاق" التي حقَّقَ فيها الشيخ بوعمامة أَوَّلَ انتِصارٍ على العَدُوِّ[2]، وقَد قَدَّرَ العقيدُ "إينوسنتي " في تَقريرٍ بَعثَه إلى وَزيرِ الحربِ أنَّ عَدَدَ ضَحايا الفرنسيِّين سَبعةٌ وثَلاثون قَتيلاً وستَّةَ عشرَ جَريحاً[3]، كما نالَت المعرَكَةُ حَظاًّ وافِراً مِن اهتِمامِ الصَّحافَةِ العربِيَّةِ والعالميَّة، خُصوصاً أَنَّها لا يَفصِلُها إلا أُسبوعٌ عَن تَوقِيع مُعاهَدَة الحِمايَة عَلى تُونس، وأَمَام هذا الوَضعِ سَارَعَت السُّلُطاتُ الفرنسيَّةُ إلى نَشْرِ الأَكاذِيب، وذلك لإِضْعافِ صَدى انتِصار بوعمامة على القُوَّاتِ الفرنسيَّةِ، ولِرَفْعِ مَعنويَّاتِ الجَيشِ الفِرنسيِّ المنهَزِم، وَمِن ذلكَ ما نَشَرتْه جَريدةُ يَقَظَة مُعسكر Réveil de Mascara.[4]

ظَلَّ بوعمامة طِيلَةَ هذه المدَّة سَيِّدَ الموقِف، حَيث أَخَذَ يَجوب كلَّ المنطِقَةِ الوهرانيَّةِ مِن 30 ماي إلى 21 جوان، قَاطِعاً خِلالَها ما يُقارِبُ سبعَمائةٍ وثَلاثِين كيلومتراً [5]، وضَمَّت هذه المسافَةُ الخَطَّ الرَّابِطَ بَين البَيِّض وسْتيتَن، ثُمَّ سيدي عبد الرَّحمن حتَّى سعيدة شمالاً، لِيَعودَ ثانيةً إلى قَصرِ بُوسمغون قاطعاً الخطَّ الرَّابِط بَين سعيدة وَالخيثر، ثُمَّ الخَطَّ الممتَدَّ مِن المشرية إلى العين الصفراء، أَينَ

---

1 - بودواية مبخوت ، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ الثانية ،مقال سابق ، ص 357.

2 ـ عبد الحميد زوزو ، مرجع سابق ، ج1 ، ص12.

3 - إبراهيم مياسي ،توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881- 1912 ،مرجع سابق ، ص 95.

4 - بودواية مبخوت ، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيد الشيخ الثانية ،مقال سابق ، ص 358.

5 ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر ،مرجع سابق ، ص 172.

بَرهَنَ بوعمامة مَرَّةً أُخرى على تَفَوُّقِه على القُوَّاتِ الفِرنسيَّة[1]، كَما قَامَ الثُّوَّارُ خِلال هَذه المسِيرةِ بِقَطعِ خُطوطِ التيلغراف الرَّابِطَةِ بَينَ فرندة وجارفيل (البَيِّض)، ومُهاجَمَةِ مَراكِزِ الشَّرِكة الفرنسيَّة- الإسبانية للحُلَفاء، وقُتِلَ العَديدُ مِنَ العُمَّالِ الإسبانِ الذين يَشتَغِلون بِهذِه الشَّرِكة، وَأُحرِقَ عَتادُها[2].

والجديرُ بالذِّكرِ أنَّ انتِصاراتِ الشيخُ بوعمامة في هذه الفَترة، جَعلَت عِدَّةَ قَبائِل تَنضَمُّ إليه، مِمَّا أَثار القُوَّات الفرنسيَّةَ التي رَاحَت تَحتَ قِيادَة العَقيدِ " نيقريي" تَنتَقِمُ مِن هَذه القَبائل المناصِرَةِ لِبُوعمَامة، حَيثُ أَقدَم هَذا العقيدُ في يَوم 15 أوت 1881م، إلى ارتِكابِ أَعمَالٍ شَنيعَةٍ في حَقِّ السُّكَّانِ، ثُمَّ أَقدَم بِنَوعٍ مِن العَجرفَة على تَفجِير قُبَّة سيد الشيخ كُلِّيَّةً ونَبشِ قَبرِه، حَيث كان يَهدِف مِن وَراءِ ذلك إلى ضَربِ رَمزِ المقاوَمة التي يَقُودُها أولاد سيد الشيخ، و إلى الانتِقَام لِما لَحِق بِالجَيش الفِرنسيِّ مِن ضَرَرٍ بِسَبَبِ هذه الزَّاوية[3].

وفي شَهريْ سِبتمبر وأُكتُوبَر تَعَرَّضَ الجنِرال "كولونيو" الذي كان يَقودُ فَيالِقَ مِن القُوَّاتِ الفِرنسِيَّةِ، إلى كَمِينٍ نَصبَه الثُّوَّارُ قُربَ العين الصفراء، أَسْفَرَ عَن خَسارَة الجنرال لِقُوَّةٍ مُعتَبَرَةٍ مِن الجنود، وعَقِبَ هذا الانتِصَارِ الذي حَقَّقَهُ بوعمامة عَمَدَت قُوَّةُ "لويس" إلى تَحطيمِ قَصْرَيْ بُوعمامة في مغرار الفوقاني ومغرار التحتاني، حيث أُحْرِقَ القَصران كُلِّيَّةً، ودُمِّرَت الزَّاوية، وقُتِلَ الكَثيرُ مِن الأَهالي، كَما قَامَت الفِرَقُ العَسكرِيَّةُ الفِرنسيَّةُ تَحت قِيادَةِ الجنرال "دليباك" بِشَنِّ حَملَةِ انتِقَامٍ مِن سُكَّان منطقة عمور[4].

ومِنَ التَّطَوُّراتِ الهامَّةِ التي كانَت خِلالَ هذه المرحَلَةِ، انضِمامُ شَخصِيَّتَين مُهِمَّتَين إلى ثورة بوعمامة[5]، وهما السي سليمان بن قدور رئيسُ فرعِ الغرابة لأولاد سيد الشيخ، والسي قدرو بن حمزة زعيمُ فرعِ الشراقة من أولاد سيد الشيخ أيضاً[6]،مِمَّا أَكسَبَ الثَّورَةَ دَعْمًا بَشَرِياً ولوجستيكِياً مُهِمًّا زاد

[1] - بودواية مبخوت ،الشيخ بوعمامة الرجل المتصوف والمجاهد ،مجلة حوليات المؤرخ ،العدد الأول ، 2002 ،ص 277.

[2] -DJILALI.Sari :« l'implantation coloniale dans le sud oranais et l'insurrection de bou-amama (1881-1882) », revue et ET-TARIKH , center national D'études historiques , 2 me semestre , Alger , 1981 , p 39.

[3] ـ يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص ص 306-307.

[4] - نفس المرجع ،ص 307 – إبراهيم مياسي ، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية ،مرجع سابق ،ص ص 295 302.

[5] ـ إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 179.

[6] ـ إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 179.

قُوَّتَها، وَهذا ما انتبَهَت له السُلُطاتُ الفِرنسيَّةُ التي بَدأَت تَميلُ إلى سِياسَة اللِّين والتَّفاوُض، لِتَبدَأ بذلك المرحلةُ الثَّانِيَةُ مِن هذِه الثَّورة.

## ب/ المرحلة الثَّانية 1883-1908م :

سَادَ الثَّورَةَ خِلالَ هذه المرحلةِ بَعضٌ مِن الفُتورِ لَمْ تَشهَدْهُ مِن قَبلُ، فَقد استَقَرَّ الشيخ بوعمامة بِمسْقَطِ رَأسِه بفقيق التي وَصَلَها في شَهر جويلية مِن سنة 1883م[1]، حيث عمل على إعَادَة تَنظِيم وتَطهِير أَتبَاعِه[2]، خَاصَّةً وأَنَّه بَدَأَ يَشُمُّ رائِحَةَ الخِيانَة مِن الفَرعِ الشَّرقِيِّ بِقِيادة قدور ولد حمزة، هذا الأخير الذي بَدأ يَتَفاوَضُ مَع الفرنسيِّين حَول إيَقافِ الثَّورة.

وفي نَفس الوَقتِ كانَت السُّلُطاتُ الفِرنسيَّة تَعمَل عَلى فَرضِ مَنطِقِها العسكريِّ في المنطقة، وذلك بِتَثْبيتِ الموالين لَها مِن أولاد سيد الشيخ، حتَّى يَسهُلَ عليها الانتقال إلى أبعَدَ مِن ذلك في صحراء الجنوب الجزائريِّ، والقَضاءِ على حالَةِ الحَربِ والانتِفاضَةِ الدَّائِمَةِ التي كَلَّفَتْ الفِرنسيِّينَ خَسائِرَ في الأَرواحِ والمالِ، فاهْتَمَّت الإدارةُ الفرنسيَّةُ مُنذُ سَنَةِ 1884م ، بِإِنجَازِ العَديدِ مِن المشاريع بَعد أَن تَحصَّلَت على مُساعَداتٍ ماليةٍ مِن مَجلِسِ النُّوَّاب الفرنسيِّ، مِن أَجل تَثْبيتِ قَدَمِها في المنطقة الجَنوبيَّةِ مِن التَّلِّ الوهرانِيِّ، فَمدَّت خَطَّ السِّكَّة الحَديدِيَّةِ إلى العين الصفراء، وأَقامَت الحُصونَ، والمراكِزَ العَسكرِيَّةَ في مُختَلَفِ المناطِق بَعدَ أَن تَبَيَّنَ لَها أَنَّ حامِياتِ البَيِّض، والأَغواط، وغرداية، غَيرُ قادِرَةٍ عَلى حِمايَةِ المِناطِقِ الشَّاسِعَة مِن الصَّحراء.

أَمَّا بوعمامة فَقَد اختَارَ طَرِيقاً آخرَ للجِهادِ، حَيثُ عَمِلَ عَلى نَشْرِ رُوحِ التَّحَرُّرِ الفِكرِيِّ بَين أَتباعِه وأَنصَارِه، حَيثُ استَقطَبَت زاوِيَتُه المتَنَقِّلَة العديدَ مِن الأَتْباعِ حتَّى أَصْبحَ أَكثَرَ قُوَّةً مِن ذي قَبل، مِمَّا جَعَلَ كُلًّا مِن السُّلطات الفرنسيَّةِ والحُكومةِ المغربيَّةِ يَسعىَ إلى التَّقَرُّبِ مِنه، فَتَجَدَّدَت مُحاوَلاتُ الفِرنسيِّينَ للاتِّصالِ به عن طريق المفَوِّضِيَّةِ الفرنسيَّة بِطَنجَة سنة 1892 م مِن أَجْلِ التَّفاوُضِ حَول قَضيَّة الأمان[3].

---

1 - إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية، مرجع سابق ،ص 303.

2 - نفس المرجع، نفس الصفحة .

3 ـ "الأمان" هو تعهد من سلطات فرنسا إلى بوعمامة بالإحترام و الصلح و هو أشمل من الهدنة ، بحيث تدخل في إطاره حرية التنقل.للمزيد حول الموضوع ينظر : مضمون الوثيقة في كتاب عبد الحميد زوزو ، مرجع سابق ، ج2 ، ص 12.

لا شك أنَّ هذِه الفَترَةَ كَانَت كافِيَةً لِبوعمامة لِيَجمَعَ جَيشاً وَيُنَظِّمَه أَيَّمَا تَنْظِيم، وخَاصَّةً بَعد أنْ عَزَّزَ مَوقِفَه السِّياسِي أَيْضا بِزِيارة الوُفُود الرَّسمِيَّة[1]، فَكَان مِمَّا بَقِيَ مِن أَمرِ ثَورِته أَنْ تَوجَّهَ إلى الشَّمال نَحو وجدة التي قَصدَهَا لِيُعَبِّئَ جَيشَهُ حَتَّى يَتَمَكَّنَ مِن دُخولِ المعركَة الحاسمة، إلَّا أنَّهُ نَكَبَ عن مَسارِهِ هذا بفِعلِ الظُّروفِ التي شاكَسَتْهُ ، وسَنَطرُقُ فيما يلي تَحالُف الشَّيخ بوعمامة مَع الثَّائر بوحمارة، وما كان بعدها مِن أَحدَاثٍ.

- **علاقة الشيخ بوعمامة مع سلاطين المغرب:**

إنَّ الشّيخ بوعمامة يَنتَمِي إلى فَرعِ الغرابة مِن أولاد سيد الشِّيخ، هذا الفَرعُ الذي صَنَّفَتْه الاتِّفاقِيَّاتُ الفرنسيَّةُ المغربِيَّةُ، لاسيَّما اتِّفاقِيَّةُ " لالَّة مغنية " المبرَمَة في صَيفِ 1845م ضِمْنَ قَبائِلِ المغرِبِ الأَقْصَى، وَهُوَ زِيَادَةً على ذلكَ مَغرِبِيُّ الميلاد، غَيرَ أَنَّهُ أَبَى إلَّا أنْ يَكُونَ ثَائِراً جَزائرياًّ، سَخَّرَ حياتَه للذَّوْدِ عَن صَحراءِ أَجدادِه أولاد سيد الشيخ، فَكَانَت ثَورتُه الطَّويلَةُ ضِدَّ الاستِعمَار الفِرنسيِّ بِمثابَة شَهادةِ ميلادٍ تُثبِتُ انتماءَهُ الجزائريَّ، وَقد قُذِفَ هذا الرَّجُلُ بِنُعوتٍ لا تَليقُ بزاهدٍ مُجاهدٍ كَرَّسَ حياتَه للذَّوْدِ عَن حِمَى المسلمينَ في هذه الدِّيارِ، فَنُعِتَ بِالفَتَّان، والخائِن، وغيرِها مِن الصِّفات القبيحَةِ، وزِيادَةً على ذلكَ فَقَدْ غُيِّبَ اسمُهُ مِن كُتُبِ التَّارِيخِ المغرِبِيَّةِ، رَغْمَ مَا سَطَرَهُ مِن صَفَحاتٍ بَلِيغَةٍ مُبينَةٍ في جِهاد العَدُوِّ، وتَعْطِيل دخولَ الاستِعمارِ إلى المغرب سِنينَ طِوالاً. إنَّ مِثْلَ هَذا التَّغْييبِ لِبوعمامة في تَاريخِ المغربِ الأَقْصى يُثِيرُ عِندَ البَاحِثِ في هَذا المجال أَكْثَرَ مِن تَساؤُلٍ حَولَ أَسبابِه وأَهْدَافِه.

لَم يَمْنَعنا عَدمُ تَوفُّرِ المعطَيَاتِ الكافِيَةِ حَولَ مَوضُوعِ عَلاقة الشيخ بوعمامة بالسُّلُطَاتِ المغرِبيَّةِ، مِن اسْتِنْطاقِ بَعضِ رَسائِلِ الشّيخ بُوعمامة، فَتَبَيَّنَ لنا مِن ذلكَ أنَّ عَلاقَتَهُ مَع سَلاطِينِ المغْرِب كَانَتْ في بِدايَتِها علاقَةً حَسَنَةً، وهذا مَا نَلمَسُه مَثَلاً مِن الرِّسالَةِ التي وَجَّهَهَا إلى السي قَدُّور بن حمزة: **«... والحَمد لِلَّهِ عَلى هَذه السَّعَة التي أَنتُم هانِيين أخينا سيد قدور بن سيدنا حمزة، وعليك السلام والرَّحمَةُ والبَركَة تَعمُّك وتَعُمُّ مَن هُو مِنكَ فإليك، أعلمك الله خير وعافية فإنَّ الأبرار مُتَقاتِلين بَينَهم أيات وأحليم والمخزن عِندَهم، وكذلك المخزن عند سيد محمد العربي من أجل الكُفَّارِ قالوا لمولاي الحسان لا نؤمن في سيد محمد العربي إلا إذا تضمنه أنه متفق مع سيدي قدور بن حمزة، أو**

[1] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ، ص 188.

**بوعمامة لابد لك أن تضمنه.. »**[1]، وَيَظهَرُ مِن خِلالها أنَّ بوعمامة كان في هَذه الفَتْرَة مَحطَّ اهتِمامِ واحترام السُّلطان الحسن، كَمَا نَلمَسُ هذا أَيضاً في رِسَالتِه إِلى الشَّعانِبة حَيثُ يقول بوعمامة فيها: « .. **إنَّ هَذا الناس الذي ءاتون يعني المقاديم أن الذي رسلت له لآجل الفقيه متاع السلطان نصره الله ..»** [2]، وَيبدُو أيضاً مِن هذِه الرِّسالة المؤرَّخَة في 28 جمادى الثاني 1298هـ /27 ماي 1881م، أنَّ بُوعمامَة كان يُكِنُّ للسُّلطانِ الحَسن الاحتِرامَ والتَّبْجِيل، وهَذا ما نَستَشِفُّهُ مِن عبارةِ : نَصَرَه الله.

وبَعدَ وَفاةِ السُّلطان الحَسن سَنة 1894م ذَكَّرَ بوعمامةُ السُّلطانَ عَبدَ العَزيز مُعتَلِيَ العرشِ بِالعلاقاتِ الحسَنةِ التي رَبَطَتْهُ مَع وَالِدِه، حَيثُ أرْسَلَ لَهُ رِسَالةً جَاء فِيها ما نَصُّه: **«..إنَّ خادِمَكُم المتَواضِع يَلتَمِس حمايتَكم ويترجَّى عطفَكم في الحاضِر كما في السَّابق، لِيَعُمَّ كامِل المتوجِّهين إلى بَلدِكم الكَريمِ، كَما يترجَّى مُعاملَتَهم بِكُل تَقدير، وتَوصِية جميع مَن هُو تَحتَ أَمركِم بِهم خيراً في أرجاء المملكة، ويرغب في التَّجديد مَع جَلالتِكم روابطَ المحبَّةِ القائمة مُنذ عهد سيدنا مولاي الحسن..**[3]» . ويبدو مِن خِلالِ الرِّسالةِ أنَّ عَلاقَةَ بوعمامة كانت جَيِّدَةً في عَهد السُّلطان الحَسَن، وبَعدَ وُصولِ السُّلطانِ عَبد العزيز إلى الحُكم، بَدأَ التَّضييقَ على أَتْباع بوعمامة واحتِقارَهم، فَما كان مِن هذا الأَخير، إلّا أَنْ وَجَّهَ هذه الرِّسالةَ لِكَفِّ أَذَى عُمَّالِه عَليه.

وكانت استراتيجيَّة بوعمامة لِمَنْعِ مُلاحَقَةِ الفِرنسيِّينَ لَه في الأراضي المغربِيَّة، إظهارَ ولائِهِ للسُّلطَةِ المغربِيَّة، وهذا ما وَقَفْنَا عَليهِ مِن خِلالِ الرِّسَالَةِ التي وجَّهَهَا إلى الحاكِم العامِّ الفرنسيِّ بِالجزائر المؤَرَّخَةِ في 17 جانفي 1896م :**«...نحن أُناس مساكين لا نُحِبُّ فِتنةً ولا نَقدر عليها إنَّنا في طاعة سيدنا السلطان مولاي عبد العزيز نصره الله... »** [4]. ويَظْهَر أنَّ بوعمامة كان يُريد بِهذا إِثْناء الفرنسيِّينَ عَن مُلاحَقَتِه، خاصَّةً أنَّه يَعرِفُ عَدَمَ إمكانِ الفرنسيِّين تَتَبُّعَ رَعِيَّةٍ مغربِيٍّ عَلى أَراضِي المغرب.

---

[1] ـ عبد الحميد زوزو ، مرجع سابق ، ص 53.

[2] ـ للاطلاع على النص الكامل للرسالة ينظر الملحق رقم :19

[3] ـ نفس المرجع ، ص 52.

[4] -عبد القادر خليفي، مقال سابق، ص ص 111 112.

- **ثورة بوعمامة والعلاقات الفرنسيَّةُ المغربيَّةُ :**

تابَعَت السُّلُطاتُ الفرنسيَّةُ بِاهتِمامٍ زَائِدٍ تَحرُّكاتِ الشيخ بوعمامة الثَّائِرِ الجزائريِّ اللاَّجئ في الأراضي المغربيَّةِ، وعَلاقاتِه مَع المخزَن، حيث كانَ اعْتِرافُ المولى الرشيد أكبَرِ أَبناءِ محمَّد بن عبد الرَّحمن وأخي السُّلطانِ الحسَن الأَوَّل بِالشيخ بوعمامة، فَضلاً عَن تَقدِير أَشرافِ تافيلالت له[1]، محَلَّ مُتابَعَةٍ مِن السُّلطاتِ الفرنسيَّةِ التي لَم يَرُقْ لها ذلك خَوفاً مِن تَعاظُم قُوَّتِه، فَسَارَعَتْ إلى الضَّغْطِ كَعادتِها عَلى القَصْر المَلَكِيِّ، فَفي رِسَالةٍ وَجَّهَها "برتليمي سان هلان" المكَلَّفُ بِالشُّؤُون الفرنسيَّةِ بِالمغرِب إلى محمَّد برقاش مُمَثِّلِ السُّلطانِ بِطَنْجَة، مُتَسائِلاً عَن الأَخبَار الرَّائِجَةِ في إِقْدامِ سُكَّانِ مَنطِقَةِ تافيلالت عَلَى مُساعَدَةِ بوعمامة، ويُحَذِّرُه مِن هذا العمل إنْ صَحَّ[2].

و قَد تَظاهَرَ برقاش بِأَنَّهُ فُوجِئ بِالأَخبَارِ التي تَضَمَّنَتْهَا الرِّسَالَة:« **...بأنَّ هذا العمل لن يَقبَلَه جلالةُ الملك، وبِأَنَّهُ لا يَتصور أن يكون هذا قد حَدثَ عِند أَشرافِ تافيلالت الذين هُم مِن الأُسرة المالكة ...** » . وَمِن جِهَتِه رَدَّ المكَلَّفُ الفِرنسيُّ على برقاش بِأَنَّه في حَاجَةٍ إلى دَليلٍ صَادِقٍ، لا إلى عِباراتٍ رَنَّانَةٍ .

ومِمَّا يُثيرُ الدَّهشَةَ هُنا إلى جَانِبِ هَذَا النَّشاطِ الدِّبلوماسيِّ بَينَ فرنسا والمغرب في شأن بوعمامة، أنَّ الطَّرَفَيْن تَسابَقا في استِمالَتِه، والظَّاهِرُ أنَّ التَّنَافُسَ عليه بين الدَّولَتَيْن المغرِبيَّةِ والفرنسِيَّةِ يَندَرِجُ ضِمنَ استراتيجِيَّةِ كُلٍّ مِنهُما اتِّجاه المناطِق الصَّحراوِيَّةِ، فَكانَت السُّلُطاتُ الفِرنسيَّة تَسعَى إلى اسْتِمالَة بوعمامَة إلى جانِبِها للتَّوسُّعِ أَكْثَرَ في الصُّحراءِ، ولَعَلَّ ما يُثْبِتُ ذلك، الرِّسالةُ التي بَعثَ بِها الجِنرالُ سيسيي Saussier قائِدُ الفَيلَقِ التَّاسِعَ عَشَر إلى وزِيرِ الحَربِ الفرنسيِّ 17 ماي 1900م مُقْتَطَفَةً مِن رِسالةِ بوعمامة إلى السُّلُطاتِ المغرِبيَّة :« لَقَد أَعْطانِي الفِرنسِيُّونَ الأَمانَ، والهدفُ منه أن أُساعِدَهُم عَلى مُرورِ فِرَقِهم العَسكَرِيَّةِ في وادي زوزفانة... » [3]،كما كان المخزنُ المغرِبيُّ مِن جِهتِه يَهدِفُ مِن وراء ذلك إلى مَدِّ حُدودِه إلى واحاتِ توات، ففي سنة 1881م تَغَيَّرَت فَجْأَةً مَواقِفُ السُّلُطاتِ

---

[1] ـ عبد الحميد زوزو، مرجع سابق ، ص25.

[2] ـ نفس المرجع، ص 31.

[3] -عبد القادر خليفي، مقال سابق، ص 110.

المغْرِبيَّة إزاءَ الصَّحراء، بعد أنْ كانت المنطقةُ خَارِجَ حِساباتِ المخزن[1]، وهَذا مَا دَفَع في اعتقادنا السُّلُطاتِ المغربيَّةَ إلى عَرضِ الجِنسِيَّة المغربيَّةِ عَلى الشيخ بوعمامة، معَ الاستقرار بنَاحِية فقيق.

لا شَكَّ أنَّ هَذا التَّنَافُسَ بَين القُوَّتَيْن كانَ فِي صَالِح الشيخ بوعمامة، الذي تَعزَّزَ موقفُهُ السِّياسِيُّ أَيضاً بَعد زِيارَة بَعض الوُفودِ، كَزِيارَة مَبعوثِ السُّلطانِ العُثمَانِيِّ وَحَامِي الحَرَمَيْن الشَّريفَيْن، ومَبعُوثِ سُلطانِ المغرِب المولاي عَبد العَزيز، وحاكِمِ تافيلالت المولاي الرَّشيد، يُعَبِّرون لَهُ فيها عَن اعتِرافِهم به قَائداً على الصَّحراء[2].

وبِذلك اطْمَأَنَّ الشّيخ بوعمامة لِنوايا السُّلطانِ المغرِبِيِّ فَرَجَع إلى مَسقَطِ رَأسِه بِفقيق خِلالَ شَهْر سبتمبر سنة 1896م، ويَظْهَرُ أنَّ هَذا التَّقارُبَ قد أثارَ مَخاوِفَ السُّلُطاتِ الفِرنسِيَّةِ مِن جَديد، خاصَّةً بَعد الاعتِرافِ بِه زَعيماً لِأولاد سيد الشيخ، وَمُشْرِفاً على المنطِقَة الصَّحراوِيَّةِ، وهو بذلك يُعتَبَرُ سَدًّا مَنيعاً فِي وَجه التَّوسُّعِ الفِرنسيِّ فِي المنطقةِ، لذلك حاولَت السُّلُطاتُ الفِرنسيَّةُ استِمالَتَهُ لِبَسْطِ نُفوذِها عَلى الصَّحراءِ، فَقَرَّرَ الوالي العامُّ "لافريا" يوم 16 أكتوبر 1899 م مَنْحَ الشيخ بوعمامة الأَمانَ التَّامَّ بِدُونِ أيِّ شَرطٍ أَو قَيْدٍ، وَذلك حتَّى يَتَمكَّنَ مِن إتْمامِ مَشاريعِهِ الاستِعمارِيَّةِ في الصَّحراءِ.

وجُمْلَةُ القَولِ فِيمَا تَقَدَّمَ إذاً، أنَّ فرنسا قَد عَمِلَت كَعادتِها بِفَضْلِ حِنكَتِها الدِّبلوماسيَّةِ، عَلى ضَرب العلاقَةِ التي رَبَطَت رُموزَ المقَاوَمَةِ في الجَزائِر بَالقَصرِ العَلَويِّ ضَرْبَةَ لازِبٍ، وخاصَّةً أنَّها كَانَتْ تَعرِفُ أنَّ أَيَّ تَحالُفٍ بَين الطَّرَفَيْن قَد يُفْقِدُها مَكانَتَها فِي المنطِقَة، وحتَّى فِي مُستَعمَراتِها الأُخرى: تُونس، وموريتانيا، لِذا عَمِلَت على تَفْكيكِ هذه العلاقَةِ بِزَرعِ الفِتَنِ والخِلافات.

- **بوعمامة يَتَحالَفُ مَع بوحمارة ضِدَّ السلطان عبد العزيز:**

بَعد وَفاة السُّلطانِ المولى الحسَن سَنةَ 1894م، أَخفَى وَزيرُه أحمد بن موسى خَبَرَ مَوته، وبَعْدَ أَيَّامٍ أَعْلَنَ البَيْعَة لِعبد العزيز أَصغَرِ أَبناءِ السُّلطان، والذي كان لا يَتَجاوَزُ الرابِعَةَ عَشْرَةَ مِن عُمرِهِ يَومَها، بِدَعْوى أنَّ السُّلطانَ أَوصَاهُ بِذلك، وقَامَ باعتِقالِ ابنِهِ البِكْرِ أَحمد المرَشَّح لِخلافَةِ أَبيه، ولَمَّا كان السُّلطانُ عَبدُ العزيز حَديثَ السِّنِّ، فَقَد استَبَدَّ الوَزيرُ أَحمَد بن موسى بِالحُكمِ مُدَّةَ وِصَايَتِه،

[1] - روس .إ . دان، المجتمع والمقاومة في الجنوب الشرقي المغربي 1881- 1912م، تر أحمد بوحسن، منشورات الزاوية، الرباط،، ط 2006، ص ص 180.

[2] ـ إبراهيم مياسي ، من قضايا تاريخ الجزائر ، ص 188.

حيث لَم يَنَلْ السُّلطانَ عبدَ العزيز مِن السُّلطةِ سِوى نِسْبَتِها إلَيه، وبَعدَ وَفاةِ الوَزير وَجَدَ السُّلطانُ نَفسَه خَاوِيَ الوِفاضِ، لا يَعرِفُ شَيئاً مِن أُمورِ الرِّياسَة والسِّياسَةِ، وبإيعازٍ مِنَ وُزَرائِهِ ومُستَشارِيه قَامَ السُّلطانُ الشَّابُّ بِأعمالٍ تُنقِصُ مِن هَيْبَتِه في أَعْيُن رَعِيَّتِه، وفي هذه الأَثْناء عَمِلَت الدِّعايَةُ عَمَلَها مُستَغِلَّةً الإشَاعَاتِ التي تَنْتَشِر خَارِجَ أَسوارِ القَصْرِ، مَدْعُومَةً بالصُّور التي كان يُرَوِّجُها اليَهُودُ في الأَسْواقِ، ومِنهَا صُوَرٌ لَهُ عَلى الدَّرَّاجَة، وأُخرى بِلِباسِ الجِنرال، وغَيرِها مِن الصُّوَر التي حَطَّتْ مِن قِيمَتِه وَوَقَارِه، كَما شَاع في بَعضِ المناطِقِ البَعيدَةِ أنَّ السُّلطانَ أَصبَح نَصرانِيًّا[1].

وفي هذه الظُّروفِ ظَهَرَ رَجُلٌ في شَرقِ البِلادِ يَدَّعِي أنَّهُ المولى أَحمد أَكبَرُ أَبناءِ السُّلطان الحسن، ولَمَّا كان هذا الرَّجُلُ يَتَمَتَّعُ بِالذَّكاءِ والفِطْنَةِ، وتظهَرُ عَلَيه علاماتُ الزُّهدِ والتَّنَسُّكِ، فَقَد خَلَبَ قُلوبَ المتَشَوِّفِين إلى الخَلاصِ مِن وَضْعِ الذُّلِّ والمسْكَنَةِ الذي آلَتْ إِلَيْه أحوالُ المغْرِب[2]، كَمَا تَنَقَّلَ مُدَّعِي العرشِ بَين القَبائِل يَنشُر أَفكارَ الثَّورَةِ للإطاحَة بالسُّلطان عبد العزيز[3].

وقد كان لِدِعَايَتِهِ أَثَرٌ كَبيرٌ في نُفُوسِ النَّاقِمينَ والحاقِدِين فَجَمَعَ بِذلِكَ جَيْشاً زَحَفَ بَه عَلى تَازَة التي اسْتَوْلَى عَلَيها بِسُهولَةٍ نِهَايَةَ سَنة 1902م ، ثُمَّ تَوَجَّهَ مِنها إلى فاس التي حَالَ دِفاعُهَا النِّظامِيُّ بَيْنَهُ وبَينها[4]، فَرَجَعَ عَنها إِلى تَازَة التي اتَّخَذَها عاصِمَةً لَه[5].

---

1 - إبراهيم كردية، ثورة بوحمارة 1902 1909م، شركة الطبع والنشر، الدار البيضاء، (د.ط)، (د.ت)، ص ص 12 15.

2 - إسماعيلي عبد الحميد العلوي، وجدة وآنجاد، مرجع سابق، ص 208.

3 - محمد الصغير الخلوفي، بوحمارة من الجهاد إلى التآمر المغرب الشرقي والريف 1900 1909م،دار المعرفة للنشر والتوزيع، الرباط، (د.ط)، 1993، ص ص 26 27.

4 - إسماعيلي عبد الحميد العلوي، وجدة وآنجاد، مرجع سابق، ص ص 208 209.

5- إبراهيم كردية، مرجع سابق، ص 41.

ذاعتْ أخبارُ ثَورَةِ الزرهوني الملَقَّبِ بِبُوحْمارة[1]في البِلادِ، واسْتَفاضَتْ في الصُّحُفُ التي بَدَأَتْ تَنْتَشِرُ في المدُن الكُبرى، وكَانَت الأَلْسُن تَتَناقَل انتِصاراتِه المتَتَالِيَةِ في أَرجَاءِ المملَكَةِ، وما إنْ حَلَّتْ سَنَةُ 1904م حتَّى اسْتَقْطَبَتِ الثَّورَةُ العديدَ مِن القبائل والشَّخصيَّات المعادِيَةِ لِسِياسَةِ السُّلطانِ عبدِ العزيز، ولَمَّا كان الشَّيخ بُوعمامة يَبْحَثُ عَن فُرصَةٍ للخَلاصِ مِنْ الوَضعِيَّةِ التي آلَتْ إِلَيْها ثَورَتُه في هَذِه الفَتْرَةِ، وخاصَّةً تحتَ الضُّغوطَاتِ الفِرنسيَّةِ المغربِيَّةِ، قَرَّرَ بوعمامة التَّحالُفَ مَع مُدَّعِي العَرش[2]، حَيْث تَكشِف الرَّسائِل التي كانَ يَتَبادَلُها أَحمد بن المنور ابنُ عَمِّ بُوعمامة مَع أُختِه "لالّا رَبيعة" زوجةِ بوعمامة، الأَسْبابَ التي دَفَعَت هذا الأَخيرَ للتَّحالُفِ مَع الزرهوني، وَمِنها شُعُورُ بوعمامة وأَتباعِه بِشَرْعِيَّةِ ثَورةِ مُدَّعِي العَرش، والتي كانت تُتَرجِمُ رَفْضَ السُّكان سِياسَةَ السُّلْطانِ عَبدِ العزيز الموالِيَةَ لِلأَجَانِب[3]. ومِمَّا لا شَكَّ فِيه أَنَّ التِحاقَ بُوعمامة بِثَورَةِ الزَّرهوني نَاتِجٌ عَن جَهلِ بُوعمامة بِحَقيقَة الرَّجُلِ الذي ادَّعَى أَنَّهُ مِن أَبْناءِ الحسن، وَلَعَلَّ مَا يُؤَكِّدُ ذلك الرِّسالةُ التي بَعَثَها بُوعمامة إلى قَائِدِ شُعْبَةِ مَغنِية المؤَرَّخَةِ في 04 ربيع الثاني 1322هـ / 19 ماي 1904م، وَ جَاءَ فيها : « ...**إنَّ مولاي محمد بن الحسن أحقُّ بالملك من أخيه عبد العزيز وأنَّ السلطات الفرنسية عليها أن تلتزم الحياد...**»[4].

وعَلى هَذا الأَساسِ اِنتَقَلَ بوعمامة إلى الشَّمَال، حَيثُ استَقَرَّ نِهايَةَ سنة 1903م بعيون بني مطهر[5]، ومِنها اِنْتَقَلَ إلى وجدة التي وَصَلَها في أفريل 1904م، وَأَوَّلُ عَمَلٍ قَامَ بِه هو حَملةٌ عَلى

[1] ـ عمر بن إدريس الجيلالي بن إدريس محمد اليوسفي الزرهوني الملقب ببوحمارة أو الروكي، ولد سنة 1860 في قبيلة أولاد بوسيف في قرية مولاي إدريس، تقدمه أغلب كتب التاريخ أنه ثائر مغربي نازع العلويين على حكم المغرب، حيث سيطر على شرق المغرب الأقصى واستقل به لمدة تزيد عن سبع سنوات، كانت عاصمته مدينة تازة، حيث كانت حجته أنه ادعى العرش وذلك أنه المولاي أحمد الابن الأكبر للسلطان الحسن، كان ضمن البعثة الطلابية التي بعثها المولاي الحسن إلى فرنسا و لما رجع عمل كمستشار على عامل مراكش توفي سنة 1909.ينظر محمد الصغير خلوفي، بوحمارة من الجهاد إلى التآمر،مرجع سابق- إبراهيم كردية، ثورة بوحمارة، مرجع سابق.

[2] - عبد القادر خليفي، مقال سابق، ص 117.

[3] ـ عبد الحميد زوزو، مرجع سابق ، ص 34.

[4] -إسماعيلي عبد الحميد العلوي، وجدة وآنجاد، مرجع سابق، ص 230.

[5]-Voinot .L: « Oudjda et l’Amalat (Maroc) »,Op. cit, p 528.

قَبيلَة البصير الموالِيَةِ لِلمَخزَن، وحَسَب التَّقارِير الفرنسِيَّة فَإنَّ استِقرارَ بوعمامة في الحُدود وَلَّدَ حالةَ اسْتِنفَارٍ مِن الجَانِبِ الفرنسيِّ[1].

نَجَح بوعمامة رفقَةَ مُدَّعِي العَرش في دَفْعِ سُكَّانِ مَنطقَةِ الحدود بِالجزائِر والمغرب إلى الثَّورةِ وحَمْلِ السِّلاحِ في صَفَّيْهِما[2]، حَيثُ اسْتَقْطَبَت دِعَايَةُ السي الطَّيِّب الابنِ الأَكبَرِ لِبوعمامة كُلَّ النَّاقِمِينَ عَلى سِياسَة المخزَن، كَما خَاضَ بُوعمامة بَعضَ المعارِك إلى جانب مُدَّعِي العَرشِ[3].

وبَعدَ سَنةٍ تَقرِيباً مِن تَحالُفِ الشّيخ بُوعمامة مَع مُدَّعِي العَرش، قَرَّرَ بوعمامة فَسخَ ما عَقَدَه مَع بوحمارة، حيث تُشيرُ بَعضُ المصَادِر إلى حَالة الفُتُور بَين بوعمامة ومُدَّعِي العَرش مَطلَعَ سنة 1905م، وحَسب voiant فَإنَّ سَبَب ذلكَ أنَّ بوعمامة اسْتَقبَلَ رِسالةً مَع هَدايا مِنَ السُّلطانِ عَبد العزيز، مَا جَعَلَه يَتَراجَعُ عَن تَأْييد بوحمارة، والأَكثَرُ مِن هَذا نَصح ابنَهُ السي الطَّيب[4]بالاسْتِسْلامِ[5]، ويَظهَر هَذا أَيضاً مِن خِلالِ الرِّسالَةِ التي بَعثَها أَحمد بن محمد الطريس إلى السُّلطانِ عَبد العزيز المؤَرَّخَةِ في 04 رمضان 1223هـ/ 01 نوفمبر 1905م، والتي جاء فيها: **« ...وأنَّه حين أراد النُّهوضَ (أي بوحمارة) كَتَب لأبي عمامة بأنَّه إن كان مُرادُه في مُصاحَبتِه فليُقدم عليه، وإن كان مُراده الجلوس فليدبر على نفسه وإنَّ أبا عمامة أجابه بأنَّه سينظر في أمره... »**[6]، ويبدو أنَّ بوعمامة بَدَأَ يَشُكُّ فِي حَقيقَةِ الرَّجُلِ، فَقَرَّرَ الابتِعادَ عَنه.

تَرى بَعضُ المراجِعِ أنَّ سَبَب اسْتِسلام السي الطَّيب ابنِ بوعمامة يَعودُ إلى خِلافٍ نَشَبَ بَينَهُ وبَيْنَ بوحمارة في غِيابِ والِدِه، مِمَّا دَفَعَ هَذا الأَخيرَ إلى الاتِّصال بالسُّلطانِ عبد العزيز الذي أَمَر بِسَجْنِه عَلى الفَوْرِ ظَنًّا مِنهُ أنَّها مَكيدَةٌ، وهكذا فَقَدَ الشيخ بوعمامة أَحَدَ أَهَمِّ رَكائِزِه التي كان يُعَوِّلُ عَلَيها، كَما أَصبَحَ السي الطَّيب مَحَلَّ مُساوَمَةٍ مِن أَجْلِ كَفِّ بوعمامة عَن مُسانَدَةِ الثَّائِر بوحمارة.

---

1 -Ibid, p 529.

2 ـ يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر، مرجع سابق ، ص 311.

3 ـ عبد الحميد زوزو، مرجع سابق ، ص 36.

4 - جاء في تقييد الحجوي أن السي الطيب ابن بوعمامة سلم نفسه في 20 ربيع الثاني 1322هـ/ 04 جويلية 1904م، إلى حاكم مليلية ، ثم نقل إلى وجدة.ينظر: خليفة حماش، ص 247 ، نقلاً عن محمد بن الحسن الحجوي، انتحار المغرب الأقصى، مخطوط ميكرو فيلم ح 123 ص 84 85.

5- Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Op. cit, p 538.

6- خليفة حماش، مرجع سابق، ص 320.

وعَقِبَ هَذه الأَحداثِ عَسْكَرَ بوعمامة في بني بوزقر، وبَقِيَ هناكَ عِدَّةَ شُهور دون نَشاطٍ، ونَظَراً لمطارَدَةِ قُوَّات الفرنسيِّينَ لَه، وَكِبَرِ سِنِّهِ، أَصبَحَ يَشعُرُ بالتَّعَبِ والإِرْهاقِ، فَأَخَذَ يَكتُبُ الرَّسائِلَ إلى السُّلُطات الفرنسيَّةِ في الجَزائِر طَالِباً الأَمانَ، والتَّوسُّطَ لَدى سُلطان المغرب لِيُطلِق سَراحَ ابنِه السي الطَّيِّب، فَلَبَّت رَغْبَتَه، لكنَّها نَقَلَت اِبنَهُ إلى الأَغْواط حتَّى لا يَلْتَحِقَ بِأَبيهِ، وقَضى بُوعمامَةُ مَا بَقِيَ مِن حَياتِه مُعتَكِفاً في زاوِيةِ سيدي ملوك، حتَّى اسْتَأْثَرَ اللَّهُ به في يَومٍ مِن أيَّامِ شَهر أكتوبر 1908م[1].

---

[1] ـ يحيى بوعزيز ، مرجع سابق ، ص 314.

## المبحث الثالث:

## الحمَايَةُ الفرنسيَّةُ الإسبانيَّةُ على المغرب، وانعكاساتُها على العلاقات الجزائريَّة المغربِيَّة

- **قَرارُ الحِمايَة الفِرنسيَّة الإسْبانيَّةِ على المغربِ، المنهجُ والتِّقنيَّات :**

عاشَ المغربُ الأَقصَى مَع نِهايَةِ القَرنِ التَّاسعَ عَشَرَ، وبِداية القرن العشرين جُملَةً مِنَ الأَحْداثِ والتَّغيُّراتِ التي أَفرَزَتْها التَّطَوُّراتُ الدَّوليَّةُ والمحلِّيَّةُ، ومِنْها التَّكالُبُ الاسْتِعماريّ الإمْبرياليُّ على تِجارتِه وثَرواتِه، وكذلكَ التَّهديدُ المباشِرُ مِن فِرنْسا الجارَة الشَّرقيَّةِ مُنذُ احتِلالِها الجَزائِرَ سَنة 1830م.

كما تَمَيَّزَتْ هذه الفَترةُ مِن تَاريخِ المغرِبِ بمستَجَدَّات كَثيرةٍ، مِنها إعادَةُ النَّظَرِ في بِنْيَتِهِ التَّقليديَّةِ المتَجاوَزَة، وحَتميَّةُ إدخَال إصلاحاتٍ عميقةٍ عَلَى المؤسَّسَةِ المخزَنيَّةِ، وكَان ذلك بُغيَةَ الوُقوفِ أَمامَ المدِّ الاستِعمارِيِّ الأُوروبِيِّ، وَالمحافَظَةِ عَلى سِيادةِ واستِقْلالِ المغرِب، وفي المقَابِل تَبَنَّت الدُّوَلُ الاستِعماريَّةُ جُملَةً مِن الاستراتيجِيَّاتِ لِشَلِّ بَوادِرَ الإصْلاحِ الذي بَاشَرَهُ سَلاطينُ الدَّولةِ.

وتُعَدُّ الامتيازاتُ الأَجنَبيةُ واحِدةً مِن المظاهِر الخَطيرةِ التي واجَهَت المغربَ الأَقصى وغيرَهُ مِن الدُّول الإسلاميَّةِ، وتَحَكَّمَت في مَسارِ تاريخِهِ الاقتِصادي والسِّياسي، وخاصَّةً خِلالَ النِّصفِ الثَّاني مِن القرنِ التَّاسِعَ عَشرَ وبِدايةِ القرن العشرين، فَلَمْ تَكُنْ هَذه الظَّاهِرةُ خاصَّةً بالمغرب الأَقصَى وحدَه، بَل مَسَّتْ عدَداً مِنَ الدُّوَل العربيَّةِ كمصرَ وتونس[1].

وَسِياسَةُ الامتِيازاتِ الأجنبِيَّةِ التي أَكَّدَها مُؤتَمَرُ مدريد المنعقد سنة 1880م، نَشَأَت عَن عُرفٍ كَوَّنَهُ الأجانِبُ جَرَّاءَ غَفْلَةِ المغاربة[2]، وهي تَقريباً نَفسُ المناهَجِ، وذاتُ التِّقنِيَّاتِ التي طُبِّقَتْ قبل هذا على تونس[3].

إنَّ قَضِيَّةَ الامتِيازاتِ بَدأَتْ ولَو بِصورةٍ غَيرِ واضِحةٍ خِلالَ حُكمِ السُّلطان محمد بن عبد الله (1757-1790)م، الذي تَميَّزَ بِسياسَةِ الانفِتاحِ وَتَطوِير علاقاتٍ خَارِجيَّةٍ مَع الدُّوَلِ الغربِيَّة خاصَّةً

[1] -هند محمد العبد الله المطلق، الامتيازات الأجنبية وأثرها على استقلال المغرب الأقصى (1273-1330)هـ، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة الملك عبد العزيز، المملكة العربية السعودية، 2008، ص ص 1 2 .

[2] - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء،1983، ص 99 .

[3] - أحمد عبيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية (الجزائر,تونس,المغرب) ، ط1 ، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر ،2010 ، ص 219 .

في المجالِ التِّجارِيِّ، إذْ اشْتَهَرَ هذا السُّلطان بِعَقْدِ اتِّفاقِيَّاتٍ تِجارِيَّةٍ مَع دُوَلٍ أَجنَبِيَّةٍ مُختَلِفَةٍ، بُغيَةَ تَسهيلِ التَّبادُل التِّجارِيِّ[1]، ومِنْ ثَمَّ كانَت الامتِيازاتُ سِياسَةً اختِيارِيَّةً، ولا تُشَكِّلُ في ذلك الوَقْتِ أَدْنى خَطَرٍ عَلى سِيادَةِ المغرِبِ وَوِحدَتِه التُّرابِيَّةِ، وَذلك بالموازاةِ مَعَ ضُمورِ الأطماعِ الاستعمارية الإمبريالية آنَذاك.

لَقَد فَتَحَتْ هَذه الاتِّفاقِيَّاتُ البابَ عَلى مِصراعَيْهِ لِبَقِيَّةِ الدُّوَلِ الأَجنَبِيَّة لِتُطالِبَ بِامتِيازاتٍ مُماثِلةٍ لِما مَنَحه المغربُ لِلجالِيَةِ البريطانيَّة، ثُمَّ تَطاوَلَت الأَعناقُ إلى المزيدِ بَعدَ مُعاهَدَتَيْ 1860م و1861م مع إسبانيا، ومُعاهَدَةِ التَّسوِيَة عام 1863م مع فرنسا، حَيثُ أَدخَلَت هذه الاتِّفاقِيَّاتُ تَحَوُّلاتٍ عَميقَةً على سُلطَةِ القَناصِلِ، إذ بَعدَما كانَ القَناصِلُ يَدفَعونَ حَسَبَ الأَعرافِ المعمُولِ بِها عَن مَصالِحِ جالِياتِهِم، أَصبَحُوا يُدافِعون عَن مَصالِحِ رَعَايَاهُم المغارِبَةِ تَحْتَ غِطاءِ "نِظَام الرِّعايَةِ القُنصُلِيَّة"[2]، الذي عَبَّدَ الطَّريقَ لِتَجاوُزاتٍ خَطيرَةٍ، وأَصْبَحَ مَحلَّ مُتَاجَرَةٍ فِعليَّةٍ، فَكَانَ الأورُبِّيُّون يَبيعُونَ الحِمايَةَ ثُمَّ يَسْتَغِلُّونَها في ابْتِزازِ المحْمِيِّينَ.

ومِمَّا زادَ في تَعقيدِ مَشاكِلِ المغرب لُجُوؤُه إلى الاستِدانةِ لِتَغطِيةِ المصاريف الكبيرةِ التي فَرَضَتْها مُباشَرَتُه إصلاحَاتِه، والتي تَقصُر ميزانيَّتُه عن الوفاء بها، وَتَجدُر الإشارة هنا إلى أَنَّ مِثلَ هذه الإصلاحاتِ التي مَكَّنَتْ مِن تَنامِي التِّجارَة الأُورُوبِّيَة بِالمغرِب، قَد سَاهَمَتْ بِدورِها في إِضعافِ الحُكمِ السُّلطاني ذاتِه، بالنَّظَر إلى عَدَمَ التَّوافُق بَين قَواعِدِ التِّجارَةِ الأُورُبِّيَّةِ وأحكام الشَّرِيعَةِ الإسْلامِيَّة، حيثُ ظَهَرَت هذه الإصلاحاتُ كانْحِرافٍ ومَساسٍ بالإسلامِ في نَظَر المجتمع المغربِيِّ، وهَكَذا كُلَّما كَانَ البَلَدُ يَنْفَتِحُ عَلى السِّياسَةِ الأُورُبِّيَةِ، كَان السُّلطان يَغْرَقُ في اللَّا مَشْروعِيَّة[3].

وفي المقابِل فإنَّ هذه الإصلاحاتِ التي اسْتَدَرَّت اسْتِياءَ الجَماهِيرِ، خلَّفَت دُيُوناً كَثيرَةً، وحَطَّمَت الماليَّةَ المغرِبيَّةَ، مَع عَجزٍ تِجارِيٍّ مُنذُ 1887م.

---

[1] - مصطفى بطراوي، "الامتيازات الأوروبية في المغرب الأقصى ظهور تطورها خلال القرنين 18 و19 "،مجلة الحكمة، العدد12 ،السنة 2017، ص 132.

[2] -إن الرعاية هي رباط قانوني ينشأ ما بين دولة أوربية و مواطن مغربي من اجل إفادة هذا الأخير بالامتيازات المعترف بها من قبل الدولة الشريفة لمواطني الدول الأوربية، للمزيد عن الموضوع بنظر:أمحمد أحمد بن عبود ،مركز الأجانب في المغرب ،دراسات قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله، ط 3 ،منشورات عكاض،الرباط،1988، ص ص 77 -100.

[3] - أحمد عبيد، مرجع سابق، ص220.

## • فرنسا والأَطماعُ الأوربِّيَّةُ في المغرب:

"...إنَّ لِفرنسا في المغرب العَرَبِيّ حُقوقًا وَواجِباتٍ تَفُوقُ مَا لِغَيرِها مِنَ الدُّوَل الأُخرى، وإنَّ الأَساسَ الأَوَّلَ لِحُقوقِنا هو الجَزائر، وإنَّ الجَزائِر قَادَتْنا إلى تُونس، ويَنْبَغي أَنْ تَقُودَنا إلى المغرِب." هكذا عَبَّرَ "أوجين أتيين" أَحَدُ مُنَظِّرِي الفِكْرِ الاسْتِعمارِيِّ الفِرنْسِيِّ، دَافِعاً بِالنَّزعَةِ الاستِعمارِيَّةِ الإمبريالِيَّةِ إلى احْتِلالِ المغرِب[1]، هذا الأخير الذي لَم تَكُن الاحتِمالاتُ تُشيرُ إلى انفِرادِ فِرنسا بِه، بِقَدرِ مَا كَانَت تَتجه إلى مكانة انجلترا المتميزة مع المغرب لغاية أواخر القرن 19م، لكنَّ الضَّرورات الإستراتيجِيَّة للسِّياسَة الاسْتِعمارِيَّة الفرنسيَّة كَانَت تَفرِضُ على فرنسا توظيفَ دبلوماسِيَّتِها الدَّولِيَّةِ بِكُلِّ فَعاليَّةٍ لِتُؤَمِّنَ لِمُسْتَعمَرَتِهَا المفَضَّلَةِ (الجزائر) جَناحَيْنِ مَأْمُونَيْن: تونس شرقاً، والمغرب غَرباً[2]. فاتَّجَهَتْ فِرنسا إذاً، لِعَقْدِ سِلسِلَةٍ مِن الاتِّفاقِيَات الدَّولِيَّة مَع الدُّوَلِ ذاتِ المصالِحِ في المغرِب[3]، قَبْلَ أنْ تَتَّخِذَ خُطوةً حاسِمَةً تُحَقِّقُ بِها أَهدافَها التَّوسُّعِيَّة في هذه البلاد[4]، ورَغْمَ النُّفوذِ الذي كَانَت تَحْظى بِه إنجلِترا لَدى المغْرِب، إلّا أنَّ فِرنسا نَجَحت في استِبْعادِها، حَيْثُ انتَهت المفاوَضاتُ إلى تَنازُلِ إنجلترا عَنِ المغرِب لِصالِحِ فِرنسا، مُقابِلَ انْفِرادِها بِمِصر[5].

كما نَجَحَتْ فِرنْسا في إبْعادِ إيطَاليا عَن المغرِب مُقابِل اعتِرافِها بِحُرِّيَّة التَّصرُّف الإيطالي في كُلٍّ مِن طَرابلس وفزَّان [6]، حيث كَانَت لإيطاليا أَطماعٌ في المغرِب، ولِذلك كانَت غَيْرَ راضِيَةٍ عَن احتِلالِ فِرنسا لِتُونس، فَحَاوَلَتْ فِرنسا الاتِّفَاقَ مَع إيطاليا لِتَبْتَعِدَ عن سِياسَةِ العَداوَة (سياسة فرانسيسكو كريس)، وَفِعْلاً عَقَدَتْ في عَام 1902م اتِّفَاقِيَّةً بين الطَّرَفَيْن، كَان مُحتَواها أَنْ تُطلِقَ فِرنْسا يَدَ إيطاليا في طَرابلس، مُقابِل حُرِّيَّة التَّصَرُّف الفرنسيِّ في المغرب[7].

---

[1] - محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق 2004، ص 125.

[2] - أحمد عبيد، مرجع سابق، ص 224.

[3] - يحيى جلال، مرجع سابق، ص ص 572-573.

[4] - شوقي عطا الله ، مرجع سابق ، ص317.

[5] - نفس المرجع ،ص 316.

[6] - أحمد عبيد، مرجع سابق، ص 225.

[7] - شوقي عطا الله الجمل، مرجع سابق، ص317.

أمَّا القُوَّةُ التي عادَتْ بِخُفَّيْ حُنَيْن مِن هذا التَّقسيم فهيَ إسبانيا، رَغْمَ قُربِها الجُغرافيّ والتَّاريخيّ مِن المغرب، وكذا الحيازات التي كانت تمتَلِكها بالمغرب(مليلة وسبتة)، غَيْرَ أنَّهُ وبمُقتَضَى الاتِّفاقِ السِّرِّيّ الفِرنسيّ الإسبانيّ في أكتوبر 1905م، فقد نالَت إسبانيا القِسمَ الشَّماليّ مِن المغرِب (مَنطقة الريف وجِبال الأطلس إلى واد مَلوية)، ومَنطِقةً بجَنُوب المغرِب حَوْل إقليم "افني".

- **مُؤتَمَر الجزيرةِ الخَضراء 1906م:**

أَدَّى تَدخُّلُ الألمان المدفوعِين مِن طَرَف تنافس القِوى الرَّأسماليَّة الصِّناعيِّة التي طالَبَت بحِصَّتِها في المغرب، إلى إعادة طَرحِ المسألَة المغرِبيَّةِ مِنْ جَديد في المَحافِلِ الدَّوْليَّةِ[1]، فألمانيا لَمْ يَغمَضْ لها جفنٌ وهي تَشهدُ مُحاولةَ فِرنسا ضَمَّ المغرب[2]، حيث سَيَظْهَر الألمانُ كَمُنقِذينَ، فانتَهَجَوا سِياسَة تَدْويلِ القضية المغربية[3]، مِن أَجل عَرقَلةِ فِرنسا، وعلى هَذا الأَساس انعَقَدَ مُؤتَمَر الجزيرةِ الخَضراءِ في 16 جانفي 1906م، بِحُضور مُمَثِّلِي خَمسَةَ عَشرَ دَولةً [4]. إلَّا أَنَّ النَّدْوَةَ التي كَانَ مِنَ المنتَظَر أَن تَكونَ حَلاً لِقَضِيَّة المغرِب، زادَت الطِّينَ بِلَّةً، فتَحَوَّلَت الاتِّفاقِيَّةُ إلى فُرصَةٍ لإِثْباتِ أَحَقِّيَّةِ اثْنَتَيْ عَشَر دَوْلَةً أُوروبِّيَّةً عَلى المغرِب، في ما يَتعلَّقُ مِنهَا خَاصَّةً بِالصَّعيدِ الجُمرُكِيِّ(نِظام الباب المفتُوح )، ثُمَّ تَتعقَّد القَضِيَّةُ أَكثَرَ بِإرسالِ أَلَمانيا باخِرَتَها الحَربِيَّةَ صَوبَ مَدينَةِ "أَغادير" سَنة 1911م للضَّغْطِ عَلى فِرَنسا. وَهكَذا أَشْبَهَتْ هذه الأزمةُ مُقايضَةً اِنْتَهَت فُصولُهَا بِاندِلاعِ الحَرْبِ العَالَمِيَّةِ الأُولَى، والتي تَنَازَلَت فيهَا فِرَنْسَا عَن قِسْمٍ هَامٍّ مِنْ "الكونغو" لِصالح ألمانيا، مع الاعترِافِ لَهَا بِمَبْدَأ المساواةِ الاقتِصادِيَّةِ بِالمغرِب.

ومَثَّلَ الوَفدَ المغرِبيَّ في مُؤتَمَر الجزيرةِ كلٌّ مِنْ مُحَمَّد بن العَربي الطَّريس نَائبِ السُّلطانِ بِطَنجَة وَمُحَمَّد بن عبد السَّلام المقَّري وَزِيرِ الخَراجِ ومُحمَّد الصَّفَّار وعَبد الرَّحمن بنيس[5]، ورَغْمَ أنَّ المؤتَمَر عُقِدَ لِكَيْ يَبحَثَ مَسْأَلَةَ الخِلافِ الفِرنْسِيِّ الأَلمانِيِّ أَكثَرَ مِمَّا يَبحَثُ في المسأَلَةِ المغرِبيَّةِ نَفْسِهَا[6]، فَقَدْ حَضَرَتْهُ

---

[1] - ألبير عياش، مرجع سابق، ص 55 .

[2] -عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، 2005، ص 139.

[3] - أحمد عبيد، مرجع سابق، ص 225.

[4] - علال الفاسي، الحركات الاستقلالية، مرجع سابق، ص 325 .

[5] -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، مرجع سابق، ص 322.

[6] - يحيى جلال، مرجع سابق، ص 575.

أطرافٌ أُخرى لَها مَصالِحُ في القَضيَّةِ، فَبالإضافة إلى فِرَنْسَا، وأَلمانيا، وإسبانيا، وإيطاليا، وإنجلترا التي لها مصالح مُباشِرَةٌ، وأَطماعٌ واضِحةٌ، فَقَد حَضرتْ الوِلاياتُ المتَّحِدَةُ الأمريكيَّةُ، وروسيا، والبُرْتُغال، والسُّوَيْد، وبَلْجيكا، وهُولندا، والنمسا[1].

أَمَّا التَّوصِياتُ التي خَرَجَ بِها المؤتَمِرونَ فَتَرَكَّزَتْ في ثَلاثِ نِقاطٍ :

- تَنظيمُ الشُّرطَةِ في المغرِب.
- مُرَاقَبَةُ التَّهريبِ.
- إنْشَاءُ بَنكِ المغرِب[2].

- **الاحْتِلالُ العَسكَرِيُّ وَ فَرْضُ الحِمايَةِ:**

كانَ لِقَراراتِ مُؤتَمَر الجزيرةِ تَأْثيرٌ وَاضِحٌ عَلى الرَّأْي العامِّ المغربِيِّ، كَمَا كَانَ تَأثِيرُهَا عَميقًا أَيضًا عَلى السُّلطَةِ المخْزنِيَّة، التي تجَرَّعَتْ مَرارَةَ الأَزَمَات التي خَلَّفَتْهَا سِياسَةُ السُّلطَان عَبدِ العزيز، حَيثُ كَانَ مِنَ الطَّبيعِيِّ أَنْ تَضطَرِبَ الدَّولَةُ مَادِّيًا نَتيجَةَ العَجزِ المالِيِّ الذي تَرَتَّبَ عَن سِياسَةِ الإِصلاحِ الفَاشِلَةِ.

وقَدْ أَدَّتْ هَذِه الأَحْداثُ إلى ثَوْرَة المغاربَةِ واتِّهامِهِم السُّلطانَ عَبدَ العَزيز بِالتَّهاوُنِ مَع الأَجانِبِ، فَبُويعَ المؤْلَى عَبدُ الحَفيظ[3]، أَخُو السُّلطانِ وَوَلِيُّ العَهدِ في مَرّاكُش ثُمَّ بِفاس.

وفي ظل هذه الظروف وجدت فرنسا الفرصة السانحة في دخول جيشها إلى المغرب، وخاصة بعد مقتل الطبيب الفرنسي موشان في مراكش،حيث أَسْنَدَتْ مَهَمَّةَ التَّوغُّلِ العَسْكَرِيِّ بالأَراضي المغرِبيَّةِ إلى العَقيد"ليوتي"[4] قَائِدِ المنطِقَةِ العَسكريَّةِ ب"العين الصفراء" جَنوبَ غَربِ الجَزائِرِ، حَيثُ بَدَأَ

---

[1] -إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، ج3، مرجع سابق، ص 321.

[2] - يحيى جلال، مرجع سابق، ص ص 596-612.

[3] - هو أبو السخاء عبد الحفيظ بن محمد بن عبد الرحمن ولد بفاس يوم 24 فيفري 1876 ،بويع له بالحكم . بعد أحداث فاس 1907 ،و كان قد وقع على عقد الحماية مع الفرنسيين ثم تنازل عن العرش سنة 1912 .توفي بفرنسا سنة 1937 ،ينظر :عبد الرحمن بن زيدان ،مصدر سابق،ص 118.

[4] - هو لويس هوبير كونزالف ليوطي ولد يوم 17 نوفمبر 1854 في مدينة فاشي الفرنسية ،تخرج من مدينة سان سير الحربية برتبة ملازم ،التحق بالجيش الفرنسي في الجزائر ليترقى إلى رتبة رائد ثم عقيد ثم انتقل إلى مادغشقر سنة 1877 م ،ولما اشتدت

زَحْفَهُ في جوان 1906م عَلى وجدَة، ثُمَّ قَبائِلِ بني سناسن 1907م، وانطِلاقًا مِنْ هَذه القَواعِدِ، امتَدَّ تَوَغُّلُهُ إلى كُلِّ المناطِقِ الواقِعَةِ مَا بَينَ الحُدودِ الجَزائِرِيَّةِ وَفَاس التي كَانَت تَعيشُ حالةَ فَوضَى فَدخلها في 21مارس1912م، ثمَّ مَدينة مكناس في 08 جوان، والرباط في 9 جويلية، وانتَهَتْ المهَمَّةُ بعَقْدِ فِرنسَا مُعاهَدَة الحِمايَةِ التي وقَّعَهَا السُّلطانُ الجَديدُ يوم 30 مارس1912م بِمَدينَةِ فاس، أمَّا إسبانيا المتربصة أيضاً بالمغرب فقد انتهزت فرصت توغل القوات الفرنسيِّة في فاس وزحفت على شمال المغرب متحججة ببعض الأحداث في مدينة العرائش يوم 09 جويلية من نفس السنة، وبِذلكَ يَكُونُ المغربُ آخِرَ المعَاقِلِ المغارِبِيَّةِ التي سَقَطَت تَحتَ نِيرِ الاستِعمَار[1].

- **الاحْتِلالُ الفِرنْسِيُّ للمَغْرِبِ وانعِكَاساتُهُ عَلَى المقَاوَمَةِ:**

اِستَوْلَت الجُيوشُ الفِرنسيَّةُ عَلَى المغرِبِ عُنوَةً واضطُرَّ المولَى عَبدُ الحفيظِ إلى تَوْقِيعِ مُعاهَدةِ فاس يوم 30مارس 1912م، وبِذلكَ تَكُونُ فِرنْسَا قَدْ أَمَّنَتْ لِنَفْسِهَا السِّيادَةَ الكَامِلَةَ عَلى البُلدانِ المغارِبِيَّةِ الثَّلاثَةِ لِشَمال إفِريقيا، وحقَّقَت أطْماعَها التي رَاوَدتْ السَّاسَةَ، وحَتَّى العَسكَرِيِّينَ الفِرنْسِيِّينَ مُنذُ النِّصفِ الأَوَّلِ مِن القَرنِ التَّاسِعِ عَشَر، ولا أَدلَّ على ذلكَ مِن كلامِ "دِي بُورمُون"بَعدَ نُزولِه العاصِمةَ يَومَ 5جويلية 1830م، إذْ عَدَّ الجزائرَ بابًا لِفِرنسا أَو لِلمسيحيَّة في شَمَالِ إفريقيا، وَقَدْ صَدَّقَت الأَيَّامُ مَخاوِفَ قَادَةِ المقاومَة الجزائريَّةِ بِخُصوصِ أَطماعِ فِرنْسا التَّوسُّعيَّة في بلادِ المغربِ العربيِّ، وهو ما حذَّرتْ منهُ، وَبشكلٍ مُتَكرِّرٍ، سَلاطِينَ المغرِبِ وبَاياتِ تُونُس.

لقَدْ مَثَّلَ المغرِبُ الأَقصَى وخاصَّةً المناطِقُ الشَّرقِيَّةُ مِنهُ عَلى الحُدودِ مَع الجَزائِر قَاعِدَةً خَلْفِيَّةً لِتَمَركُزِ المقَاومَةِ الجزائريَّةِ مُنذُ السَّاعَاتِ الأُولَى للاحْتِلالِ، كُلَّمَا وَاجَهَهَا خَطْبٌ مَا. فَالأَميرُ الذي خَاضَ أَوَّلَ تَجْرِبَةٍ لِلمُقاوَمَةِ على أَطْرافِ المغْرِبِ كَانَ أَكْثَرَ العَارِفِينَ بِالأَهَمِّيَّةِ الاسْتراتِيجِيَّةِ التي يُمَثِّلُهَا المغرِبُ الأَقْصَى لاسِيَّما بَعدَ نَقْضِ مُعاهَدَةِ تَافْنَة، وتأَكَّدَت هذه المكانَةُ بَعدَ سُقُوطِ زَمَالَتِهِ فِي يَدِ الفِرنسِيِّينَ سَنَةَ 1843م.حِينَها انسَحَبَ الأَميرُ إلى هَذه القَواعِدِ الخَلفِيَّةِ لإعَادةِ تَنظِيمِ قُوَّاتِه وإِعطَاءِ

---

وطأة المقاومة في الجنوب الغربي من الجزائر استنجد به الجنرال "جونار " حيث أسند إليه قيادة منطقة العين الصفراء ،تحصل على رتبة جنرال سنة 1907 حيث عين كحاكم عام على مدينة وهران ،ثم بعد توقيع معاهدة فاس اختارته الحكومة الفرنسية ليكون مقيم عام على المغرب ،توفي سنة 1984 ،ينظر:أبو بكر القادري ،مصدر سابق،ص ص344-346 .

[1] - أحمد عبيد ،مرجع سابق،ص 297 .

نَفسٍ آخرَ لِجَيشِه. إلَّا أنَّ الأُمورَ تَعقَّدَتْ بَعد دُخُول الفِرنْسِيِّينَ الحُدودَ المغرِبيَّةَ، وَما تَلا هَذا الدُّخولَ مِنْ أَحداثٍ بَعدَ مَعرَكَةِ إِيسْلي التي غَيَّرَتْ سِياسَةَ التَّحالُفاتِ مِن النَّقيضِ إِلى النَّقيضِ، فَقَد حوَّلَتْ بِضعةُ أَسطُرٍ مِن مُعاهَدَةِ طَنجة السُّلطانَ عَبدَ الرَّحمن مِن حَليفٍ لِلأَميرِ إِلى عَدُوٍّ لهُ، إذْ نصت في بَنْدِهاَ الرَّابعِ عَلى أَنَّ الأَميرَ خَارِجٌ عَن القانُون فوقَ أَرْضِه الجزائرِ، وَ فَوْقَ أَرْضِ أَشِقَّائِه المغارِبَةِ .

لَقَد عَمِلَتْ السُّلُطاتُ الاستِعمارِيَّةُ ومُنذُ البِدايَةِ، عَلَى تَفكيكِ كُلِّ الرَّوابِطِ الاجْتِماعيَّةِ والثَّقافِيَّةِ والدِّينيَّةِ التي كَانَتْ سَائدَةً بَين الشُّعوبِ المغارِبيَّةِ وخَاصَّةً بَين الجَزائِريِّينَ والمغَاربَةِ في بَادِئ الأَمْرِ، وهَذا مَا نَلمَسُهُ في مَظْهَرَيْنِ بَارِزَيْن، الأَوَّلُ هُو رَسمُ الحُدودِ وتَرسيمُهَا، والثَّاني فَصْلُ الأُسَرِ عَنْ أُصولِهَا، وَهَذا مَا تَجَسَّد في فَرعِ الغرابَة والشَّراقَة مِن قَبيلَة أَولادِ سيدي الشِّيخ، والجَنبَة والشَّافعَة مِن قَبيلَةِ حميان مَع إِثَارَةِ النّزَعَات والنَّعَراتِ فيمَا بَينَها[1]، حتَّى تَضمَن فَصْلًا أَكيداً، أَو شَرخًا عَميقًا في نِظَامِ القَبيلَةِ الذي تُشتَهَرُ بِه شُعوبُ المغرِبِ العَرَبِيِّ، وَمِن ثَمَّ تُؤَدِّي هذه التَّفرقةُ إِلى عَداءٍ دائمٍ لا يَؤولُ إِلى صُلح، وبالإضافةِ إِلى ذلكَ عَمَدَت السُّلُطاتُ الاستِعمارِيَّةُ إِلى إِثَارَةِ الخِلافِ حَوْلَ أَحَقِّيَّةِ الأُسَرِ في الأَرضِ بِهَدفِ إِضرامِ نارِ الحِقدِ، وَأُوارَ الصِّراعِ بَيْنَ أَفرَادِ الأُسْرَةِ الواحِدَةِ، لأَنَّها تَعْلَمُ أَنَّ القَبائِلَ البَربَرِيَّةَ تَرتَبِطُ بِالأَرْضِ أَشَدَّ ارْتِباطٍ.

ولا شَكَّ أَيضاً أَنَّ فِرَنْسا ازدَادَتْ رُؤيَتُها وُضُوحًا بَعد قِيامِ ثَورَات أولاد سيد الشيخ التي بَيَّنَت لِفِرنْسا أَهَمِّيَّةِ المجال الحُدُودِيِّ بَينَ المغرِب والجَزائِر بِالنِّسبَةِ إِلى الثَّائِرين الجَزائِرِيِّينَ، ولَعَلَّهُ مِن المفِيدِ لِفِرَنْسا -وَعِوَضَ أَنْ تُواصلَ اِحتِجاجهاَ لدى السُّلُطاتِ المغربِيَّةِ- أَنْ تَستَغِلَّ فُرْصَةَ الأَوضاع العالميَّة الرَّاهِنَةِ مِن جِهَةٍ، وأَوْضاعَ المغْرِبِ الأَقْصَى مِن جِهةٍ ثَانِيَةٍ، لِضَمِّه إِلى رَصِيدِها الاستِعمارِيِّ.

وخُلَاصَةُ القَولِ أنَّ المقاوَمَةَ الجزائرِيَّةَ تَأَثَّرت أَيَّمَا تَأَثُّرٍ بِسَبَبِ احتِلالِ فِرَنسا للمَغرِب، الذي كَان يُمَثِّلُ كَمَا أَسْلَفْنَا قَواعِدَ خَلْفِيَّةَ، تَرجِعُ إِلَيْها المقَاوَمَةُ الجزائِريَّةُ كلَّما ضَاقَت بها السُّبُل، أَضِفْ إِلى ذَلك مَا كَانَ يُمَثِّلُهُ المغرِبُ مِن سُوقٍ لِتَدْعِيمِ المقاوَمَة بِالسِّلاحِ والمؤَنِ والذَّخِيرَةِ، كَما سَاهَمَت بَعضُ القَبائِلِ المغرِبيَّةِ في كَثِيرٍ مِنَ المقَاوَمَاتِ، كَطَلَائِعَ في جُيوشِهَا وجُنودًا في طَاعَةِ قادَتِها.

---

[1] -موساوي فاطمة نبيلة ، الممارسات الثقافية الجزائرية المغربية و علاقاتها بالحدود السياسية دراسة انتروبولوجية ، رسالة ماجستير ،الثقافة الشعبية ، جامعة تلمسان ، س ج ،2005 -2006 ،ص ص 70.66 .

لَقد كَانَ لِسُقُوطِ هَذاَ القُطْرِ الشَّقِيقِ في بَراثِنِ الاسْتِعْمارِ بَالغُ الأَثَرِ في أُفُولِ نَجْمِ المقَاوَمَة الجزائِرِيَّةِ بِالغَرْبِ الجزائِرِيِّ، ولَمْ نَرَ سُطوعَ هَذا النَّجْمِ مرَّةً أُخرى إلّا مَع انْدِلاعِ ثَورَةِ نُوفَمبَر التي -والحمد لله - ساهَمَ المغرِبُ فِيها أَيَّمَا مُساهَمَةٍ خُصوصًا بَعدَ استِقْلالِه.

## المبحث الرابع: ثَوْرَةُ الأَميرِ عَبدِ المالك الجزائريِّ[1]في المغرِبِ:

لَمْ يَحظَ مَوضُوعُ ثَورَةِ الأَميرِ عَبدِ المالك الجزَائِرِيِّ في المغرِبِ باهْتِمامِ البَاحِثِينَ الجَزائِرِيِّينَ والمغَارِبَةِ عَلى حَدٍّ سَواءٍ، ولم نعثر في هذا الموضُوع على الكثير، ومِمّا صادفناه أثناء البحث؛ مقال كَتَبَهُ أَبو القاسِم سَعد الله عُنوانه: "وثائقُ جَديدَةٌ عَنْ ثَورَةِ الأَميرِ عَبدِ المالك الجزائِرِيِّ في المغرب"، وَالذي صَدَرَ في المجَلَّةِ التَّارِيخِيَّةِ المغاربِيَّةِ مُسْتَنِدًا إلى مُقَابَلَتِهِ الشَّخصِيَّة مَعَ نَجْله الأَمِيرِ حَسن، وما كَتَبه أيضاً قَاصري محمد السعيد مُتَأَخِّراً عَن هَذا الموضُوع في مقالًا بعنوان "الأَمير عَبدُ المالك الجَزائِرِيِّ وثَورَتُه بالمغرِب الأَقْصى (1914-1924)م " مُستَنِدا إلى مُقابَلَتِه الشَّخْصِيَّةِ لِحَفيدَتِه الأَميرةِ بَديعة بِدِمَشق سنة 2008 م، وَأَمامَ نُدرة المِصَادِر فَقَد وَجَدْنا في هاتَيْنِ الدِّراسَتَيْن سَنَداً في تَقَصِّي هَذا الموضوع.

حَظِيَت عَائِلَةُ الأَميرِ عَبد القَادِر الجزائِرِيِّ في سُورْيا بِشُهْرَةٍ وَاسِعَةٍ حَيثُ تَقَلَّدَ بَعضُ أَفْرادِهَا مَناصِبَ راقِيَةً في الإِدارَةِ والجَيشِ، ولا سِيَّما مُنذُ ظُهور حَرَكَة الجامِعة الإسلامِيَّةِ، ومِنهُم عَبد المالك بن الأَمير عبد القَادِر فَنَظَراً لِخِصالِه وتَفَوُّقِه فَقَد انتَقَلَ إِلَى اسطنبول لِمُواصَلةِ دِراسَته، أَيْنَ التَحَقَ بِالمدرَسة المَلَكِيَّة ( الكُلِّيَّة العَسكَرِيَّة) التي بَرَزَ فِيها بِشَكلٍ مُلفِتٍ، فَحُبُّه للمُطالَعَة، وَحِرصُهُ عَلى الدُّروسِ، ومُجَاوَرَتُه لِلقُرآن جَعلَه يَنجَحُ بِتَفَوُّقٍ كَبير، حَيثُ تَخَرَّجَ بِرُتبةِ عَقيدٍ في الجيش العُثمانِيِّ، كَما نَالَ حَظوَةً كَبيرةً عِندَ السُّلطانِ عَبد الحميد الثَّاني، الذي أَسنَدَ إِلَيه مَهمَّةَ قِيادَةِ الحَرسِ السُّلطانِيِّ.

[1] -هو عبد الملك بن الأمير عبد القادر الجزائري ولد بدمشق سنة 1868 م ،تعلم على يد والده الأمير تربية إسلامية وكان متأثرا بأفكار الجامعة الإسلامية و كان يحسن إلى جانب اللغة العربية اللغتين التركية و الفرنسية و كان خطيبا و شاعرا أيضا وكان قد سمع بثورة الشيخ بوعمامة في الجنوب الجزائري فاحذ بها ،فغادر دمشق سنة 1903 م ،فالتحق بثورة بوعمامة وحارب معه الفرنسيين ثم انظم إلى الثائر بوحمارة ولكنه سرعان ما اكتشف أن حركة الثائر بوحمارة فردية ،فانظم إلى السلطان مولاي عبد العزيز الذي عينه قائد جيوشه في منطقة القصر الكبير و أثناء حروبه لصالح السلطان عبد العزيز ضد مولاي عبد الحفيظ ،الذي كان يسانده الفرنسيون ألقي عليه القبض في فاس ،ثم أطلق سراحه و عين نائبا لوزير الحربية المغربي ،ينظر:

- **اِلتحاقه بالمغرب الأقصى:**

بالإضافةِ إلى عَدَمِ تَوفُّرِ المصادِرِ والمراجِعِ التي اطَّلَعْنَا عَلَيْها عَلى مَعلُومَاتٍ كَافِيَةٍ عَن تاريخِ وُصولِ الأَميرِ عَبد المالِك الجزائريِّ إلى المغرِب، فَقَد اختَلَفَتْ الرِّواياتُ عَن سَبَبِ قُدومِه إلى هَذا البَلَد، فَحَسَبَ الحَجوي فإنَّ الأَميرَ عَبد المالك كَانَ رَجُلاً مُغامِراً قَدِمَ إلى المغرِبِ لِيَقُومَ بِعَمَلٍ يَذكُرُه التَّاريخُ

**« ... غيرَ أنَّه في سَنة 1321هـ 1903م حُبِّبَ إلَيه أَنْ يَأتي المغربَ لِمَا سَمِعَ بِه مِنَ الفِتَنِ لِيُرَوِّجَ هناك بَعضَ أَفكارِه التي كانَتْ تَجِيشُ في صَدْرِه، فَجاءَ إلى مليلية، ومِنْها خَرَجَ بَرًّا إلى نَواحِي وجدة مُتجَوِّلاً وطَالباً لِتُربَةٍ تَصلُح لِبُذورِه فظَهَر لَه أَنْ يَذهبَ إلى أبي عمامة الذي كان إذّاكَ قُربَ فَجيج لَعَلَّه يَمُدُّه بِجَيش يَعملُ به عملاً يكون له به ذكر تاريخي...»** [1]

أَمَّا ابن مَنصُور فَيُرجِعُ سَبَب قُدومِه إلى المغرِب إلى عَلاقَتِه بِفِرَنْسا **« ...فَأَوعَزت فرنسا في هذا الوقت بالذات إلى عَميلِها عبد المالك بن مُحي الدين أَحدِ المغامِرين الكِبارِ، والجَواسِيسَ الدَّولِيِّين المشهورين، بالدُّخُولِ إلى المغربِ لِيَنفُخ في نار الفِتْنَة... »**[2]ومِنْ خِلالِ مَا أَورَدَهُ الحجْوي و ابن منصور نَستَشِفُّ حِقْدَ الأُطروحَةِ المغرِبِيّةِ ونَفْهَمُ تَحامُل الكُتَّابِ المغارِبَة المتأخِّرين عَلى الأَمِير عبد المالك، كما نَالَت مِنْ قَبْلُ بَعضُ الأَقْلامِ مِن والدِه.

لكنَّنا لا نُنْكِر أنَّ عبد المالك اِلتَحقَ بِالثَّائِرِ بُوحمَارة (مُدَّعِي العَرْش)، شَأنُه شَأْنُ الكَثيرِ مِنَ الشَّخْصِيَّات التي انْخَدَعَت بِهذَا الثَّائِر عَلى غِرارِ الشَّيخ بُوعمامَة وابنِهِ الطَّيب والريسوني **...** حيث لَعِبَ عبد المالك دَوراً هاماً في جَيشِ مُدَّعِي العَرش، إلَّا أَنَّهُ سُرعانَ مَا تَخَلَّى عَبد المالك عَن الثَّائِر بَعد أن اكتَشَفَ أنَّ حَرَكَةَ هذا الأَخِير فردِيَّةٌ فانْضَمَّ إلى السُّلطانِ عبد العزيز [3]، ويَذكُرُ الحَجوِي أنَّ عبد المالك نَصَحَ الشّيخ بوعمامة بِالتَّخَلِّي عَن الثَّائِر أَبي حمارة بَعد أن تَحَقَّقَ مِن أَمرِه **« ...أشارَ عَلى أبي عمامة أن يَصْطَلِحَ مَع المخْزَن...وبَيَّنَ لَهُ أَحْوالَ الثَّائِر وَماشاهَدَه مِنه مِن المكْرِ والخِداعِ وقِلَّةِ المروءَة وضَعْفِ الدِّيانَةِ... »**[4].

---

[1] - إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص 239.

[2] -عبد الوهاب ابن منصور، أعلام المغرب العربي، ج2، المطبعة الملكية، الرباط، ط 1، 1979، ص 84.

[3] - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص 107.

[4] -إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص 240.

وَحسَبَ الحَجْوِي فَإنَّ الأمِيرَ عَبد المالك تَحصَّلَ عَلَى ظَهيرِ الأمانِ مِن السُّلطانِ عبد العزيز، حَيثُ دَخلَ وجدة يوم 20 فيفري 1905م [1] ، ثُمَّ انتَقَلَ عَبدُ المالك إلى قَصْرِ السُّلطان عبد العزيز بِفَاس، وَذلك بَعدَ مُضايَقَةِ عَبد الرحمن بن عبد الصَّادق عاملِ وجدة لَه، وشَغَلَ عَبدُ المالك في قَصْرِ السُّلطانِ وَظيفةَ قائِدِ جَيشِ القَصرِ الكَبيرِ. وأثْناءَ قِيامِ الصِّراعِ العَزيزيِّ الحَفيظِيِّ عَلى العَرش تَولَّى قِيادةَ الجيشِ لِمُواجَهة الانقلابِ، إلَّا أنَّه فَشِلَ في مَهَمَّتِه حَيثُ تَمَّ اقتِيادُه إلى السِّجْنِ بِتُهمَةِ وَفائِهِ لِعبد العزيز السُّلطانِ السَّابقِ.

- **الأمير عبد المالك قائداً للبوليس في طنجة :**

بَعدَ اعتِلاءِ السُّلطانِ عبد الحفيظِ العَرشَ خَلَفًا لِعبد العزيز المخلُوع، أُطلِقَ سَراحُ عَبدُ المالك، بَعدَ أن شَرَطَتْ فِرنْسَا ذَلكَ على السُّلطانِ فِيمَا شَرَطَتْ عَليه قَصْد الاعْتِرافِ بِه سُلطانًا، وعَيَّنَه نائِبًا لِوَزيرِ الحَربِيَّةِ، ثُمَّ مُفَتِّشًا لِقُوَّاتِ البوليسِ بِطَنجَة [2]، إلَّا أنَّ حَفيدَتَهُ الأَمِيرَة بَديعَةَ تَنفِي ذَلكَ، وَتقُولُ إنَّ السُّلطانَ العُثمانِيَّ هُو مَنْ تَوسَّط لَه عِنْدَ السُّلطانِ عبد الحفيظ لِيُطلِقَ سَراحَهُ [3].

وَنتَيجَةً لِمُؤتَمرِ الجزيرَةِ الذي انعَقَدَ سَنةَ 1906م، عُيِّنَ الأميرُ عَبد المالك قائداً لِقُوَّاتِ الشُّرطَةِ الشَّريفِيَّة في طَنجَةَ، وقَد مَنَحَت فِرنْسا هَذا المنصِبَ للأَمير عَبد المالك، الذي رَأى فِيه فُرصَةً لِتَحقِيقِ بَعضِ مَطامِحِهِ.

وَلا شَكَّ أَنَّ رِجَالَ الجَامِعةَ الإسلامِيَّةَ قَد نَشِطُوا في هذا الوقت مَع بَعْضِ العَناصِرِ الأَلمانِيَّةِ، وذَلكَ بِالاتِّصالِ بِرِجَالِ المغْرِبِ الأَقصَى وَقَادَتِه، فَكَانَتْ لَهم اتِّصالاتٌ بِالسُّلطانِ السَّابِقِ المولاي عَبد العزيز، وكَذلِكَ بالمولاي عَبدِ الحَفيظِ،كَمَا اتَّصَلُوا بِالرِّيسوني، وبِهبة الله بن ماء العينين [4]، فَلاَ غرابةَ في

---

[1] -إبراهيم حماش، مرجع سايق، ص 241.

[2] - قاصري محمد السعيد، الأمير عبد المالك الجزائري وثورته بالمغرب الأقصى(1914-1924)،مجلة عصور، ع22 - 23،جويلية ديسمبر 2014، ص 315.

[3] -نفس المرجع، ص 315.

[4] -يحي جلال ،المغرب الكبير الفترة المعاصرة وحركات التحرير والاستقلال ،ج 4 ،ص 119 .

أَنْ يَتَّصِلُوا بِالأَمِيرِ عَبدِ المالك الذي كَانُوا يَعلَمُونَ عَداءَهُ الباطِنِيَّ لِفِرَنسا، حَيث كَان لاسْمِ عائِلَتِه، علاَوةً عَلى شَجاعَتِه وَشَخصيَّتِه، مَا يُؤَهِّلُه لِقِيادَةِ الدِّعَايَةِ لِحَركَةٍ ثَورِيَّةٍ هامَّةٍ.

وخِلالَ الفَتْرَةِ 1906م- 1914م كَانَ المغرِبُ عَامَّةً وطَنجةُ خصوصًا، حَقْلاً لِلمُؤامَراتِ والتَّجَسُّسِ، والدِّعايَة، التي كَانَتْ تَقُومُ بِهَا الدُّوَلُ الكُبرى المتَنَافِسَةُ فِي المنطِقَةِ، وقَد كَانَت فِرَنْسا وأَلمانْيَا تُمثِّلانِ مِحْوَرَ هَذَا التَّنَافُسِ فِي المغْرِبِ الأَقْصَى، وَلَمَّا كَانَ الأَميرُ عَبدُ المالِك رَئِيسًا لِقُوَّةِ الشُّرطَةِ، فَإِنَّهُ كَانَ هَدَفاً لِهَذه الدِّعايَة، حَيثُ عَمِلَ الألمانُ عَلَى استِمالَتِه، إذْ كَان سَاخِطًا على الممَارَسَاتِ الفِرنْسِيَّةِ فِي حَقِّ الجزائِرِيِّين[1]، وعِندَمَا بَدَأَت الحربُ العالميَّةُ الأُولى كَان الأَميرُ عبدُ المالك فِي فيسشي بِفرنسا يَتداوى مِن مَرضٍ أَصابَه[2]، كَما زارَ إسبانيا فِي نَفْسِ السَّنَةِ، وعِندَمَا تَأَكَّدَ الألمانُ مِنْ مَوقِفِهِ المعَادِي لِلفِرنْسِيِّينَ، اتَّصَلَ بِهِ سَفيرُ أَلمانْيا فِي مَدريد الكُونْت دي راتبور، مُلتَمِسًا مِنْهُ إِرسَالَ مَندُوبٍ عَنهُ إِلى مَدريد، فَأَرسلَ الأَميرُ عَبد المالك لِذَلكَ الغَرضِ اِبنَهُ الأَميرَ مُحيِ الدِّين إِلى مَدريد، وقَد اتَّفَقَ الطَّرَفَانِ عَلى فَتْحِ جَبهَةٍ ضِدَّ الفِرنْسِيِّينَ فِي المغْرِب[3]، وخَلُصَ اللِّقَاءُ إلى تَعَهُّدِ الأَلمانِ والعُثمَانِيِّينَ بِمُسَاعَدَةِ عَبْدِ المالك عَلَى إقامَةِ مَمْلكةٍ واحِدَةٍ تَضُمُّ المغرِبَ والجزائِرَ إن نَجَحَتْ الخُطَّةُ[4]، رَغْمَ أَنَّ الأَمير عَبدَ المالك كانَ بِإمْكَانِه أَنْ يَبقَى فِي مَنصِبِه لِيُقَدِّم الدَّعْمَ اللُّوجيستيَّ للثَّوْرَة التي سَتُعلَنُ ضِدَّ الفِرنسيِّينَ فِي المغرِبِ، إِلَّا أَنَّهُ فَضَّلَ أَنْ يَقُودَ هَذهِ الثَّورَةَ بِنفْسِه.

---

[1] -أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية ، مرجع سابق، ج 1 ،ص 226 .

[2] -قال الحجوي أن الأمير عبد المالك كان مصابا بمرض ضيق التنفس ( السل)، ينظر: إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص 239.

[3] - قاصري محمد السعيد، مقال سابق، ص 317.

[4] - أبو القاسم سعد الله :" **وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب**" ، المجلة التاريخية المغربية ،السنة الأولى ،العدد 01،جانفي 1974،تونس،ص54.

- **عبد المالك يعلن الثورة ضد الفرنسيين:**

وَفي أَواخِرِ سَنَةِ 1914م غَادَرَ عَبد المالك طنجةَ، إلى مَنْطِقَة جبالة، لِيَبدَأَ التَّحضيرَ للثَّورَةِ ضِدَّ فِرنسا إلَّا أنَّهُ كَادَ يَقَعُ في قَبضَةِ الفِرنسِيِّينَ لَوْلا مُساعَدَةُ قَائِدِ بَني منصور العياشي القلال[1]، الذي حَماهُ وسَهَّلَ لَه الخُروجَ مِنْ المنطِقَةِ[2].

وَ في" بني مسار" أَلَّف الأميرُ عبد المالك أَوَّلَ طَلائِعِ جَيشِهِ لِمُقاوَمَة الفِرنسيِّينَ في المنطقَة الخاضعةِ لهم، حَيْثُ لَمْ يُكلِّفْه ذلكَ الكَثيرَ مِنَ العَناءِ، خَاصَّةً وأَنَّهُ يَعرِفُ جَيِّداً بَعضَ القَبائِلِ التي كَانَتْ لَه عَلاقَةٌ بِها في عَهْدِ ثَورَتَي بُوحمارة وبُوعمامة، و كَانَ جَيشُ الأَميرِ عَبدِ المالك يَتَأَلَّفُ مِنْ فِرَقٍ نِظامِيَّةٍ، تَتَأَلَّفُ مِن ضُبَّاطٍ أَتراكٍ وأَلْمانٍ، وكَانَ قَائِد القُوَّةِ الأَلْمانِيَّةِ هُو الرَّائِدُ هيرمان، وعلى رأسِ الفِرقَةِ العُثمانِيَّةِ الأميرُ حَسَن، كَما كَانَ في جَيشِ الأَميرِ عَبد المالك بَعضُ الهارِبين مِنَ اللَّفِيف الأَجنَبِيِّ مِن الجيشِ الفرنسيِّ، كَالجزائِريِّين والسِّنغاليِّينَ، كما اتَّخَذَ لِثَورَتِه رايَةً خَضْراءَ كَتَب عَليها " بسم الله الرحمن الرحيم، الله أكْبَر، الجَنَّةُ تَحتَ ظِلالِ السُّيوفِ"[3] .

بَدَأَ الأَميرُ عبد المالك ثَورتَه أَوَّلًا في إِقليمِ تَازة، شَمالَ شَرقَيْ فَاس، المدينةِ التاريخِيَّةِ والقَريبة مِنَ الحُدودِ الغَربِيَّةِ لِلجزائر،كَما أَنَّهُ حَاوَلَ تَنسيقَ ثَورَتِه مَع بَعض الزَّعامَاتِ المغرِبِيَّةِ الثَّائِرَةِ ضِدَّ الوُجودِ الفِرَنسيِّ مُنذُ إِعلانِ الحِمايَةِ كَالشيخ الهيبة، والشّنكيطي، والريسوني، وقَد نَجَحَ الأَميرُ عَبد المالك في استِمالَةِ الوَطَنِيِّينَ المغاربةَ إلى قَضِيَّتِه، ومِنْ بَينِ هَؤلاء زَعيمُ الرِّيف الأَميرُ عَبد الكريم الخطابي[4]، الذي كان ما

[1] -قاصري محمد السعيد، مرجع سابق، ص 318.

[2] - أبو القاسم سعد الله ،وثائق جديدة عن ثورة الأمير، مقال سابق ،ص54.

[3] - قاصري محمد السعيد، مقال سابق، ص 319.

[4]- هو محمد بن عبد الكريم الخطابي المشهور بعبد الكريم الخطابي ولد سنة 1882 بأجدير وهو ينتسب إلى قبيلة بني ورياغل ويرجع نسب والده عبد الكريم الذي كان قاضي المدينة إلى الخطابيين الشرفاء من بوييتات الريف الكبير ،شب الأمير محمد في مدينة مليلة وترعرع في حجر والده الذي كان أستاذه الأول حيث درس مبادئ العلوم، وأتم تعليمه الأولي في مدارسها ثم سافر إلى فاس ونال من مدارسها إجازة العلوم الدينية ثم قفل راجعا إلى مليلة والتحق بمدارسها الإسبانية فظهرت إذاك علامة نبوغ الأمير فحاز على دبلوم مدارسها الثانوية في العلوم ،ثم سافر إلى إسبانيا والتحق بجامعة (شلمنكا) وتحصل منها على شهادة الحقوق ولما رجع عين قائدا مدنيا لمدينة مليلة، ثم ما لبث أن أعلن ثورته على الإسبان الذين تحالفوا مع الفرنسيين للقضاء على ثورته ،نفي سنة

يزال مُوظَّفاً في الإدارَةِ الإسبَانِيَّةِ في مليلة، وقد عَمِلَ الخَطَّابيُّ كَقائِمٍ بِالاتِّصالاتِ لِلأَمِيرِ عَبْدِ المالك مَع القُوَّاتِ المركَزِيَّةِ مِن خِلالِ إسبَانيا، لِلحُصولِ عَلى الأَسلحَةِ والعَتادِ[1]، كَمَا قَامَ الخَطَّابيُّ بِزيارَةِ الأميرِ عَبد المالك رِفْقَةَ المئاتِ مِن الرِّيفيِّينَ في إقامَتِهِ، هَذا إِلَى جَانِبِ العَلاقاتِ الوَثِيقَةِ التي رَبَطَهَا مَع أَحمد الريسوني[2]، وَلَمَّا وَجَدَ نَفسَهُ مُؤَيَّداً أيضاً مِن إسبانيا وألمانيا، والعُثمانيِّينَ، ومُؤَزَّرًا مِن طَرَفِ أَخيهِ الأَميرِ عَلي، وَغَيرِهِ مِنَ المهاجِرينَ الجَزائِرِيِّينَ في الشَّرقِ الأَدْنَى، بالإضَافَةِ إلى نَشاطاتِ حَربِ العِصابَاتِ وَحَركَةِ الفِرار مِنَ الجَيْشِ الفِرنْسِيِّ في الجَزائِر، ولَمَّا كانَ مُتَأَكِّداً مِن وَلاءِ المغارِبة أيضاً، أَعلَنَ الأَميرُ عبد المالك الجِهادَ ضِدَّ الفِرنْسِيِّينَ.

خَاضَ الأميرُ الكَثيرَ مِن المعارِكِ ضِدَّ العَدُوِّ ومِن أشهَر الوقَائِعِ، مَعركَةُ الدَّار البيضاءِ في نوفمبر 1914م، التي حَقَّقَ فِيهَا أَوَّلَ انتِصارٍ لَهُ، وَمعْركَة سُوق الأَحَد التي انهَزَمَ فِيهَا عبدُ المالك مِمَّا دَفَعَهُ إلى مُغادَرَةِ جَنُوبِ تَازا والانتِقَالِ نَحوَ الشَّمالِ، وَفي فِيفري 1918م دارتْ الدَّائِرةُ عَلى الفرنسيِّين في مَعركَةٍ أخرى بَينَهم وبينَ عبد المالك[3].

و على إِثْرِها، نَقَلَتْ جَريدَةُ "تريبونا" الإيطالِيَّةُ بَرقِيَّةً مِن "غازيت دي فوس" البَرلِينِيَّة مَفادُها أَنَّ الأَميرَ عَبدَ المالك قَد احتَلَّ مَدينَةَ تَازَةَ بِجَيشٍ قَدرُه 15000 جنديٍّ، وأَنَّهُ قَدْ هَاجَمَ الدَّار البَيضاءَ، حَيث خَسِر الفرنسيُّونَ 700مقاتِلٍ، وَفي إسطَنبُول نَشَرَتْ جَريدةُ "تصفير افكيار" يوم 25 جانفي 1915م رسالةً عَنِ الأَميرِ عبد المالك قَال فِيها إنَّه أَصبَح أَميرَ المغربِ، وأَنَّ الأَهاليَ قَد استَقْبَلُوا المجاهِدينَ بِحَمَاسٍ كَبيرٍ، وَقَد أَجابَت الصُّحفُ الفِرنسيَّةُ ردًّا عَلَى هذه الدِّعايَة بِأَنَّها مُجَرَّدُ أَكاذيبَ أَلمانِيةٍ، وأَنَّ الأَميرَ عَبد المالك كان ما يَزالُ في طَنجَةَ، وأَنَّهُ قَد أَرسل تَمَنِّياتِه بِالنَّصر إلى الرَّئِيسِ الفِرنسيِّ، وَيظْهَرُ مِنْ خِلالِ مَا سَبقَ أنَّ الحربَ العالميَّةَ الأُولى قَد أَخذَت حَظَّهَا مِن الحربِ الإعلامِيَّةِ الدِّعائِيَّةِ.

---

1926 ،وفي سنة 1947 جدد نشاطه السياسي بمصر ،توفي سنة 1963 ،ينظر:سيرة الأمير محمد عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية،القاهرة ،1924 .

[1] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، مرجع سابق ،ص226.

[2] -قاصري محمد السعيد، مقال سابق، ص 322.

[3] - قاصري محمد السعيد، مقال سابق، ص ص 321-323.

كَما يَبدُو أَنَّ الأَميرَ عَلي أَخاَ الأَميرِ عَبد المالك، كان قَدْ لَعِبَ دَوْراً هامًّا في هذه الدِّعَايَة، فَقدْ ظَلَّ طِيلَةَ الحربِ مُتَنَقِّلًا، بَينَ إسطنبول وبارلين وجنيف، وكَانَ عَلَى اتِّصالٍ دائمٍ بِالمساجِينِ والأَسْرَى في المعسكَرَاتِ الأَلمانِيَّةِ، وكَانَ كَالزعيم التُّونسي محمد باشا حانبه، على اتِّصالٍ وثِيقٍ بِلَجنَةِ استِقلالِ شَمَال إفريقيَّةَ في كُلٍّ مِن جنيف وبرلين، وَكَانَ أَيضًا بِلا شَكٍّ عَلى اتِّصالٍ بِالمهاجِرينَ الجَزائرِيِّينَ في الشَّرْقِ الأَدْنَى، وكَان الأميرُ عَلي على اتِّصالٍ دَائمٍ ومُستَمِرٍّ بِأَخِيهِ عَبد المالك الذي كَانَ يَشغَلُ مَنصِبَ مُتَحَدِّثٍ رَسْمِيٍّ لَه في الخَارجِ[1].

تَتَّفِقُ مُعظَمُ المصادِر عَلَى أنَّ الأَميرَ عَبدَ المالك الجزائريَّ كَانَ في نَظَرِ الفِرنسيِّينَ مُجَرَّدَ عَميلٍ لِلألمانِ، مِن أَجْلِ امتِيازاتٍ شَخصيَّةٍ، إِلَّا أَنَّهُ في الحقِيقَةِ كانَ أَحَدَ الزَّعامَات الوطنيَّةِ.

وعِنْدَ وُقوعِ الهُدنَة بَينَ دُوَلِ الوِفَاقِ والحُلَفَاء سَنَةَ 1918م، بَدَأَ الأَميرُ عَبدُ المالك عَهْداً جَدِيداً، خاضَ خلالهُ أَقسَى تَجْرِبَةٍ لهُ حتَّى ذلكَ الوقتِ، فَقَد تَخَلَّى عَنهُ جَميعُ الأَتراكِ والأَلمانِ، وانْسَحَبَ 500 فارسٍ مِن بَني سناسن إِلى المنطقة الإسبَانِيَّةِ، وَهَكَذا بَقِيَ الأَميرُ عَبد المالك وَحدَهُ في الميدانِ فالتَجَأَ إِلى قَبيلَةِ غمارة، و التَجَأَ أَيضًا إِلى زَاوِية سيدي علي بن داود، حَيثُ بَقِيَ مُدَّةً مَعَ قُوَّةٍ صَغِيرَةٍ مِن أَتْباعِه، وخِلالَ ذَلكَ كَانَ يُجرِي سِلسِلَةً مِنَ المفاوَضَاتِ مَعَ الفِرنسيِّينَ لَمْ تُؤَدِّ إِلى نَتيجَةٍ، غير أَنَّ الأُمورَ زَادَتْ سُوءًا بَعْدَ ذَلكَ أَين تَخَلَّى مُساعِداهُ الألماني"هرمان" والتُّرْكِيُّ "الأمير حسن" عَنه، وَفي هَذا يَقُولُ صَاحِبُ الظِّلِّ الوَرِيفِ في مُحارَبَةِ الرِّيفِ: **...وبَعدَ أَيَّامٍ حَصَلَت مُخاصَمَةٌ بَينَ عَبد المالك وهرمان أَفضَتْ إِلى مُغادَرَةِ كاتِب عَبد المالك السِّرِّي الشريف عبد الرحمان البلغيثي، وَفَارَقَهُ في المَحَلَّةِ إِلى مليليا,ثم إِلى مدريد ...وسَبَب مُخاصَمَتِهم أنَّ عَبد المالك يُريدُ الهجُومَ عَلى فِرنْسا دَاخِلَ الإيالة، وهرمان الألماني يَمْنَعُه مِن ذلك"**[2] .

والظَّاهِرُ أنَّ اختِلافَ عَبد المالك مَع هرمان كان بِسَبَبِ انتِهاءِ الحَربِ العالميَّةِ، فهرمان كان يَرى أَنَّهُ لا فائدةَ له في البَقاءِ مَع الأَميرِ عَبدِ المالك ما دامت الحربُ قَدِ انتَهَت، بَيْدَ أَنَّ الأَميرَ عَبد المالك كانَ عَداؤُهُ لِفرنْسا لا يَتَوقَّفُ عِندَ قَراراتِ عُصبَةِ الأُمَم.

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الحركة الوطنية، مرجع سابق، ص229.

[2] - أحمد سكيرج، الظل الوريف في محاربة الريف، إعداد : محمد الراضي كنون،( د.ت)، (د.ط)، ص13.

وَنتيجَةً لِلضَّغْطِ الفِرنسيِّ لجَأَ عَبدُ الملك إلَى المنطقَةِ الإسبَانِيَّةِ، وهُناكَ سَيزدادُ وضعُه سُوءًا بَعد أنْ طَالبَت فِرنْسا مِن حليفِها الأميرِ الخَطَّابيِّ مُحارَبَةَ الأمِير عبد المالك في المنطِقَةِ الإسبانيَّةِ، وبناءً عَلى ذلكَ جَاءَ الأَميرُ الخَطَّابي بِقُوَّةٍ كَبيرةٍ، وحَاصَرَ الأَميرَ عَبدَ المالك وطَلَبَ مِنهُ التَّسليمَ، لَكنَّ الأَخيرَ فَضَّلَ الحَربَ، حَيث دَارَتْ مَعركَةٌ بَين الطَّرفَيْنِ دَامَت خَمسةَ عَشَر يَوماً اِنكَسَرَ فِيها الخَطَّابِيُّ وعَادَ إلى مَوْطِنِهِ، وَبَدَأ يُعِدُّ العُدَّةَ لجَوْلَةٍ ثَانِيةٍ أَكبَر مِن الأُولَى، والتَجَأَ الأَميرُ عبدُ المالك إلى الإسبانِ وطَلَبَ المساعَدَةَ، حَيثُ جَرى اتِّفاقٌ بَينَ الطَّرفَيْنِ تَعَهَّدَتْ بِمُقْتَضَاهُ إسبانيا بِتَقْدِيمِ المسَاعَدَةِ المادِّيَّةِ للأَميرِ عبدِ المالك [1]، إلَّا أنَّ المعرَكَةَ الأَخيرَةَ لِعَبدِ المالك كانَتْ للرِّيفِيِّين.

ويَتَّضِحُ مِمَّا تَقَدَّمَ أنَّ كُلَّا مِن الأمِيرِ عبد المالك والأميرِ الخَطَّابيِّ سَقَطَ فِي فَخِّ المساوَمَاتِ الاستِعماريَّة، فَالأوَّلُ استَقْطَبَتْه إسبَانيا - وعدوُّها الخطابي - ضِدَّ فِرنسا، والثاني استَقْطَبَتْه فِرنْسا - وعدوها عبدالمالك - ضِدَّ إسبَانيا، وهَذا فِي رَأْيِناَ أَقْرَبُ للصَّوابِ مِنْ مُغالَطَاتِ بَعضِ الكُتَّابِ والمؤَرِّخِينَ الذين أَضْمَروا السُّوءَ لعبد الملك.

وَيذْكُر أَبُو القَاسِم سَعْد الله الذي أَجْرَى حِوَاراً شَخصِيًّا مَع نَجْلِ الأَميرِ عَبد المالك، الأميرِ حسن، أَنَّ المعرَكَةَ التي قُتِلَ فِيهَا عَبدُ المالك حَضَرَها الأَميرُ حَسَن، حَيثُ يَقُولُ هَذا الأَخِيرُ أَنَّهم خَرَجُوا على الرَّابِعَةِ صَبَاحًا أَيْنَ بَدَأَ القِتَالُ الذي دَامَ حَتَّى العَاشِرَةِ، وكَانَت المعرَكَةُ في شَهر أُوت 1924م، حَيثُ قُتِلَ فِيها الأَميرُ عَبدُ المالك، وَقَد ادَّعَى الرِّيفِيُّون عَلَى حَسَبِ قَوْلِ الأَميرِ حَسَن أَنَّ الإِسْبانَ هُم الذين قَتَلُوهُ، بَيْنَمَا ادَّعَى هَؤلاء أَنَّ الرِّيفِيِّينَ هُمُ الذين فَعَلُوا ذَلك[2]، وَعَلى كُلِّ حَالٍ فَإِنَّ الأَميرَ كانَ قد أَعلَنَ ثَورَتَه في سَبيل تَحرِيرِ المغرِبِ مِن الاحتِلال.

وَعَلى أَيَّةِ حَالٍ، فَإِنَّ طُموحَ الأَميرِ عبدِ المالكِ العسكريِّ كَانَ كَبيراً حَتَّى قَالَ عَنه أَحدُ الفِرنسِيِّينَ في مَجَلَّةٍ فِرنْسِيَّةٍ مُحافِظَةٍ سَنَةَ 1917،"هُو صَخْرَةُ سِيزيف بِالنِّسبَةِ إِلَينا، فَكُلَّ مَرةٍ نُرغِمُهُ عَلَى التَّقَهقُر يَعُودُ فَيَسْقُطُ عَلى أَقدامِنا"[3]، فَالأَميرُ عَبدُ المالك وَإِنْ اتَّهَمَهُ بَعضُ الكُتَّابِ والمؤَرِّخِينَ المغاربةُ

---

[1] - أبو القاسم سعد الله، وثائق جديدة من ثورة، مقال سابق، ص56 .

[2] - أبو القاسم سعد الله، وثائق جديدة، مقال سابق، ص56.

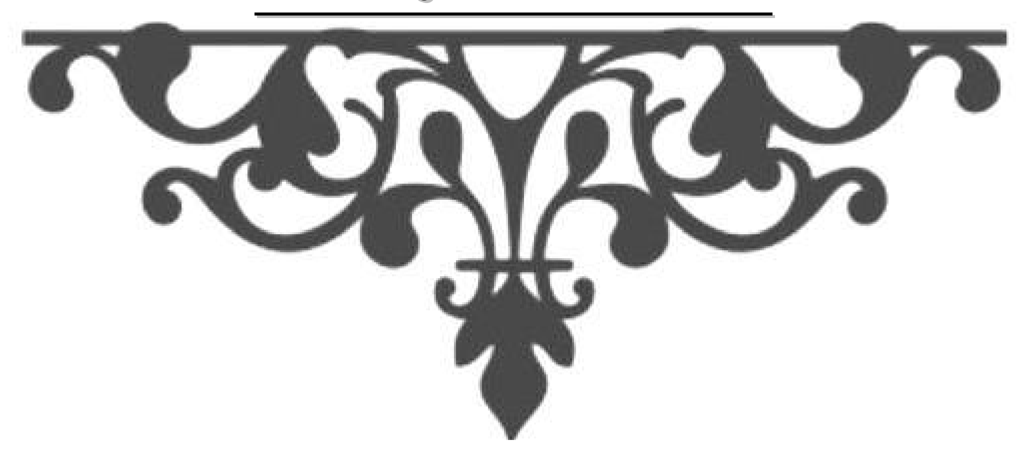
[3] - أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية، مرجع سابق، ج2، ص224.

بِالتَّواطُؤ مَع الإسبَانِيِّينَ، إِلَّا أَنَّ ثَورَتَهُ شَكَّلَتْ إِحدَى أَقْوَى المظاهِرِ التَّضَامُنِيَّةِ الجزائِرِيَّةِ في المغرِبِ الأَقْصَى ضِدَّ الاحتِلالِ الفِرنْسيِّ.



# الفصل الرابع

## العلاقات الاجتماعية والاقتصادية



# الفصل الرّابع :

# العلاقات الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة

## المبحث الأوَّل : العلاقات الاجتماعيَّة:

بعد أن ركَّزنا في الفصول السَّابقة على العلاقات السِّياسية التي جمعت البلدين، وذلك لاعتبارات تتعلَّق بموضوع الدِّراسة، يأتي هذا الفصل الرّابع والأخير، ليتناول العلاقات الاجتماعيَّة والاقتصاديّة، وفيه نحاول الكشف عن بعض القضايا الجوهرية كعناصر ومسائل مركزيَّة في العلاقات الاجتماعية، على غرار هجرة الجزائريّين إلى المغرب، كما سنعالج في الجزء الثَّاني من هذا الفصل العلاقات الاقتصاديّة.

- **العوامل المؤثرة في العلاقات الاجتماعية بين الجزائر والمغرب:**

الجزائر والمغرب قطران متجاوران، لشعوبهما أواصر يَشُدُّ بعضُها بعضاً؛ من تاريخ مشترك، وعادات، ولغة، ودم، ومصاهرة، وجوار طويل، وزادت هذه الروابط متانة في المحن والخطوب، حتى أصبح البلدان كالبنيان المرصوص عشية نزول الغازي في الجزائر سنة1830م، وقد تأثرت العلاقات الاجتماعية بين البلدين بعوامل ومؤثرات منها القديمة والجديدة:

- **العوامل القديمة:**

لا أحد ينكر ما للبلدين من روابط اجتماعية وثقافية قويّة، ويظهر هذا من خلال تشابه تام وحقيقي بين البُنى الاجتماعية (البشرية)، والحياة الثقافية، من عادات، وتقاليد وممارسات دينية وغيرها من الأمور وهذا من خلال العوامل التالية:

### o الروابط الجغرافية:

إن المتأمل لمظاهر السطح المغاربي يلاحظ بسرعة ذلك التشابه والوحدة التضاريسيّة للقطرين محل الدراسة، فهما في الحقيقة امتداد طبيعي منسجم، ذلّل من الناحية الجغرافية كلَّ عائق حال دون اتصال سكانها[1].

### o الروابط التاريخية:

عاشت شعوب المغرب العربي تجارب وحدوية كثيرة على مر التاريخ، حيث كان البلدان ولفترة طويلة بلداً واحداً تحت راية واحدة، سواء في العهد الإسلامي أو ما قبله، وكانت تلك الفترة كافية لترسيخ الشعور الوحدوي، وتعميق الروابط التاريخية بينهما، فتاريخهما مشترك منذ أقدم العصور إلى اليوم.

### o التركيبة البشرية:

لا يختلف اثنان في تطابق البنية الاجتماعية للجزائر والمغرب، فالعناصر المكونة لمجتمعاتهما واحدة، وكلاهما يتألف من عناصر رئيسة (البربر والعرب)[2] وعناصر ثانوية (كالأندلسيين واليهود والمسيحيين والزنوج...).

### o الدِّين:

يُعدُّ الدّين من المقومات الأُسس لبناء الأمم وجَدْل حَبْلها، حيث يقدم المغرب العربي نموذجاً للوحدة الدينية والمذهبية، التي لعبت دورا هامًّا في صقل الشخصية المغاربية، وتركت بصماتها القوية والواضحة في ثقافته وتقاليده[3].

---

[1]- عمار بن خروف، مرجع سابق ،ص335.

[2]- للاطلاع أكثر حول موضوع تشابه البنى الاجتماعية لبلاد المغارب ينظر: عبد الرحمن بن خلدون ،تاريخ ابن خلدون (ديوان المبتدأ والخبر)، دار الفكر، بيروت، لبنان، (د.ط)، 2000.

[3]- محمد الصالح الهرماسي، مقاربة في إشكالية الهوية المغرب العربي المعاصر، دار الفكر العربي المعاصر، 2001، ص15.

o اللّغـة:

تجانست اللّغة واللّهجات في المغرب العربي، فاشتدَّت عرى الأخوة بين شعوب المنطقة التي دخل سُكانها طوعاً في الإسلام، وَخضع البربر للدين الجديد، وتعلَّموا من الفاتحين قواعد اللغة العربية التي أصبحت اللغة الأولى للخطاب السياسي والديني للبلدان المغاربية، كما أضحت رابطاً يجمع هذه الشعوب تحت بوتقة وحدة .

• **العوامل الجديدة:**

تأثرت العلاقات الاجتماعية بعوامل أخرى جديدة، ويمكن حصرها في ما يلي:

o **الغزو الخارجي الإسباني البرتغالي للبلدين:**

أدى الغزو الإيبري سواحل البلدين وما جاورهما من مناطق داخلية، إلى ترك بصمات واضحة كان لها تأثيرها الواضح في الثقافة المحلية لبعض المدن من القطرين.

o **الهجرة الأندلسيَّة:**

تتابعت -ولمدَّة طويلة - هجرات الكثير من العائلات الأندلسية نحو البلدين، واستقرَّت في الحواضر الكبرى كالرباط، وطنجة، وسلا، وتلمسان، وتنس، والبليدة، وغيرها، وكان لنزول الأندلسيين في المنطقة تأثير كبير، خاصة في الجانب الثقافي والاقتصادي.

o **الوجود العثماني:**

لقد كان للوجود العثماني أثر عميق في الحياة الاجتماعية والسياسية لمنطقة المغرب العربي، ورغم أنّ المغاربة رفضوا الانضواء تحت الحكم العثماني، إلاّ أنهم أخذوا —طوعاً- عن العثمانيين أمورا كثيرة، إدارية وتنظيمية واجتماعية وثقافية(1).

---

1- عمار بن خروف، مرجع سابق ، ص ص 345 347.

- **هجرة الجزائريين إلى المغرب:**

استقبل المغرب موجات من المهاجرين الجزائريين، زرافات فرادى[1]، عشية نزول الغزاة الفرنسيين أرض الجزائر، هذه الهجرات كانت آنذاك من أهم الأحداث لما انجرَّ عنها من انعكاسات وتداعيات، وترجع دوافع هذه الهجرات إلى الأسباب التالية:

- **انتشار الفوضى والخوف:**

مِن نتائج دخول الفرنسيين إلى العاصمة الجزائرية بعد استسلام الحامية التركية، تَفَشِّي الفوضى والاضطراب، حيث تشير المصادر إلى أن إقليم وهران اختلط فيه الأمور واضطربت فيه الأوضاع، وخاصة بعد بلوغ خبر استيلاء الفرنسيين على العاصمة[2]، وإزاءَ هذا الوضع رأت بعض العائلات الهجرة إلى المغرب للمحافظة على ممتلكاتها.

- **السياسة الاستعمارية:**

ترتَّب عن السياسة الاستعمارية القائمة على السلب والنهب والتقتيل والحرق[3]، تخلي الجزائريين عن أرضهم لصالح المعمرين الأوربيين[4]، والبحث عن مناطق آمنة في الصحراء، أو في البلاد المجاورة كتونس والمغرب للاستقرار المؤقت[5]، ونتيجة لذلك شهدت المناطق الغربية للوطن هجرات متتالية نحو المغرب الأقصى[6]، ويذكر صاحب المرآة أنَّ السَّبب في هجرة أغلب الجزائريين إلى المغرب، تعسُّفُ وتسلط الفرنسيين«**...وقد تأكَّدت لي هذه المعلومات بواسطة جزائريين يسكنون بتطوان وغيرها**

---

1- إدريس بوهليلة ،مرجع سابق، ص 8.

2-حمدان خوجة، مصدر سابق، ص 187.

3- أحميدة عميراوي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1945م، منشورات المركز الوطني للبحث في ح و ث، الجزائر، 2007، ص80-85.

4- بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830-1930م وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010، ص ص106.111.

5- عبد الحميد زوزو ، الهجرة الجزائرية ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية بين الحربين 1919-1939م، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ط2، 1985.

6- فارس العيد، مرجع سابق ،ص 57.

**من مدن المملكة المغربية، أجبروا على الخروج من مواطنهم بسبب التنكيلات التي تعرضوا لها من طرف الفرنسيين...»**[1].

### o المجاعات والجوائح (تردّي المستوى المعيشي):

تشير الكثير من المصادر إلى نزوح عدد كبير من العائلات والقبائل الجزائرية الواقعة على الحدود إلى المغرب الأقصى، بسبب تردّي الأوضاع الاقتصادية والمعيشية حيث عرفت الفترة الممتدة بين 1867-1868-1869م، أسوء موجة جفاف في تاريخ المنطقة حيث عرفت البلاد أزمة اقتصادية خانقة[2]، انجر عنها انتشار الأمراض والأوبئة كالطاعون والكوليرا، إضافة إلى زحف الجراد الذي أتى على الأخضر واليابس، كما تشير الدراسات أيضا إلى هلاك الكثير من الجزائريين[3].

### o الأسباب الثقافية (إهمال العلم ومؤسساته):

لقد أجمعت معظم الدراسات على أنَّ الوضع الثقافي في الجزائر أُصيب بالتدهور بعد نزول المحتل أرض الجزائر، حيث عمد المستعمر إلى تجهيل السكان لمحاربة العقيدة الإسلامية ومؤسساتها، فلم يكن أمام علماء الجزائر وطلبة العلم مخرجٌ سوى الهجرة ، ولقد صدرت في هذا المجال فتاوى من بعض العلماء، ومن تلك الفتاوى إجابة العلامة التاسولي على سؤال كان قد ورد من الأمير عبد القادر الذي رأى أنَّ الهجرة واجبة على كل فرد قادر مستدلاً في ذلك بالقرآن[4]، كما حذا العديد من العلماء حذوه في وجوب الهجرة من ديار الكفر إلى ديار الإسلام[5]، ومنهم محمد بن العربي المشرفي الذي أفتى بوجوب الهجرة من ديار الكفر إلى ديار المسلمين، والتي تعتبر حسبه أقرب لحماية الدّين حيث يقول «**...فولاية أهل النبوة لأمان لهذه الأمة من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة، وهذا هو**

---

1- حمدان خوجة، مصدر سابق ،ص 57.

2 - André Noushi : «:la Crise économique de 1866 à 1869 dans le constantinois aspect démographique » ,in HESPERIS,1959, pp104-123.

3 - Sari Djilali ,Op.cit, p 132.

4- مصدق خديجة، **موقف الأمير عبد القادر من الهجرة رسالته"حسام الدين لقطع شبه المرتدين"** مجلة عصور، جامعة وهران ، ع12.13.14.15، 2009.ص136.

5 - Chales Robert Ageron :**« les migrations des musulmans Algeriens et l'exode de tlemcen »** , annales ,.année ,1967,v22,p1049.

**أحد الأسباب التي جاءت بنا إلى المغرب معشر المهاجرين، والهجرة إليه دون سواه وما وراءها من الأمصار...»** ومن خلال ما تقدم يمكن أن نرجع أسباب هجرة الجزائريين إلى المغرب إلى فتاوى شرعية[1]، أفتى بها علماء الأمة وقتئذ بنصوص صريحة الدلالة.

- **مناطق استقرار المهاجرين الجزائريين في المغرب:**

في ظل الأسباب المذكورة نزحت أعدادٌ كبيرة من الجزائريين إلى المغرب الأقصى، رغبة منهم في التخلص من الاضطهاد، والنجاة بالعقيدة، وهروبا من البؤس، والجوع، والخوف، واستقر هؤلاء الجزائريون بالكثير من المدن المغربية:

o **مدينة وجدة:**

استقبلت هذه المدينة العديد من الأسر الجزائرية، بحكم قربها الجغرافي من الجزائر، وارتباطها التاريخي والاقتصادي بالغرب الجزائري في العهد العثماني والزياني، ومن أوائل المهاجرين إليها أولاد الصابوني، وأولاد مرزوق، وأولاد العشعاشي، وأولاد مباصو، وأولاد مولاي عبد القادر[2]، كما استقر بها أهل تغنيف (معسكر) سنة1847م وهم ينحدرون من أولاد سي ناصر الحسيني[3]، حيث وصل تعداد العائلات الجزائرية في أواخر القرن التاسع عشر إلى حوالي ثلاثمائة عائلة، وقد تميَّز من المهاجرين الجزائريين عدة شخصيات كان لها تأثير في المدينة، كسيدي مصطفى[4] بن عبد الله بن الهاشمي الذي استقرَّ بتاغسورت عند بني زناسن، كما اشتهر أيضا محمد الصابوني بن أحمد النكروفي، ولا شك أنّ الأعداد الغفيرة للمهاجرين الجزائريين في هذه المدينة أثَّرت على الحياة الاجتماعية والاقتصادية للمدينة[5].

---

1- فارس العيد، مرجع سابق، ص 44.

2- إسماعيلي عبد الحميد العلوي ،مرجع سابق ،ص 108.

3- فارس العيد ،مرجع سابق، ص 64.

4-نفس المرجع ،ص 73.

5-إسماعيلي عبد الحميد العلوي، مرجع سابق ،ص 108.

### o مدينة تيطوان:

استقبلت مدينة تيطوان المطِلَّة على البحر الأبيض المتوسط موجات من المهاجرين الجزائريين، جماعات وأفراداً[1]، إذ يذكر المؤرخ محمد بن داوود في كتابه "تاريخ مدينة تيطوان" أنه وبعد نزول الاستعمار الفرنسي مدينة الجزائر، وصلت في شهر أوت 1830م إلى هذه المدينة باخرتين، تحمل كل واحدة على متنها بعضا من العائلات الجزائرية [2]، كما يذكر أجيرون في مقال بعنوان: "المهاجرون المسلمون الجزائريون ونزوح تلمسان" أنَّ هجرة الجزائريين بدأت بعد الاحتلال الفرنسي، حيث كانت تيطوان تستقبل مهاجري العاصمة، أما مهاجرو وهران ومستغانم، فقد استقروا بوجدة وتازة، بينما استوطن أهل تلمسان ومعسكر مدينة فاس[3].

وشكل الجزائريون في تيطوان أحياء داخل المدينة، من أشهرها حومة أحفير التي كان بها دار الشريف سيدي عبد السلام بن علي ريسون الحسني، الذي جعل داره وقفاً للمهاجرين الجزائريين[4]، واستقر الجزائريون أيضا بحومة الجامع الكبير، وحومة سوق الغزل التي كانت تعج بالمهاجرين الجزائريين من أصحاب الحرف وأهل التجارة كعائلة ابن الصايم، وابن زكري، وحسن الجزيري[5].

### o مدينة فاس:

نزح عدد كبير من الجزائريين إلى هذه المدينة العريقة في مراحل تاريخية مختلفة، ولعل بداية هذه الهجرة تعود إلى القرن السادس عشر، إلاّ أن أقوى وأكثف هجرة تلك التي أعقبت احتلال الفرنسيين للجزائر[6]، وكانت حاضرة فاس قبلة لكثير من المهاجرين الجزائريين لما تتمتع به من مكانة حضارية

---

1- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 8.

2- أزيزة ميمون :"**الهجرة الجزائرية نحو المغرب اثناء الاستعمار**"، تر:جيلاني كوبي معاشو، مجلة المواقف، ع 4،سنة2009، ص260.

3 - Chales Robert Ageron ,Op. cit, p1049.

4- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 110.

5- فارس العيد، مرجع سابق، ص68.

6-المشرفي ،مصدر سابق،ج1، ص 44.

ودينية[1]، وكان أغلب المهاجرين إلى هذه الحاضرة هم من سكان تلمسان وتوات ومعسكر[2]، أين اندمج هؤلاء المهاجرون بشكل سلس في سكان المدينة، وكوّنوا مجتمعاً متجانساً[3]، وانصهر الوافدين من المهاجرين في سكان فاس وهم اليوم جزء لا يتجزأ من المجتمع الفاسي [4]، ومارس المهاجرون الجزائريون حِرَفًا ومِهَنًا متنوعة في شتى المجالات، ففي التجارة برع التجار التلمسانيون، وأبرزهم أولاد بن قبيل وأولاد بن عياد وأولاد بن القيسي، أما الحِرَفِيُّون فنجد أولاد بومزية، والمدرسيين أولاد التلمساني وبيت البجاوي، ومن القضاة محمد بن سعيد التلمساني، ومحمد بن عبد الله البجاوي، ومن الفقهاء نذكر الحاج بن محمد لكحل المقري أحد كبار العلماء ممن نالوا حظ التدريس بجامع القرويين، كما تميز في فاس العالم الجليل أبو حامد العربي المشرفي[5] الذي هاجر من غريس لنواحي معسكر في حدود سنة 1844م[6]. كما استقر أيضا في المدينة عدد كبير من الجزائريين الذين نزحوا من توات[7].

- **موقف المغاربة من المهاجرين الجزائريين:**
  - **الموقف الرسمي:**

أولى السلطان عبد الرحمن أهمية كبيرة لقضية المهاجرين الجزائريين إلى مملكته، حيث تابع المسألة شخصياً وهذا ما لمسناه من خلال خمس رسائل سلطانية، سنعرض لها بالتحليل. ففي الرسالة الأولى التي أرسلها إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش، ردًّا على مراسلة تلقاها هذا الأخير

---

[1] - فارس العيد، مرجع سابق، ص 71.

[2] - Jean Jacques Rager : « Les Musulmans Algériens en France et dans les Pays Islamiques », les belles lettres,paris, 1950, pp 33 34.

[3] -المشرفي ،مصدر سابق، ص 44.

[4] - روجي لوطورنو، فاس قبل الحماية، ج1، تر: محمد حاجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، (د.ط)، 1992، ص 295.

[5] - فارس العيد، مرجع سابق، ص ص 73 75.

[6] - المشرفي، مصدر سابق، ص 45.

[7] - Michaux Billaire :« les Musulmans Algériens au Maroc », archive marocaines, V11,1907.publication de la mission scientifique du maroc, paris, 1974, p20

يخبره فيها بنزول عدد من الجزائريين في ميناء تيطوان، فقد أظهر السلطان تعاطفه وتضامنه مع المهاجرين الجزائريين في هذه الرسالة، كما أمر القائد أشعاش بحسن استقبال الوافدين «**...فكل من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول، واجبر خواطرهم بالإكرام ولين الجانب فإن جبر القلوب واجب وأحرى إحواننا المسلمين الذين قهرهم العدو...**»[1]. ويظهر من خلال محتوى هذا الخطاب في الرسالة أن السلطان عبد الرحمن يتمتع بقيم أخلاقية راقية، وعلى مستوى عالٍ من التّديُّن والفقه، بدليل أنه كان مدركاً لوجوب إكرام المهاجرين والإحسان إليهم، لأن ذلك من تعاليم ديننا الحنيف[2]، وقيمنا الأخلاقية الإسلامية.

إنّ هذا الموقف الأخوي ظل ثابتا عند السلطان، ولعل ما يثبت ذلك الرسالةُ السلطانية المؤرخة في 11 جمادى الأولى 1254هـ/02 أوت1838م «**...فإن أهل الجزائر ناس غرباء أخرجهم العدو الكافر من أرضهم ووطنهم والتجؤوا لإيالتنا واستظلوا بظل عنايتنا فينبغي أن نؤنس وحشتهم بما ينسيهم غربتهم لأنهم إخواننا في الدّين..وحسن جوارهم وعاملهم بما يناسب حالهم وأظهر أثر العناية بهم والرعاية لهم تطييبا لنفوسهم وجبرا لخواطرهم..**»[3] ، ويبدو من خلال النص السلطاني أن مسألة هجرة هجرة الجزائريين قد شغلت بال المخزن المغربي في شخص السلطان عبد الرحمن، فقد تعامل مع ظاهرة هجرة الجزائريين بواقعية وشجاعة وحزم، وأبان في البداية عن هوية الحاكم المسلم.

كما كان السُّلطان يقوم بتقديم المساعدات الماليَّة للجزائريِّين الفقراء كلَّما دعت الحاجة إلى ذلك، وهذا ما لمسناه من خلال الأمر السلطاني الذي بعثه السُّلطان إلى عامله القائد أشعاع والمؤرَّخ في 27 صفر 1258هـ/8 أفريل1842م. «**...فبوصول كتابنا هذا إليك ادفع لمخازينة خدامنا من أهل تيطوان ألف** ريال **واحد يقسمونه بينهم على العادة ولضعفاء أهل تيطوان ويتاماهم وأياماهم ألفي مثقال ثنية،**

---

[1]- رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامل تيطوان القائد محمد أشعاش، المؤرخة في 22ربيع الأول 1246هـ الموافق ل 09 سبتمبر 1830م، رقم :1/35 ك IV الخزانة الحسنية (القصر الملكي) .:ينظر أيضاً الملحق 04.

[2]- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 26.

[3]- إسماعيلي عبد الحميد العلوي، مرجع سابق، ص ص 108 109 – رسالة السلطان إلى عامله القائد محمد أشعاش الخزانة الحسنية ،رقم ينظر أيضاً الملحق رقم : 05.

**مثلها للضعفاء واليتامى والأيامى من أهل الجزائر، كل فريق يختص بما عين له، وأعلمنا بما وجب لهم والسلام...»**[1] .

وفي رسالة أخرى يأمر السلطان القائد السابق الذِّكر أن يوزِّع مقداراً من المال على مساكين المهاجرين «**...فبوصول كتابنا هذا إليك فرق ألف مثقال واحد على ضعفاء أهل الجزائر الذين بتطوان...»**. وكان أغلب المهاجرين حسب الرِّسالة في وضع لا يحسد عليه، فقد بلغ السُّلطان أنَّ أكثرهم لا حرفة لهم.

وجملة القول إذاً في ما تقدم، أن السُّلطان عبد الرحمن أظهر تضامنه وتعاطفه مع المهاجرين الجزائريين، وأمر عمَّاله في جميع النواحي والبوادي بحسن استقبال المهاجرين الجزائريِّين والإحسان إليهم.

- **المو‌قف الشعبي:**

رغم عدم توفُّر المعلومات الكافية عن هذا الموضوع في حدود الاطِّلاع على المصادر والمراجع المتوفِّرة لدينا، إلاّ أنَّنا نعتقد أنَّ المغاربة خَصُّوا إخوانهم المهاجرين الجزائريِّين باستقبال حارٍّ، وعبَّروا عن تضامنهم مع إخوانهم في محنتهم، وفتحوا أبوابهم أمام العائلات الجزائريَّة المهاجرة، وهذا عكس ما روَّجت له الكتابات الاستعمارية، مِن أنَّ المهاجرين الجزائريِّين استُقبِلوا ببرودة وبنوع من التوجُّس، واعتبرهم المغاربة أجانب وعاملوهم باحتقار وازدراء[2]، بَيدَ أنَّ هذا لا ينفي بعض التجاوزات في حقِّ المهاجرين الجزائريين مِن بعض الإخوان المغاربة، وخاصة بعد المنافسة التِّجاريَّة والحرفيَّة التي فرضها الجزائريُّون في المدن الكبرى من المغرب، وهو ما جعلهم يتعرَّضون للمُضايقة،[3] ففي مدينة وجدة مثلاً كان بعض الوجديِّين يُلقِّبون الجزائريِّين بأصحاب النصارى[4].

---

[1]- رسالة السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش،المؤرَّخ في 27 صفر 1258هـ/8 أفريل1842م، في شأن تقديم مساعدات مالية للمهاجرين الجزائريين . ينظر إبراهيم حماش، ص 38.

[2]- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 36. - Michaux Billaire « les Musulmans Algériens au Maroc »,Op.cit, p 5.

[3] - Jean Jacques Rager, Op.cit, p 33.

[4]- أزيزة ميمون، مقال سابق، ص261.

وخلاصة القول في ما تقدم أنّه ما من شك عندنا في الموقف المشرف والمشرق الذي لعبه المغرب شعباً وسلطة في استقبال المهاجرين الجزائريين .

- **التّأثير الحضاريُّ والاقتصاديُّ والسياسيُّ للمهاجرين الجزائريِّين في المغرب:**

ارتبطت الهجرة الجزائريَّة نحو المغرب بالاستعمار، وتجلَّت أبعادها السُّوسيو-حضارية في اندماج متجانس بين المهاجرين الجزائريِّين والمجتمع المغربي[1]، ولا سيَّما في المدن الكبرى كتيطوان وفاس ووجدة، حيث كان لهذه الهجرة تأثير واضح في هذا البلد الشقيق، ولكن ما يلفت الانتباه هنا أنَّ أغلب الكتابات التَّاريخيَّة وخاصَّة المغربيَّة المعاصرة- إلاّ من رحم ربك- لم تتناول بجدِّيَّة وموضوعيَّة مسألة انعكاسات هجرة الجزائريِّين إلى المغرب، ونذكر من الكتابات التي تناولت الموضوع بما يستحقُّ من التَّأني والتَّرَوِّي بعيداً عن أطروحة الاستعمار، كتاب "الجزائريون في تيطوان ومساهمتهم في التَّاريخ الاجتماعي المغربي" للمؤلِّف إدريس بوهليلة، وهو في ما يبدو لنا المرجع الوحيد الذي تفطَّن لدسائس الكتابات الاستعماريَّة، في حين ذهب البعض الآخر مع طرح المدرسة الكولونيالية التي سوَّقت صورة الصِّراع والنُّفور [2].

لا شكَّ في أنّ المهاجرين الجزائريين إلى المغرب وبعد استقرارهم في المدن، كان لهم دور فعّال ومُشرِّفٌ في مُختلف المجالات، وهذا ما غفل عنه هؤلاء من أنصار الغرب وأعداء الوحدة، وفي ما يلي نعرض باختصار أهمَّ التَّأثيرات الحضارية والاقتصادية والسياسية للجزائريِّين بالمغرب:

- **الحضارية:**

لقد كان لهجرة الجزائريين إلى المغرب انعكاسات حضارية واضحة، تمثَّلت في رسوب العديد من العادات الجزائرية في المجتمع المغربي، وهذا ما أشار له المؤرخ محمد داود في كتابه "تاريخ تيطوان"، حيث يقول إنَّه كان لهجرة الجزائريّين إلى المغرب دور كبير في إدخال تأثيرات اجتماعيَّة وثقافيَّة وحضاريَّة إلى مدينة تيطوان ويذكر أيضا في هذا الشَّأن محمد التُّهامي الوزَّاني «**...فأدخلوا-أي**

---

1- روجي لوطورنو، مرجع سابق، ص 295.

2- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص ص 41 47.

**المهاجرين الجزائريين-معهم إلى تيطوان العوائد التُّركيَّة وكثير من ثقافة الجزائر وأخلاقها، فأخذ التِّيطوانيون عنهم الحضارة التي جاءوا بها وضمُّوها إلى الحضارة الأندلسيَّة المغربية التي كانت موجودة بالبلد...»[1].**

ونلمس هذا التأثير[2] في ألفاظ تيطوان الجزائرية والتركية، حيث يذكر صاحب عمدة الراوين في تاريخ تاطوين العلامة أحمد الرهوني أنَّ أهل تيطوان تأثروا بالألفاظ الجزائرية والتركية التي نقلها إليهم المهاجرين الجزائريون بعد استيلاء الفرنسيين على بلدهم، ومن الألفاظ الجزائرية التي تداولها التيطوانيُّون نذكر على سبيل المثال:

-بارود: مسحوق الرصاص.

-باشا: حاكم.

-بقراج: إناء ماء.

-براني: غريب.

-بزاف: كثير.

-زطام: كيس لوضع النقود.

-بصطيلة: نوع من الطعام.

-جابدور:لباس للرجال.

-شاوش: حارس.

-طاوة: قدر من طين.

-مقراج: إبريق.

هذا وكان للجزائريين دور في ترسيخ بعض العادات في اللباس والمأكل، ومن أشهر الملبوسات الجزائرية التي ذاعت بين سكان المغرب: القفطان، والبدعية، والجبادور، والفسطان، أمَّا الأكل فقد تأثرت المائدة التيطوانية هي أيضاً بعادات الجزائريين في إعداد الأطباق، ونذكر منها الباصطيلة والبقلاوة، والقهوة، والملويّ[3].

---

1- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 124.

2- أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تاطوين، تح جعفر ابن الحاج السالمي، ج3، منشورات جامعة تيطوان، بتطوان 2003، ص ص 1 2 .

3- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص ص 125 130.

- **الاقتصادية:**

ساهم المهاجرون الجزائريون في تنشيط الحركة الاقتصادية المغربية، خاصة في المدن، كما كان لهم دور في إثراء العمارة، وازدهار التجارة والصناعة، والحرف، حيث كان أغلب المهاجرين من ذوي المال والحرف، وخاصة في الحرف العسكرية، فاستفاد منهم الجيش المغربي، ولعلّ ما يثبت هذا إحدى رسائل السلطان عبد الرحمن إلى القائد أحمد أشعاش، التي يخبره فيها بأنَّه قد بلغه نزول جزائريين لبلاد المغرب، يتمتعون بمؤهّلات في بعض الحرف العسكرية «**...فيهم البحرية، والطبجية والعارفون بصناعة البنب والكورة، والمدافع والمهارس...**» ويأمر السلطان ويلح على عامله بضرورة توظيفهم واستغلال خبرتهم[1].

أمَّا الحِرَفيُّون من المهاجرين الجزائريين، فقد كانوا يزاوِلون كل أنواع الأنشطة التقليدية كالخياطة، والحدادة، والنجارة، وصناعة النسيج والأحذية، وصناعة الأسلحة[2]، وتجدر الإشارة هنا إلى أنّ عدداً كبيراً من الأُسَر الجزائرية التي استقرت بالمغرب كانوا من أغنياء ووجهاء الجزائر، وخاصة من التُّجَّار الكبار[3]،ونذكر منهم محمد بن محمد الصابوني[4]، وابن سالم فاصلة، والقاضي الحاج العربي بن لحبيب، والحاج عبد الكريم بن الطالب، وأحمد بوضربة الذي استقر بتيطوان، كما كان لمدينة فاس تجار كبار جزائريُّون على غرار أولاد بن قبيل وأولاد بن عياد[5].

---

1- رسالة السلطان إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش، ينظر إبراهيم حماش، ص 37.

2-إسماعيلي عبد الحميد العلوي، مرجع سابق، ص 111.

3- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 98.

4- إسماعيلي عبد الحميد، مرجع سابق، ص 110.

5- فارس العيد، مرجع سابق، ص 73.

## - السياسية والعلم:

شارك الجزائريون بالمغرب جنباً إلى جنب إخوانهم المغاربة في صناعة التاريخ المغربي، فعاشوا أحداثه وتأثروا بها، ومنها وقوفهم المشرِّف في حرب تيطوان 1860م، وليس غريبا أن يعتبروا أنفسهم مغاربةً بعدما لقوا ما يؤنسهم سنين طوالاً في هذا البلد الشَّقيق، كما أصبح بعض الجزائريِّين ممن لهم دِراية بأمُور العلم والرِّياسة مقرباً من المخزن، وممَّن نالَ هذا الحظَّ[1] القاضي محمد بن سعد التلمساني، ومحمد بن عبد الله المجاوي، والفقيه محمد بن محمد لكحل المقري، ومحمد السعيد بن محي الدين شقيق الأمير عبد القادر، والمحدِّث ابن تكوك الشارف الجيلالي، والمشرفي العربي بن عبد القادر، ومحمد بن الأعرج السليماني صاحب كتاب اللسان المعرب عن تهافت الأجنبي حول المغرب، كما تميَّز من المهاجرين الجزائريين إلى فاس، العالم أبو حامد العربي المشرفي[2]، ومحمد بن محمد بن مصطفى المشرفي صاحب الحلل البهية، وآل أمباصو، وآل سيدي الحبيب بن المصطفى، ومحمد بن الحبيب، والعلامة جلول بن رورو المستغانمي[3]

---

1- المشرفي، مصدر سابق، ص 59.

2- فارس العيد، مرجع سابق، ص ص 71 75.

3- إسماعيلي عبد الحميد العلوي، **"علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19"** ،أعمال الندوة الوطنية ،الحركة العلمية في العصر العلوي، كلية الآداب وجدة ، أيام 9. 10. 11 ديسمبر 1993م ، ص ص 73.79.

- **أعلام ومشاهير من الجزائر في المغرب :**

فَرضت ظروفُ الحرب والإبادة على الجزائريين مغادرة أراضيهم نحو بلاد آمنة، فاختار بعضهم الهجرة إلى الدول الإسلامية المجاورة، وغير المجاورة، حيث استقبل المغرب الأقصى أعداداً كبيرة منهم، سواء أولئك الذين وفدوا عليه بغية الإقامة أو الذين اتخذوه منطقة عبور[1]، وكان في طليعة المهاجرين الجزائريين إلى المغرب المثقفين والعلماء، حيث نزح عدد لا بأس به منهم إلى المغرب سواء لطلب العلم أو للعطاء فيه، كما نزل في الجزائر أيضا بعض طلاب العلم والمثقفين المغاربة.

وقد كان للمثقفين الجزائريين المهاجرين إلى المغرب دور بارز في تنشيط الحياة الثقافية، وإعمار مراكز العلم المغربيّة. وليس من المبالغة إذا قلنا إنّ أغلب علماء الغرب الجزائري هاجروا إلى المغرب بعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، كما نعتقد أيضاً أنَّ الانتعاش والازدهار الذي عرفه الوضع الثقافي في المغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ولاسيما في الحواضر المعروفة ،كتيطوان، وفاس، يرجع فيه الفضل إلى المهاجرين من علماء الجزائر، وبطبيعة الحال كما نال بعض العلماء والمثقفين الجزائريين، وخاصة التلمسانيين حظوة لدى السلاطين المغاربة؛ فتقلد بعضهم مناصب علمية ودينية، كالتدريس، والإفتاء، والقضاء، والإمامة، والحجابة، والخطابة، كما نالت بعض الأسر الجزائرية، تقدير العامة والخاصة في المغرب، ونذكر ها هنا بعض الأسر والعائلات الجزائرية المهاجرة :

- **آل سيدي الحبيب بن المصطفى:** هم من الشرفاء الأدارسه الذين هاجروا من منطقة غريس (معسكر) نحو وجدة بعد سقوط مدينة الجزائر في يد الفرنسيين[2]، وقد حظيت عائلة سيدي الحبيب مكانة في حاضرة وجدة، وبرز منهم الحبيب بن المصطفى الذي تدرج في المناصب الدينية والعلمية فحاز شهرةً كبيرةً [3]، وابنه محمد بن الحبيب الملقب بالكفيف، ورغم هذا فقد سطع

---

1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 486.

2- فارس العيد، مرجع سابق، ص 65.

3- عبد الحميد إسماعيلي، علماء المهجر بمدينة وجدة في القرن 19، أعمال الندوة الوطنية، الحركة العلمية في العصر العلوي، كلية الآداب، جامعة وجدة، أيام 9- 10 – 11 ديسمبر 1993م، ص ص 74.

نجمه في كثير من العلوم وخاصة التوحيد والفرائض[1]، كما اشتهر من آل سيدي الحبيب أحمد بن الحبيب الذي قال فيه العلامة ابن بكار أنه كان آية من آيات الله في علوم الشريعة، وقد تولى التدريس في مدينة وجدة[2].

- **آل بن باصو:** هاجرت عائلة آل بن باصو أو أولاد مباصّو من تلمسان إلى المغرب في حدود سنة 1836م، واستقرت بأحواز وجدة، ومنهم – آل مباصو- الفقيه مصطفى بن محمد باص الذي نال حظوة عند السلطان الحسن الأول[3].
- **عائلة ابن مرزوق:** أصل هذه العائلة من تلمسان، واستقرت بتطوان، ومن اشهر عُلمَائها : محمد بن عبد القادر بن مرزوق الذي كان إماماً في الفقه، والنحو، والبيان، والتفسير، واشتهر منها أيضاً سيدي العباس بن عبد الرحمن بن مرزوق[4].
- **آل المشرفي:** نزلت هذه العائلة في فاس بعد أن هاجرت موطنها غريس (معسكر)، وبظهير سلطاني مؤرخ في 18 مارس1832م من السلطان عبد الرحمن استقرت العائلة في فاس[5]، وبَرَزَ منهم الحاج العربي المشرفي، ومحمد بن أحمد بن مصطفى المشرفي[6]، صاحب الحلل.
- **آل بنونة:** عائلة من العائلات المشهورة التي نزلت فاس ثم استقرت بعدها في تيطوان، أصلها من تلمسان، ونذكر منهم: الحاج عبد السلام بن نونة الذي كان أديباً، ومؤرخاً، والحاج عبد الكريم بن المهدي بن نونة [7].

هذا وقد ذكر الرهوني في عمدة الراوين عشرات العائلات الجزائرية التي أقامت في تيطوان، منهم:

- عائلة بومعزة
- عائلة ابن فاضل

---

1- عبد الحميد إسماعيلي، علماء المهجر في مدينة وجدة، مرجع سابق، ص 74.

2- بلهاشمي بن بكار، مجموعة النسب والحسب والفضائل والتاريخ والأدب في أربعة كتب، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، (د.ط)، 1961، ص 140.

3- عبد الحميد إسماعيلي، علماء المهجر في مدينة وجدة، مرجع سابق، ص 78.

4- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 74.

5 -Michaux billaire : op, cit, p 64.

6- المشرفي، الحلل، ج1، مصدر سابق، ص ص 57. 58.

7- إدريس بوهليلة، مرجع سابق، ص 75.

- عائلة المفتي
- ابن طالب
- ابن شطاب
- ابن سفاج
- ابن شقرون
- ابن الدباغ
- ابن جعفر
- عائلة النقاش
- عائلة بن عمر
- عائلة ابن عبد اللطيف
- عائلة ابن عبد العزيز
- عائلة ابن زاكور
- أبو عزيز
- ابن تاويت
- ابن صايم [1]

نَزل بعض علماء الجزائر مراكش واستقروا بها، حيث كان لهم دور في تنشيط الحياة الثقافيّة ومنهم؛ العالم عبد القادر بن محمد الراشدي، الذي تولى قضاء مراكش[2].

- **مشاهير وعلماء من المغرب زاروا الجزائر:**

تنقل المثقفون في هذه الفترة بين المغرب والجزائر كتنقل الجزائريين بين وهران وتلمسان، والمغاربة بين فاس ومكناس، فلائحة التبادل، وعدد الذين تنقلوا أكبر من أن يحصر، ومن المثقفين المغاربة الذين زاروا الجزائر في هذه الفترة سواء لطلب العلم أو الإجازة نذكر منهم:

1- أحمد الرهوني، مصدر سابق، ص ص 8. 41.
2- إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية، مرجع سابق، ص 23.

- **أبو القاسم الزيّاني:** الذي اجتمع بعلماء قسنطينة، وبعض صُلَحائها كعلي بن مسعود الونيسي والفقيه الحفصي أبي القاسم المحتالي [1].
- **أحمد المصطفى بن طوير الجنّة:** الذي زار الجزائر سنة 1832م بعد رحلته إلى الحج، واحتفت السلطات الفرنسية به، فاستقبلوه في الجزائر استقبالاً خاصاً، وقد سجل ابن طوير الجنة بعض الملاحظات على الجزائر في رحلته التي نشرت باللغة الإنجليزية تحت عنوان "رحلة المنى والمنة" [2].
- **أبو حامد المشرفيّ:** رغم أنه من أصول جزائرية إلا انه مغربي المولد زار الجزائر في مناسبتين، 1849م ثم في سنة 1877م.
- **محمد التاودي السقّاط:** زار الجزائر منتصف القرن التاسع عشر ويقول أبو القاسم سعد الله أنّه حل في الجزائر في وفد رسمي، ويشير السقاط في رحلته التي سماها " خرق العوائد" إلى هذه الزيارة [3] .
- **أحمد العربي الحسونا لوزاني:** صاحب الرحلة الوزانية الذي حل في الجزائر أثناء رجوعه من الحج وزار أيضا وهران سنة 1853.
- **الحسن بن محمد الغسال**[4].
- **محمد بن الحسن الحجوي** زار مدينة تلمسان بعد دعوى تلقاها من السلطات الفرنسية لحضور حفل افتتاح المدرسة الإسلامية، كما زار حمام ريغ قرب مدينة الجزائر[5].

---

[1]- إبراهيم حركات، التيارات السياسية والفكرية، مرجع سابق، ص23.

[2]- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، مرجع سابق، ص 571.

[3]- نفس المرجع، ص 576.

[4]- نفس المرجع، ص 577.

[5]- إبراهيم حماش، مرجع سابق، ص 246.

## المبحث الثاني : العلاقات الاقتصادية:

لاحظنا في ما تقدم من فصول أنَّ العلاقات السِّياسيَّةَ كانت غير ثابتة بين رموز المقاومة الجزائرية والسلطة المخزنية في المغرب، فقد طغى عليها التَّوتُّر والتَّرقُّب والحَذَرُ، وهذا ما انتَهيْنا إليه من خلال فصول هذا البحث، وعلى العكس من ذلك تماما فإنّ العلاقات الاجتماعية تميَّزت بتآزر وتضامن الشَّعبَيْن -الجزائري و المغربي- في المحن والخطوب. أمَّا في المجال الاقتصادي فلا شك أنَّ القُطريْن مَحلِّ الدِّراسَة قد ارتبطا بعلاقات اقتصاديَّةٍ نظراً لموقعهما الجغرافي، فالبلدان متجاوران لا حواجز طبيعة بينهما، فمِن خلال المصادر التي اطَّلعنا عليها، وبناءً على عدم اهتمامها بالجانب الاقتصادي إلاّ نادراً، فقد تكوَّنت لدينا صورة عن الواقع الاقتصادي بين الجزائر والمغرب في الفترة المدروسة، فبحكم الجِوار، والعلاقات الاجتماعية والثقافية بين البلدين، تأسَّست علاقات اقتصادية بينهما، وأكَّدت المصادر أيضا أنَّ العلاقات الاقتصاديَّة لم تَبلُغ حدَّ القَطيعة، حيث ظلَّت هذه العلاقات قائمةً رغم التُّوتر السِّياسي بين البلدين، وخاصَّة في المجال التِّجاري، حيث تشير هذه المصادر إلى المبادلات التجارية بين المدن الواقعة في الغرب الجزائري والمدن الواقعة في شرق المغرب.

- **.طرق المواصلات:**

تُعدُّ الطُّرق والمسالك التِّجاريَّة إحدى أهمِّ الرَّكائز الأساسيَّة في عمليَّة التِّجارة والنقل التِّجاري، ويرجع تاريخ الطُّرق والممرَّات التِّجاريَّة في الجزائر إلى عهد بعيد، ففي العهد الرُّوماني كانت أغلب الطُّرق عرضيَّة من الشَّرق إلى الغرب وموازية للسَّاحل[1]، أمَّا في الوسيط فقد تحدث الرحالة عنها كابن بطوطة، والإدريسي، وابن حوقل، والبكري، والحسن الوزان، وابن خلدون، وغيرهم من الجغرافيِّين الذين وصفوا هذه المسالك بأدقِّ التَّفاصيل، أمَّا في الفترة الحديثة، فقد كانت الجزائر تتوفَّر على شبكة من الطُّرق التي ربطت بين مختلف الحواضر والمدن الجزائريَّة[2] .

---

[1]- علي عبد القادر حليمي، جغرافيا الجزائر (دراسة طبيعية بشرية اقتصادية)، مطبعة الإنشاء ،دمشق،سوريا، ط2، 1983، ص18.

[2]- ناصر الدين سعيدوني، شبكة المواصلات بالجزائر أثناء العهد العثماني، تقديم عبد الجليل التميمي، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلوماتية، زغوان (تونس)، 2000، ص ص 64-68.

وقد استهوى النَّشاطُ التِّجاريُّ الإمبريالي الواسع في الجزائر أواخر القرن التاسع عشر الفرنسيِّين، فعمدوا إلى مدّ الطرق، وإنشاء شبكة السِّكة الحديديَّة لنهب ثروات وخيرات البلاد[1] من جهة، ولتسهيل عمليَّة تنقُّل قُوَّاتهم العسكريَّة الغازية من جهة ثانية، وقد اهتمُّوا في البداية بالتَّعرف على طُرق القوافل القديمة وتحديدها بواسطة الحملات العسكرية والبعثات الاستكشافيَّة، وبواسطة دراسة وترجمة كتب الرَّحَّالة والجغرافيِّين المسلمين الذين جابوا منطقة المغرب العربي[2].

ويمكن تحديد أَهمِّ طُرُق المواصلات بين الجزائر والمغرب بداية الفترة الاستعمارية 1830-1850 كالآتي:

### أ/ الطُّرق العرضية:

تمتدُّ هذه الطُّرق من الشَّرق إلى الغرب والعكس، وهي المسالك التي كانت تسلكها القوافل سواء في الذهاب والإياب، بدءاً من أقصى غرب المغرب وصولاً إلى الحجاز، مروراً بأهمِّ الحواضر المغاربيَّة، ففي المغرب تبدأ هذه الطُّرق من مرّاكش، ثم فاس، فتازة، إلى وجدة، ثم تلمسان بالجزائر، ثُمَّ وهران، ومعسكر إلى متِّيجة، وبعدها بوفاريك وصولا إلى الجزائر العاصمة، فقد ذكر أبو القاسم الزّياني في رحلته مراحل هذه الطريق كما يلي: بعد الخروج من تلمسان نجد القلعة، ثم أرشكول سيف البحر ثم مدينة مستغانم، ثم معسكر ثم تهارت، ثم مازونة ثم شرشال ثم البليدة ثم الجزائر[3]، ثُمَّ يتَّجه الطَّريق من الجزائر إلى قسنطينة مارّاً بواد الزَّيتون بني هارون، ثُمَّ حمزة (البويرة)،ثم أبواب الحديد وهو الطريق الذي سلكه الرَّحالة بايسونال عام 1725م ودي فونتان عام 1785م.

كما يوجد طريق آخر موازٍ للطَّريق الأوَّل، حيث يتقاطع الطَّريقان في محطَّاتٍ مشتركة، إلاّ أنَّه أقلُّ حركيَّة من الأوَّل، حيث يَعبر المناطق الدَّاخليَّة والصَّحراويَّة، حيث ينطلق هذا الطَّريق من أغادير إلى مراكش، ثُمَّ فيقيق، أمّا في الجزائر فيَعبر بلاد أولاد سيد الشيخ، فيَمرُّ على الشَّلالة

---

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، في الملتقيات الوطنية والدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1999، ص111.

2- نفس المرجع، ص 111.

3- رشيد حفيان، الطرق والقوافل التجارية بين الحواضر المغاربية وأثرها الحضاري في العهد العثماني خلال القرنين 11-12هـ/17-18م، رسالة ماجستير، كلية الآداب والحضارة الإسلامية، قسم التاريخ، جامعة قسنطينة 2014/2013، ص16.

وجارفيل (البيض) ، ثُمَّ الأغواط، ثُمَّ بوسعادة، ثم بسكرة، ومن بوسعادة يتفرَّع الطَّريق إلى ورقلة، مروراً بغرداية وتوقرت، ومما تحسن الإشارة إليه أنّ طرق القسم الشَّمالي بنوعيها التَّلي العرضي، والصَّحراوي العرضي، في امتدادها بُنِيت على الماء، حيث مثَّلت الآبار والعيون والأودية محطَّات استراحة، لذا فأغلب محطَّات هذه الطريق نجدها تحمل أسماء لآبار، أو عيون، أو وديان.

## ب/ الطُّرق الطُّوليَّة (الصَّحراويَّةُ):

هذه الطُّرق تمتدُّ من الشَّمال إلى الجنوب، حيث تربط بين شمال المغرب العربي، ودول الساحل أو إقليم السودان الغربي، وقد لعبت التِّجارة دوراً بارزاً في ربط الصِّلات والعلاقات، وتحديد طابعها بين الممالك والإمارات الصحراوية، طوال العَصرين الوسيط والحديث، ومن أهمِّ الطُّرق الطَّولية نذكر:

- طريق مرّاكش إلى تمبكتو: ويمرُّ على تارودانت، وتاوريت، وتيندوف، ويخترق رمال إيفيدي وعرق شيمش، ويتَّجه إلى تاوديني، كما يخترق الجوف شرقا، مارّاً بأونان ليتَّجه شرقا إلى تمبكتوو، وهُو الطَّريق الذي سلكه أوسكار لينز الرَّحالة الألمانيُّ عام 1880م[1].
- طريق فاس إلى ساحل الذَّهب: تنقسم هذه الطَّريق إلى ثلاثة محاور، حيث يبدأ الأَوَّلُ من سلجلمسة، والثاني من مراكش، والثالث من وادي نون:
  - المحور الأوَّل: ينطلق مِن سجلماسة نحو توات، ثمَّ منطقة كوراة نحو عين زيكزا، ثُمَّ إلى كاو، ثُمَّ إلى ساحل الذهب.
  - المحور الثَّاني: ينطلق من مرَّاكش إلى لكتاوة، ثم إلى تاغزا، ثم إلى تاودني، نحو تمبكتو.
  - المحور الثَّالث: من مرّاكش نحو أغادير (سانتكروز)، وتنطلق القوافل من وادي نون (كلميم-ذهابا وإياباً-نحو تاكوست، ثُمَّ إلى ودّان ثم إلى تيشيت، ثم إلى مركز ولاتة ومنها إلى ساحل الذهب)[2].

---

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر،مرجع سابق، ص111.

2- عمر أفا، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات والتحولات1830-1912، دار الأمان، الرباط، ط1، 2006، ص297.

- طريق فاس ومكناس إلى تمبكتو: يَعبُر هذا الطَّريق قصبة المخزن، ثُمَّ أم دريبينة، ويتبع حوض وادي قير إلى إيجلي، ثم حوض وادي الساورة إلى توات، وأكلي ثم وزان، عين رنان ومبروك، وتمبكتو.
- طريق تلمسان تومبكتو: يمرُّ هذا الطَّريق على الخيثر، والمشرية، وعين الصَّفراء، ثم فيقيق ولينبع مجرى وادي زوزفانة إلى إيجلي، حيث يلتقي بطريق فاس[1]، وهناك طريق ثاني يمرُّ بغرداية، ثم توات وينتهي إلى تومبكتو[2].
- طريق وهران إلى تمبكتو: ينطلق من وهران نحو تلمسان، ثُمَّ يتَّجه غرباً إلى فاس، ثُمَّ سجلماسة نحو توات، حيث يلتقي بطريق تلمسان الأوَّل، وقد سلكه كولونيو عام 1860م[3].
- طريق مدينة الجزائر تمبكتو: يمرُّ بالبليدة، ثُمَّ بوغار، ثُمَّ الأغواط وغرداية، فعين صالح، ثم يتَّجه غرباً نحو أكابلي، وبئر تير يشومين، حيث يلتقي بطريق توات إلى تمبكتو، وقد سلكه الضَّابط بالا[4].

## ج /الطَّريقُ البحريّ:

تنطلق هذه الطَّريق من موانئ المغرب الشَّماليَّة، ولا سيَّما مدينة تيطوان، أو مِن مدينة سلا على السَّواحل الأطلسية، وقد ذكر أبو الحسن التمكروتي هذه الطَّريق في كتابه النَّفحة المسكية، حيث حدَّد مراحلَها كما يلي: «**...كان الانطلاق من تيطوان، مروراً برتغة إلى حجر بادس، ثم إلى غساسة، ثم هنين، ثم مستغانم، فتنس إلى شرشال، ثم العاصمة**»[5] وقد كان من العادة أن تتوقَّف السُّفن الحاملة للرُّكَّاب للاستراحة والتِّجارة في الموانيء المذكورة[6].

---

1- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص112.

2- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، مرجع سابق، ص311.

3- يحي بوعزيز، مع تاريخ الجزائر، مرجع سابق، ص112.

4- نفس المرجع، ص112.

5- التمكروتي، النفحة المسكية في السفارة التركية ، مصدر سابق، ص ص 24 .25.

6- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 311.

- **مشاكل وصعاب الطُّرق التِّجاريَّة:**

تعرَّضت قَوافل التُّجَّار في الطُّرُقِ السَّالفَة الذِّكر إلى مُضايقات كثيرة ومتعدِّدة وعلى رأسها:

## أ/ قُطَّاع الطُّرق:

كان التُّجَّارُ السَّالِكون للطُّرق البرِّيَّة بين الجزائر والمغرب يتعرَّضون لمضايقات اللُّصوص وقُطَّاع الطُّرُق[1]، وهذا ما كان يزيد الطُّرقَ البَرِّيَّة صُعُوبَةً، حيث أكَّدت المصادر دائما استفحال هذه الظَّاهرة وخاصَّةً في الطَّريق بين تلمسان وفاس، فقد ذكر العيَّاشي، والحسن الوزَّان، ومرمول، واسكوت، وغيرهم مِمَّن سلك هذه الطريق، تفشِّي اللُّصوصيَّة والسَّرقة، وخاصَّةً في سهل أنجاد القاحل الواقع بين تلمسان وتازة، حيث كان قُطَّاعُ الطُّرق يَتربَّصُون بعابري السَّبيل، والتُّجار لنَهبِهم وسَلبهم[2]، وأشار واسكوت في مذكِّراته إلى هذه الظَّاهرة الخطيرة، حيث قال: **«...والطَّريق التي تمتدُّ من هنا (أي تازة) إلى تلمسان تمرُّ بصحراء أنجاد، وهي عامرة بأخطر لصوص إفريقية...»**[3]، ويؤكِّدُ اسكوت دائماً في فقرة أخرى استفحال ظاهرة اللا أمن في الطَّريق بين تازة وتلمسان: **«...كنَّا في غضون هذه الرحلة محظوظين حقّاً، حيث لم نلتق أية زيارة من اللصوص، ولكن عدم قطع اللُّصوص لرحلتنا يرجع أساساً إلى ضخامة قافلتنا التي كانت أكبر قافلة مرت بهذا الطريق منذ عدّة سنوات، ولكن عصابة من اللُّصوص (حوالي خمسين على ظهور جياد) ظهرت عند مضيق جبلي صعب المرور نهار اليوم، فلو حاولوا الهجوم علينا لضمنوا لأنفسهم فرصا للنَّجاح، إنَّهم بدون شك يملكون قوّات احتياطيَّةً أخرى، ولكن اللُّصوص قلَّما يَشتَبِكون في قتال مع قافلة كبيرة...»**[4].

---

[1] - مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، مرجع سابق، ص316.

[2] -عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 313.

[3] - اسكوت، مصدر سابق، ص53.

[4] - نفس المصدر، ص 61.

وكان التُّجَّارُ يعتمدون على أنفسهم في حماية قوافلهم بعدَّةِ وسائل، منها حمل السِّلاح والاستعانة بالحرّاس المسَلَّحين، وإلى جانب ذلك كانوا يدفعون أموالاً لشيوخ القبائل لتأمين قوافلهم[1].

## ب/ نُدرة الماء:

لقد كانَ لمواضع المياه دور في تحديد مسار القوافل التِّجاريَّة بين الجزائر والمغرب[2]، ولاسيَّما الطريقُ الجنوبي العرضي الذي يُعرَف بطريق الحُجَّاج، وكان من صعوبة هذه الطَّريق ندرة الماء، فقد تقطع القوافل المارَّة به مسافة طويلةً دون أن تَعثر على بئر ماء، ولذلك كان مُستَعمِلو هذا الطَّريق يتزوَّدُون بالماء والغذاء الكافي لمدَّة ثلاثة أيام من كل محطة استراحة[3]، وقد وصف الرَّحَّالَةُ مشقَّةَ هذا الطَّريق، ومنهم العياشي الذي قال في وصفها: «**...ثُمَّ ارتحلنا وسِرنا يومَنا إلى اللَّيل في أرض حرشة وعرة، يغني عن وصفها ما لها من الشُّهرة، لا حَطب فيها ولا كَلأ ولا ماء إلاّ ما في القِرَب...**»[4]. وقال أيضاً يصف قساوة الطَّريق: «**ثم ارتحلنا وسلكنا في أرض كأنَّها المحشر ومحل المنشر...**»[5] وذكر الحسن الوزان أيضا في كتابه وصف إفريقيا مشكل نقص الماء في الطُّرق الصحراويَّة، وقال في هذا الشَّأن إنَّ الماء بصحراء صنهاجة لا يوجد إلا على مسافة ستَّة أيام أو سبعة[6].

---

[1]- مبخوت بودواية، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، مرجع سابق، ص316.

[2]- رشيد حفيان، مرجع سابق، ص45.

[3]- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 313.

[4]- عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية، ج1، تحقيق سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006، ص75.

[5]- نفس المصدر، س113.

[6]- الحسين عماري، "**العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا**"، مجلة كان التاريخية، العدد التاسع، 2010، ص35.

وجملة القول إذاً فيما تقدم أنَّ نقص الأمن في الطُّرق الدَّاخلية العرضية الرَّابطة بين الجزائر والمغرب، وصعوبة الطَّريق الصَّحراوي، وقلَّة الماء فيه، وقَساوة الصَّحراء، كانت عواملَ ذات تأثير سلبيٍّ على الحركة التِّجارية بين البلدين، إلاّ أنَّ الحركة التِّجارية لم تتوقَّف أبداً

- **المبُادلات التِّجاريَّة:**

**أ/ السِّلع والبضائع:**

رغم المتاعب والمصاعب التي يتكبَّدها التُّجَّار في الطُّرق، إلاّ أنَّ المبادلات التِّجاريَّة بين البلدين كانت مزدهرة، فاعتماداً على ما تذكره المصادر والوثائق الأرشيفيَّة، فإنَّ الجزائر كانت تُصدِّر إلى المغرب عن طريق البحر السُّيوفَ، والخَناجر، والأقمشة الهندية، والأجواخ الإنجليزية[1].

كما تحدَّث اسكوت عن صادرات الجزائر إلى المغرب عن طريق البر، حيث ذكر الوبر والصُّوف والشَّمع[2]، وفي الطُّرق الصَّحراويَّة كانت أَغلبُ صادرات الجزائر إلى المدن المغربيَّة موادَّ جلبت من منطقة السُّودان الغربي، كالذَّهب، وريش النَّعام، والعاج والعنبر، والعلك[3]، وبعض المنتوجات المحلِّية كالحبوب والتَّمر، وكانت صادرات الجزائر إلى المغرب تشمل أيضاً البضائع والسِّلع المجلوبة من تونس والمشرق، وبعض الأقمشة المصنوعة في واحات الجزائر كالبرانس، والحايك، ودوابّ الرّكوب، والماشية، ولوازم السَّفر كالبرادع، والحبال، والملابس، والدُّروع، وغيرها من المصنوعات[4]، وبعد الاحتلال الفرنسي للجزائر، عمدت فرنسا كما سبق وأن ذكرنا إلى استحداث خطوط للسّكة الحديديَّة تنطلق من وهران في اتِّجاه المغرب، مما سهَّل عمليَّة تنقُّل الأفراد، ونقل السِّلع، وتزويد أسواق شرق المغرب بحاجياتها من الغذاء والسِّلع، وقد كان هذا عاملاً مهمًّا في وصول التُّجَّار الجزائريِّين بسرعة إلى المناطق الشَّرقية للمغرب، وخاصَّة إلى مدينة

---

1- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص 319.

2- اسكوت، مصدر سابق، ص ص 82 83.

3- بريك الله حبيب، "**دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20 م من خلال وثائق أهل العبد**"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد19، 2015، ص250.

4- عمار بن خروف، مرجع سابق، 319.

وجدة[1]، وبعد التَّوقيع على مُعاهدة مغنية 1845 ، حاولت السُّلطات الفرنسيَّة تعزيز هذه الاتِّفاقية بأخرى تجاريَّة مُكمِّلة، إلاّ أنّ السُّلطان عبد الرَّحمن رفض ذلك، وكان يراسل عمَّاله على الحدود يحذِّرهم من الاتِّجار مع الفرنسيين مستشهداً بآيات قرآنية «**...مقاطعة الكافر ومصارمة أهل شيعته...**»[2] .

أمَّا المغرب فكانت صادراته إلى الجزائر قبل الاحتلال، عبارة عن منتجات فلاحيَّة كالحبوب والجلود، والصّوف، وزيوت وحنّاء، وعسل، و مُنتجات أخرى أوروبية كالتَّوابل، والشاي، وسكَّر، والألبسة[3]، كما صدَّر المغرب أيضا إلى الجزائر الصّابون، ونوعاً من التُّراب كان يُعرف باسم الغاسول أو الطغل، والذَّهب، والأحجار الكريمة، والجلود المدبوغة المعروفة بالفلالية، والبلغة المصنوعة من الجلد، والأسلحة كالسُّيوف، والبنادق، والحديد، والخرداوات، والأمشاط، والشّواشي والبخور، والنيلة وغيرها[4].

وبعد الاحتلال الفرنسيّ للجزائر 1830م، رفضت في البداية السُّلطات الاستعمارية إقامة علاقات تجاريَّة برِّيَّة بين المغرب والجزائر، وذلك لإضعاف المقاومة الجزائريَّة تحت لواء الأمير عبد القادر، حيث صدر في هذا الأمر مرسوم 16 ديسمبر 1843م الذي نصَّ على حظر المبادلات التِّجارية بين الجزائر والمغرب، ولكن سرعان ما تداركت فرنسا الأَمرَ، وألغت هذا المرسوم بعد التَّقارب التِّجاري المغربي البريطاني، حيث صدر مرسوم 11 أوت 1853م الذي نصَّ على تنظيم المبادلات التِّجارية، ثم صدر مرسوم 17 جويلية 1867 الذي نصَّ على إعفاء البضائع والسِّلع الواردة من المغرب من الضريبة الجمركيَّة[5]، وابتداءً من 1873م تاريخ وصول السُّلطان

---

1- عكاشةبرحاب، "**التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845-1912)**"، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27 تحت عنوان وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 2001، ص345.

2- نفس المرجع، ص ص 343 344.

3- عكاشة برحاب، "**مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب**"، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، من 21 إلى 23 فيفري 1989،ص 248.

4- عمار بن خروف، مرجع سابق، ص320.

5- عكاشة برحاب، مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907، مرجع سابق، ص ص 248-250.

الحسن الأوّل إلى عرش المغرب أضحت التّجارة المغربيّة محطّ أنظار القِوى الأوروبيّة الكُبرى، حيث استفادت كلٌّ من بريطانيا وإسبانيا[1] من امتيازات إعفاء صادراتها إلى المغرب من الرُّسوم الجمركيّة، وفي المقابل انزعج الفرنسيُّون من مُنافسة السِّلع والبضائع البريطانيّة والإسبانيّة التي لقيت رواجا في شرق المغرب وغرب الجزائر، الأمر الذي فرض على السُّلطات الفرنسيّة في الجزائر ضرورة مراقبة الحدود وتشديد الرَّقابة على السِّلع الواردة من شرق المغرب.

وفي سنة 1896 أصدرت السُّلطات الفرنسيَّةُ مرسوماً يقضي بإعفاء السِّلع الفرنسيَّة الموجَّهة برّاً إلى المغرب من الرُّسوم، وعلى إثر هذا تكوَّنت منطقة حرَّة بالغرب الجزائري. وفي المقابل سارع المخزن المغربيُّ إلى تشديد الحراسة على الحدود، فتقلَّصت بذلك عائدات التِّجارة الجزائريَّة بالمغرب، ممَّا دفع بالسُّلطات الفرنسيَّة إلى رفع احتجاجها لدى القصر.

وإزاءَ الضَّغط الفرنسيِّ المتكرّر على المغرب، قَبِل هذا الأخيرُ التَّوقيع على اتِّفاقية 20 أفريل 1902[2] ، والتي نصَّت في بعض بنودها على تحسين وتنمية العلاقات التِّجاريَّة بين المغرب والجزائر، وإنشاء أسواق بمنطقة الحدود لتسهيل عمليَّة التَّبادل التِّجاريِّ بين البلدين[3].

**ب /بعض السلع المهرَّبة مِن وإلى الجزائر:**

| تهريب في اتِّجاه المغرب | تهريب في اتِّجاه الجزائر |
| --- | --- |
| حبوب (الشَّعير على وجه الخصوص) | الماشية بكل أنواعها (غنم وبقر) |
| الدَّقيق والسَّميد | الصّوف |
| الأرز | الجلود |
| السُّكر | حبوب (في حالة فائض) |
| الشَّاي | الحَلْفاء |
| القهوة | الفحم (الخشبي) |
| المنسوجات (الكتّان) | الدّباغ |

1- عمر أفا، مرجع سابق، ص ص 34-50.

2- يوجد النص الأصلي للاتفاقية بالخزانة الحسينية تحت رقم 12364.

3- عكاشة برحاب، مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907، مقال سابق، ص ص 250- 258.

| | |
|---|---|
| أواني منزليّة<br>أدوات حِرفيَّة<br>الكبريت<br>غاز الإنارة (الكَاز)<br>الشُّموع<br>أسلحة (اكلايط)<br>ذخائر حربيّة (قرطوس)<br>التّبغ (الدّخان) | الخشب<br>البرتقال (جبل بني يزناسن) |

[1]

وممّا تقدم نستخلص أنّ العلاقات التِّجارية بين البلدين استمرَّت كما كانت في المراحل السّابقة، ولم تتأثّر بالمشاكل السّياسية ووجود الفرنسي في الجزائر إلاّ في بعض الأحيان، ونستطيع أنّ نميِّز ثلاثة مراحل مُتباينة من حيث حجم النَّشاط التّجاري والآليات المتحكِّمة فيه:

- المرحلة الأولى (1830-1845)م:

تُعتبر هذه الفترة الممتدة من الاحتلال الفرنسي للجزائر إلى غاية التَّوقيع على اتِّفاقيّة رسم الحدود بين البلدين، من الفترات الهامَّة والنَّشطة تجاريّاً بين الجزائر والمغرب، حيث استمرَّت العلاقات التجاريَّة على الشَّكل الذي كانت عليه قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر[2].

- المرحلة الثّانية (1845-1873)م:

شهد المغرب تحوُّلاً عميقاً في علاقاته التِّجارية بعد التَّوقيع على معاهدة لالَّة مغنية 18 مارس 1945، التي جاءت بعد هزيمة المغاربة أمام الفرنسيين في واقعة إيسلي، حيث بادر السُّلطان عبد الرحمن إلى قطع العلاقات التِّجارية خَوفاً من استغلال الفرنسيِّين حجَّة التِّجارة لتوسيع نفوذهم إلى

[1]- عكاشة برحاب، التهريب والحدود في شمال شرق المغرب، مقال سابق، ص 351.

[2]- نفس المرجع، نفس الصفحة.

المغرب، إلاّ أنّ المغرب وتحت التَّهديد الفرنسيِّ المتكرِّر قَبِل بإبرام الكثير من الاتِّفاقيات التِّجارية التي تتضمَّن في أغلبها حرِّية المبادلات بين البلدين[1].

- المرحلة الثّالثة (1873-1912)م:

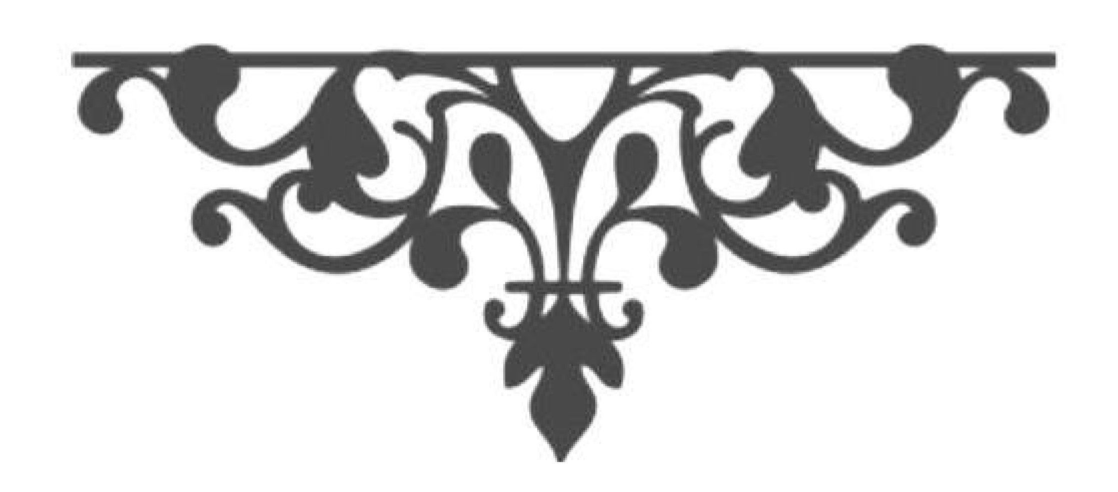
تميَّزت هذه المرحلة باتِّجاه المغرب نحو التَّفتُّح على التِّجارة الخارجيَّة، وذلك لمواكبة التَّطوُّرات الاقتصاديَّة التي شهدتها دُول الجوار، وفي الوقت نفسه ازدادت أطماع القوى المجاورة في المغرب، الأمر الذي دَفع الفرنسيِّين في الجزائر إلى وضع استراتيجيَّة مُحكمة للتَّفرُّد بالتِّجارة المغربيَّة تمهيداً للاستيلاء عليه فيما بعد، وعلى هذا الأساس عقد الطَّرفان اتِّفاقيَّةً 1902 لتَحرير التِّجارة وتنظيمها. [2]

1- عكاشة برحاب، مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907، مقال سابق، ص ص 250.

2- نفس المرجع، نفس الصفحة.



# الخاتمة



# الخاتمة

مِنْ خِلالِ دِراسَتِنا هَذه والتي تَعرَّضْنا فِيها إلى مَوضُوعِ العَلاقَاتِ الجزائِريَّة المغرِبيَّة (1830م-1912 م)، والتي اطّلَعْنا فيها بِشَكْلٍ مُعَمَّقٍ عَلى أَهَمِّ التَّطَوُّراتِ التي مسَّتْ العلاقاتِ بَينَ الجَزائِرِ والمغرِب، مُنذُ الاحْتِلالِ الفِرنسيِّ للجَزائِرِ إلى تَوقيعِ الحِمايَة المزدَوَجَةِ الفِرنسيَّة الإسبانِيَّة على المغرِبِ، حَيثُ أَبرَزْنا فِي البِدايَة بِشَكْلٍ مُوجَزٍ جُذورَ هَذه العلاقَاتِ مِن سُقوطِ الدَّولَةِ الموحِّدِيَّةِ إلى الاحتِلالِ الفِرنسيِّ للجَزائِر، ثُمَّ تَقَصَّيْنا مَوقِفَ المغرِبِ مِن هَذا الاحْتِلالِ، وُصولاً إلى طَبيعَة العَلاقَاتِ التي رَبَطَتْ رُموزَ المقَاوَمَة الجَزائِريَّة مع السُّلُطات المغرِبيَّة، وخَلُصْنا مِن بَحْثِنا في كُلِّ هذه المرَاحِلِ والتَّطَوُّرات إلى ما يلي :

تَذَبْذَبَتْ العَلاقاتُ الجزائريَّة المغربيَّةُ خِلال الفَترةِ الحَديثَة بَين مَدِّ الصِّراعِ والتوتر الميزَةِ الغالِبَةِ عَلى مَلامِحِ العلاقاتِ بَينهُما، وَجزْر السِّلمِ أو الصُّلحِ بَيْن الطَّرَفَيْن في فَتَراتٍ أخرى، وَلاحَظْنَا أَنَّه وَرَغْمَ مُقَوِّماتِ الوِحدَةِ المشتَرَكَةِ بَيْن الدَّولَتَيْن مِحْوَرِ اهْتِمامِ الدِّراسَة، إلاّ أنَّ الخِلافَ طَغَى على علاقَاتِهِما السِّياسِيَّة، في حِين كانَتْ العَلاقاتُ الاجتماعِيَّةُ والثَّقافِيَّةُ وَثيقَةً بين البَلَدَيْن، وتَدُلُّ بِوُضوحٍ على عُمقِ الأَواصِر والرَّوابِط المشْتَرَكَة بيْنَ شَعْبَيْن يَجمَعُها الدِّينُ واللُّغَةُ، والدَّم، والمصاهَرَةُ، والتَّاريخ...

لا شكَّ عندنا أنَّ سَبَبَ هذا المناخِ المضطَرِب بَينَ البَلَدَيْن هو تَنامِي رَغبَةِ كُلِّ طَرَفٍ في فَرضِ أُسْلُوبه ومَنْهَجِهِ عَلى الطَّرَف الآخَر، كَما أجَّجَت الضَّغائِنُ والأَحْقَادُ نَار الصِّراعِ بَينَهُما، خاصَّةً بَعدِ مَجيءِ العُثمانِيِّين إلى المنطِقَة، وضَمِّهِم الجَزائِرَ سِلمِيًّا، بَيْنَما بَقِيَ المغرِبُ يُقاوِمُ المدَّ العُثمانِيَّ الدَّاعِيَ إلى ضَمِّ المغرِب إلى الخِلافَةِ طِيلَةَ ثَلاثَةِ قُرونٍ، فَعاصَرَ الأَتْراكُ العُثمانِيُّون في الجَزائِر ثَلاثَ أُسَرٍ حَكَمَت المغرِبَ بِدايَةً بِالوطَّاسيِّين ثُمَّ السَّعديِّين فَالعَلَوِيِّين.

وَقَفْنا أَيْضاً في هَذه الدِّراسَةِ عَلى حَقيقَةِ مَوقِفِ السُّلطانِ عَبد الرَّحمن مِن الاحتِلال الفِرنسيِّ للجَزائِر، والذي شَكَّلَ جَدَلاً واسِعاً بَينَ الكِتابَاتِ التَّارِيخِيَّةِ الجزائريَّة والمغرِبيَّة، وحتَّى الأَجنَبيَّة، فَمُعظَمُ الكِتاباتِ الجزائريَّة تَرى أنَّ السُّلطانَ لَمْ يَقِف ذلكَ الموقِفَ الذي كان مُنتَظَراً مِنه، في حين يَرى الكُتَّابُ المغارِبَةُ أنَّ السُّلطانَ لَمْ يُقَصِّر في البَرْهَنَةِ على تَعاطُفِه معَ الجزائريِّينَ في مِحنَتِهم.

أمَّا الكتاباتُ الأجنبيَّةُ وخاصَّةً الفرنسيَّة، فَقَدْ رَأَتْ أَنَّ السُّلطانَ وقَفَ مَوقِفَ الحِيادِ، وذَهبوا أَكثرَ مِن ذلكَ في أنَّ السُّلطانَ أَظهَر اطْمِئنَانَهُ ومُبارَكَته انْتِصارَ الفِرنسيِّينَ عَلى أَتْراكِ الجزائِرِ.

لقد حاوَلْنا أن نَتَحرّى الموضوعِيَّةَ بِشأن هذا الاختلاف، فَأشَرْنا إلى أَسْبابِ هَذا الموقِفِ - الذي عَبَّرَ عَنه أَحَدُ الكُتَّابِ المغارِبَة (بالباهِت) - في مَجموعَةٍ مِن النِّقاط، كانَ الضَّعفُ العَسكَرِيُّ للمَغرِب في مُقدِّمَتِها، أَضِف إلى ذلكَ الاتِّفاقيَّاتُ التي أَبرَمَها السُّلطانُ مَع الفرنسيِّين مِن جِهة، وعَدَمُ ارتِياحِه إلى جِيرانِه الأَتراكِ في الجزائِر من جِهةٍ أُخرى. لكِنَّ السُّلطانَ الذي شانَهُ هذا الموقِفُ الباهِتُ إزاء ما وَقع للحكومة التُّركيَّةِ، لَم يَفُتْهُ أن يَقِفَ مَوقِفاً مُشَرِّفاً مَع أَفْواجِ اللَّاجِئينَ والمهاجِرينَ الجزائريِّين بَعدَ نُزولِهم بَالمغرب، وبالموازاةِ مع ذلكَ وَقَفْنا في بَحثِنا على شَرَفِ موقِف المغارِبَةِ تَعْبِيراً مِنهم عن اسْتِيائِهم العَمِيقِ مِن اسْتيلاءِ العَدُوِّ عَلى الجزائر، وهكذا تَكونُ الشُّعوبُ المغارِبِيَّةُ قد دَبَّجَت صَفحاتٍ مشرِقَةً مِن تاريخِ تَضامُن الشُّعوبِ المغاربيَّة فيما بينها في المِحَنِ والخُطوبِ.

لَقَد كانَ لانهِيَارِ الحُكومَةِ التُّركِيَّة وسُقُوطِ مَدينَةِ الجَزائِر في أَيْدي الفرنسيِّينَ سَنَةَ 1830م انعِكاسَاتٍ وَاضِحَةً، تَجلَّت في انتِشارِ الفَوضَى والاضطِرابِ في عُموم الوَطَن، وكان إقليمُ وهرانَ البعيدُ عَنِ مَقَرِّ الحُكمِ قَد أَخَذ نَصِيباً وَافِراً مِنَ هذه القَلاقِلِ، الأَمْرُ الذي دَفَعَ بَعضَ الوُجَهاءِ والأَعيانِ وشُيوخِ الزَّوايا في هَذِه المنطِقَة إلى طَلَبِ النَّجْدَةِ مِن السُّلطان المغربِيِّ، عَارِضينَ عَلَيهِ الدُّخُولَ في طَاعَتِه فَأَلْحَقَهم بَعدَ تَرَدُّدٍ، وَوَلَّى عَلَيهم ابنَ عَمِّه عليَّ بن سليمان خليفةً عَلى تِلمسانَ، إِلّا أنَّ الخليفَةَ الذي كانَ حَديثَ السِّنِّ فشلَ في إنجَازِ المهَمَّةِ، كَما عَجَّلَت جُملَةٌ مِن الظُّروفِ بِسَحْب السُّلطان لِجَيشِه مِن تِلمسانَ، وَمِن هذه الظُّروفِ الضُّغوطُ الفِرنسيَّةُ البريطانِيَّةُ عَلى المغرب، واسْتِياءُ السُّكَّان مِن تَصَرُّفاتِ جَيشِ الخَليفَةِ، وعَدَمُ الاعتِرافِ بِه مِن طَرَفِ الكراغلةِ، وكُلُّ هذا أجْبَرَ السُّلطانَ عَلى سَحْبِ جَيشِه مِن تلمسان.

تَرَتَّبَ على زَحْفِ الفرنسيِّينَ نَحْوَ إقليمِ وَهرانَ صِدامٌ مُباشِرٌ مَع مُقاوَمَةٍ عَنيفَةٍ مِن طَرَفِ مُرابِطي الزَّاوِية القادريَّة، التي حَقَّقَت انتصاراتٍ بَاهِرَةً، الأَمرُ الذي جَعَلَ السُّكَّانَ يَعقِدونَ عَليها الآمال، وينتَصِرون لها تحتَ لواءِ الجهاد، فَقامَ الأميرُ بَعدَ مُبايَعَتِه بإنشاءِ أَركانِ الدَّولةِ الجزائريَّة، التي ارتَبَطَت مُنذُ وِلادَتِها بِعلاقاتٍ مَع المغرب، حيث تَمَيَّزَت في بِدايَتِها بِالإعجاب الذي أَبْداهُ السُّلطان

برائِدِ المقاوَمةِ الجزائريَّة، ومِن ثَمَّ تَبادَلَ الطَّرفان الكثيرَ مِن الرَّسائِل التي عَبَّرا فِيها عن علاقتِهما المتينةِ المبنيَّةِ على الاحترامِ والتَّقدِير المتبادَلَيْن، كما كان الشَّعبُ المغربيُّ يُتَابع باهتِمامٍ أَحداثَ المقاوَمَةِ الجزائريَّةِ، ولاشكَّ أنه كان مُعجَباً بِما يُبديه الشَّعبُ الجزائريُّ مِن ضُروبِ الشَّجاعَة بِقِيادَة الأمير، وَهوَ ما تَبَرَّمَت منه فرنسا، وخَاصَّةً بَعد عِلْمِها بِالدَّعمِ الذي تَتَلَقَّاه المقاوَمَةُ مِن المغرِب شَعْباً وَحُكُومَةً، ولَمَّا كَان الأميرُ والسُّلطان الفَاعِلَيْن الرَّئيسَيْن في رَسْم مَلامِح هذه العَلاقاتِ، فَقَد سَعتْ فِرنسا وتَحْتَ شِعارِها المعهود "فَرِّقْ تَسُد" إلى زَرْعِ الفِتنَةِ بَينَهُماَ، كَما مَارَسَتْ الكثيرَ مِن الضُّغوطِ عَلى السُّلطانِ لِيَكُفَّ دَعمَهُ للأمير.

وزادَت الأوضاعُ تَعقيداً بَعدَ الصِّدامِ الذي وَقَع في إيسلي بين المغاربةِ والفرنسِيِّينَ في صيف 1844م، مِمَّا أَجبَرَ المغربَ وقتئذٍ على التَّوقيع عَلى اتِّفاقِيَّتَيْنْ لِضمان السِّلم بينها وبين فرنسا المنتصِرَة، هذا السِّلمُ الذي كَانت أُسُسُه تَفرِضُ عَلى المغربِ التَّخَلِّيَ عن المقاوَمَة الجزائريَّة، واعتبارِها حَجَرَ عَثْرَةٍ في طَرِيقِ استِقلالِ وسِيادَة المغرب، ورَغمَ مَساعِي القِيادَة الجزائريَّة لِكَشفِ وتَوضِيحِ نَوايَا السِّياسَة الاستِعمَارِيَّة القائِمَةِ عَلىَ عَزْل الطَّرِيدَةِ ثُمَّ افتراسِها، إلَّا أنَّ السُّلطانَ المغربيَّ تَجاهَل ذلك، وكانت النَّتيجَةُ أنَّ اصْطَدَمَ الجزائريُّونَ بِالمغارِبَة أمَام أنظارِ العالَمِ الأُوروبِّيِّ وفرنسا التي وصَلَت إلى مُبْتَغاها باستسلام الأميرِ في نِهاية المطاف.

تَقَصَّيْنا كَذلكَ وَضعِيَّةَ الحُدودِ الجزائريَّة المغرِبيَّة مِن 1850م إلى 1909م ، ولاحظنا أنَّ أَوضاعَها ظلَّت مُضطَرِبة ومَشحُونَةً نَتيجَةَ السِّياسَة الاستعماريَّة القائِمةِ عَلى القَهْرِ والعُنفِ، وكانت أَحداثُ قَبائِل بني سناسن سَنة 1859م عَلى الحُدودِ خَيرَ مِثالٍ عَلى ذلك.

كَما اطَّلَعنا مِن خلال هذه الدِّراسَة أَيضاً عَلى طَبيعةِ العلاقاتِ الجزائريَّةِ المغرِبيَّة عَلى عَهدِ ثَورَات أولاد سيد الشِّيخ، حَيث وَقفنَا عَلى أَسبابِ ومَراحِل هَذه الثَّورات، كما تَتَبَّعنا عَلاقَةَ أولاد سيد الشِّيخ بِسلاطِينِ المغربِ، حَيث استَوقَفَنا هُنا بالخصوص ذلكَ الموقِفُ الغامِضُ الذي تَبَنَّاهُ السَّلاطينُ المغارِبةُ اتِّجاه مُقاومَة أولاد سيد الشيخ، وذلك بِسَبب الضُّغوطِ الفرنسيَّةِ المتواصِلَة عَليهم للتَّخَلِّي عَن المقاومَة الجزائريَّة، وَنَتيجَةً لهذا الموقِف ظَلَّت الثَّوراتُ الجزائريَّة التي قامَت في الجنوب الغَربيِّ في النِّصفِ الثَّاني مِن القَرن التَّاسعَ عَشر، تُعاني نَفسَ المصيرِ الذي شَهدَتْه مُقاوَمَة الأمير، مِن تَضْيِيقِ

عَلى الحُدودِ، وتَأليبٍ لِلقَبائل المغرِبيَّة عَليها، ومُحاصَرَتِها في كَثيرٍ مِن الأَحيان، مَا جَعَلَ رُوَّادَ الثَّورَةِ يَتَّخِذُونَ مَواقِفَ مُعادِيَةً مِن السُّلطَة المغرِبيَّة، وهَذا مَا تَجَلَّى واضحاً في التِحاقِ الشِّيخ بوعمامة بِمُدَّعي العَرْش بوحمارة سنة 1904م.

لَقد رأينا أَيضاً أَنَّ بَعضَ قادَةِ المقاوَمَةِ الجزائريَّة مِن العارِفين بِالسِّياسَة الاستعماريَّة، قد توقَّعوا أنَّ فِرنسا التي احتَلَّت الجزائرَ سَوفَ تَتَوسَّعُ ناحِيَةَ المغْرِبِ وتُونس حالما تُسْعِفُها الظُّروفُ، فَكانَ هؤلاء العارِفونَ لا يَتَوانَوْنَ في تَقديمِ النَّصائِح إلى سَلاطينِ المغرِبِ حَولَ ضَرورَة تَدعِيم المقاوَمَة الجزائريَّة التي تُعتَبَر سَدًّا ضَدَّ التَّوسُّع الفرنسيِّ في المغرِب العَربيِّ، لَكنَّ الحُكَّامَ المغاربَة كانوا سادِرين في غَفلَتهم، فَما كانَ مِن فِرنسا إلَّا أَنِ احتلَّت تونسَ، ثُمَّ المغربَ بعد نهاية المقاومات التَّقليديَّةِ الجزائريَّة.

لاحَظنا في خِتامِ هذه الدِّراسَةِ أنَّ العلاقاتِ الاجتِماعِيَّةَ والاقتصادِيَّةَ بَين البَلدَيْن في الفترَة المدروسَةِ تَميَّزَت بِظاهرَة هِجرَةِ الجزائريِّينَ إلى المغرب، وَذلك نَتيجَةُ مجموعَةٍ مِن العَوامِل كانت السِّياسَةُ الاستِعماريَّةُ في مُقدِّمتِها. وتَتَبَّعنا أَيضاً المناطِقَ التي استَقَرَّ فيها الجزائريُّونَ مِثل مَدينة وجدة التي نَزلَ بها المهاجِرون مِن المناطق الغَربِيَّة، كَوَهران وتلمسان، ومعسكر، أَمَّا تيطوان فَقدِ استَقبَلَت المهاجِرينَ مِن الوَسَط كالجزائر العاصِمة، والبليدة، بينما استَقَرَّ المهاجِرون التِّلمسانيُّون خاصَّةً بِفاس، وَكَذا مُهاجِرو مَدينة معسكر وتوات، ولاحَظْنا ذلكَ الانصِهارَ السَّلِسَ للمُهاجِرين الجزائريِّين في المجتَمَع المغربيِّ الذي تأَثَّرَ بِمَا حَمَلَهُ هَؤلاء مِن عاداتٍ وَتَقاليدَ وحِرَفٍ وصِناعاتٍ، كما وَقَفنَا عِندَ الحظْوَةِ التي تَمَتَّع بِها هَؤلاء المهاجرون عِندَ السُّلطانِ المغربيِّ عَبدِ الرحمن بن هشام شَخصيًّا، والذي اعْتَنَى بِالوافِدين الجزائريِّينَ، وأَلْزَمَ عُمَّالَه بذلك.

وَوَضَحَ لَنا مِن خِلال ما سَبق أنَّ العلاقاتِ الاقتصاديَّة تَميَّزَت هي الأخرى بالحَيَوِيَّةِ التي تَجَلَّتْ في مُبادَلاتٍ تِجارِيَّةٍ قَوِيَّةٍ، خاصَّةً في المراحِل الأُولَى التي تَلَتْ الاحتِلالَ الفرنسيَّ لِلجزائِر، ومَيَّزْنا كَذلك العَواملَ المتَحَكِّمَةَ في هذه العلاقات الاقتصاديَّة كالطُّرُق التِّجارِيَّة وصِعابِها، التي لَمْ تُثْنِ عَزيمَةَ التُّجَّار الجزائِريِّين والمغارِبةِ عَلى حدٍّ سواء.

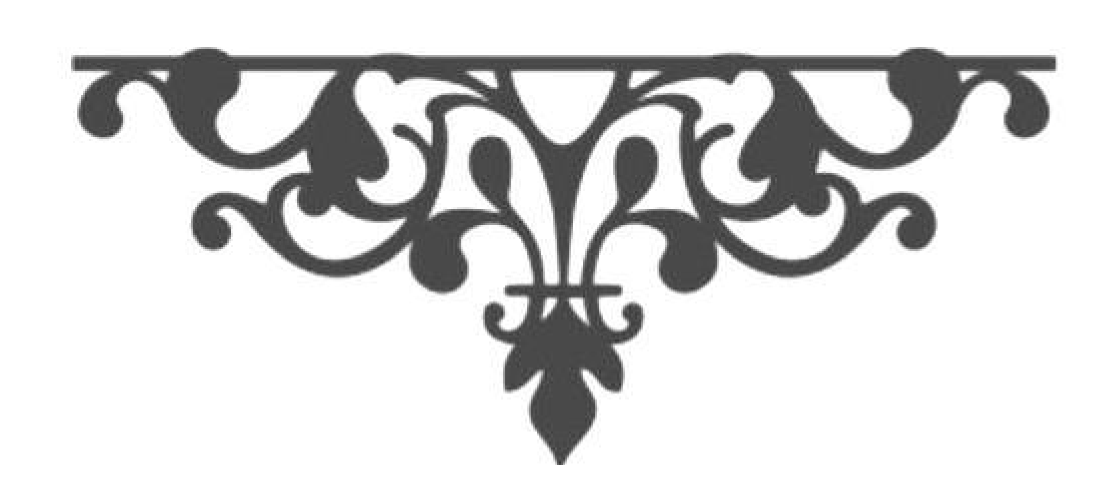
لقد رأَينَا كذلكَ كَيفَ استَطاعَتْ فِرنسا أَن تُقنِعَ الدُّوَلَ الأُوروبِّية الطَّامِعَةَ في المغرِب بِأَحقِّيَتِها في المغرِب، وذلك بَعدَ عَقْدِها عدداً مِن الاتِّفاقِيَّات السِّرِّيَّة والعَلَنِيَّة مع الدُّوَل الأُوروبِّيَة.

لقد بَحْثنا أَيضا في هذه الدِّراسة مَوقِفَ المغارِبَة مِن الاحتِلالِ الفِرنسيِّ للجزائر،والذي تميَّزَ بِمَظاهِرَ تَضامُنِيَّةٍ عَبَّرَ مِن خِلالِها الشَّعبُ المغربيُّ عَلى تَعاطُفِهِ مَع إخوانِه الجَزائِريِّين، الذين عبَّروا عن وفائِهم للشَّعب المغربيِّ بِنُصرَته في نَكباته، وهذا ما أوْرَدناهُ في دِراسَتِنا لِثَورَةِ الأَميرِ عَبد الملك الجزائريِّ في المغربِ ضِدَّ الاحتِلال الفرنسي.

وإذا كانت مُشكِلَةُ الضُّغوطِ الفِرنسيَّةِ عَلَى المغرِب سَبَباً في الخلافاتِ بَين سلاطين المغرِب ورُموز المقاوَمَة الجزائِريَّةِ، فَما مآلُهَا بَعد أَنْ أَصْبحَ المغرِبُ محتلاً ؟ هذا ما فهمتْه واستَوعَبَتْه الشُّعوبُ المغارِبِيَّةُ، مِن ضَرورَةِ تَوحِيد الجُهودِ والعَمَلِ المشتَرَك؛ وَهذا ما حملته النُّخَبُ السِّياسِيَّةُ على عاتِقِها مُبَكِّراً في استراتيجيَّتِها لِطَرْدِ المستَعمِر.



# الملاحق



# قائِمَة الملاحِق

## فهرس ملاحِقْ الوثائق والنصوص

## الملحق رقم :01

## الموضوع : رسالة أهل تلمسان الثانية إلى السلطان عبد الرحمن

ليعلم سيدنا قطب المجد ومركزه ومحل الفخر ومحرزه أساس الشرف الباذخ ومنبعه، وبساط الفضل الشامخ ومجمعه السلطان الأعظم الأمجد الأفخم نجل الملوك العظام سيدنا ومولانا عبد الرحمن بن هشام أبقى الله سيدنا للمسلمين ذخراً، ومنحه مودة وأجرا، أن فتوى ساداتنا علماء فاس مبنية على غير أساس لأنهم اعتقدوا أن في عنقنا للإمام العثماني بيعة وهذا له صح، لكان علينا حجة وليس الأمر كذلك، وإنما له مجرد الاسم هنالك وعامل الجزائر إنما كان متغلبا وبالدين متلاعبا فأهلكه الله بظلمه وتطاوله على عباد الله وجوره وفسقه إن الله يمهل على الظالم حتى يأخذه، فإذا أخذه لا يفلته ويدل على تغلبه واستقلاله عدم وقوفه عند أمر العثماني وامتثاله بل لا يكترث به أصلا ولا يتبع له قولا ولا فعلا كيف وقد أمره أن يعقد مع النصارى صلحا فلم يقبل له قولا ولا نصحا وطلب منه بعض الأموال ليستعين بها على ما حل به مع النصارى من الأهوال فامتنع غاية الامتناع ولم يمكنه من شبر منها فضلا عن الباع حتى أخذها العدو الكافر وهذا جزاء كل فاسق فاجر مال من حرام سلط الله عليه الأعداء اللئام وهذا كله من المتغلب متواتر مشاهد بالعيان مستغن عن إقامة الدليل والبرهان. الناس كلهم عبيد الله وإماؤه والسلطان واحد منهم ملكه الله أمرهم ابتلاء وامتحانا فإن قام فيهم بالعدل والرحمة والإنصاف والصلاح مثل سيدنا نصره الله فهو خليفة الله في أرضه وظل الله على عبيده وله الدرجة عند الله تعالى وإن قام فيهم بالجور والتعسف والطغيان والفساد مثل هذا المتغلب فهو متجاسر على الله في مملكته ومتسلط ومتكبر في الأرض بغير الحق ومتعرض لعقوبة الله الشديدة وسخطه هذا وعلى فرض تسليم أن للعثماني في عنقنا بيعة فلا تكون علينا حجة لأنه تباعد علينا قطره فلم يغن عنا شيئا ملكه لما بيننا وبينه من المفاوز والقفار والبحار والقرى والمدن والأمصار وربما

قرب محله من جهة البحر ولكن منعه الآن من ركوبه الكفار على أنه ثبت بتواتر الأخبار البالغة حد الكثرة والانتشار أنه مشتغل لنفسه ومقره عاجز عن الدفع عن إيالاته القريبة من محله حتى انه هادن النصارى خمس سنين على عدد كثير من المئين وأعطى فيه منهم ضامنا ليكون في المدة المذكورة على نفسه وحشمه آمنا فكيف يمكنه مع هذا الدفاع عن قطرنا وناحيتنا وبلدنا وأدل دليل على بعده على هذا المرام خبر مصر ونواحي الشام فقد استولى عليها أعداء الدين مدة تزيد على الخمس سنين فلم يأخذ لهم نفعا ولا ملك عنهم دفعا حتى استعان بالعدو الكافر والله تعالى قد يؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر هذا ونص الأبي في شرح مسلم مفصح عن مثل قضيتنا ومعلم على أن الإمام إذا لم ينفذ في ناحية أمره جاز إقامة غيره فيها ونصره فانتظار نصرته يؤدي على الهلاك كيف وقد تطاولت إليها الأعناق وتشوفت إليها من كل جانب العيون والأحداق فاعرضنا عن الكل صفحا وطوينا عنه الجوانب كشحا مقبلين إلى عتبة باب سيدنا نصره الله وسدته داخلين تحت طاعته ملتزمين لخدمته متوافقين مع القبائل والأمصار وأهل الرأي والاستبصار لعلمنا أن سيدنا نصره الله المتأهل في هذا الأمر العريق الجدير بالإمامة الحقيق كيف وقد ورثها كابرا عن كابر وإليهم انتهت المآثر والمفاخر فنطلب من سيدنا نصره الله أن يلتزم لنا بفضله من هذه البيعة القبول مستشفعين بجاه جده الرسول صلى لله عليه وعلى آله الطيبين وصحابته المنتخبين وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين[1].

[1]– الناصري ، مصدر سابق ، ص ص 286 287 .

## الملحق رقم :02

**الموضوع:** رسالة دي لابورت إلى ابن إدريس الجراري عامل وجدة، بشأن دخول أهل تلمسان في بيعة السلطان عبد الرحمن، المؤرخة في 13جمادى الأولى 1246هـ الموافق ل 29 أكتوبر 1830م [2].

Copie & Traduction

[2]- المكي جلول ،مرجع سابق ،ص 237.

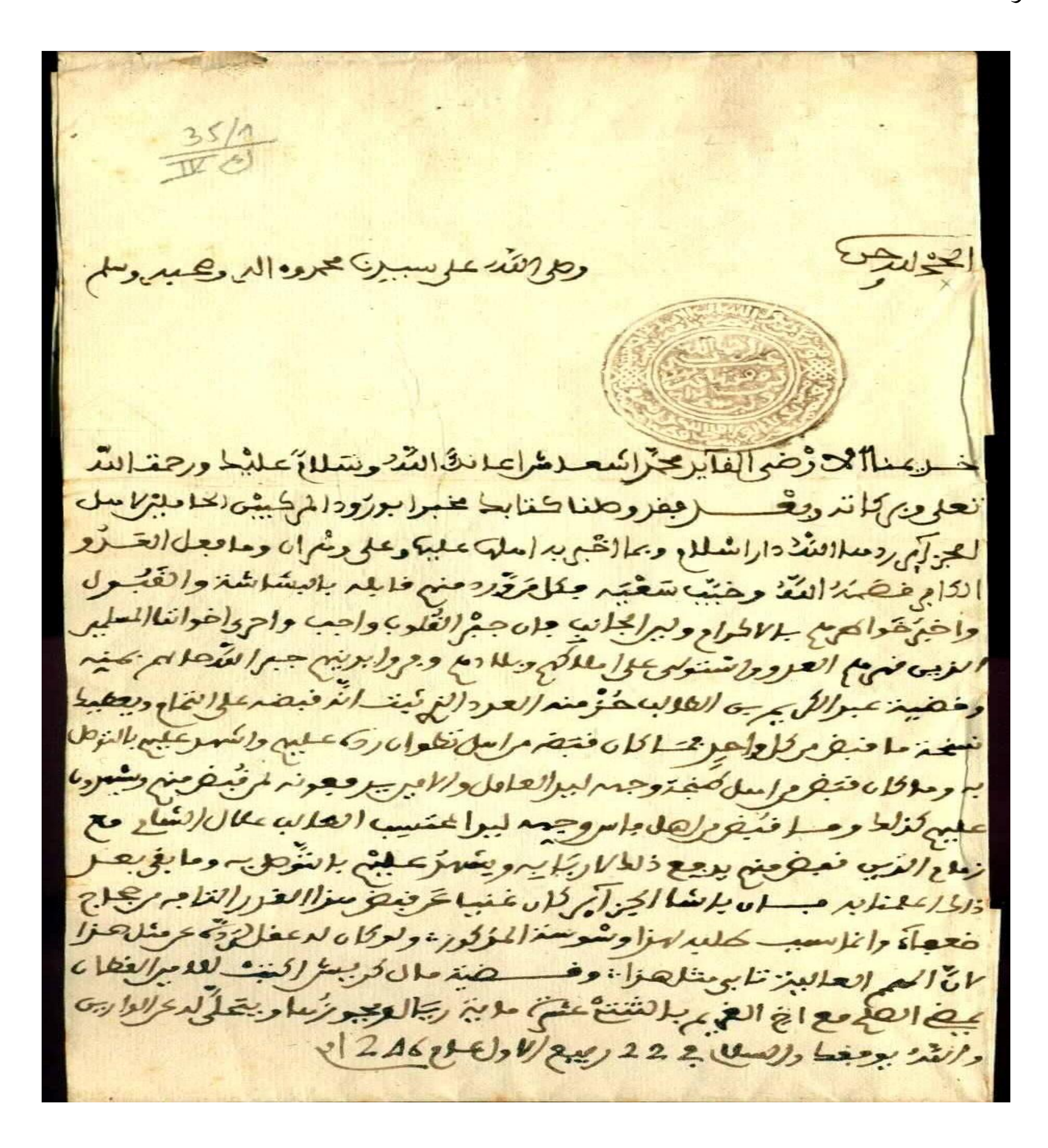
## الملحق: رقم 03

**الموضوع** :رد الجراري عامل وجدة على دي لابورت في شأن بيعة أهل تلمسان للسلطان عبد الرحمن المؤرخة في 05جمادى الثانية 1246هـ الموافق ل 21 نوفمبر 1830م [3].

[3]- المكي جلول، مرجع سابق، ص 237.

## الملحق: رقم 04

**الموضوع:** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامل تيطوان القائد محمد أشعاش، المؤرخة في 22ربيع الأول 1246هـ الموافق ل 09 سبتمبر 1830م ،في شأن وصول مهاجرين جزائريين إلى مدينة تيطوان[4].



الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

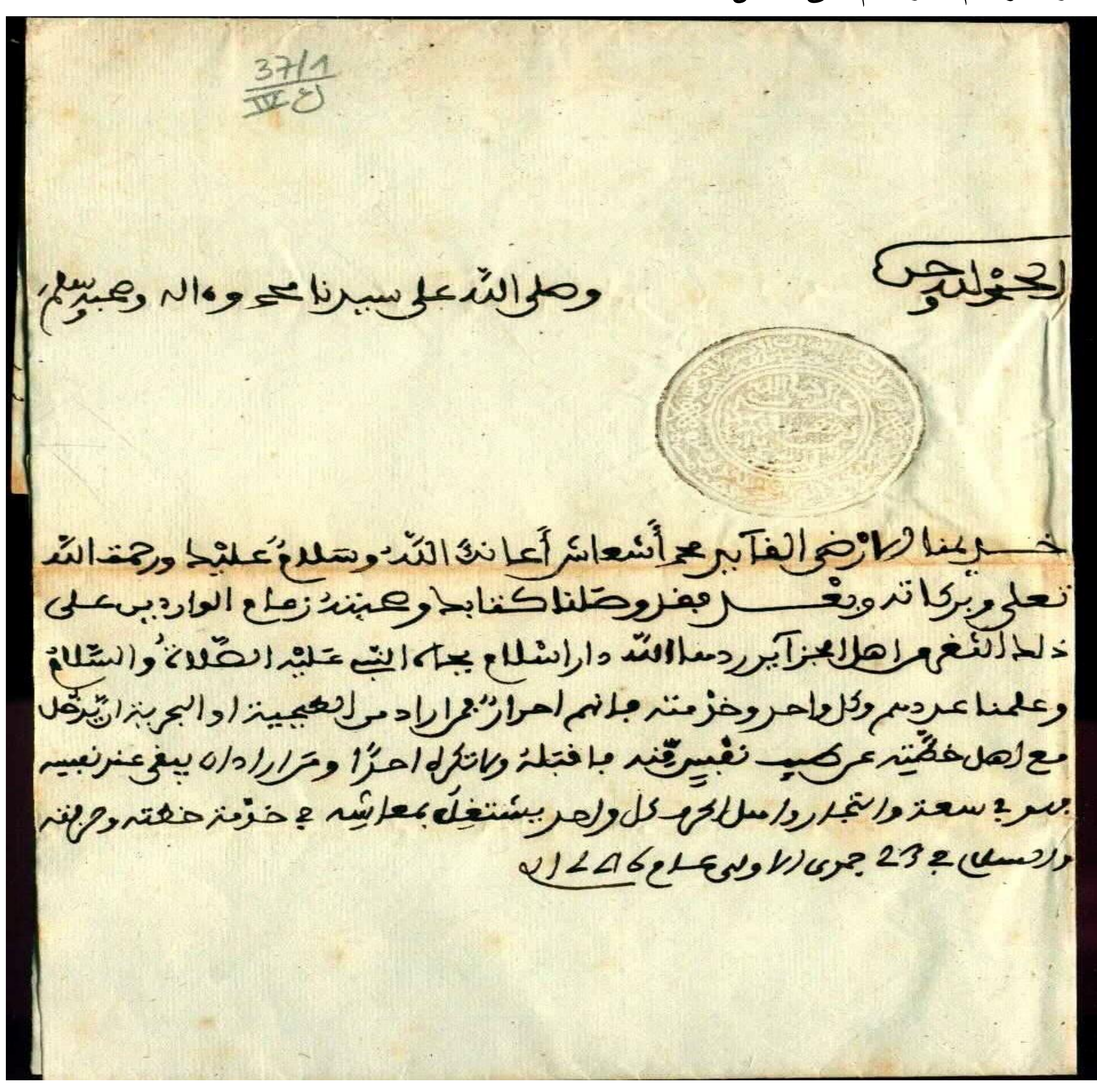
خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك مخبرا بورود المسلمين الخارجين من
الجزائر ردها الله دار إسلام وبما أخبر به أهلها عليها وعلى وهران وما فعل العدو
الكافر فيهم قصمه الله وخيب سعيه فكل من ورد منهم قابله بالبشاشة والقبول
واخفض جناحك لهم بالإكرام ولين الجانب فإن جبر القلوب واجب وأحرى إخواننا المسلمين
الذين فروا من العدو واستولى على أملاكهم وبلادهم وديارهم جبر الله حالهم بمنه
وفضله [illegible] الطالب [illegible] منه العدد الذي ثبت أنه قبضه على التمام ويعطيك
نسخة ما قبض من كل واحد [illegible] فتقبض من أهل تطوان [illegible] عليهم واشهد عليهم بالتوصل
به وما كان [illegible] وجهه [illegible] ومعونة لمن قبض منهم وشهدوا
عليهم كذلك وما قبض من أهل فاس وجهه [illegible] الطالب علال [illegible] مع
[illegible] الذين قبض منهم يرجع ذلك لأربابه ويشهد عليهم بالتوصل به وما بقي بعد
ذلك [illegible] باشا الجزائر [illegible] هذا العدد التام [illegible]
ضعفاء وإنما سبب [illegible] المذكورة ولو كان له عقل [illegible] مثل هذا
[illegible] العالية تأبى مثل هذا وفي قضية [illegible]
[illegible]
والله [illegible] والسلام في 22 ربيع الأول عام 1246

---

4- الوثيقة رقم :1/35 ك IV الخزانة الحسنية (القصر الملكي) .

## الملحق: رقم 05

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش والمؤرخة في 23 جمادى الأولى 1246هـ الموافق ل 08 نوفمبر 1830م ،في وصول بعض الجزائريين من أهل الحرف وعدم إكراههم على العمل[5] .



37/1
ع IV

الحمد لله وحده

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

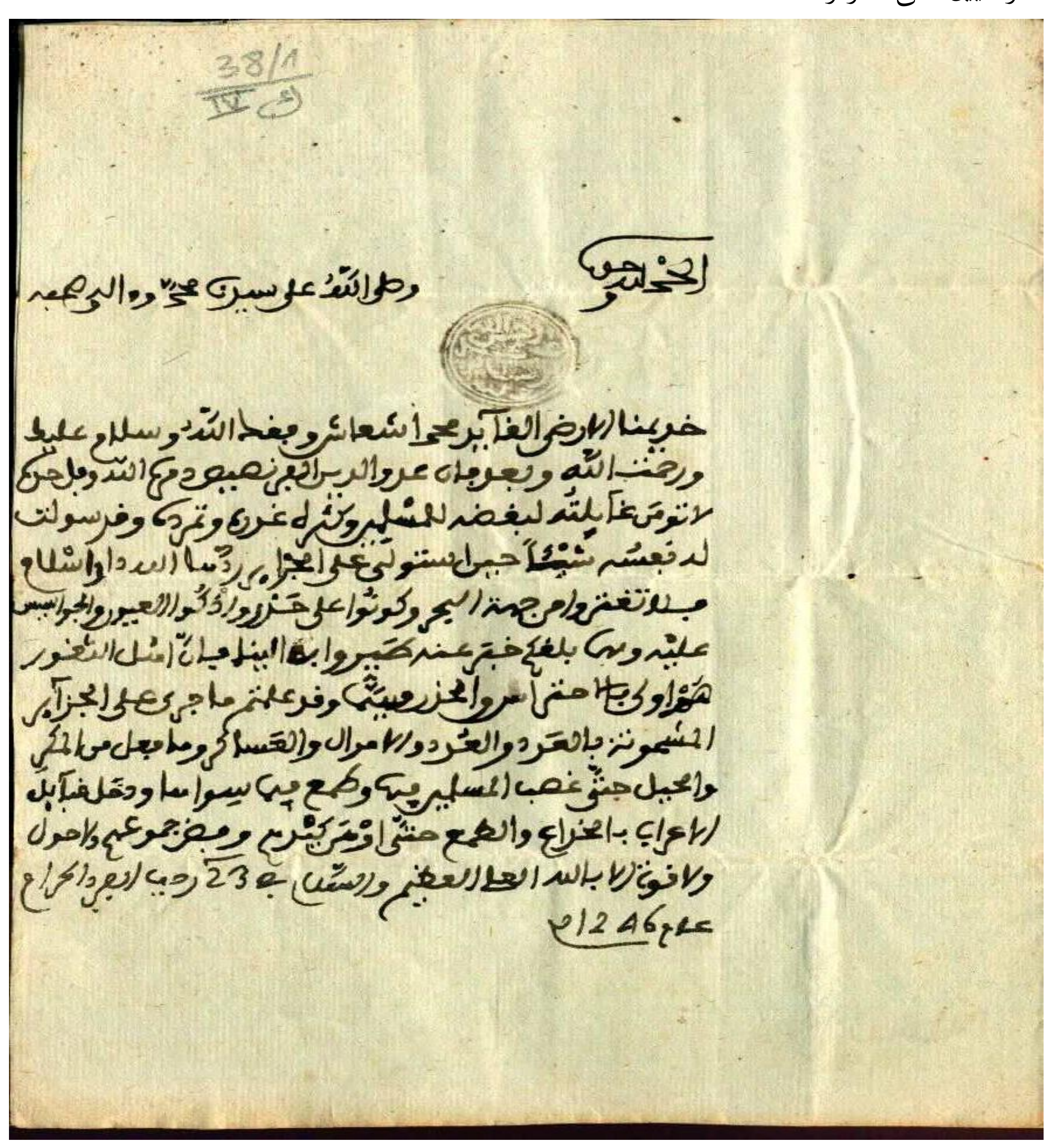
خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش أعانك الله وسلام عليك ورحمة الله
تعالى وبركاته وبعد فقد وصلنا كتابك وعرفنا ما ذكرته من ورود الواردين على
ذلك الثغر من أهل الجزائر ردها الله دار إسلام بجاه النبي عليه الصلاة والسلام
وعلمنا عددهم وكل واحد وحرفته فإنهم أحرار فمن أراد منهم العجمية أو البحرية أو أن يدخل
مع أهل حرفته عن طيب نفسه فذلك له فاقبله ولا تكره أحدا ومن أراد أن يبقى عند نفسه
فهو في سعة واختيار [illegible] كل واحد يشتغل بمعاشه في حرفته وحرفه
والسلام في 23 جمادى الأولى عام 1246

---

5- الوثيقة رقم :37 /1 ك IV الخزانة الحسنية (القصر الملكي) .

## الملحق: رقم 06

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش والمؤرخة في 23 رجب 1246هـ الموافق ل 06 جانفي 1831م ،في شأن أخذ الحيطة والحذر بعد استيلاء الفرنسيين على الجزائر.[6]




الحمد لله وحده
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى القائد محمد أشعاش وفقك الله وسلام عليك
ورحمة الله وبعد فإن عدو الدين الذي نصبه من الله وقلة حياء
لا تؤمن غوائله لبغضه للمسلمين وكثرة غدره وتمرده وقد سولت
له نفسه شيئا حين استولى على الجزائر ردها الله دار إسلام
فلا تغفلوا من جهة البحر وكونوا على حذر وأذكوا العيون والجواسيس
عليه ومن بلغك خبر عنه كثير وابعث البلاغات لأهل الثغور
ليكونوا على أهبة من أمره والحذر منه وقد علمتم ما جرى على الجزائر
المشحونة بالعدد والعدد والأموال والعساكر وما فعل من المكر
والحيل حتى غصب المسلمين فيها وطمع فيما سواها ودخل قبائل
الأعراب بالخداع والطمع حتى أوقع كثيرا منهم وفرق جموعهم ولا حول
ولا قوة إلا بالله العلي العظيم والسلام في 23 رجب الفرد الحرام
عام 1246

---

[6]- الوثيقة رقم :1/38 ك IV الخزانة الحسنية القصر الملكي .

## الملحق: رقم 07

**الموضوع :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى كراغلة تلمسان المؤرخة في 26 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق ل 11ديسمبر 1830م ،وتتضمن طلب السلطان عبد الرحمن من كراغلة تلمسان ،طاعة الخليفة الجديد المولاي علي بن سليمان ومستشاره القائد إدريس الجراري[7] .



الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

عليكم ورحمة الله وبعد

في 26 جمادى الثانية عام 1246

[7]- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 60.

## الملحق: رقم 08

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى المولاي علي بن سليمان والمؤرخة في 07 جمادى الثانية 1246 هـ الموافق ل 23 نوفمبر 1830م ، في شأن القبائل والكراغلة [8].



[8]- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 52.

## الملحق: رقم 09

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على وجدة القائد إدريس الجراري والمؤرخة في 22 ربيع الثاني 1246 هـ الموافق لـ09 أكتوبر 1830 م[9] .



9- إسماعيل حامت، مرجع سابق، ص 46.

## الملحق: رقم 10

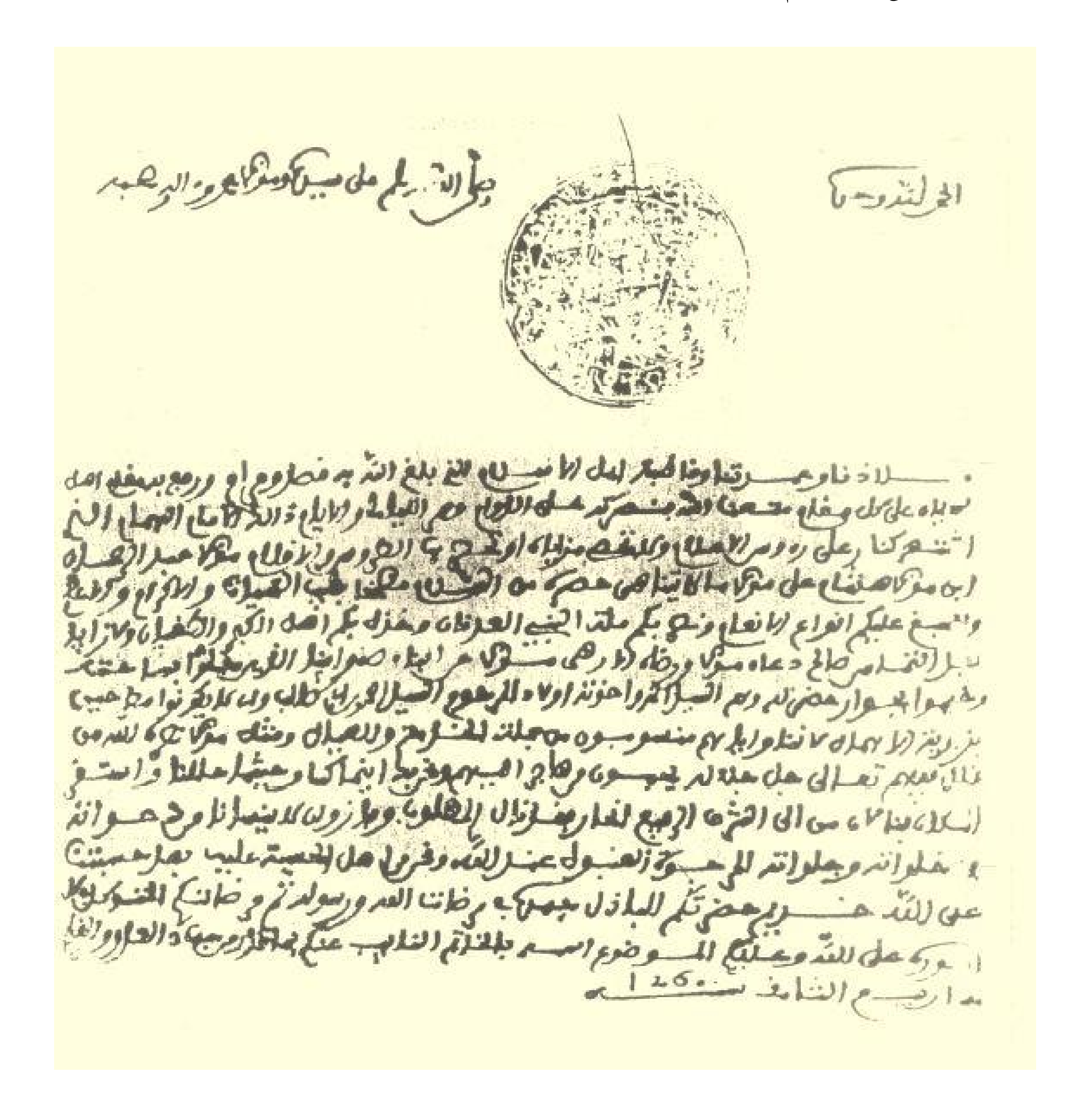
**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى مصطفى بن إسماعيل زعيم قبائل الدواير والمؤرخة في الفاتح من محرم 1250 هـ الموافق ل 10 ماي 1834م[10] .



[10]- عبد الرحمن بن زيدان ،إتحاف أعلام الناس ،مصدر سابق ، ص 41 .

## الملحق: رقم 11

**الموضوع: :** رسالة من الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد الرحمن والمؤرخة في ربيع الثاني 1260 هـ الموافق ل أفريل 1844م [11] .



الحمد لله وحده

وصلى الله وسلم على سيدنا ومولانا محمد وآله وصحبه

ربيع الثاني سنة 1260

---

[11] - عبد الرحمن بن زيدان ،إتحاف أعلام الناس ،مصدر سابق ، ص 65 .

## الملحق: رقم 12

**الموضوع: :** رسالة من الأمير عبد القادر إلى السلطان العثماني عبد المجيد، والمؤرخة في 28 شعبان 1256 هـ الموافق ل 24 أكتوبر 1840م [12] .

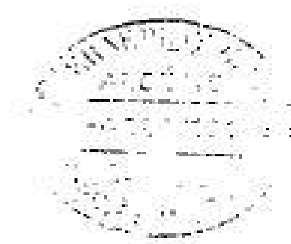


[12]- عبد الجليل التميمي ،مرجع سابق ، ص 225 . -الوثيقة الأصلية توجد ب أرشيف أستنبول تحت رقم 820.

## الملحق: رقم 13

**الموضوع: :** اتفاقية طنجة الموقعة في 27 شعبان 1260 هـ الموافق ل 10 سبتمبر 1844م [13] .

x 30H15 n° 3 Cabinet militaire
Archives



Traité de Tanger

Convention conclue à Tanger, le 10 Septembre 1844, pour régler les Différends survenus entre la France et le Maroc.

Sa Majesté l'Empereur des Français, d'une part, et Sa Majesté l'Empereur de Maroc, Roi de Fez et de Suz, de l'autre part, désirant régler et terminer les différends survenus entre la France et le Maroc, et rétablir, conformément aux anciens Traités, les rapports de bonne amitié qui ont été un instant suspendus entre les deux Empires, ont nommé et désigné pour leurs Plénipotentiaires :

Sa Majesté l'Empereur des Français, le sieur Antoine Marie Daniel Doré de Nion, officier de la Légion d'honneur, chevalier de l'ordre royal d'Isabelle la Catholique, chevalier de première classe de l'ordre Grand Ducal de Louis de Hesse, son Consul général et chargé d'affaires près Sa Majesté l'Empereur de Maroc, et le sieur Louis-Charles-Elie Decazes, comte Decazes, duc de Glucksbug, chevalier de l'ordre royal de la Légion d'honneur, commandeur de l'ordre royal de Dañebrog et de l'ordre royal de Charles III d'Espagne,

---

[13] - المكي جلول، مرجع سابق، ص 213.

- 2 -

Chambellan de Sa Majesté Danoise, chargé d'affaires de Sa Majesté l'Empereur des Français près de Sa Majesté l'Empereur de Maroc;

Et Sa Majesté l'Empereur de Maroc, Roi de Fez et de Sus, l'agent de la Cour très élevée par Dieu Sid-Bou Selam-Ben-Ali.

Lesquels ont arrêté les stipulations suivantes:

Art. 1er. Les troupes marocaines réunies extraordinairement sur la frontière des deux empires, ou dans le voisinage de ladite frontière, seront licenciées.

Sa Majesté l'Empereur de Maroc s'engage à empêcher désormais tout rassemblement de cette nature. Il restera seulement, sous le commandement du Caïd de Oueschda, un corps dont la force ne pourra excéder habituellement deux mille hommes. Ce nombre pourra toutefois être augmenté si des circonstances extraordinaires, et reconnues telles par les deux Gouvernements, le rendaient nécessaire dans l'intérêt commun.

2. Un châtiment exemplaire sera infligé aux chefs marocains qui ont dirigé ou toléré les actes d'agression commis en temps de paix sur le territoire de l'Algérie contre les troupes de Sa Majesté l'Empereur des Français. Le gouvernement marocain fera connaître au Gouvernement français les mesures qui auront été prises pour l'exécution de la présente clause.

3. Sa Majesté l'Empereur de Maroc s'engage de nouveau

-3-

de la manière la plus formelle et la plus absolue, à ne donner, ni permettre qu'il soit donné, dans ses États, ni assistance, ni secours en armes, munitions ou objets quelconques de guerre, à aucun sujet rebelle ou à aucun ennemi de la France.

4. - Hadj-Abd el-Kader, est mis hors la loi dans toute l'étendue de l'Empire de Maroc, aussi bien qu'en Algérie.

Il sera en conséquence poursuivi à main armée par les Français sur le territoire de l'Algérie, et par les Marocains sur leur territoire, jusqu'à ce qu'il en soit expulsé ou qu'il soit tombé au pouvoir de l'une ou de l'autre nation.

Dans le cas où Abd El-Kader tomberait au pouvoir des troupes françaises, le Gouvernement de Sa Majesté l'Empereur des Français s'engage à le traiter avec égards et générosité.

Dans le cas où Abd. El-Kader tomberait au pouvoir des troupes marocaines, Sa Majesté l'Empereur de Maroc s'engage à l'interner, dans une des villes du littoral ouest de l'empire, jusqu'à ce que les deux Gouvernements aient adopté, de concert, les mesures indispensables pour qu'Abd El-Kader ne puisse, en aucun cas, reprendre les armes et troubler de nouveau la tranquillité de l'Algérie et du Maroc.

5. - La délimitation des frontières entre les possessions de Sa Majesté l'Empereur des Français et celles de Sa Majesté l'Empereur de Maroc, reste fixée et convenue conformément à l'état des choses reconnu par le Gouvernement marocain, à l'époque de la domination des Turcs en Algérie.

- 4 -

L'exécution complète et régulière de la présente clause fera l'objet d'une Convention spéciale négociée et conclue sur les lieux, entre le Plénipotentiaire désigné à cet effet par Sa Majesté l'Empereur des Français et un délégué du Gouvernement marocain. Sa Majesté l'Empereur du Maroc s'engage à prendre sans délai, dans ce but, les mesures convenables, et à en informer le Gouvernement français.

6.- Aussitôt après la signature de la présente Convention, les hostilités cesseront de part et d'autre. Dès que les stipulations comprises dans les articles 1, 2, 4 et 5 auront été exécutées à la satisfaction du Gouvernement français, les troupes françaises évacueront l'île de Mogador, ainsi que la ville d'Oueschda, et tous les prisonniers faits de part et d'autre seront mis immédiatement à la disposition de leurs nations respectives.

7.- Les Hautes Parties contractantes s'engagent à procéder de bon accord, et le plus promptement possible, à la conclusion d'un nouveau Traité qui basé sur les Traités actuellement en vigueur, aura pour but de les consolider et de les compléter, dans l'intérêt des relations politiques et commerciales des deux Empires.

En attendant, les anciens Traités seront scrupuleusement respectés et observés dans toutes leurs clauses, et la France jouira, en toute chose et en toute occasion, du traitement de la nation la plus favorisée.

8.- La présente Convention sera ratifiée, et les ratifications en seront échangées dans un délai de deux mois, ou plus tôt, si

- 5 -

faire se peut.[1]

Aujourd'hui, le 10 Septembre de l'an de grâce 1844 (correspondant au 25 du mois de Chaaban, de l'an de l'hégire 1260), les Plénipotentiaires ci-dessus désignés, de Leurs Majestés les Empereurs des Français et de Maroc, ont signé la présente Convention, et y ont apposé leurs sceaux respectifs.

(L.S.) Signé: Ant. M. D. Duc de Nion

(L.S.). Signé: Decazes, Duc de Glucksberg

(1) Les ratifications furent échangées le 26 octobre 1844.

[14]

14- يوجد النص الأصلي للاتفاقية في أرشيف ما وراء البحار بأكس أنبروفانس العلبة 30 15H .

## الملحق: رقم 14

**الموضوع: :** اتفاقية لالة مغنية الموقعة في 09 ربيع الأول 1261هـ الموافق لـ18 مارس 1845م[15]



المعاهدة الواقعة في لالة مغنية

بين الدولتين الفرنسوية والمغربية

يوم ١٨ مارس سنة ١٨٤٥

الحمد لله وحده ولا يدوم الا ملكه

هذا تقييد ما اتفق عليه نائب سلطان مراكش وفاس وسوس الاقصى ونائب سلطان الفرنسيس وسائر مملكة الجزائر

فمراد السلطانين هو تصحيح عقد المحبة السابقة وثبوتها ولذلك ترى كل واحد منهما يطلب من الاخر الوفاء بالشرط الخامس في مكتوب الصلح المنبرم يوم ١٠ اشتنبر عام ١٨٤٤ من تاريخ المسيح الموافق ليوم ٢٥ من شعبان سنة ١٢٦٠ الهجرية وعين كلا السلطانين نائبه في تحديد الحدود بين الايالتين وتصحيحها نيابة تفويض فنائب سلطان المغرب هو الفقيه السيد حميدة بن علي الشجعي عامل بعض مملكة المغرب ونائب سلطان الفرنسيس هو الجنرال اريستيد يزيدور كونت دولارو صاحب نيشان الافتخار لدولة الفرنسيس ودولة اسبانيا فبعد الملاقاة بينهما واتيان كلاهما برسم التفويض من سلطانه اتفقا على ما فيه مصلحة الفريقين وجلب المحبة بين الجانبين وهو ما هو مذكور اسفله

---

[15]- المكي جلول، مرجع سابق، ص ص 218 230 .

٢

الشرط الاول اتفق الوكيلان على ابقاء الحدود بين ايالتي المغرب والجزائر كما كانت سابقا بين ملوك الترك وملوك الغرب السابقين بحيث لا يتعدى احد حدود الاخر ولا يحدث بنا في الحدود في المستقبل ولا تمييز ا بالحجارة بل تبقى كما كانت قبل استيلاء الفرنسيس على مملكة الجزائر

الشرط الثاني عين الوكيلان الحدود بالاماكن التي في ممر الحدادة وتراضيا عليها بحيث انها صارت واضحة معلومة كالخط بما كان غربي الخط يعني الحد فلايالة مملكة المغرب وما كان شرقي الحد فلايالة مملكة المشرق

الشرط الثالث ذكر مبدا الحدود والاماكن التي تمر عليها الحدادة فمبداه ملتقى وادي عجرود مع البحر واصعد مع الوادي الى ان تبلغ المشرع المسمى كيس وسر كذلك مع الوادي الى ان تبلغ راس العيون الكائنة بحجر الكديات الثلاثة المسماة مناصب كيس وهذه الكديات الثلاثة داخلة في الحد الشرقي وسر من راس العيون مع الجمار الى ان تبلغ دراع الدوم واهبط الى الوطا المسمي الاعوج وسر كذلك حوشي سيدي عياد كالمقابل لك غيران الحوشي بنفسه يبقى داخل الجهة الشرقية بنحو الخمسمائة ذراع وسر كذلك الى جرف البارود الكائن بوادي بونعيم ومنه الى كركور سيدي حمزة ومنه الى زوج البغال وسر منه مياسرا لبلد الملح الى سيدي الزهار المعلوم للعملة الشرقية ومنه

٣

سرمع الطريق الجادة الى عين تفبالت التي هي بين البواردة والزبوجتين
المسماتين بالتوميات المعروفتين لايالة مملكة المغرب واصعد من
عين تفبالت مع وادي ربان الى راس عصفور وسر كذلك مع الكدي
واترك شرقا قبة سيدي عبد الله بن محمد الحمليلي وغربا مع ثنية
المشاميش وسر كذلك غير مشرق وغير مغرب الى ان تبلغ قبة سيدي
عيسى الكائنة بمنتهى طرف مسيون والقبة وحرمها داخلان في ايالة
المملكة الشرقية وسر مستقبلا من القبة المذكورة الى ان تبلغ كدية
الدبغ وهي تمام حد التل ومنها سر مستقبلا الى ان تبلغ الى خنيق الحدا
ومنه الى ثنية الساسي المعلومة لايالة المملكتين والحدادة المذكورة
من البحر الى الصحراء من تمامها ذكر الارض الملاصقة للحدود شرقا
وذكر القبايل النازلة بها فاول الارض والقبائل ارض بني منقوش التحاتة
وعطية الذين هم لايالة مملكة المغرب ومنزلهم ارض ايالة مملكة
المشرق وسبب نزولهم وقعة وقعت بينهم وبين اخوانهم الغرابة
فانهزموا فالتجوا الى المنازل التي هي سكناهم الان ولازالوا يتصرفون في
المنازل المذكورة بالكرا من مالك ايالة المملكة الشرقية الى الان وحتى
الان لكن تكرم وتبرع النائب عن سلطان الفرنسيس على نائب سلطان
المغرب بالوظيفة التي تؤديا هاتان القبيلتان المذكورتان لسلطان المملكة
الشرقية فلا يطالبون بقليل ولا كثير ولا جليل ولا خطير رغبة في الاستيلاف
وابقاء للمحبة وجلبا للمودة بين الفريقين مدة الخير والصلح والمهادنة

٣

وضيافة من النائب المتبرع المذكور على السيد النائب من سلطان المغرب المسطور ثم يجاور تراب الفرقتين المذكورتين تراب مسيردة والاعشاش واولاد ملوك وبني بوسعيد وبني سنوس واولاد نهار وهذه القبائل الستة من جملة عملة الجزائر وكذلك ذكر الارض الملاصقة الحدود غربا وذكر القبائل النازلة فيها فاول الارض والقبائل ارض اولاد منصور اهل تريفة وبني يزناسن والمزاوير واولاد احمد بن ابراهيم واولاد العباس واولاد على بن طالحة واولاد عزوز وبني بوحمدون وبني حليل وبني مطهر اهل راس العين وهولاء القبائل بمنازلهم لعملة المغرب

الشرط الرابع ان ارض الصحراء لاحد فيها بين الجانبين لكونها لاحرث وانما هي مرعى فقط لعرب الايالتين التي تنزل فيها وتنتفع بخصبها وماها ولكلا السلطانين التصرف في رعيته بما شاء وكيف شاء من غير معارض ان امتازت والا فمن اراد احداث امر في رعيته حالة اختلاطها برعية غيره فليكف عن غير رعيته ويحدث في رعيته ما يشاء بالاعراب الغربية هم المهاية وبني قيل واولاد سيدي الشيخ الغرابة وعمور الصحراء وحميان الجنبة والاعراب الشرقية هم اولاد سيدى الشيخ الشراقة وكافة حميان من غير حميان الجنبة

الشرط الخامس في تعيين قصور ايالة المملكتين في الصحراء فعلى الملكين اتباع الطريق السابقة وتوقير اهل هذه القصور رعيا لجانب المقامين ما قصور فجيج ونعريش فلعملة المغرب واما العين الصفراء وسفيسيفة

ه

وعلة وتيوت وشلالة والابيض وبوسمغون وللعملة الشرقية

الشرط السادس ان الارض التي هي قبلة قصور الفريقين في الصحراء
لا ما فيها فلا تحتاج لتحديد لكونها ارض فلات

الشرط السابع ان جميع من التجا من رعية الفريقين الى الاخر فلا
يرد من التجا اليه لموضعه حيث اراد البقاء بملتجاه والا فمن اراد
الرجوع لموضعه فلا يتعرض له عامل ولا غيره وحيث عزم على البقاء فيبقى
تحت حكم عامل المكان الملتجا اليه ويكون امنا في نفسه وماله احتراما
من السلطانين لبعضهما بعضا وهذا الشرط لا تدخل فيه القبائل الذين
عملتهم مبينة في الشروط اعلاه وغير خفي ان الحاج عبد القادر ومن
في حزبه غير داخل في هذا الشرط لان دخوله فيه موجب لبطلان الشرط
الرابع في مكتوب الصلح المنبرم يوم ١٠ شتنبر سنة ١٨٤٤ فان العمل
والوفاء به من اهم الامور الموجبة لنفوذ كلمة السلطانين وتصحيح
المحبة وابقاء المودة بين الدولتين والالفة بين الجانبين فبعد
المطلوب من السلطانين الرضى بما ذكر اعلاه والوفاء به ولابد من كتب
نسختين لتقييد الشروط المذكورة فتطبع نسخة منهما بطابع سلطان
الفرنسيس وياخذها سيادة سلطان المغرب وتطبع نسخة اخرى بطابع سلطان
المغرب وياخذها سيادة سلطان الفرنسيس وتبديل النسختين انما يكون في طنجة
عن قريب ان شاء الله بعد ان يضع كل واحد من النائبين المذكورين خط يده وخاتمه
في كل نسخة من النسختين وذلك بقرب الحدود .

بتاريخ ٩ ربيع الاول سنة ١٢٦١ الموافق اليوم الثامن عشر من مرس
سنة ١٨٤٥ من تاريخ المسيح والله يصلح الحال والمال

واسفله خط يد النائب الفرنسوي
الجلينار كونت دولاروا

واسفله خط يد النائب المغربي
السيد حميدة بن علي





Traité du 18 Mars 1845.

ou

de Lalla Marnia

---

Traité conclu entre les Plénipotentiaires de l'Empereur des Français et des possessions de l'Empire d'Algérie, et de l'Empereur de Maroc, de Suz, de Fez et des possessions de l'Empire d'Occident.

Les deux Empereurs, animés d'un égal désir de consolider la paix heureusement rétablie entre eux, et voulant, pour cela, régler d'une manière définitive l'exécution de l'article 5 du traité du 10 Septembre de l'an de grâce 1844 (24 cha'ban de l'an 1260 de l'hegire).

Ont nommé, pour leurs commissaires plénipotentiaires, à l'effet de procéder à la fixation exacte et définitive de la limite de souveraineté entre les deux pays, savoir :

L'Empereur des Français, le sieur Aristide Isidore, comte de la Rüe, Maréchal de camp dans ses armées, Commandeur de l'ordre d'Isabelle la Catholique, et Chevalier de deuxième classe de l'ordre de Saint-Ferdinand d'Espagne ;

L'empereur de Maroc, le Sid Ahmida Ben Ali El

-2-

Sufiâni, gouverneur d'une des provinces de l'Empire;

Lesquels, après s'être réciproquement communiqué leurs pleins pouvoirs, sont convenus des articles suivants dans le but du mutuel avantage des deux Pays et d'ajouter aux liens d'amitié qui les unissent:

Article 1er. Les deux Plénipotentiaires sont convenus que les limites qui existaient autrefois entre le Maroc et la Turquie resteraient les mêmes entre l'Algérie et le Maroc. Aucun des deux Empereurs ne dépassera la limite de l'autre; aucun d'eux n'élèvera à l'avenir de nouvelles constructions sur le tracé de la limite; elle ne sera pas désignée par des pierres. Elle restera, en un mot, telle qu'elle existait entre les deux Pays avant la conquête de l'Empire d'Algérie par les Français.

2e Les Plénipotentiaires ont tracé la limite au moyen des lieux par lesquels elle passe et touchant lesquels ils sont tombés d'accord, en sorte que cette limite est devenue aussi claire et aussi évidente que le serait une ligne tracée.

Ce qui est à l'est de cette ligne frontière appartient à l'Empire d'Algérie.

Ce qui est à l'ouest appartient à l'Empire du Maroc.

3e La désignation du commencement de la limite et des lieux par lesquels elle passe est ainsi qu'il suit: cette ligne commence à l'embouchure de l'Oued (c'est-à-dire cours d'eau) Adjeroud dans la mer; elle remonte avec ce cours d'eau jusqu'au gué où il prend le nom de Kiss; puis elle remonte encore le même cours

-3-

l'eau jusqu'à la source qui est nommée Ras-el-Aïoun, et qui se
trouve au pied des trois collines portant le nom de Menasseb-
Kis, lesquelles, par leur situation, à l'est de l'Oued, appartien-
nent à l'Algérie. De Ras-el-Aïoun, cette même ligne remonte
sur la crête des montagnes avoisinantes jusqu'à ce qu'elle arrive
à Drâ-el-Doum, puis elle descend dans la plaine nommée El-
Aoudj. De là, elle se dirige à peu près en ligne droite sur Haouch-
Sidi-Aïed. Toutefois, le Haouch lui-même reste à cinq cents coudées
(deux cent cinquante mètres) environ, du côté de l'est, dans les limites
algériennes. De Haouch-Sidi-Aïed, elle va sur Djerf-el-Baroud, situé
sur l'Oued-Bou-Naïm; de là, elle arrive à Kerkour-Sidi-Hamza; de
Kerkour-Sidi-Hamza à Zoudj-el-Beghal; puis, longeant à gauche
le pays des Ouled-Ali-ben-Talha, jusqu'à Sidi-Zahir qui est sur
le territoire algérien, elle remonte sur la grande route jusqu'à Aïn-
Takbalet, qui se trouve entre l'Oued-Bou-Erda et les deux oliviers
nommés El-Toumiet, qui sont sur le territoire marocain. De Aïn-
Takbalet, elle remonte avec l'Oued-Roubban jusqu'à Ras-Asfour;
elle suit au-delà le Kef en laissant à l'est le Marabout de Sidi-
Abd-Allah-ben-Mohammed-el-Hamlili, puis, après s'être dirigée
vers l'ouest, en suivant le col de El-Mechêmiche, elle va en ligne
droite jusqu'au marabout de Sidi-Aïssa, qui est à la fin de la plaine
de Missiouine. Ce marabout et ses dépendances sont sur le territoire
algérien. De là, elle court vers le Sud jusqu'à Koudiet-el-Debbagh,
colline située sur la limite extrême du Tell (c'est-à-dire le pays cultivé).
De là, elle prend la direction sud jusqu'à Kheneg-el-Hada, d'où elle

marche sur Teniet-el-Sassi, col dont la jouissance appartient aux deux Empires.

Pour établir plus nettement la délimitation à partir de la mer jusqu'au commencement du désert, il ne faut point omettre de faire mention, et du terrain qui touche immédiatement à l'est la ligne sus désignée, et du nom des tribus qui y sont établies.

A partir de la mer, les premiers territoires et tribus sont ceux des Beni-Mengouch-Tahta et des Aâttia. Ces deux tribus se composent de sujets marocains qui sont venus habiter sur le territoire de l'Algérie par suite de graves dissentiments soulevés entre eux et leurs frères du Maroc. Ils s'en séparèrent à la suite de ces discussions et vinrent chercher un refuge sur la terre qu'ils occupent aujourd'hui et dont ils n'ont pas cessé jusqu'à présent d'obtenir la jouissance du souverain de l'Algérie, moyennant une redevance annuelle.

Mais le commissaire plénipotentiaire de l'Empereur des Français, voulant donner au représentant de l'Empereur de Maroc une preuve de la générosité française et de sa disposition à resserrer l'amitié et entretenir les bonnes relations entre les deux Etats, a consenti au représentant marocain, à titre de don d'hospitalité, la remise de cette redevance annuelle, (cinq cents francs pour chacune des deux tribus), de sorte que les deux tribus sus-nommées n'auront rien à payer, à aucun titre que ce soit, au gouvernement d'Alger, tant que la paix et la bonne intelligence dureront entre les deux Empereurs des Français et du Maroc.

Après le territoire des Aâttia, vient celui des Messirda, des

- 5. -

Achâche, des Ouled-Mellouk, des Beni-bou-Saïd, des Beni-Senous et des Ouled-en-Nahr. Ces six dernières tribus font partie de celles qui sont sous la domination de l'Empire d'Alger.

Il est également nécessaire de mentionner le territoire qui touche immédiatement, à l'ouest, la ligne sus-désignée, et de nommer les tribus qui habitent sur ce territoire. A partir de la mer, le premier territoire et les premières tribus sont ceux des Ouled-Mansour-Rel-Trifa, ceux des Beni-Yznassen, des Mezaouir, des Ouled-Ahmed-ben-Brahim, des Ouled-el-Abbès, des Ouled-Ali-ben-Talha, des Ouled-Azouz, des Beni-bou-Hamdoun, des Beni-Hamlil et des Beni-Mathar-Rel-Ras-el-Aïn. Toutes ces tribus dépendent de l'Empire du Maroc.

4. Dans le Sahra (désert), il n'y a pas de limite territoriale à établir entre les deux Pays, puisque la terre ne se laboure pas et qu'elle sert de pacage aux Arabes des deux Empires, qui viennent y camper pour y trouver les pâturages et les eaux qui leur sont nécessaires. Les deux Souverains exerceront de la manière qu'ils l'entendront, toute la plénitude de leurs droits sur leurs sujets respectifs dans le Sahra. Et, toutefois, si l'un des deux Souverains avait à procéder contre ses sujets, au moment où ces derniers seraient mêlés avec ceux de l'autre Etat, il procédera comme il l'entendra sur les siens, mais il s'abstiendra envers les sujets de l'autre gouvernement.

Ceux des arabes qui dépendent de l'Empire du Maroc sont: les Mbéïa (Mbaia) les Beni-Guil, les Hamian-Djenba, les Eumour-Sahra, et les Ouled-Sidi-Cheikh-el-Gharaba.

- 6 -

ceux des arabes qui dépendent de l'Algérie sont: les Ouled-Sidi-Cheikh-el-Cheraga et tous les Hamian, excepté les Hamian-Djemba sus-nommés.

5. Cet article est relatif à la désignation des Ksours (villages du désert) des deux Empires. Les deux Souverains suivront à ce sujet, l'ancienne coutume établie par le temps, et accorderont, par considération l'un pour l'autre, égards et bienveillance aux habitants de ces Ksours.

Les Ksours qui appartiennent au Maroc sont ceux de Yiche et de Figuigue.

Les Ksours qui appartiennent à l'Algérie sont: Aïn-Sefra, Sfissifa, Assla, Tiout, Chellala, El-Abiad et Bou-Semghoune.

6. Quant au pays qui est au sud des Ksours des deux Gouvernements, comme il n'y a pas d'eau, qu'il est inhabitable, et que c'est le désert proprement dit, la délimitation en serait superflue.

7. Tout individu qui se réfugiera d'un Etat dans l'autre, ne sera pas rendu au Gouvernement qu'il aura quitté par celui auprès duquel il se sera réfugié, tant qu'il voudra y rester.

S'il voulait, au contraire, retourner sur le territoire de son Gouvernement, les autorités du lieu où il se sera réfugié ne pourront apporter la moindre entrave à son départ. S'il veut rester, il se conformera aux lois du pays, et il trouvera protection et garantie pour sa personne et ses biens. Par cette clause, les deux Souverains ont voulu se donner une marque de leur mutuelle considération.

Il est bien entendu que le présent article ne concerne en rien les

- 7 -

tribus ; l'Empire auquel elles appartiennent étant suffisamment établi dans les articles qui précèdent.

Il est notoire aussi que El-Hadj Abd-el-Kader et tous ses partisans ne jouiront pas du bénéfice de cette Convention, attendu que ce serait porter atteinte à l'article 4 du traité du 10 septembre 1844, tandis que l'intention formelle des Hautes Parties contractantes est de continuer à donner force et vigueur à cette stipulation émanée de la volonté de leurs Souverains, et dont l'accomplissement affermira l'amitié et assurera pour toujours la paix et les bons rapports entre les deux États.

Ce présent Traité, dressé en deux exemplaires, sera soumis à la ratification et au scel des deux Empereurs, pour être ensuite fidèlement exécuté.

L'échange des ratifications aura lieu à Tanger, sitôt que faire se pourra (*).

En foi de quoi, les Commissaires plénipotentiaires susnommés ont apposé au bas de chacun des exemplaires leurs signatures et leurs cachets.

Fait sur le territoire français voisin des limites, le 18 mars 1845 (9 de rabia el ouel 1261 de l'hégire)

Puisse Dieu améliorer cet état de choses dans le présent et dans le futur !

(L.S.) Signé : Le Général Comte de la Rue.

(L.S.) Signé : Ahmida Ben Ali.

[16] (*). Les ratifications furent échangées le 6 Août 1845.

---

[16]- يوجد النص الأصلي للوثيقة في أرشيف ما وراء البحار أكس أنبروفانس العلبة 30 15H .

## الملحق: رقم 15

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على طنجة الطالب بوسلهام بن علي، مؤرخة في 27 ربيع الأول 1261هـ الموافق ل 04 أفريل 1845 م وتتضمن احتجاج السلطان على الاتفاقية[17] .



الحمد لله وحده
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه

خديمنا الأرضى الطالب بوسلهام بن علي وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته

[illegible]

---

[17]- الوثيقة 15/ 16 16/IV *الخزانة الحسنية القصر الملكي .*

## الملحق: رقم 16

**الموضوع:** : رسالة من ولي العهد سيدي محمد إلى والده السلطان عبد الرحمن مؤرخة في 16 جمادى الثاني 1263هـ الموافق ل 31 ماي 1847 م[18] .

[18]- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 154.

## الملحق: رقم 17

**الموضوع: :** رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى ولي العهد سيدي محمد مؤرخة في 18 شوال 1263هـ الموافق ل 29 سبتمبر 1847 م[19]. في شأن إعداد حملة ضد الأمير.

الحمد لله وحده وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه



ولدنا البار الأرضى سيدي محمد أصلحك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد
فقد وصلنا كتابك والكتب التي معه وعرفنا مضمنها وأن الكل أخبر بما آل إليه أمر قلعية
مع العدو أعانه الله بالاشتغال من غير [illegible] عليه وما وقف عليهم [illegible] أغاثة [illegible]
عنهم وبوصول كتابنا هذا إليك فاذهب للنهوض [illegible] الأمر المهم بنفسك فليس عندنا من نعول عليه
إلا الله سبحانه وكفى بالله وليا وكفى بالله نصيرا ولا [illegible] حتى تكون لك [illegible] ونوجه لك من
المحلة التي معنا إن شاء الله تعالى ونوجه معك محلة الحوز والعبيد الذي بالحياينة وغيرهم لغزاة عدو الله
وعلى الله الكمال والإتمام إليك ووجهت لابن عبد الصادق الريفي ليبقى بتازة تحت يد [illegible]
الذي يطلب توجيه المال له [illegible] فلا توجيه له شيئا بقول الناس لا ينفع حاجة
[illegible] وأهل الحوز إن رأيتهم يتشوشون لا علة لهم اجعل لهم درهما للفارس في اليوم وبوصول كتابنا هذا
إليك بين لنا عدد ما عندك من خيل [illegible] وغيرهم وعدد ما مع أخيك مولاي أحمد [illegible]
من المخزن وغيرهم وكم عندك بفاس كذلك والله يعينك والسلام في 18 شوال الأبرك عام 1263

---

[19]- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 170.

## الملحق: رقم 18

**الموضوع: :** رسالة من حماد بومهدي الهواري إلى السلطان عبد الرحمن مؤرخة في 16 صفر الثاني 1263هـ الموافق ل 22 جانفي 1848 م وتتضمن بشرى تسليم الأمير إلى فرنسا [20].

[20]- إسماعيل حامت، مصدر سابق، ص 183.

## الملحق: رقم 19

**الموضوع: :** رسالة من الشيخ بوعمامة إلى الشعانبة مؤرخة في 22 جمادى الثاني 1298هـ الموافق ل 21 ماي 1881 م في شأن الدعوة إلى الالتحاق بالثورة [21].

الحمد لله وحده وصلى الله على سيدنا محمد وآله

الى جماعتنا المحروسة بعين الله خصوصا كافة جماعة
الشعانبة اخص منهم الاعيان الفاضلين بأسماء
النهار قبيلة بعد قبيلة من غير تخصيص ان شاء الله
واعانكم للخير والجهاد ومعكم والسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته وتحيته ورضوانه وخيراته واحسانه
وانعامه وافضاله وبعد نعلمكم اعلمكم الله خيرا
نريد منكم وتتلفوا على امر الجهاد في سبيل الله
هذا الامر نادى به المنادي من قبل الله ومن رسول
الله صلى الله عليه وسلم وبأمر رجال الله الصالحين
من اراد منكم هذا الطاعة الله يوافقه ويعينه ياتي
في العشيات هذا هو الموعد الصحيح الذي بيننا
وبينكم ومن لم يرد فلا حاجة لنا به وما ياتي
بعد ذلك والسلام وكتب بامر سيدنا نصره الله
وعلى الكفر اعانه سيدنا ابو عمامة بن العرب بن احمد
امنه الله ورعاه وكتب بتاريخ ثانية وعشرين
من جمادى الثاني عام ١٢٩٨ (٦)
بيانه

---

21- عبد الحميد زوزو، مرجع سابق، صفحة الغلاف الخارجي.

## الملحق: رقم 20

## الموضوع: : مختصر نص بروتوكول 20 جويلية 1901م المتعلق بتسوية الحدود [22].

**II. Protocole intervenu le 20 Juillet 1901**

entre Mr delcasse , Ministre des Affaires Etrangeres et Ambassadeur Plenipotentiaire de S.M Cherifzenne aupres du gouvernement de la republique francaise, portant application et execution du traite de 1845 daps la Region de sud ouest Algerien :

**Art.2**-Le Makhzen pourra etablir des postes de garde et de douane en maconnerie ou sous une autre forme, a 1'extremite des territoires des tribes qui font partie de son empire depuis le lieu connu sous le nom de Teniet- Essassi, jusqu'au Qsar de §§§et el territoire de Figuig.

**Art.4**-Le Gouvernement marocain pourra etablir autant de postes de garde et de doe qu'il voudra du cote de 14empire marocain, au-dela de la ligne qua est consideree approximativement comme la limite du parcours des Doug-Mena et des Ouleds Djerir, et va de 1'extremite du territoire de Figuig a Sidi eddacher, traverse 1'Oued E11d1er et atteint par le lieu connu sous le nom d'Elmorra, le confluent de 1' Oued elzaza et de 1' Oued Guir. Il pourra etablir des postes de garde et de douane sur la rive occidentale de 1'O Guir, du confluent des deux rives susdites jusqu'a 15 km au dessus de Qsar d'Igli. De meme , le Gouvernement francais pourra etablir des postes de garde de douane sur la ligne voisine de Djenan-id-Dar passant sur le versant oriental de Djebel Bechar et suivant cette direction jusqu'a 1'Oued Guir.

**Art.5**- La situation des habitants du territoire compris entre les lignes des postes des deux pays ndiques ci-dessus est reglee de la fawn suivante :

Pour ce qui concern les gens des tribes des Doui -Mena et des Wed Djerir, les deux Gouvernement nomtneront des Commissaires qui se rendront aupres d'elles et laisseront le choix de celui des deux Gouvernements sow I'autorite duquel ils seront places. Ceux qui choisirant l'autorite marocaine seront tra.nsportes de cc territoire a l'endroit quo le Gouvernement marocain leer assignera conurie residence daps son Empire, et auront la faculte de conserver leers proprietes et de les faire adminstrer par des mandataires ou de les vendre a qui ils voudront.

Les gees fixes sur le territoire susdit et vivant sous la tente , autres quo les Doui - Menia et le Ouled Djerir, demeureront sow 1'autorite de 1'Empire marocain. Its pourront conserver leer residence . Les gens du territoire susdit auront le choix entre 1' autorite qei les administrera et pourront, en tout cas, continuer a habiter sur leer territoire

[22] - موساوي فاطمة، مرجع سابق، ص 160.

## الملحق: رقم 21

**الموضوع: :** مختصر نص بروتوكول 20 أفريل 1902م المتعلق بتسوية الحدود [23].

**.ACCORD inte~rvenu le 20 Avril 1902**

entre ces chefs des deux missions constituant la commission franco-marocaine, chargee d'assurer les resultats vises daps le Protocole sign a Paris le 20 Juillet 1901 :Mohamed el Gherbas et general Cauchenez.

**Art.6**- De meme qu'il a ete reconnu impossible d'etablir des douanes et des postes de garde daps la ligne comprise entre Teniet-es-Sassi et Figuig, de meme les deux gouvernements renoncent a etablir les postes de garde et les douanes prevus a 1'art .4 du Protocole de Paris susvise.

du 4 Mars 1910 Son Excellence M. Pichon des A.E et le Ambassadeurs de Sa Majeste cherifienne LL.EE.Hadj Mohamed ben

Abdesselam el Mokri, Ministre des Finances et Si Abdellah el Fassi, adjoint au Ministre des Ares Etmg6res du Men.

**IL- Accord relatif a la region frontiere**

**Art.2**- Le Gouvernement francais declare les Beni-Snassen, Bou Mane et Bou Denib, points qu'il a ete amens a occuper sur le territoire marocain pour des raisons connues. Sont maitenues daps leur etat, autres postes occupes daps la region frontiers, situes sur le territoire de parcours des Doui-Menia et Ouled Djerir qui ont accepts ...L'Algerie et de meme le poste de ras-el- Ain de Beni Makher, dit Berguent, lequel se trouve sur le territoire marocain

[23]-موساوي فاطمة، مرجع سابق، ص 161.

# فهرس ملحق الجداول

## الملحق: رقم 1

**الموضوع: :** جدول يمثل تطور هجرة الجزائريين إلى المغرب ما بين سنة (1848 – 1900) م [24].

### I. – Émigration au Maroc

| Date | Expéditeur/destinataire | Contenu | Nombre | Observations |
|---|---|---|---|---|
| 15 janvier 1848 | Gouvernement général de l'Algérie au ministre de la Guerre | Sur le rapatriement de la Deïra d'Abdelkader comprenant 590 tentes* | 590 tentes | La majorité sont de la province d'Oran, 92 personnes de la province d'Alger + 37 Askars |
| 19 mai 1850 | Consulat général de France à Tanger au ministère des Affaires étrangères (MAE) | À la suite de l'empoisonnement de Bou Hamidi (khalif at de l'emir) par le sultan du Maroc panique chez les émigrés | 1500 hommes, femmes et enfants | 1500 demandes de rapatriement |
| 20 septembre 1884 | Légation de la RF au Maroc | Pour faciliter le retour de plusieurs familles des Akerma-Trafi établies depuis 1864 au Maroc | 17 tentes | Établies depuis 1864 au Maroc, suite à l'insurrection dans l'Ouest algérien |
| 6 juillet 1880 | Légation de la RF au Maroc | Désir exprimé par djemaa des Thouama et des M'hamid de revenir en Algérie | Un certain nombre de tentes | Autorisation refusée, tribus émigrées en 1845 ont fait allégeance au sultan |
| 23 décembre 1878 | Légation de la RF au Maroc | À propos des Hachems émigrés au Maroc depuis 1845 et qui retournent en Algérie | | Les Hachems et les Béni Amer sont deux importantes tribus qui ont émigré au Maroc |
| s.d. | Division d'Alger au Gouvernement général de l'Algérie | Des Nouirat émigrés au Maroc depuis l'insurrection de 1864 demandent à rentrer en Algérie | 7 tentes | |
| 1er décembre 1874 | Division d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie | Retour en Algérie d'une dizaine de tentes des Djaffra Ghraba | 117 personnes | Ils avaient émigré au Maroc depuis 1845 |
| 8 août 1859 | Province d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie | Compte rendu du retour du Maroc des Rezaïna, des Ouled Ziad et d'autres | 23 + 43 + 84 = 160 tentes au total | |
| 1er novembre 1851 | Province d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie | Retour d'émigrés par bateau venant de Tanger | 104 personnes | |
| 21 mars 1874 | Division d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie | Rahman Gheraba de Boghar, émigrés suite à l'insurrection de 1864, sont rapatriés | 6 tentes | |

* Centre des archives d'outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, Gouvernement général de l'Algérie, carton E12, 18MI27.

| Date | Expéditeur/destinataire | Contenu | Nombre | Observations |
|---|---|---|---|---|
| 14 août 1861 | Amée d'Afrique division d'Oran au Gouvernement général de l'Algérie | Sept chefs de tentes du cercle de Sebdou sont passés au Maroc | 7 tentes | Ces familles s'étaient endettées pour payer les contributions de guerre imposées, mais ne pouvant les rembourser elles ont préféré quitter l'Algérie |
| 22 décembre 1896 | Gouverneur général J. Cambon | Demande de retour du Maroc d'indigènes originaires des Akerma | | Installés au Maroc depuis la conquête |
| 8 juin 1897 | | Retour avec une femme et ses deux enfants, toujours de Mécheria et localisé à Fès (article 7 du traité du 18 mars 1945 entre la France et le Maroc) | 4 | Il résidait au Maroc depuis 1836 |
| 8 juin 1897 | | Demande de retour en Algérie d'un dénommé Morsli ben Elhortani (de la tribu des Chellog et des Ouled Bouziri de Frenda) insurgé en 1880 condamné pour meurtre à huit ans de déportation en Guyane | | Article 6 de la loi du 30 mai 1854 astreignant les condamnés aux travaux forcés à rester toute leur vie dans la colonie où ils ont été déportés |
| 8 juin 1897 | Gouvernement général de l'Algérie J. Cambon | Demande de retour en Algérie d'une famille originaire de Mécheria, tribu des Oulad Serour | 17 tentes, 59 personnes | Installés au Maroc depuis la conquête (17 hommes, 16 femmes et 26 enfants) |
| Octobre 1899 | Rapport mensuel service des (communes mixtes) mois d'octobre 1899. Administrateur de Télagh | «À signaler tout particulièrement chez les indigènes, une tendance à s'expatrier pour fuir une situation devenue d'une façon générale assez misérable au cours de ces dernières années. Les récoltes ayant fait défaut les impôts sont en effet devenus, même réduits, une charge écrasante […] plusieurs familles ont déjà abandonné le pays pour se rendre au Maroc […]» | 5 familles de 22 personnes | Liste nominative des familles indigènes de Télagh émigrées au Maroc entre 1893 et 1900 |
| 19 janvier 1891 | Lettre du général Détrié | Informant que quatre indigènes se sont réfugiés au Maroc pour éviter d'être saisis, en emmenant leur tente | 4 personnes | |
| 18 septembre 1890 | | Lettre d'information sur 18 Tlemceniens installés au Maroc | 18 personnes | Pour se soustraire à la loi de 1882 sur l'état civil |
| 30 juillet 1889 | Gouvernement général de l'Algérie au général de division d'Oran | La fuite au Maroc de 6 tentes des Ouled Mansourah | 6 tentes | |

*Sources* : Centre des archives d'outre-mer (CAOM), Aix-en-Provence, Gouvernement général de l'Algérie, cartons 9H98, 9H99, E12; microfilm 18MI27.

---

[24]-Kamel Kateb , Européens "indigènes" et juifs en Algérie (1830-1962) représentations et réalités des populations ,editions El Maarifa ,Alger ,2010 ,pp 326 327.

## الملحق رقم: 02

**الموضوع :** جدول يمثل عدد الخيام والقبائل الجزائرية التي لجأت إلى المغرب ما بين **1864** م إلى **1906**م.

| القبائل والمناطق المغربية المستقبلة | سنة الهجرة | عدد الخيام | القبائل والمناطق الأصلية للمهاجرين الجزائريين | الإقليم الاداري: المنطقة | الدائرة | العمالة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| السهاوية | 1881 | 02 | الرزاينة الشراقة | سعيدة | معسكر | وهران |
| | 1881 | 04 | الرزاينة الغرابة | سعيدة | معسكر | وهران |
| | 1881 | 01 | أولاد زايد الغرابة | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1881 | 06 | الدراقة الغرابة | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1864 | 02 | الرزايقة | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1879 | 15 | لسدان | المشرية | معسكر | وهران |
| | 1867 | 52 | أولاد انهار الغرابة | العريشة | تلمسان | وهران |
| | 1885 | 09 | 〃 | 〃 | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 02 | بني بو سعيد | مغنية | تلمسان | وهران |
| المجموع: | 93 | خيمة | | | | |
| بني مطهر | 1881 | 01 | أولاد زاير الغرابة | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1864 | 04 | أولاد عيسى | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1881 | 01 | 〃 | جرفيل | معسكر | وهران |
| المجموع: | 06 | خيمة | | | | |
| بني يعلا | 1881 | 01 | الخميس | مغنية | تلمسان | وهران |
| المجموع: | 01 | خيمة | | | | |
| بني وقيل | 1881 | 01 | بني وايسن | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 02 | مسيردة | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 02 | الأعشاش | مغنية | تلمسان | وهران |
| المجموع: | 05 | خيمة | | | | |
| بني بوحمدون | 1881 | 01 | الكاف... | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 02 | الخميس... | مغنية | تلمسان | وهران |
| | | | | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 03 | خيمة | | | | |

| القبائل والمناطق المغربية المستقبلة | سنة الهجرة | عدد الخيام | القبائل والمناطق الأصلية للمهاجرين الجزائريين | الإقليم الإداري | | |
|---|---|---|---|---|---|---|
| | | | | المنطقة | الدائرة | العمالة |
| السجاع | 1881 | 01 | الرزاينة الغرابة. | سعيدة | معسكر | وهران |
| | 1865 | 02 | أولاد النومي. | المشرية | تلمسان | |
| المجموع: | 03 | خيمة | | | | |
| المزاوير آنجاد الغرابة | 1864 | 02 | بني واسين. | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 03 | بني واسين. | مغنية | | |
| | 1881 | 02 | الأعشاش. | مغنية | | |
| المجموع: | 07 | خيمة | | | | |
| العثامنة آنجاد الغرابة | 1864 | 02 | مسيردة. | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 01 | مسيردة. | مغنية | | |
| | 1881 | 10 | مسيردة. | مغنية | | |
| المجموع: | 13 | خيمة | | | | |
| أولاد أحمد بن إبراهيم آنجاد الشراقة | 1881 | 02 | بني واسين. | مغنية | تلمسان | وهران. |
| | 1881 | 01 | بني واسين. | مغنية | | |
| المجموع: | 03 | خيمة | | | | |
| آنجاد تريفة | 1881 | 01 | بني واسين. | مغنية | تلمسان | وهران |
| | 1881 | 01 | مسيردة. | مغنية | | |
| المجموع: | 02 | خيمة | | | | |
| آنجاد | 1864 | 1 | أولاد زياد الشراقة | جرفيل | معسكر | وهران |
| | 1864 | 5 | أولاد مومن | جرفيل | معسكر | |
| | 1864 | 1 | أولاد عيسى | جرفيل | معسكر | |
| | 1867 | 6 | أولاد أنهار الشراقة | العريشة | تلمسان | |
| المجموع: | 13 | خيمة | | | | |

| الاقليم الاداري: العمالة | الاقليم الاداري: الدائرة | الاقليم الاداري: المنطقة | القبائل والمناطق الأصلية للمهاجرين الجزائريين | عدد الخيم | سنة الهجرة | القبائل والمناطق المغربية المستقبلة |
|---|---|---|---|---|---|---|
| وهران | تلمسان | مغنية | مسيردة . | 1 | 1864 | بني يزناسن |
| | | | " | 1 | 1881 | 1/ بني خالد : |
| | | | " | 1 | 1881 | |
| | | | " | 8 | 1881 | |
| | | | " | 1 | 1881 | |
| | | | الأعشاش | 4 | 1881 | |
| | | | " | 1 | 1881 | |
| | | | عطية | 3 | 1881 | |
| | | | " | 2 | 1881 | |
| | | | " | 4 | 1893 | |
| | | | المعازيز | 2 | ؟ | |
| | | | مسيردة . | 1 | 1864 | 2/ بني منقوش |
| | | | " | 3 | 1881 | |
| | | | أولاد أنهار | 1 | 1891 | |
| | | | | خيمة | 33 | المجموع : |
| وهران | معسكر | جبال فيل | أولاد سيدي الشيخ الشراقة | 37 | 1864 | فاس |
| | | | " | 06 | 1881 | |
| | | | الدراقة الغرابة | 04 | 1881 | |
| | | | أولاد المالح | 01 | 1881 | |
| | | | الأكرام | 05 | 1864 | |
| | | | " | 08 | 1881 | |
| | | | أولاد سيدي أحمد المجدوب | 01 | 1881 | |
| | | | أولاد مومن | 05 | 1864 | |
| | | | أولاد عيس | 01 | 1881 | |
| | | | أبيض سيدي الشيخ | 08 | 1864 | |
| | | | | خيمة | 76 | المجموع : |

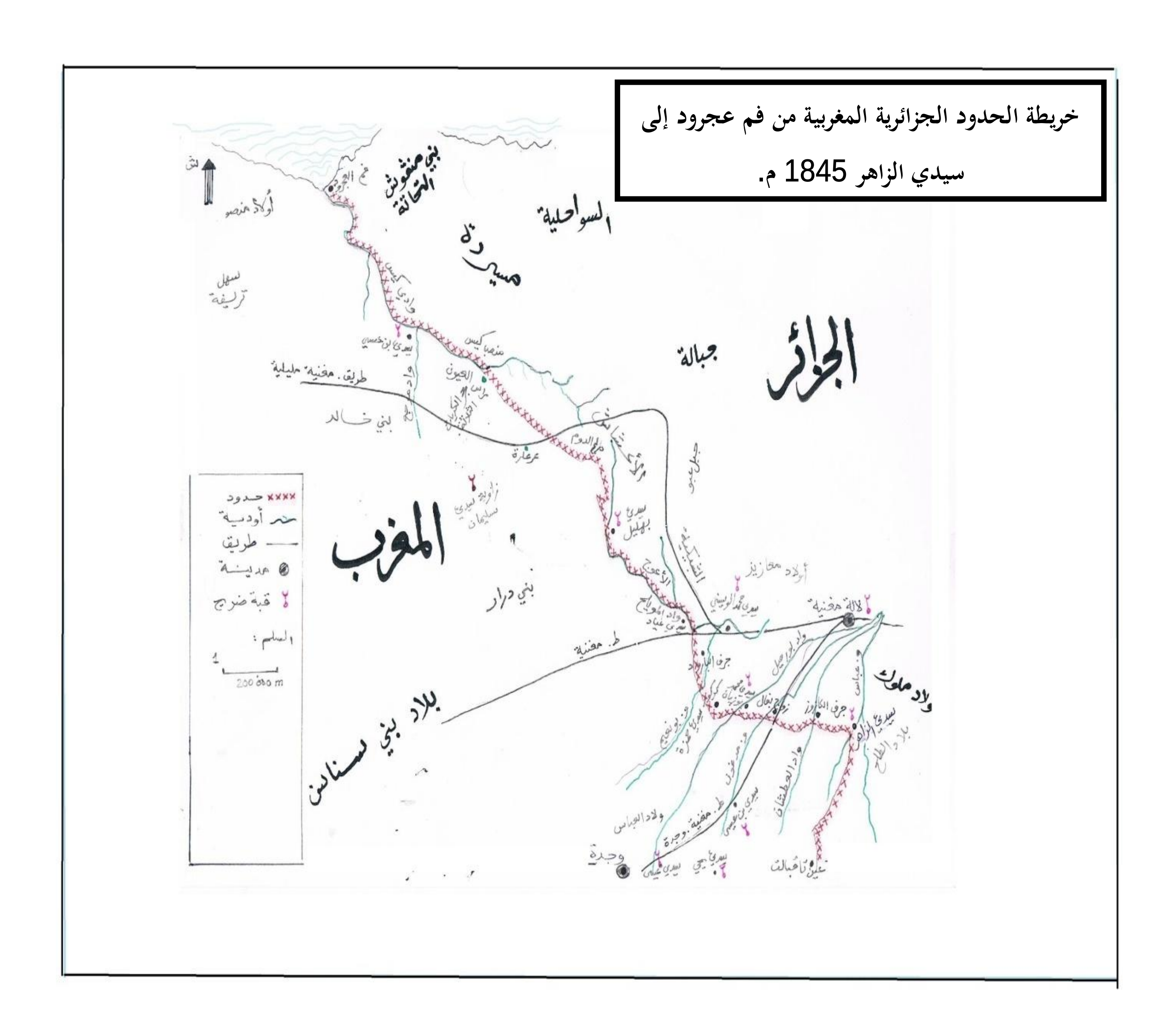
25

[25] - H . Martiniere & N . La Croix ,Op .cit, $T_1$ ,pp 101 .104.

# فهرس ملحق الخرائط

## الملحق رقم :01

## الموضوع : خريطة الجزء الأول من الحدود حسب إتفاقية لالة مغنية 18 مارس 1845م (من فم عجرود سيدي الزاهر) [26]:

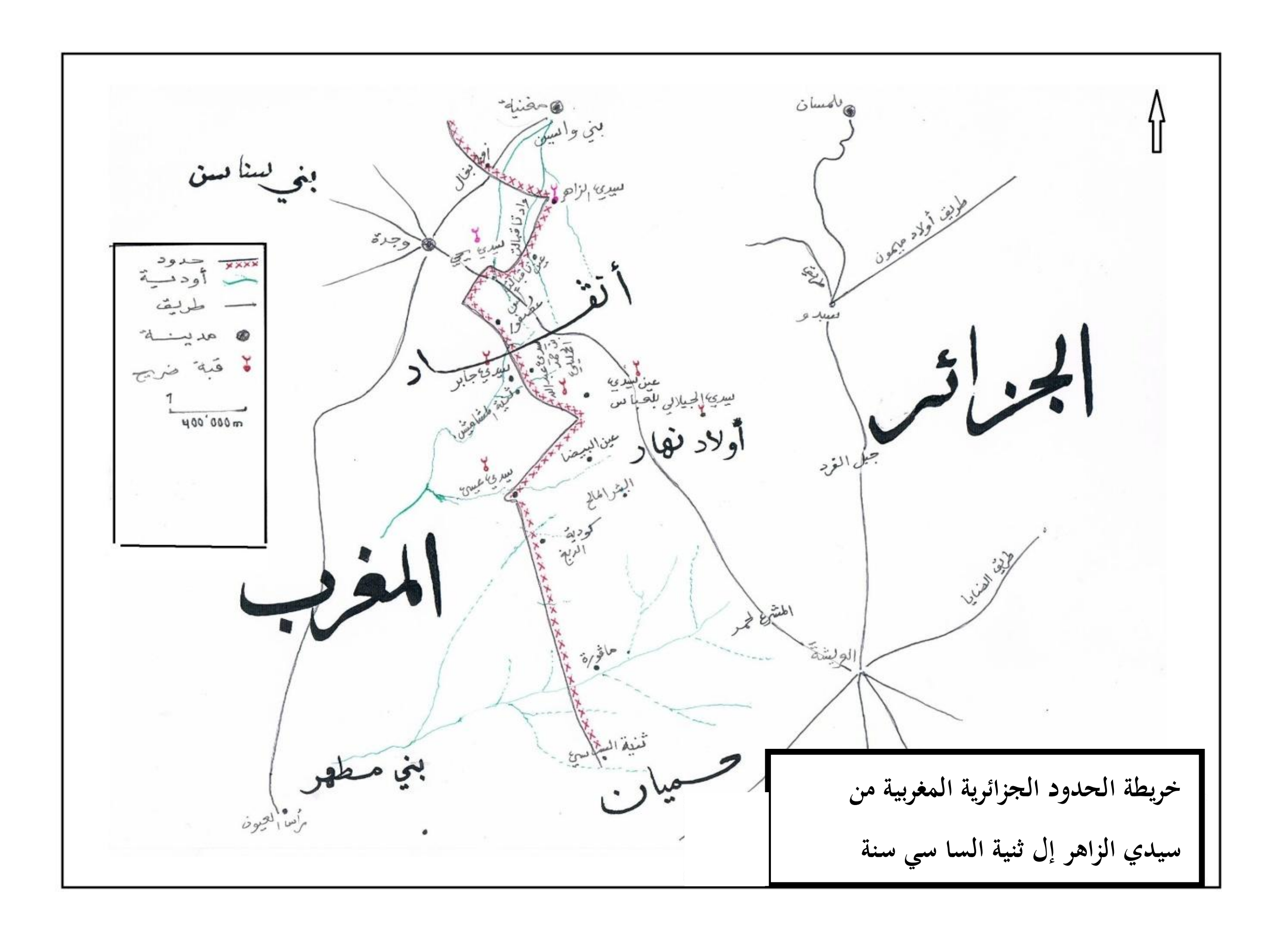



---

[26] -الخريطة من إنجاز الباحث استناداً إلى الشرط الثالث من إتفاقية لالة مغنية .

## الملحق رقم :02

**الموضوع : خريطة الجزء الثاني من الحدود حسب إتفاقية لالة مغنية 18 مارس 1845م (من سيدي الزاهر إلى ثنية الساسي[27]:**



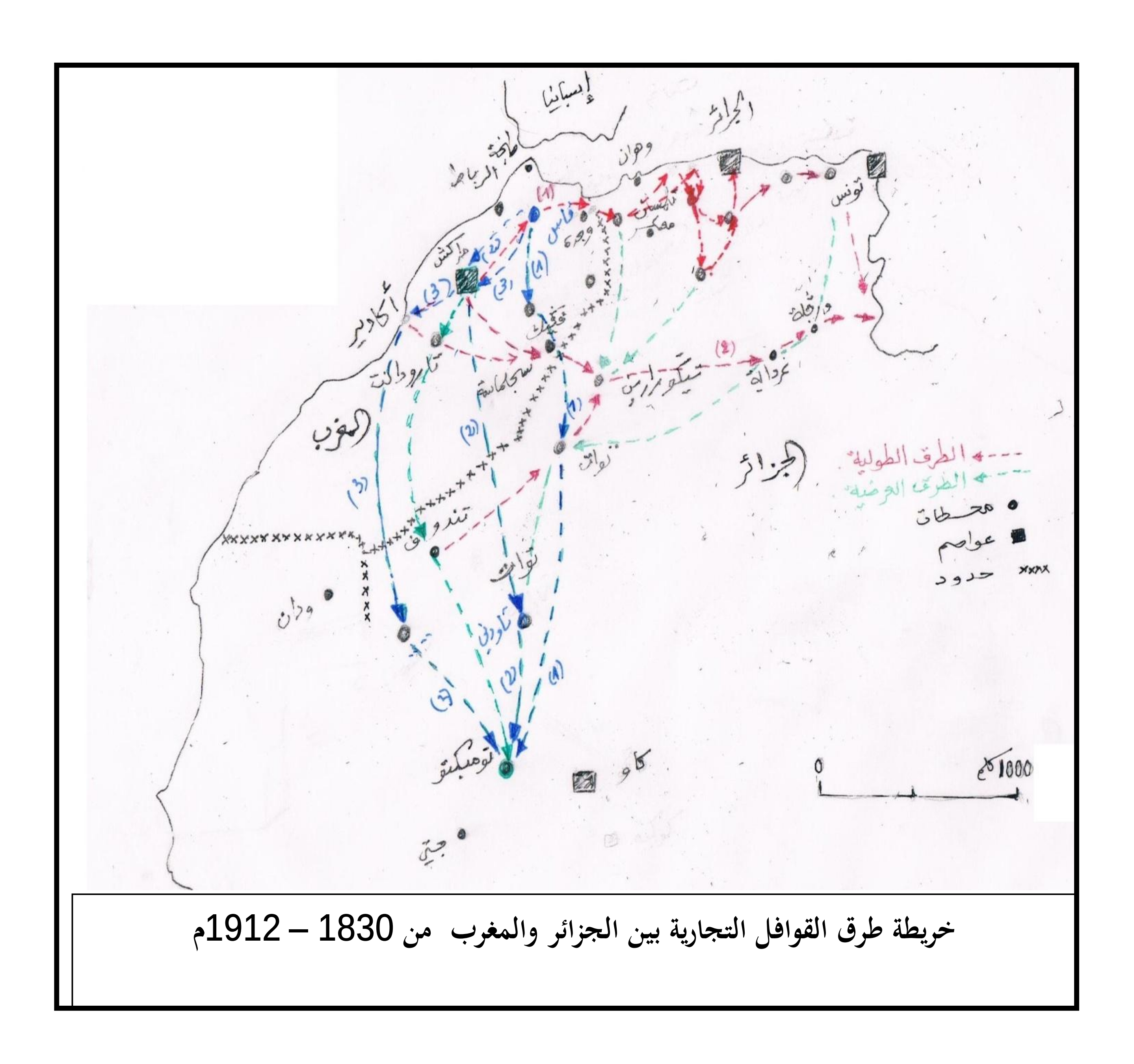

خريطة الحدود الجزائرية المغربية من سيدي الزاهر إل ثنية السا سي سنة

---

[27] -الخريطة من إنجاز الباحث استناداً إلى الشرط الثالث من إتفاقية لالة مغنية .

## الملحق رقم :03

## الموضوع : خريطة طرق القوافل البرية بين الجزائر و المغرب [28]:



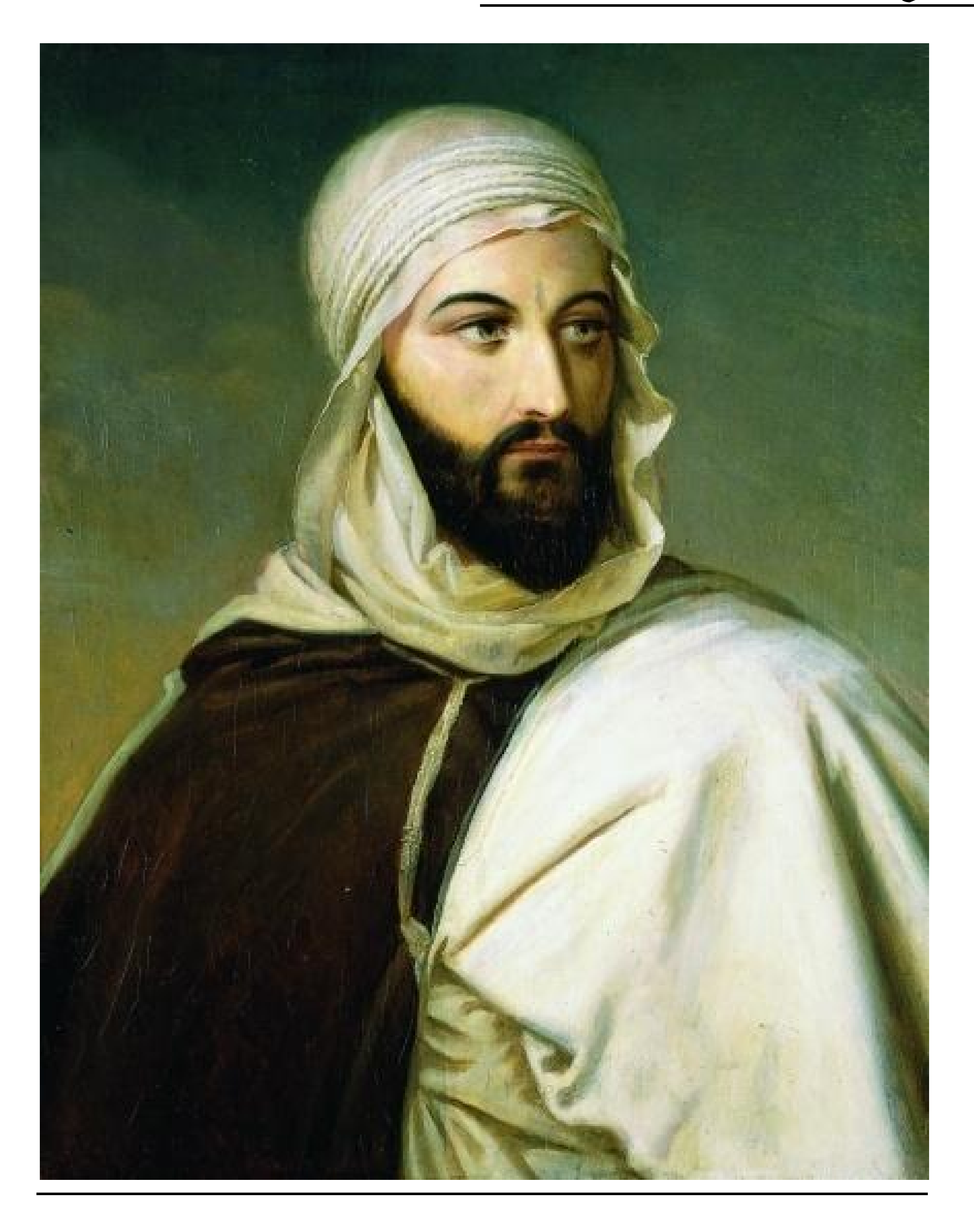

خريطة طرق القوافل التجارية بين الجزائر والمغرب من 1830 – 1912م

[28] -الخريطة من إنجاز الباحث استناداً إلى كتب الرحالة والجغرافيين .

# فهرس ملاحق الصور

## الملحق رقم : 01

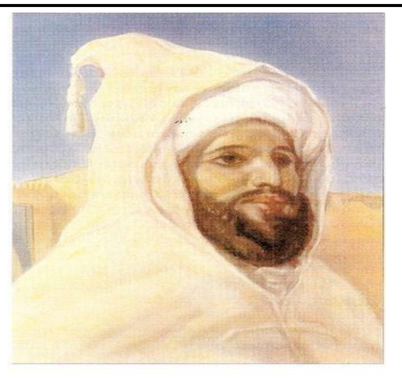
## الموضوع : صورة الأمير عبد القادر الجزائري[29]



[29] - lémir Abd el-Kader , portraituré par E. M. Godefroy (vers 1835) ,En savoir plus sur http://www.larousse.fr

## الملحق رقم : 02

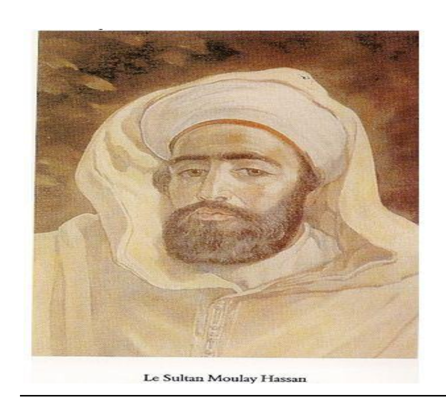
## الموضوع : صور السلاطين المغاربة المعاصرين لأحداث البحث [30]



Le Sultan Moulay Abd er-Rahman

**السلطان عبد الرحمن بن هشام (1822- 1859)م**

**السلطان محمد بن عبد الرحمن (1859-1873)م**



Le Sultan Moulay Hassan

**السلطان الحسن الأول بن محمد (1873- 1894)م**



**السلطان عبد العزيز بن الحسن الأول (1894-1908)م**



Le Sultan Moulay Abd el-Hafid portant le collier du Khalifa, cordon de soie verte et or

**السلطان عبد الحفيظ (1908-1912)م**

[30]- الصور مأخوذة من موقع http: /dafina.net وموقع http: /googel .images .com

## الملحق رقم : 03

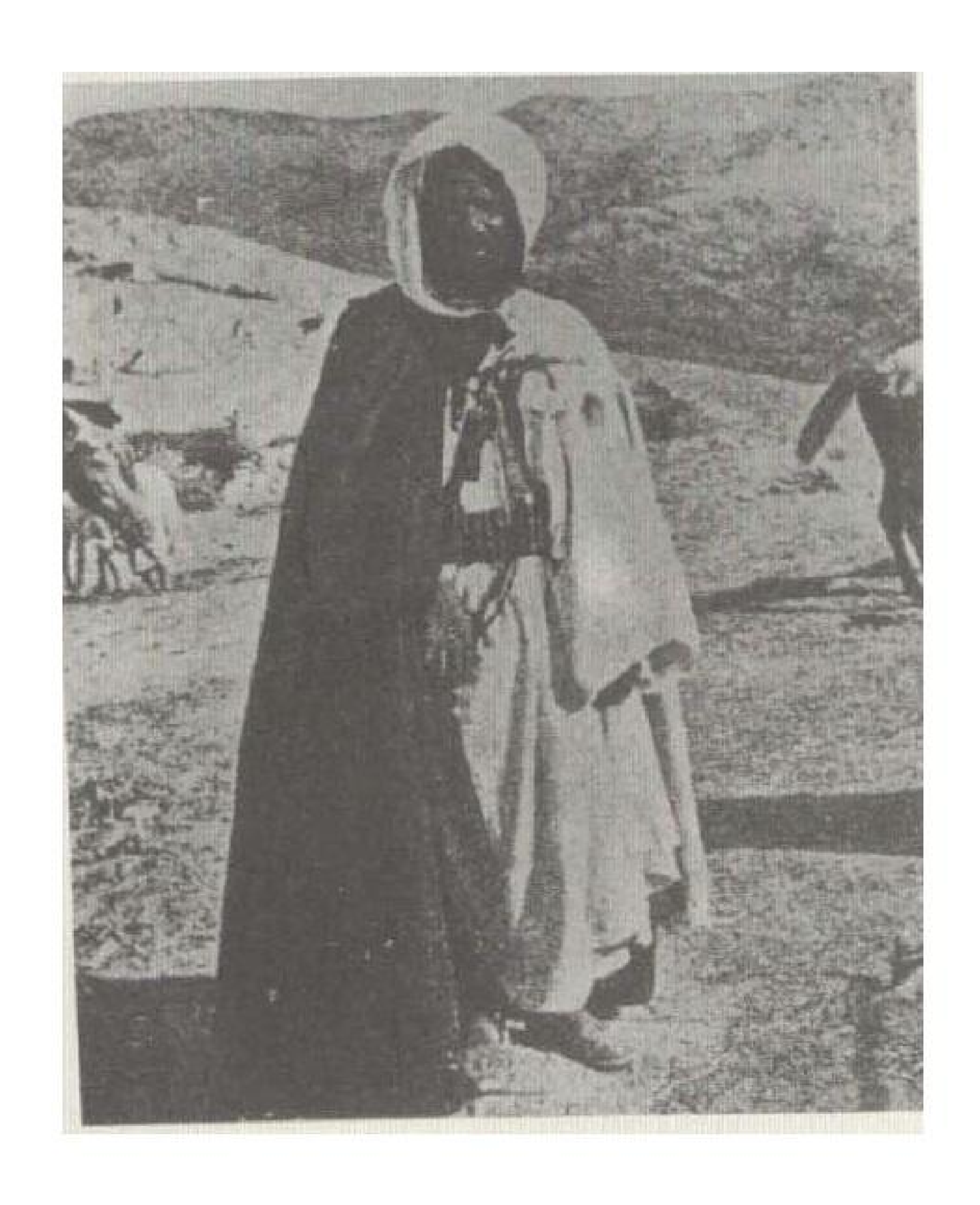
## الموضوع : صورة معركة إيسلي 14أوت 1844م[31]



[31]- La bataille d'Isly : par Horace Vernet, référence/ www.histoire-image.org

## الملحق رقم : 04

## الموضوع : صورة الشيخ بوعمامة [32]



[32]- صورة الشيخ بوعمامة من كتاب محمد الصغير الخلوفي، مرجع سابق، ص 191.

الملحق رقم : 05

الموضوع : صورة الأمير عبد المالك الجزائري [33]



33- صورة الأمير عبد المالك ، من كتاب: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وأراء في تاريخ الجزائر،مرجع سابق، ص 111.

الملحق رقم : 06

**الموضوع :صورة سوق الحيمر على الحدود الجزائرية المغربية [34]**



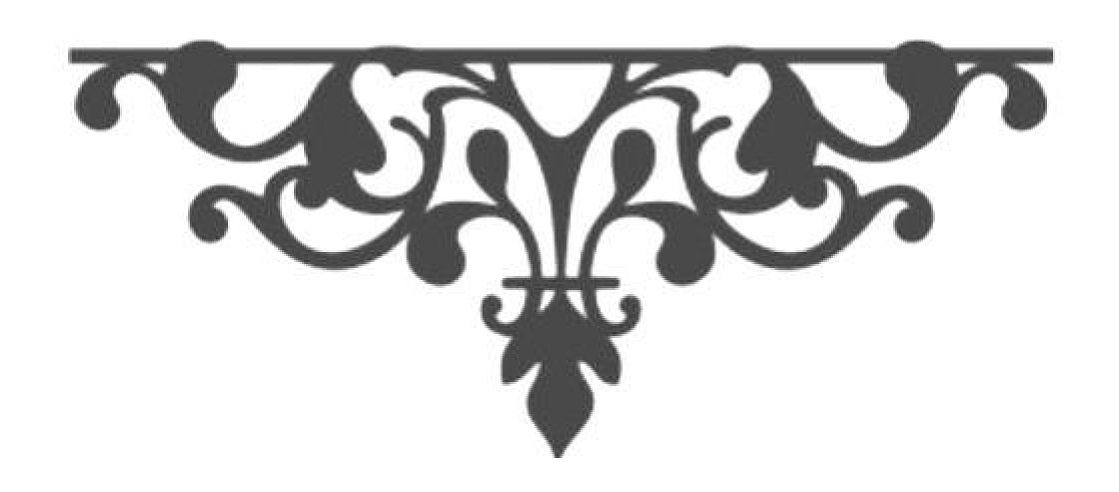




[34]- صور سوق الحيمر على الحدود الجزائرية المغربية مأخوذة من موقع http: /googel .images .com.



# قائِمة المصادِر والمراجِع



# قائمة المصادر والمراجع:

**المصادر:**

## I. المخطوطات:

1. الابتسام عن دولة مولانا عبد الرحمن بن هشام:أبو العلاء إدريس، مخطوط بالخزانة الحسينية تحت رقم 12490.
2. الاتفاقية التجارية المبرمة بالجزائر 1902 بين المغرب والجزائر، مخطوط بالخزانة الحسينية تحت رقم 12364.
3. أجوبة التاسولي على مسائل عبد القادر الجزائري : علي بن عبد السلام التاسولي، مخطوط بالخزانة الحسينية تحت رقم 1106، ويوجد نسخة في مكتبة آل سعود بالدار البيضاء.
4. ياقوتة النسب: العربي المشرفي مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة تحت رقم 3326.
5. مجموعة رئاسل مخطوط بالمكتبة الوطنية الحامة تحت رقم 2755.

## II. الوثائق الأرشيفية:

### أ/ وثائق غير منشورة:

- وثائق الخزانة الحسينية (القصر الملكي) بالرباط:

❖ الوثيقة:33/ IV/1/رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش في شأن علم السلطان بخروج الحملة العسكرية للغزو الجزائر.

❖ الوثيقة:34/ IV/1/رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش في شان وصول خبر نزول الفرنسيين بالجزائر.

❖ الوثيقة:35/ IV/1/رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش وتتضمن تعليمات وتوجيهات بحسن استقبال المهاجريين الجزائريين.

❖ الوثيقة:37/ IV/1/رسالة من السلطان عبد الرحمن إلى عامله على تيطوان القائد محمد أشعاش في شأن أصحاب الحرف من الجزائريين وإمكانية الاستفادة من خبرتهم.

**ب/الوثائق المنشورة (مطبوعة):**

- وثائق تاريخ الجزائر بالمغرب (المكتبة الوطنية والخزانة الحسنية) للمؤلف خليفة إبراهيم حماش، أخذنا منه كل الوثائق تقريبا.
- بحوث ووثائق في التاريخ المغاربي الجزائر وتونس وليبيا للمؤلف عبد الجليل التميمي، أخذنا منه رسالة الأمير عبد القادر إلى السلطان عبد المجيد مأخوذة من أرشيف رئاسة الوزراء باستنبول الإدارة الخارجية 820.ص225.
- نصوص ووثائق في تاريخ الجزائر المعاصر للمؤلف عبد الحميد زوزو أخذنا منه، وثيقة معاهدة تافنة ص ص.80.90.
- مجموعة وثائق دورية تصدرها مديرية الوثائق الملكية، الرباط 1976.

**ج/الوثائق الرقمية :**

- محمد بن الحسن الحجوي انتحار المغرب الأقصى بيد ثواره، مخطوط ميكرو فيلم/ح-123 .المكتبة الوطنية الرباط.

**III. المصادر المعاصرة المطبوعة :**

1. ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا و تونس، تحق محمد شمام، المكتبة العتيقة، تونس.

2. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج 4 ،دار الكتاب، الدار البيضاء، 1955.

3. أبو العباس أحمد بن خالد الناصري، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،ج3، دار الكتاب العلمية، بيروت، ط1،2007 .

4. أبو القاسم الزياني ، الترجمانة الكبرى في أخبار المعمور براً و بحراً ،تحق عبد الكريم فيلالي ،دار المعرفة للنشر ، 1999.

5. أبو القاسم الزياني ، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تح محمد حاجي وأحمد توفيق ،ج1 ، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر ،الرباط ،( دط) ، 1977.

6. أبو القاسم الزياني ، تحفة الحادي المطرب في رفع نسب شرفاء المغرب، تح رشيد الزاوية، منشورات وزارة الأوقاف، الرباط، ط1، 2008 ، ص 77.

7. أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي ، إتحاف الأخلاء بإجازات المشايخ الأجلاء، تحق محمد الزاهي، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1999.

8. أبي سالم عبد الله بن محمد العياشي .، الرحلة العياشية، ج1، تحقيق سليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبو ظبي، ط1، 2006 .

9. أحمد الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تاطوين، تح جعفر ابن الحاج السالمي، ج3، منشورات جامعة تيطوان، بتطوان 2003 .

10. أحمد الشريف الزهار، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحق: أحمد توفيق المدني، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980.

11. الأمير عبد القادر الجزائري، مذكرات الأمير عبد القادر ، تحق: محمد الصغير بناي وآخرون، ط7، دار الأمة، الجزائر، 2010.

12.بن عودة المزاري، طلوع سعد السعود في أخبار وهران والجزائر واسبانيا وفرنسا، تحق: يحي بوعزيز، ط1، دار البصائر، 2007.

13.البيدق، أخبار المهدي بن تومرت، تحق وتع عبد الحميد حاجيات، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،(د.ط)، 1974 .

14.التاسولي أبي الحسن، البهجة في شرح التحفة : تح محمد بن عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1998.

15.الحسن بن محمد الوزان، وصف إفريقيا، تر: محمد حاجي ومحمد الأخضر، ج2، ط2، دار المغرب الإسلامي، بيروت، 1983.

16.حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقر وتعر، تحق: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر، الجزائر، 2005.

17.خير الدين بربروس، مذكرات خير الدين بربروس، تر: محمد دراج، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2010 .

18.عبد الرحمان بن زيدان، الدرر الفاخرة لمآثر الملوك العلويين بفاس الزاهرة، المطبعة الاقتصادية، الرباط، 1937.

19.عبد الرحمان بن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال حاضرة مكناس، ج5، تح علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1 ، 2008.

20.عبد الرحمن بن خلدون ،تاريخ بن خلدون ديوان المبتدأ والخبر،ج7، دار الفكر،بيروت،2000

21.علي بن عبد السلام التسولي، البهجة في شرح التحفة، ج1،تحق محمد عبد القادر شاهين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط01، 1998.

22.الكلونيل أسكوت، مذكرات الكلونيل أسكوت عن إقامته في زمالة الأمير عبد القادر 1841، تر: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

23. محمد بن أحمد الكنسوسي، الجيش العرمرم الخماسي في دولة مولانا علي السجلماسي،ج2، تحق أحمد الكنسوسي، (د.ت)، (د.ط).

24. محمد بن الأمير عبد القادر، تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، ج1، ط1، المطبعة الأهلية، الإسكندرية.

25. محمد بن الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحق: هاشم العلوي القاسمي، بيروت، 1983.

26. محمد بن عبد السلام الضعيف، تاريخ الضعيف (تاريخ الدولة السعيدة)،تح وتع أحمد العامري ، دار المأثورات ،الرباط ،ط1 ،1986.

27. محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تق و تحق: محمد بن عبد الكري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر.

28. مصطفى بن التهامي ، سيرة الأمير عبد القادر و جهاده ، تح يحي بوعزيز ، دار البصائر للتوزيع و النشر ، الجزائر ،2009 .

29. يحي بن خلدون ، بغية الرواد في ذكر ملوك بني عبد الواد،تح وتق عبد الحميد حاجيات،دار المعرفة للنشر والتوزيع، الجزائر.

**المصادر المترجمة :**

30. أ ف دينيزن، الأمير عبد القادر والعلاقات الفرنسية العربية في الجزائر ، تر أبو العيد دودو ،دار هومة ، الجزائر ، 2012.

31. أدريان بيربر وجير، مع الأمير عبد القادر "رحلة وفد فرنسي لمقابلة الأمير في البويرة (1837-1838)م" ،تر أبوالقاسم سعد الله ،منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث ،الجزائر ،2006.

32.إسماعيل حامت، الحكومة المغربية واحتلال الجزائر، تق علي تابليت،تر زكي مبارك، منشورات ثالة، الجزائر، 2012.

33.أندري شوفريون ، رحلة إلى المغرب ، تر فريد الزاهي ، دار الكتب الوطنية ، أبوظبي ، ط1 ، 2010.

34.سيمون بفايفر، مذكرات جزائرية عشية الاحتلال، تر وتق وتع: أبو العيد دودو، دار هومة، الجزائر، 2009.

35.شارل هنري شرشل، حياة الأمير عبد القادر، تر: أبو القاسم سعد الله، الدار التونسية للنشر، تونس، 1974.

36.شالر وليام ، مذكرات القنصل الأمريكي في الجزائر (1816 – 1824 م)، تعريب وتعليق: إسماعيل العربي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع،(د.ط)، 1982.

37.ليون روش، اثنان وثلاثون سنة في رحاب الإسلام، تر: محمد محمود البقاعي، ط1، جداول للنشر والتوزيع، بيروت، 2011.

## II. المراجع :

### 1. العربية :

1. إبراهيم حركات، المغرب عبر التاريخ، مج1، ط1، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، 1978.

2. إبراهيم حركات، التيارات السياسية و الفكرية بالمغرب خلال قرنيين و نصف قبل الحماية ،دار الرشاد الحديثة ، الدار البيضاء ، ط2 ،1994.

3. إبراهيم مياسي، الاحتلال الفرنسي للصحراء الجزائرية 1837-1934، دار هومه، الجزائر، 2009.

4. إبراهيم مياسي، من قضايا تاريخ الجزائر المعاصر، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2007.

5. إبراهيم مياسي، توسع الاستعمار الفرنسي في الجنوب الغربي الجزائري 1881 1912م، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،(د.ط)، 1996.

6. أبو بكر القادري، مذكراتي في الحركة الوطنية المغربية من 1930، 1940، ج1، ط1، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

7. أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي في القرن 16 إلى القرن 20م، ج2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

8. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

9. أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية 1830-1900، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992.

10. أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1991.

11. أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

12. أحمد توفيق المدني،كتاب الجزائر، منشورات الوكالة الوطنية للنشر والإشهار، الجزائر، 2010.

13. أحمد عبيد، التماثل والاختلاف في حركات التحرر المغاربية، ط1، ابن النديم للنشر، الجزائر، 2010.

14. أحمد كمال الجزار، المفاخر في معارف الأمير الجزائري عبد القادر والسادة الأولياء الأكابر ،مطبعة العمرانية لأوفست، الجيزة، ط1 ،1997.

15. أحمد متفكر، من أعلام الفتوى بمراكش عبر العصور، مؤسسة أفاق للدراسات والنشر، مراكش، ط1، 2013.

16. أحمد محمد عاشوراكس ، صفحات تاريخية خالدة من الكفاح الجزائري المسلح ضد جبروت الاستعمار الاستيطاني 1500-1962 ، منشورات المؤسسة العامة للثقافة، ليبيا ،ط1، 2009.

17. أحميدة عميراوي وآخرون، آثار السياسة الاستعمارية والاستيطانية في المجتمع الجزائري 1830-1945م، منشورات المركز الوطني للبحث في ح و و ث، الجزائر، 2007.

18. آرجمنت كوران، السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، تر عبد الجليل التميمي، منشورات الجامعة التونسية، تونس،(د.ط)، 1970.

19. إسماعيل العربي، المقاومة الجزائرية تحت لواء الأمير عبد القادر، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

20. إسماعيل العربي .،معركة سيدي إبراهيم ومصير أسراها، منشورات وزارة الثقافة والسياحة، الجزائر ،1986.

21. إسماعيل عبد الحميد العلوي ،تاريخ وجدة وأنكاد في دوحة الأمجاد،ج1،مطبعة النجاح الجديدة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1986

22. ألبير عياش، المغرب وحصيلة السيطرة الفرنسية، تر: عبد القادر الشاوي، تق: إدريس بن سعيد، ط1، دار الخطابي للطباعة والنشر، 1985.

23. أمحمد أحمد عبدون، مركز الأجانب في المغرب دراسة قانونية لوضعية الأجانب في المغرب قبل عهد الحماية وخلاله، منشورات عكاض، الرباط، 1988.

24. أمحمد مالكي، الحركة الوطنية والاستعمار في المغرب العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1993.

25. ب ج روجرز، تاريخ العلاقات الانجليزية المغربية حتى عام 1900،تر وتع يونان لبيب رزق ،دار الثقافة ،الدار البيضاء ،ط1 ،1981.

26. بسام العسلي، خير الدين بربروس وجهاده في البحر (1470-1547)، ط1، دار النفائس، بيروت، 1980.

27. . بسام العسلي، الأمير خالد الهاشمي الجزائري، دار النفائس، بيروت، 2010.

28. بلقاسم الحنايشي ، الحركة التبشيرية في المغرب الأقصى في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، منشورات مركز الدراسات والبحوث العثمانية ، زغوان ( تونس )، 1989.

29. بهيجة سيمو، الإصلاحات العسكرية بالمغرب 1844- 1912م ،منشورات اللجنة المغربية للتاريخ العسكري بالمغرب ، الرباط،(د.ط)،2000.

30. بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر 1830 – 1930 وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة للنشر، الجزائر، 2010.

31. جمال قنان، قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر،( د. ط)، 1994.

32. الحسن السائح ، الحضارة الإسلامية في المغرب السعدي والعلوي ،دار الثقافة للنشر والتوزيع ،الدار البيضاء ،ط2 ،1989.

33. حسن أميلي ، الجهاد البحري بمصب أبي الرقراق خلال القرن السابع عشر الميلادي ، دار أبي الرقراق للطباعة و النشر ، الرباط ، ط1 ، 2006.

34. خديجة بقطاش، الحركة البشيرية الفرنسية في الجزائر 1830-1971، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

35. رشيد الصالح، سيرة الأمير محمد بن عبد الكريم الخطابي بطل الريف ورئيس جمهوريتها، المطبعة السلفية، القاهرة، 1964.

36. زروال محمد، العلاقات الجزائرية الفرنسية 1791- 1830م، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، حلب،2009.

37. شارل أندري جوليان، تاريخ إفريقيا الشمالية. تونس الجزائر المغرب الأقصى من الفتح الإسلامي إلى سنة 1830، ج2، تع: مزالي محمد بن سلامة البشير، الدار التونسية للنشر، تونس.

38. شارل أندري جوليان، إفريقيا الشمالية تسيير القوميات الإسلامية والسيادة الفرنسية، تر: المنجي سليم وآخرون، الدار التونسية للنشر، تونس، 1976.

39. شارل روبير أجيرون ،تاريخ الجزائر المعاصر ،تر عيسى عصفور ،منشورات عويدات ،بيروت –باريس ،ط1 ،1982.

40. شاوش حباسي، من مظاهر الروح الصليبية للاستعمار الفرنسي بالجزائر 1830-1962، دار هومه للطباعة والنشر، الجزائر.

41. شوقي أبو خليل، وادي المخازن معركة الملوك الثلاثة، ط1، دار الفكر المعاصر، بيروت، 1988.

42. شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1977.

43. صلاح مؤيد العقبي ، الطرق الصوفية و الزوايا بالجزائر تاريخها و نشاطها ، دار البراق ، بيروت ، 2002.

44. عبد الحميد حاجيات ، أبو حمو موسى الزياني حياته و آثاره ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، 1974

45. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1803-1881 (جانبها العسكري)، ج1، موفم للنشر، الجزائر، 2009.

46. عبد الحميد زوزو، ثورة بوعمامة 1803-1881 (جانبها العسكري)، ج2، موفم للنشر، الجزائر، 2009.

47. عبد الحميد زوزو، الهجرة ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1980.

48. عبد الجليل التميمي ، بحوث و وثائق في التاريخ المغربي الجزائر ، تونس ، ليبيا ، منشورات مركز الدراسات و البحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني ، زغوان ، ط2 ، 1985.

49. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، تاريخ الجزائر العام، ج4، دار الأمة، الجزائر،ط3، 2010.

50. عبد العزيز بن عبد الله، تاريخ المغرب في العصر الحديث والفترة المعاصرة، ج2، دار الفكر، الدار البيضاء.

51. عبد العزيز فيلالي ، تلمسان في العهد الزياني ،ج1 ، موفم للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 2000.

52. عبد القادر بوطالب، الأمير عبد القادر وبناء الأمة الجزائرية، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2009.

53. عبد الكريم غلاب، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 2005.

54. عبد الكريم كريم، المغرب في عهد الدولة السعدية دراسة تحليلية لأهم التطورات السياسية ومختلف المظاهر الحضارية، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 2006.

55. عبد الله قنون ، رسائل سعدية ، دار الطباعة المغربية ، تيطوان ،(د.ط)، 1954.

56. عبد المجيد قدوري ، المغرب و أوروبا مابين القرنيين الخامس عشر و الثامن عشر ، ط1 ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، 2000.

57. عبد المجيد قدوري، المغرب و أوروبا مابين القرنيين الخامس عشر والثامن عشر، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2000 .

58. عبد الهادي التازي، التاريخ الدبلوماسي للمغرب من أقدم العصور إلى اليوم، مج10، ج2، الدار البيضاء،(د.ط)، 1989.

59. عبد الوهاب بن منصور، قبائل المغرب، دار أبي الرقراق، الدار البيضاء، ط2،( د.ت).

60. عبد الوهاب بن منصور، مشكلة الحماية القنصلية بالمغرب منذ نشأتها إلى مؤتمر مدريد سنة 1880، الرباط، 1977.

61. عزيز سامح تر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية، بيروت، 1989.

62. علال الفاسي، الحركات الاستقلالية في المغرب العربي، ط5، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1993.

63. علي عبد القادر حليمي، جغرافيا الجزائر (دراسة طبيعية بشرية اقتصادية، مطبعة الإنشاء ،دمشق،سوريا، ط2، 1983.

64. عمار بن خروف، العلاقات السياسية بين الجزائر والمغرب في القرن السادس عشر الميلادي، ج1، دار الأمل، الجزائر، 2006.

65. عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، ط2، دار البصائر، الجزائر، 2008.

66. عمار عمورة، موجز تاريخ الجزائر، ط1، دار ريحانة، الجزائر، 2002.

67. عمر أفا ، التجارة المغربية في القرن التاسع عشر البنيات و التحولات 1830-1912، دار الأمان ، الرباط ، ط1 ،2006 .

68. مجموعة من المؤلفين، العثمانيون في المغارب، منشورات كلية الآداب العلوم الانسانية، الرباط، ط 1، 2005.

69. محمد أمطاط، الجزائريون بالمغرب 1830-1962، دار أبي الرقراق للطباعة، الرباط، 2008.

70. محمد الأمين البزاز، تاريخ الأوبئة والمجاعة بالمغرب في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1992.

71. محمد بن عبود، مركز الأجانب في مراكش، القاهرة، 1965.

72. محمد حاجي، الزاوية الدلاّئية ودورها الديني والعلمي والسياسي، الرباط، 1964.

73. محمد حاجي، الحركة الفكرية بالمغرب في العهد السعدي، ج2، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر،(د.ت)،(د.ط).

74. محمد الصالح الصديق، الجزائر بلد التحدي والصمود، موفم للنشر، الجزائر،( د ط) ،2009.

75. محمد الطمار، تاريخ الأدب الجزائري، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.

76. محمد علي داهش، دراسات في الحركة الوطنية والاتجاهات الوحدوية في المغرب العربي، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2004.

77. محمد العربي المساري، محمد بن عبد الكريم الخطابي من القبيلة إلى الوطن، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 2012.

78. محمد المنوني ، قبس من عطاء المخطوط المغربي ،مج 1 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت ، ط1 ،1999.

79. محمد العربي معريش، المغرب الأقصى في عهد السلطان الحسن الأول 1873-1894، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1989.

80. محمد الطيبي، الجزائر عشية الغزو الاحتلالي دراسة في الذهنيات والبنيات والمآلات، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، ط1، 2009.

81. محمد الهادي شريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعر: محمد الشاوش، ط2، دار سارس للنشر، تونس، 1993.

82. محمد زنبير، المغرب في العصر الوسيط الدولة المدنية و الاقتصاد ، منشورات كلية الآداب ،الرباط، ط1 ،1999

83. محمود علي عامر- محمد خير فارس، تاريخ المغرب العربي الحديث، الجمعية التعاونية للطباعة، دمشق، (د.ت ).

84. مختار الطاهر فيلالي، نشأة المرابطين و الطرق الصوفية و أثرهما في الجزائر خلال العهد العثماني ،دار الفكر ،باتنة ، ط1، 1976.

85. مولود قاسم نايت بلقاسم، شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل سنة 1830، ج2، ط3، دار الأمة، الجزائر، 2007.

86. مولاي بالحميسي، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

87. محمد رزوق، دراسات في تاريخ المغرب، ط1، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1991.

88. يحيى بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، ج1، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، الجزائر، 1965.

89. يحيى بوعزيز، ثورات الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، دار البصائر للنشر، الجزائر، 2009.

90. يحيى جلال، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث وهجوم الاستعمار، ج3، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

91. يحيى جلال، المولى إسماعيل وتحرير ثغور المغرب، الإسكندرية، 1983.

92. يحيى جلال، تاريخ المغرب الكبير في الفترة المعاصرة وحركات التحرر والاستقلال، ج2، دار النهضة العربية، بيروت، 1981.

93. هلايلي حنيفي، بنية الجيش الجزائري خلال العهد العثماني، دار الهدى، الجزائر، ط1، 2007.

94. هلايلي حنيفي، العلاقات الجزائرية الأوروبية ونهاية الإيالة 1815- 1830 م، ط1، دار الهدى، الجزائر، 2007.

## III. الدوريات والموسوعات :

### 1. المجلات:

2. أبو القاسم سعد الله: "وثائق جديدة عن ثورة الأمير عبد المالك الجزائري بالمغرب"، المجلة التاريخية المغربية، السنة 01، العدد 01، جانفي 1974.

3. أحمد بن أبي زيد قصيبة: "ابن ناصر بن شهرة أحد ثورة أبطال 1871" مجلة الأصالة، السنة 01، العدد6، جانفي 1972.

4. أحمد حدادي: "تاريخ المغرب من خلال الرحلات في عصر الدولة العلوية"، ندوة الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية إلى أواخر القرن التاسع عشر، أيام 09- 10- 11 ديسمبر 1993، مطبعة النجاح ، الدار البيضاء ، 1995.

5. أحمد سالم علي : "العلاقات العثمانية المغربية خلال القرن السادس عشر" ، مجلة كان ، العدد 13 ، السنة الرابعة ، 2011.

6. أرزقي شيو تسام: "العلاقات الجزائرية المغربية خلال الفترة العثمانية"، مجلة الدراسات التاريخية، عدد13، كلية العلوم الإنسانية، جامعة الجزائر، 2011..

7. بريك الله حبيب،" دور يهود المغرب في تجارة تيندوف خلال القرنين 19 و20 م من خلال وثائق أهل العبد"، مجلة الدراسات التاريخية، العدد19، 2015 .

8. بودواية مبخوت ،"الوضعية الصحية بالجنوب الغربي من خلال كتابات الطبيب الفرنسي أرميو سنة 1856م"، مجلة القرطاس ،العدد الثاني ، جانفي 2015.

9. بودواية مبخوت، دور الطريقة الشيخية في مقاومة أولاد سيدي الشيخ الثانية ،مجلة المواقف ،عدد خاص ،2008.

10. حسام سبع محي الدين : "جدلية خلافة بني عثمان قراءة تاريخية "، مجلة كان، العدد 24 ، السنة السادسة ، 2013.

11. الحسين عماري، "العلاقات التجارية بين المغرب والسودان الغربي في بداية العصر الحديث من خلال كتاب وصف إفريقيا"، مجلة كان التاريخية، العدد التاسع، 2010.

12. خاليد فؤاد طحطح : "العلاقات المغربية العثمانية خلال العصر الحديث من القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر "،مجلة كان ، العدد 14 ، السنة الرابعة ، 2011.

13. شارل أندري جوليان :"التدخل المغربي في الجزائر غداة احتلال العاصمة الجزائرية "،تر محمد البوزيدي ،مجلة البحث العلمي ،العدد 3 ، السنة الأولى، 1964.

14. عبد الجليل التميمي : "رسالة من مسلمي غرناطة إلى السلطان سليمان القانوني سنة 1547م "، المجلة التاريخية المغربية ، العدد 3 ، سنة 1975.

15. عبد الجليل التميمي،" مغامرة الحماية التونسية على وهران، المجلة التاريخية المغربية"، ع5، تونس،(د.ط)، 1976.

16. لمعمري البوعبدلي: "موقف ملك المغرب من الجزائر اثر الاحتلال الفرنسي"، مجلة الأصالة السنة 5، العدد 29 . 30، جانفي فيفري، 1976.

17. عز الدين بن سيفي: " موقف المغرب من الاحتلال الفرنسي للجزائر" ، مجلة عصور جديدة ، العدد24 25 ، 2016.

18. عز الدين بن سيفي: " الوجود المغربي بتلمسان بين جدلية الاحتلال والاستنجاد"، مجلة القرطاس، العدد 04، 2017.

19. عز الدين بن سيفي:" العلاقات الجزائرية المغربة على عهد الأمير عبد القادر الجزائري والسلطان عبد الرحمن المغربي"، مجلة كلية التربية الأساسية، العدد29، أوت 2016 ،جامعة بابل، العراق .

20. عكاشة برحاب، "التهريب والحدود في شمال شرق المغرب (1845-1912)"، سلسلة بحوث ودراسات رقم 27 تحت عنوان وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة محمد الخامس، الرباط، ط1، 2001.

21. عكاشة برحاب،"مشكلة التجارة بين المغرب والجزائر 1830-1907، أعمال ندوة التجارة في علاقتها بالمجتمع والدولة عبر تاريخ المغرب"، ج2، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الحسن الثاني، الدار البيضاء، من 21 إلى 23 فيفري 1989.

22. علي خلاصي: "صناعة المدافع في الجزائر"، مجلة التراث، عدد10، الجزائر، 1999.

23. فارس العيد: "طبيعة العلاقات الجزائرية مع المغرب الأقصى وتونس (1830-1847)"، مجلة العصور الجديدة، ع 19-20، 2015.

24. لحسن تاوشيخت : "الحركة العلمية بتافيلالت خلال عهد الدولة العلوية (ق18- ق 19)" ، أعمال الندوة "الحركة العلمية في عصر الدولة العلوية "، 9-10 -11 ديسمبر

1993، منشورات كلية الأدب و العلوم الإنسانية ، جامعة وجدة ، مطبعة النجاح الدار البيضاء ،

25. محمد الأمين بلغيث: "الشيخ بوعمامة القائد المتصوف"،مجلة الصراط ،جامعة الجزائر، العدد02، مارس 2002.

26. محمد العربي الزبيري: "المقاومة في الجزائر 1830-1948"، مجلة الأصالة ،السنة 4، مطبعة البعث ،العدد22 ،قسنطينة ، 1975.

27. مصطفى الشابي، "الأثمنة والأجور في مغرب القرن التاسع عشر مقاربة تاريخية"، سلسلة بحوث ودراسات تحت موضوع: وقفات في تاريخ المغرب، منشورات كلية الآداب بارباط، الدار البيضاء، ط01، 2001.

28. محمد مكاوي، "جوانب من المقاومة الوطنية في تلمسان ونواحيها، 1830-1930م"، مجلة الحكمة ، العدد08. السداسي الثاني، 2016.

29. نجاة المريني ، "من الملوك الشعراء المغاربة" :السلطان أبو العباس أحمد المنصور الذهبي ، مجلة دعوة الحق ، العدد 312 ، سبتمبر 1996.

2. **الموسوعات:**

30. نجيب زبيب، الموسوعة العامة لتاريخ المغرب والأندلس، تقد: أحمد بن سودة، ج4، ط1، دار الأمير للثقافة والعلوم، بيروت، 1995.

31. موسوعة أعلام المغرب ( تذكرة المحسنين بوفيات الأعيان وحوادث السنين ) ،تحق محمد حجي ،دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط2 ،2008 .

## IV. الدراسات المتخصصة (الأطاريح ):

32. بودواية مبخوت ، العلاقات الثقافية والتجارية بين المغرب الأوسط والسودان الغربي في عهد دولة بني زيان، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2006.

33. بودواية مبخوت ، مقاومة سيدي الشيخ بالجنوب الغربي الجزائري 1864- 1908 ،رسالة ماجستير ،كلية الآداب جامعة عين شمس ،مصر ،1992.

34. الزهراء النظام ، العلاقات المغربية الجزائرية ، مقاربة سياسية و ثقافية خلال القرن 10هـ – 16 م ، أطروحة دكتوراه في التاريخ ، جامعة الرباط ، 2003.

35. سكاكو مريم ، مكانة علماء تلمسان في المجالس العلمية السلطانية المرينية بفاس مابين القرنيين التاسع و السابع الهجريين ، رسالة ماجستير ،قسم التاريخ ، جامعة تلمسان ،2012.

36. عمار بن خروف، العلاقات بين الجزائر والمغرب( 1517-1659 )م ، رسالة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة دمشق ، 1983.

37. فارس العيد، علاقة الجزائريين بالمغرب وتونس 1847م 1930م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2016-2017.

38. فاطنة حباش، المكاتب العربية ودورها في المد الاستعماري بالغرب الجزائري 1844-1877م. تيارت، سعيدة ، البيض، نماذجاً، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2014.

39. قبايلي هواري، مسألة الحج في السياسة الاستعمارية الفرنسية بالجزائر 1894-1962م، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة وهران، 2014.

40. كمال بن صحراوي، الدور الدبلوماسي ليهود الجزائر في أواخر عهد الدايات، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة معسكر، 2008.

41. مجدوب ميساوي، سيدي الشيخ عبد القادر بن محمد، مذكرة ماجستير، قسم التاريخ، جامعة معسكر، السنة الجامعية، 2012. (غير منشورة).

42. محمد بن جبور، الاحتلال الفرنسي للجزائر ومقاومة الأمير عبد القادر من خلال وثائق الأرشيف المغربي، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، وهران، 2013- 2014.

43. موساوي فاطمة نبيلة، الممارسات الثقافية الجزائرية المغربية وعلاقاتها بالحدود السياسية، رسالة ماجستير، قسم الثقافة الشعبية، جامعة تلمسان، السنة الجامعية 2005-2006.

44. مؤمن العمري، شعار الوحدة ومضامينه في المغرب العربي أثناء فترة الكفاح الوطني، أطروحة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ الحديث المعاصر، جامعة منتوري، قسنطينة، السنة الجامعية 2009.

45. نصر الدين بن داود، بيوتات العلماء بتلمسان من القرن (7هـ-10هـ إلى 10 -16 م)، أطروحة دكتوراه، قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2010،

46. هوارية بكاي ،العلاقات السياسية والروابط الثقافية بين المغرب الأوسط والأقصى خلال القرنيين السابع والعاشر الهجريين، أطروحة دكتوراه،قسم التاريخ، جامعة تلمسان، 2014 .

## V. المصادر والمراجع باللغة الفرنسية:

### *1/ Ouvrages :*

1. Alexandre Bellemare : « Abd-El-Kader sa vie politique et militaire », éd Bouchene, France, 2003.
2. Azan. P : « l’Armée d’afrique de 1852 à 1930 », Paris, 1936.
3. Azan. P : « L’émir Abdelkader 1808-1883, du fanatisme musulman au patnotismeFrançais », Hachette, Paris, 1929.
4. BENACHENHOU.A : «L'État Algérien en 1830, ses institutions sous l'émir Abdelkade », éd ENAG, Alger 2009

5. Bernard. A et Lacroix. N, « La pénétration saharienne (1830-1906) », Alger, 1906.
6. Brignon. J et autre: « Histoire de Maroc », Paris, 1967.
7. CHARLE. ROBERT Ageron : « Le gouvernement du général Berthezène à Alger en 1831», éd ANAG, Alger, 2010.
8. CHARLES.Andre Juline : « Histoire de l'Algérie contemporaine », éd Casbah, Alger, 2005.
9. Clauzel :« Correspondance du maréchal Clauzel », Publié par G.esquer volume 1. Larousse. Paris. 1949.
10. Cossé. Brissac : «Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847) »,éd la rose ,paris ,1931 .
11. De Cossé-Brissac, PH, Les rapports de la France et du Maroc pendant la conquête de l'Algérie (1830-1847), Paris, 1931.
12. De Minitimpry : « Souvenirs d'un officer d'état major histoire de l'établissement de ladomination françaus dans la Province d'Oran », éd ,Maison Quantin, Paris, 1886.
13. De Montard : « Histoire de la conquête de l'Algerie de (1830 à 1847) », TII, éd : Marc – Audel, Paris, 1847.
14. Félix .Jacquot : « Expédition du général Cavaignac dans le Sahara Algérien », ed Gide et j . boudey libraires, paris, 1849.
15. GRAULLE.E : « Insurrection de bou-Amama Avril 1881» , éd Charles les lavanzelle, Paris, 1905.
16. Haédo (F.D) : « histoire des rois d'Alger », traduite et annotée par H-D. de Grammont , Alger , 1881.
17. Henri . Garrot : « Histoire Générale de l'Algérie », imp cvbn, Alger, 1910 .
18. Jillali. Adnani : « La Tijâniyya 1781-1881 les origines d'une confrérie religieuse au Maghreb », ed Marsam, 2007.
19. Ismael Hamet : « Le Gouvernement Marocain et la conquête d'Alger ,in Académie des sciences coloniales » , Annales ,Vol 1, 1925.

20. LAROUI.A : « Les origines Sociale et culturelles du nationalisme marocaine (1830-1912)», éd Maspero, Paris, 1977.
21. Léon. Galibert : « l'Algérie ancienne et moderne », éd Furne et c, Paris, 1844.
22. Louis Marie Rnn : « Marobouts et khouan Etude sur l'islam en Algérie » , Ed Adolphe Jordan libraire ,Alger , 1884 .
23. M. H. de La Martinière, N. Lacroix: « Documents pour servir à l'étude du Nord Ouest africain »,T1, gouvernement générale de l'algerie, Service des affaires indigènes, 1897.
24. M .M .LEYNADIER ET CLAUSEL , « HISTOIRE de L'Algérie Française » , T3, imp de henry , paris ,1848.
25. Masmoudi - M.Smida , « Tunis au XVIIème siècle de la chute des Hafsides à l'installation des Turcs » , std , Tunis , 1983.
26. MATALLAH Dhina : « Le Royaume Abdelouadide a l'époque D'abouhammou moussa 1er et d' Aboutachfin 1er »,OPU – Alger, 1985.
27. Mounir Bouchanki : « La monnaie de l'Emir Abd-el-kader », SNES, Alger, 1976.
28. Michaux Billaire « les Musulmans Algériens au Maroc », archive marocaines, V11,1907.publication de la mission scientifique du maroc, paris, 1974.
29. RICARD .R : « Le commerce Genois au Maroc (1415-1550) » , in annales de IEO,T3 , paris , 1937.
30. SARI Djilali : « insurrection de 1881.1882 l'épopée de Chikh Bouamama», éd ENAG, Alger, 2010.
31. Terrasse. H : « Histoire de Maroc des origines à l'établissement du protectorat francias », Casablanca, 1949.
32. Théodore. de Quatrebarbes:«Souvenirs de la campagne d'Afrique» second édition revue et considérablement, Paris, 1831.
33. Voinot .L: « Oudjda et l'Amalat (Maroc) »,Extrait SGAPO ,Oran, 1912.

## 2/ Revues :

1. Cour. A : **« L'occupation marocaine de Tlemcen (sept. 1830 – Janv. 1863) »,** in revue africaine, N°52, Alger, 1908.
2. Ceorges Yver : **« abd El kader et le maroc en 1830 »**, in revue africaine, N° 60, 1910.
3. VOINOT.L : **« la situation sur la frontière Algéro-Marocaine du tell lors de l'insurrection des Ouled Sidi Chikh dans le sud Oranais (1864-1870)»,** in revue africaine , Alger, N°60, 1919.
4. VOINOT.L : « les entraves au commerce Algéro-Marocain et la conclusion d'Accords spéciaux»
5. SARI Djilali **:« l'implantation coloniale dans le sud oranais et l'insurrection de Bouamama (1881-1882)»**, in revue Et-tarikh, centre national d'étude historique, 2éme semestre, Alger, 1981.
6. Emert. M : **« La légande de léon Roches »**, in revue africaine , N°91, Alger, 1947 .
7. Emert. M : **« Le conflit franco-marocain de 1844, d'après les notes de warnier »**, in revue africaine,N° 93, Alger , 1950.
8. Emert. M : **« Le text arabe du traité de la Tafna »,** in revue africaine N°94, Alger, 1950.
9. Gognalons : **« L'une proclamation de l'Emir Abdelkader aux habitants de Figuig en 1838 »**, in revue africaine, N° 57, Alger 1913 .
10. Gognalons : **« Apropose des rapports Franco-marocains de 1845 à 1849, une question de méthode »,** in revue africaine , N° 92, Alger, 1848
11. TIMIMI .A : **« L'activité de Hamada Khoudja à Paris et a Istanbul pour la question Algérienne »** , in R.H.M. , N° 7-8, 1977 .



# الفهارس

## فهرس الأعلام والمشاهير

- أ -

- ح -



- د -

## فهرس أسماء الأماكن والمدن

### - أ -

- ب -



- ت -

- ج -



- ح -



- خ -



- د -



- ر -

- ص -



- ط -



- ع -

- ف -



- ق -



- ك -

- ل -



- م -

## فهرس أسماء القبائل

- أ -

**- ذ -**

# محتويات البحث

## الفصل الثّاني:

### العلاقات الجزائرية المغربية على عهد الأمير عبد القادر.
### (1832-1847)م

## الفصل الثالث:

## العلاقات الجزائرية المغربية من منتصف القرن التاسع عشر إلى توقيع الحماية على المغرب. ( 1850 - 1912 )م

## الفصل الرابع:

### العلاقات الاجتماعية والاقتصادية.

الملخص باللغة العربية :

تعالج هذه الدراسة العلاقات الجزائرية المغربية من 1830م ، بداية الفترة المعاصرة والموافقة لتاريخ الغزو الفرنسي للجزائر ، إلى سنة 1912م ، تاريخ توقيع معاهدة الحماية المزدوجة الفرنسية الإسبانية على المغرب. وتتمحور هذه الدراسة حول طبيعة العلاقات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي ربطت رموز المقاومة في الجزائر المحتلة والسلطة في المغرب.

**الكلمات المفتاحية :** الجزائر، المغرب ، فرنسا ، الأمير، السلطان ، الحدود ، القبائل ، المقاومة ، الثورات .

الملخص باللغة الفرنسية :

**Cette étude porte sur les relations algéro-marocaines depuis 1830, début de la période contemporaine et date de conquête française de l'Algérie, jusqu'en 1912, date de signature du traité du double protectorat franco-espagnol au Maroc. L'étude se concentre aussi sur la nature des relations politiques, sociales et économiques qui ont lié les symboles de la résistance en Algérie occupée et les autorités au Maroc.**

Mots clés : Algérie, Maroc, France, prince, sultan, frontières, tribus, résistance, révolutions.

الملخص باللغة الإنجليزية :

**This study focuses on the Algerian-Moroccan relations since 1830, the beginning of the contemporary period and date of French conquest of Algeria, until 1912, date of signature of the Franco-Spanish protectorate double treaty in Morocco. The study also focuses on the nature of the political, social and economic relations that linked the symbols of the resistance in the occupied Algeria and the authorities in Morocco.**

**Keywords:** Algeria, Morocco, France, prince, sultan, borders, tribes, resistance, revolutions.